

كتاب كليته ودمنت

ليدبا الفيلسوف الهندي

عربة عن البهلوية المنشئ البليغ اللغوي المشهور
عبد الله بن المقفع

نقحه وضبطه وعلق حواشيه الشيخ خليل البارحي اللبناني
عفي عنه

حق طبعه محفوظ

طبع برخصة مجلس معارف ولاية سور يا المجلية

طبع ثانية في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٨٨

بسم الله العليم الحكيم

و بعدُ فيقول الفقير اليه تعالى خليل بن ناصيف اليازجي اللبناني لا يخفى
شدة افتقار المدارس في هذه الايام الى كتاب فصيح العبارة يليق ان يمدّه
التلامذة في النثر المرسل مشتمل على كثير من الالفاظ اللغوية الفصيحة
المتداولة بين الكتاب لتجري على اقلامهم ويقتبسوا سرّ وضعها في مواضعها
ذاهب المذاهب المختلفة في ضروب الكتابة من حقيقة ومجاز واطناب
وإيجاز الى غير ذلك مما يتدربون به على الخوض في اساليب الكلام.
ويكون مع ذلك لطيف الموضوع مناسباً لاذواق التلامذة على اختلاف
درجاتهم في السن والمعرفة منظوياً من المعاني على المفيد لعقولهم المذّرب
لنفوسهم المذّرب لهم في سيرتهم ونصرهم بين الناس حتى لا تكون فوائده
مقصورة على اللفظ فقط

وقد وجدت كتاب كيلة ودمنة المشهور الواضع له بيدبا^(١) الفيلسوف
الهندي والمعرّب بقلم المنشئ البليغ عبد الله بن المفتح^(٢) اليق كتاب لهذه

١ نشأ في اثناء القرن الرابع قبل المسيح

٢ هـ عبد الله بن المفتح الكاتب المشهور بالبلاغة صاحب الرسائل البديعة واسم
ابو داؤد من اهل فارس والمفتح لقب غلب عليه لان الحجاج بن يوسف الثقفي عدّه
لحياته ارتكبها فتغصت يده اي تقبضت فقبل له المفتح وقبل بل الذي عدّه ابو الحجاج
المذكور

كانت اقامة عبد الله المذكور بالبصرة وكان كاتباً فيها العيسى بن علي عم المنصور
الخليفة العباسي وبها توفي. وكانت وفاته قتلاً قتل سفيان بن معاوية امير البصرة
بامر المنصور في حديث طويل ليس هنا موضعه. وكان معاصراً للخليل بن احمد
صاحب العروض ولعبد الحميد الكاتب المشهور. ومن حديثه مع الخليل انه اجتمع



32101 019184371

الغايات جميعها فانه جامعٌ لهذه المقاصد بأسرها متكئٌ بالاثبات عليها كلها
لما هو معروفٌ به من فصاحة العبارة ورشاقة اللفظ وعلو الطبقة في اساليب
الانشاء بحيث يصح ان يكون دستوراً للكتابة يُنسخ على منواله ويجرى على
مثاله. متضمنٌ من فكاهة ظاهره ونفاسة باطنه شيئاً كثيراً في كونه مخزناً
مخرجٌ قصص لطيفة جارية على افواه البهائم واللسنة الطير يتبطنها من
الاداب والنصائح والمواعظ والامثال والحكمة والفلسفة والنهذيب والتدريب
في الدنيا والدين معاً الى غير ذلك ما يصح ان يسمى به مرآة الزمان على ما
هو غني عن البيان. فهو للصغير كتاب تهذيبٍ وتخرجٍ وللمتعلم سفر بلاغةٍ
وانشاء. وللتلميذ مجموع قصص ونوادير وللمستبصر مجلة حكمة وفلسفة فيصح
ان يصحبه التلميذ في جميع اطوار دروسه فلا يعدم من فوائده في كل
حالة نصيباً

وقد وقفت الى الظفر بنسخة من هذا الكتاب قد خطت مذ نحو ثلاثمائة
سنة فوجدت بينها وبين النسخة المطبوعة في مصر فرقاً كثيرة منها بالزيادة

به مرة فلما افترقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المنفع فقال علمه أكثر من عقلي وقيل
لابن المنفع كيف رأيت الخليل فقال عقله أكثر من علمي. وكان بينه وبين عبد
المحميد صداقة شديدة حتى ان السفاح لما طلب عبد المحميد ليقنله استخفى منه في احد
البيوت ومعه ابن المنفع فاجابها الطلب وها في البيت فقال الذين دخلوا عليها ايكنما
عبد المحميد فقال كلٌ منها انا خوفاً على صاحبه وخاف عبد المحميد ان يسرعوا الى
ابن المنفع فقال ترفعوا بنا فان كلاً منا له علامات فوكوا بنا بعضكم ويمضي البعض
الاخرون يدركون تلك العلامات لمن وجهكم ففعلوا واخذوا عبد المحميد. وهي من
المروءات النادرة

وصنف ابن المنفع المصنفات الحسان. قيل له مرة من ادلك فقال نفسي اذا رايت
من غيري حسناً اتينته وان رايت قبيحاً اتينته. ومن كلامه في النثر قوله شربت الخطب
رباً ولم اضبط لها رويّاً فغاضت ثم فاضت فلا هي نظاماً وليس غيرها كلاماً. وله شعر
جيد ذكر في ديوان الحماسة منه ثلاثة ابيات في رثاء يحيى بن زياد وقيل عبد الكرم
بن ابي العوجاء وهي

ومنها بالنقص ومنها بالاختلاف * اما الزيادة فاهمها ما صدر به باب
بعثة برزويه في هذه النسخة الى قوله اما بعد * واما النقص فقد خلت النسخة
المذكورة من مقدمة الكتاب وباب السائح والصائغ وباب الحمامة والثعلب
ومالك الحزين ومن ذكر باب عرض الكتاب تحت هذا العنوان وانما ذكر
فيها في اثناء بعثة برزويه ممتزجا بها في الكلام مستفادا بالضمين من بعض
الكلام المجاورة انه لعبد الله بن المقفع وقد اشير الى ذلك في فهرسها . ومن
الغريب ان في فهرسها المشار اليه ذكر رسالة لبرزجهر بن الجثنكان في
مدح كسرى وذكر باب السائح والصائغ وهما غير موجودين فيها . وهذا
دليل على ما في النسخة المذكورة من الخلل التشويش والفساد فان ذلك
فاش فيها ذاهب كل مذهب ولا سيما في النسخ فانه قلما خط كتاب وقع
فيه من الخط ما وقع فيها او حدث من التحريف والتصحيح بين نسختين
من كتاب ما حدث بين هاتين النسختين حتى لا يكاد يظن ان النسختين
لكتاب واحد * واما الاختلافات فكثيرة فاشية بينهما من اول الكتاب
الى آخره لا يكاد يخلو سطر من شيء منها بين لنظي ومعنوي ما لا يقع تحت
المحصر ولا فائدة من ذكره وانما اشرنا اليه على وجه الاجمال دلالة على ما
احتملت هذه النسخة من التحييص والبحث والعناية * ثم وجدت بين نسخة
مصر المشار اليها والنسخة المطبوعة في باريس باعنائنا البارون سلبستري
دساي فروقا ايضا في بعض الاماكن اخصها خلط نسخة باريس المذكورة
من باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين واختلاف في ديباجة باب السائح

رُزْنَا ابا عمرو ولا حي مثله فلول ريب الحادثات بمن وقع
فان تك قد فارقتنا وتركتنا ذوي خلق ما في انسدادها طبع
فقد جر نفعاً فقدنا لك اننا امثا على كل الرزايا من الجزع
وكانت ولادته بين السنة السادسة والناسعة بعد المئة للهجرة ووفاته بين السنة
الثانية والاربعين والخامسة والاربعين وكانت حياته ستاً وثلاثين سنة رحمه الله تعالى

عِنْدَ عَظِيمِ جُشَّتِكَ وَصَغِيرِ هِمَّتِكَ

فَلْيُشْرِكْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِمَا يَسْنَعُ^(١) لَهُ مِنَ الرَّأْيِ قَالُوا
بِأَجْمَعِهِمْ أَيُّهَا الْفَيْلَسُوفُ الْفَاضِلُ وَالْحَكِيمُ الْعَادِلُ . أَنْتَ الْمُقَدَّمُ
فِينَا وَالْفَاضِلُ عَلَيْنَا . وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مَبْلَغُ رَأْيِنَا عِنْدَ رَأْيِكَ
وَفَهْمِنَا عِنْدَ فَهْمِكَ . غَيْرَ أَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ السَّبَاحَةَ فِي الْمَاءِ مَعَ
الْتِمْسَاحِ تَغْيِيرٌ^(٢) وَالذَّنْبُ فِيهِ لِمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ .
وَالَّذِي يَسْتَخْرِجُ السَّمَّ مِنْ نَابِ الْحَيَّةِ فَيَتَلَعَهُ لِيَجْرِبَهُ عَلَى نَفْسِهِ
فَلَيْسَ الذَّنْبُ لِلْحَيَّةِ . وَمَنْ دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فِي غَابَتِهِ لَمْ يَأْمَنْ
وَثْبَتُهُ^(٣) . وَهَذَا الْمَلِكُ لَمْ تَفْزَعْهُ النَّوَائِبُ وَلَمْ تُؤَدِّ بِهِ أَتَّجَارِبُ
وَلَسْنَا نَأْمَنْ عَلَيْكَ مِنْ سَوَرَتِهِ^(٤) وَمُبَادَرَتِهِ^(٥) بِسَوْءٍ إِذَا لَقِيْتَهُ بِغَيْرِ
مَا يُحِبُّ . فَقَالَ الْحَكِيمُ يَبْدُ بِالْعَمْرِيِّ لَقَدْ قَلْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ . لَكِنَّ
ذَا الرَّأْيِ الْحَازِمَ لَا يَدْعُ أَنْ يُشَاوَرَ مَنْ هُوَ دُونَهُ أَوْ فَوْقَهُ فِي
الْمَنْزِلَةِ . وَالرَّأْيُ الْفَرْدُ لَا يَكْتَفِي بِهِ فِي الْخَاصَّةِ وَلَا يُتَنَفَّعُ بِهِ فِي
الْعَامَّةِ . وَقَدْ صَحَّتْ عَزِيمَتِي^(٦) عَلَى لِقَاءِ دَبْشَلِيمَ . وَقَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ
وَتَبَيَّنَ لِي نَصِيحَتُكُمْ وَالْإِشْفَاقُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ . غَيْرَ أَنِّي قَدَرْتُ رَأْيَا

١ بعرض و بخط ٢ اي تعريض النفس للهلكة ٣ فزنته ٤ حدثه ٥ سبقه

٦ اي صممت

وَلَا يَنْقَادُوا إِلَيْهِ نَظَرْتُ فِي قَدْرِ عُقُوبَتِهِ . عَلَى أَنَّ مِثْلَهُ لَمْ يَكُنْ
 لِيَجْتَرِئَ عَلَى إِدْخَالِ نَفْسِهِ فِي بَابِ مَسْئَلَةِ الْمُلُوكِ . وَإِنْ كَانَ
 شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الرَّعِيَّةِ يَقْصِدُ فِيهِ أَنْ أَصْرِفَ عِنَايَتِي إِلَيْهِمْ . نَظَرْتُ
 مَا هُوَ . فَإِنَّ الْحُكَمَاءَ لَا يُشِيرُونَ إِلَّا بِالْخَيْرِ وَالْجَهْلَاءُ يُشِيرُونَ بِضِدِّهِ .
 وَأَنَا قَدْ فَسَحْتُ^(١) لَكَ فِي الْكَلَامِ * فَلَمَّا سَمِعَ يَبْدَأُ ذَلِكَ مِنَ الْمَلِكِ
 أَفْرِخَ^(٢) عَنْهُ رَوْعَهُ^(٣) وَسَرِّي^(٤) مَا كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ خَوْفِهِ
 وَكَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ ثُمَّ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ

أَوَّلُ مَا أَقُولُ أَنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بَقَاءَ الْمَلِكِ عَلَى
 الْأَبَدِ . وَدَوَامَ مُلْكِهِ عَلَى الْأَمَدِ^(٥) . لِأَنَّهُ قَدْ مَنَحَنِي الْمَلِكُ فِي
 مَقَامِي هَذَا مَحَلًّا جَعَلَهُ شَرَفًا لِي عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَعْدِي مِنَ الْعُلَمَاءِ .
 وَذَكَرًا بَاقِيًا عَلَى الدَّهْرِ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمَلِكِ بِوَجْهِهِ
 مُسْتَبْشِرًا بِهِ فَرِحًا بِمَا بَدَأَ لَهُ مِنْهُ وَقَالَ قَدْ عَطَفَ عَلَيَّ الْمَلِكُ
 بِكَرَمِهِ وَوَإِحْسَانِهِ . وَالْأَمْرُ الَّذِي دَعَانِي إِلَى الدُّخُولِ عَلَى
 الْمَلِكِ وَحَمَلَنِي عَلَى الْخَطَاةِ فِي كَلَامِهِ وَالْإِقْدَامِ عَلَيْهِ نَصِيحَةٌ
 اخْتَصَصْتُهُ بِهَا دُونَ غَيْرِهِ . وَسَيَعْلَمُ مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ ذَلِكَ أَنِّي لَمْ

أَقْصَرَ عَنْ غَايَةٍ فِيمَا يَجِبُ لِلْمَوْلَى عَلَى الْحُكَمَاءِ . فَإِنْ فَسَحَ
 فِي كَلَامِي وَوَعَاهُ ^(١) عَنِّي فَهُوَ حَقِيقٌ بِذَلِكَ وَإِنْ هُوَ أَلْقَاهُ فَقَدْ
 بَلَغْتُ مَا يَلْزَمُنِي وَخَرَجْتُ مِنْ لَوْمٍ يَلْحَقُنِي . قَالَ الْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا
 تَكَلَّمْ مَعَهَا شَيْتَ فَإِنِّي مُضْغٌ إِلَيْكَ وَمُقْبِلٌ عَلَيْكَ وَسَامِعٌ
 مِنْكَ حَتَّى أَسْتَفْرِغَ مَا عِنْدَكَ إِلَى آخِرِهِ وَأُجَازِيكَ عَلَى
 ذَلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ

قَالَ بَيْدَبَا إِنِّي وَجَدْتُ الْأُمُورَ الَّتِي أَخْتَصَّ بِهَا الْإِنْسَانُ
 مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحَيَوَانَ أَرْبَعَةً أَشْيَاءَ وَهِيَ جُمَاعٌ ^(٢) مَا فِي الْعَالَمِ .
 وَهِيَ الْحِكْمَةُ وَالْعِفَّةُ وَالْعَقْلُ وَالْعَدْلُ وَالْعِلْمُ وَالْأَدَبُ وَالرَّوْيَةُ ^(٣)
 دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْحِكْمَةِ . وَالْحِلْمُ وَالصَّبْرُ وَالْوَقَارُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ
 الْعَقْلِ . وَالْحَيَاءُ وَالْكَرَمُ وَالصِّيَانَةُ وَالْأَنَفَةُ ^(٤) دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعِفَّةِ .
 وَالصِّدْقُ وَالْإِحْسَانُ وَالْمِرَاقِبَةُ ^(٥) وَحُسْنُ الْخُلُقِ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ
 الْعَدْلِ . وَهَذِهِ هِيَ الْفَحَاسِنُ وَأَضْدَادُهَا هِيَ الْمَسَاوِي . فَمَتَى
 كَمَلْتَ هَذِهِ فِي وَاحِدٍ لَمْ يُخْرِجْهُ النَّقْصُ فِي نِعْمَتِهِ إِلَى سُوءِ
 الْخَطِّ مِنْ دُنْيَاهُ وَلَا إِلَى نَقْصٍ مِنْ عُقْبَاهُ ^(٦) وَلَمْ يَتَأَسَفْ عَلَى مَا

احفظه ٢ اي جميع ٣ اعمال الفكر ٤ الترفع عن الدنيا ٥ التقوى

٦ آخرته

لَمْ يَنْعِنِ التَّوْفِيقُ بِبَقَائِهِ وَلَمْ يَحْزِنْهُ مَا تَجَرَّي بِهِ الْمَقَادِيرُ ^(١) فِي
 مُلْكِهِ وَلَمْ يَدْهَشْ ^(٢) عِنْدَ مَكْرُوهِهِ . فَالْحِكْمَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنَى عَلَى
 الْإِنْفَاقِ . وَذَخِيرَةٌ لَا يُضْرَبُ لَهَا بِالْإِمْلَاقِ ^(٣) . وَحَلَّةٌ لَا تَخْلُقُ ^(٤)
 جَدَّتَهَا . وَلَذَّةٌ لَا تُضْرَمُ ^(٥) مَدَّتْهَا * وَلَشِنْ كُنْتُ عِنْدَ مُقَامِي بَيْنَ يَدَيِ
 الْمَلِكِ أَمْسَكْتُ ^(٦) عَنْ أِبْتِدَائِهِ بِالْكَلَامِ . فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ
 مِنِّي إِلَّا لِهَيْبَتِهِ وَالْإِجْلَالِ لَهُ . وَلَعَمْرِي إِنَّ الْمُلُوكَ لَأَهْلٌ أَنْ
 يَهَابُوا وَلَا سِيَّامَنْ هُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ الَّتِي جَلَّ فِيهَا الْمَلِكُ عَنْ
 مَنَازِلِ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ الزَّمِ السُّكُوتَ فَإِنَّ
 فِيهِ السَّلَامَةَ . وَتَجَنَّبِ الْكَلَامَ الْفَارِغَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ النَّدَامَةُ *
 وَحِكْمِي أَبَّ أَرْبَعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ ضَمَّمْتُ مَجْلِسُ مَلِكٍ فَقَالَ لَهُمْ
 ايْتَكَلَّمْ كُلُّ مِنْكُمْ بِكَلَامٍ يَكُونُ أَصْلًا لِلْأَدَبِ * فَقَالَ أَحَدُهُمْ
 أَفْضَلُ خَلَّةٍ ^(٧) الْعُلَمَاءِ السُّكُوتُ . وَقَالَ الثَّانِي إِنَّ مِنْ أَنْفَعِ
 الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ قَدَرَ مَنْزِلَتِهِ مِنْ عَقْلِهِ . وَقَالَ
 الثَّلَاثُ أَنْفَعُ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ . وَقَالَ
 الرَّابِعُ أَرْوَحُ ^(٨) الْأُمُورِ لِلْإِنْسَانِ التَّسْلِيمُ لِلْمَقَادِيرِ * وَاجْتَمَعَ

١ احكام الزمان ٢ يتغير ٣ الفتراي لا ينفتر صاحبها ٤ تبلى ٥ تنقطع ٦ امتنعت

٧ خصلة ٨ تفضيل من الراحة

فِي بَعْضِ الزَّمَانِ مُلُوكُ الْأَقَالِيمِ مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَفَارِسَ
وَالرُّومِ وَقَالُوا يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ مَنَا بِكَلِمَةٍ تَدُونُ عَنْهُ عَلَى
غَابِرٍ^(١) الدَّهْرِ * قَالَ مَلِكُ الصِّينِ أَنَا عَلَى مَا لَمْ أَقْلُ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى
رَدِّ مَا قُلْتُ * قَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ فَإِنْ
كَانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعْهُ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ أَوْبَقَتْهُ^(٢) * قَالَ مَلِكُ
فَارِسَ أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي وَإِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهَا
مَلَكَتْهَا * قَالَ مَلِكُ الرُّومِ مَا نَدِمْتُ عَلَى مَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهِ قَطُّ
وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا * وَالسَّكُوتُ عِنْدَ الْمُلُوكِ
أَحْسَنُ مِنَ الْهَذَرِ^(٣) الَّذِي لَا يُرْجَعُ مِنْهُ إِلَى نَفْعٍ * وَأَعْضَلُ^(٤)
مَا اسْتُضِلَّ^(٥) بِهِ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ * غَيْرَ أَنَّ الْمَلِكَ أَطَالَ اللَّهُ
مُدَّتَهُ لِمَا فَسَحَّ لِي فِي الْكَلَامِ وَأَوْسَعَ لِي فِيهِ كَانَ أَوَّلِي مَا أَبَدَا
بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ غَرَضِي أَنْ تَكُونَ ثَمَرَةً ذَلِكَ لَهُ دُونِي
وَأَنْ أَخْتَصَّهُ بِالْفَائِدَةِ قَبْلِي * عَلَى أَنَّ الْعُقْبَى^(٦) هِيَ مَا أَقْصِدُ فِي
كَلَامِي لَهُ * وَإِنَّمَا نَفَعُهُ وَشَرَفُهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ وَأَكُونُ قَدْ قَضَيْتُ
فَرَضًا وَجَبَ عَلَيَّ فَأَقُولُ

١ هاتفي ٢ املكته ٣ ما لا ينبغي من الكلام ٤ من قولهم داء عضال اي يعجز الاطباء
٥ حمل على الضلال ٦ العاقبة

فَذَلِكَ عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ عَسَاهُ أَنْ يَبْلُغَ وَيَرُومَ مَا رُمْتَ أَنْتَ
 مِنَ الْمُلُوكِ إِذَا أَوْسَعُوا لَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ
 وَيُصَلَّبَ . فَلَمَّا مَضَوْا بِهِ فِيمَا أَمَرَ فَكَّرَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ فَأَحْجَمَ ^(١) عَنْهُ
 ثُمَّ أَمَرَ بِحَبْسِهِ وَتَقْيِيدِهِ . فَلَمَّا حُبِسَ أَنْفَذَ الْمَلِكُ فِي طَلَبِ
 تَلَامِيذِهِ وَمَنْ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فَهَرَبُوا فِي الْبِلَادِ وَأَعْتَصَمُوا ^(٢)
 بِمَجَارِيرِ الْبَحَارِ . فَمَكَثَ يَبْدَأُ فِي مُحَبْسِهِ أَيَّامًا لَا يَسْأَلُ الْمَلِكُ عَنْهُ
 وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَهُ * حَتَّى إِذَا
 كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي سَهَدَ ^(٣) الْمَلِكُ سَهْدًا شَدِيدًا وَطَالَ سَهْدُهُ
 فَمَدَّ إِلَى الْفَلَكَ بَصَرَهُ وَتَفَكَّرَ فِي تَفَلُّكِ ^(٤) الْفَلَكَ وَحَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ
 فَأَغْرَقَ ^(٥) الْفِكْرُ فِيهِ فَسَلَكَ بِهِ إِلَى اسْتِنْبَاطِ شَيْءٍ عَرَضَ لَهُ مِنْ
 أُمُورِ الْفَلَكَ وَالْمَسْئَلَةِ عَنْهُ . فَذَكَرَ عِنْدَ ذَلِكَ يَبْدَأُ وَتَفَكَّرَ فِيمَا
 كَلَّمَهُ فِيهِ فَأَرَعَوَى ^(٦) لِذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ لَقَدْ أَسَأْتُ فِيمَا
 صَنَعْتُ بِهِذَا الْفَيْلَسُوفِ وَضِيعْتُ وَاجِبَ حَقِّهِ وَحَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ
 سُرْعَةُ الْغَضَبِ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ أَرْبَعَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِي
 الْمُلُوكِ . الْغَضَبُ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ الْأَشْيَاءِ مَقْتًا ^(٧) . وَالْبُخْلُ فَإِنَّ

١ تاخر ورجع ٢ امتنعوا ٣ طار نومه ٤ استنداره ٥ بالغ وتعيق
 ٦ رجع عن رايه ٧ بغضاً

صَاحِبُهُ لَيْسَ بِمَعْدُورٍ مَعَ ذَاتِ يَدِهِ ^(١) . وَالْكَذِبُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ
أَنْ يُجَاوِرَهُ . وَالْعُنْفُ ^(٢) فِي الْحَوَارَةِ فَإِنَّ السَّفَهَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهَا
وَإِنِّي أَتَى إِلَى رَجُلٍ نَصَحَ لِي وَلَمْ يَكُنْ مُبْلِغًا ^(٣) فَعَامَلْتُهُ بِضِدِّ مَا
يَسْتَحِقُّ وَكَافَأْتُهُ بِخِلَافٍ مَا يَسْتَوْجِبُ . وَمَا كَانَ هَذَا جَزَاءَهُ مِنِّي
بَلْ كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَهُ وَأَنْقَادًا لِمَا يُشِيرُ بِهِ . ثُمَّ
أَنْفَذَ فِي سَاعَتِهِ مَنْ يَأْتِيهِ بِهِ

فَلَمَّا مَثَلَ ^(٤) بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ يَا يَدِّبَا أَلَسْتَ الَّذِي قَصَدْتَ
إِلَيَّ تَقْصِيرَ هِمَّتِي وَعَجْزَ رَأْيِي ^(٥) فِي سِيرَتِي بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ آنِفًا .
قَالَ لَهُ يَدِّبَا أَلَيْسَ الْمَلِكُ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ . الصَّادِقُ الرَّفِيقُ ^(٦) . إِنَّمَا
نَبَأْتُكَ ^(٧) بِمَا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَلِرَعِيَّتِكَ وَدَوَامُ مُلْكِكَ لَكَ . قَالَ
لَهُ الْمَلِكُ يَا يَدِّبَا أَعِدْ عَلَيَّ كَلَامَكَ كُلَّهُ وَلَا تَدْعُ مِنْهُ حَرْفًا إِلَّا
جِئْتُ بِهِ . فَجَعَلَ يَدِّبَا يَنْثُرُ كَلَامَهُ وَالْمَلِكُ مُصْنِعٌ إِلَيْهِ وَجَعَلَ
دَبْشَلِيمُ كُلَّمَا سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا يَنْكُتُ الْأَرْضَ ^(٨) بِشَيْءٍ كَانَ فِي يَدِهِ .
ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ ^(٩) إِلَى يَدِّبَا وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ . وَقَالَ لَهُ يَا يَدِّبَا إِنِّي

١ ميسرته ٢ القسوة والخشونة ٣ أي مبلغاً من طريق الدسيسة ٤ انتصب

٥ نسبته إلى العجز ٦ من الرفق ٧ أخبرتك ٨ يضربها بقضيب ونحوه وهو ما
يفعله المنكر ٩ نظره

الْحُكَمَاءُ قَبْلِي تَقُولُ إِنَّ الْمُلُوكَ لَهَا سَكْرَةٌ كَسَكْرَةِ الشَّرَابِ .
 فَأَلْمُلُوكُ لَا تَفِيْقُ مِنَ السَّكْرَةِ إِلَّا بِمَوَاعِظِ الْعُلَمَاءِ وَأَدَبِ الْحُكَمَاءِ .
 وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُلُوكِ أَنْ يَتَعَضَّوْا بِمَوَاعِظِ الْعُلَمَاءِ وَالْوَاجِبُ عَلَى
 الْعُلَمَاءِ تَقْوِيْمُ الْمُلُوكِ بِالسَّنَنِ وَتَأْدِيْبُهَا بِحِكْمَتِهَا وَإِظْهَارُ الْحُجَّةِ
 الْيَنِيَّةِ الْإِلَازِمَةِ لَهُمْ لِيَزِيدْعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْوِجَاجِ
 وَالْخُرُوجِ عَنِ الْعَدْلِ * فَوَجَدْتُ مَا قَالَتِ الْعُلَمَاءُ فَرَضًا وَاجِبًا عَلَى
 الْحُكَمَاءِ لِمُلُوكِهِمْ لِيَوْفَقُوهُمْ مِنْ سَنَةِ ^(١) سَكْرَتِهِمْ . كَالطَّيِّبِ الَّذِي
 يَجِبُ عَلَيْهِ فِي صِنَاعَتِهِ حِفْظُ الْأَجْسَادِ عَلَى صِحَّتِهَا وَرُدُّهَا إِلَى الصِّحَّةِ .
 فَكَرِهْتُ أَنْ يَمُوتَ أَوْ أَنْ أَمُوتَ وَمَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ
 يَقُولُ إِنَّهُ كَانَ يَيْدَبُ الْفَيْلَسُوفُ فِي زَمَانِ دَبْشَلِيمَ الطَّاعِي فَلَمْ يَرُدَّهُ
 عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُ لَمْ يُمْكِنَهُ كَلَامُهُ خَوْفًا عَلَى
 نَفْسِهِ قَالُوا كَانَ الْهَرَبُ مِنْهُ وَمِنْ جَوَارِهِ أَوْلَى بِهِ . وَالْإِنْزِعَاجُ ^(٢)
 عَنِ الْوَطَنِ شَدِيدٌ . فَرَأَيْتُ أَنْ أَجُودَ بِحَيَاتِي فَأَكُونَ قَدَايْتُ فِيْمَا
 بَيْنِي وَبَيْنَ الْحُكَمَاءِ بَعْدِي عُدْرًا . فَحَمَلْتُهَا عَلَى التَّغْرِيرِ أَوِ الظَّفْرِ
 بِمَا أَرِيدُهُ وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ مَا أَنْتُمْ مُعَايِنُوهُ . فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي بَعْضِ

الْأَمْثَالُ إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مَرْتَبَةَ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ . إِمَّا بِمَشَقَّةٍ
تَنَالُهُ فِي نَفْسِهِ وَإِمَّا بِوَضِيعَةٍ ^(١) فِي مَالِهِ أَوْ وَكْسٍ ^(٢) فِي دِينِهِ . وَمَنْ
لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرَّغَائِبَ * ^(٣) وَإِنَّ الْمَلِكَ دَبْشَلِيمَ قَدْ
بَسَطَ ^(٤) لِسَانِي فِي أَنْ أَضَعَ كِتَابًا فِيهِ ضُرُوبُ الْحِكْمَةِ . فَلْيَضَعِ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا فِي أَيِّ فَنٍّ شَاءَ وَلْيَعْرِضْهُ عَلَيَّ لِأَنْظُرُ مِقْدَارَ
عَقْلِهِ وَأَيَّنْ بَلَغَ مِنَ الْحِكْمَةِ فَهْنُهُ . قَالُوا أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ .
وَاللَّيْبُ الْعَاقِلُ . وَالَّذِي ^(٥) وَهَبَ لَكَ مَا مَخَّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ
وَالْأَدَبِ وَالْفَضِيلَةِ مَا خَطَرَ هَذَا بِقُلُوبِنَا سَاعَةً قَطُّ . وَأَنْتَ رَئِيسُنَا
وَفَاضِلُنَا وَبِكَ شَرَفْنَا وَعَلَى يَدِكَ أَنْتَعَشْنَا ^(٦) . وَلَكِنْ سَجَّهْدُ أَنْفُسَنَا
فِيمَا أَمَرْتَ . وَمَكَثَ الْمَلِكُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ السَّيْرِ زَمَانًا
يَتَوَلَّى لَهُ ذَلِكَ يَدِّبًا وَيَقُومُ بِهِ

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ دَبْشَلِيمَ لَمَّا اسْتَقَرَّ لَهُ الْمَلِكُ وَسَقَطَ عَنْهُ
النَّظَرُ فِي أُمُورِ الْأَعْدَاءِ بِمَا قَدْ كَفَاهُ ذَلِكَ ^(٧) يَدِّبًا . صَرَفَ هِمَّتَهُ
إِلَى النَّظَرِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي وَضَعَتْهَا فَلَاسِفَةُ الْهِنْدِ لِأَبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ .
فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ ^(٨) أَنْ يَكُونَ لَهُ أَيْضًا كِتَابٌ مَشْرُوحٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ

١ خسارة ٢ نقصان ٣ ما يرغب فيه ٤ أي اطلق ٥ اصناف ٦ الواو والهم
٧ يقال ٨ انتعش العائراي نهض من عثرته ٩ اغناه عنه ٩ أي خطر بهالو

وَتَذَكَّرُ فِيهِ أَيَّامَهُ كَمَا ذُكِّرَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلِهِ . فَلَمَّا عَزَمَ
 عَلَى ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِبَيْدٍ بَا . فَدَعَاهُ وَخَلَا بِهِ وَقَالَ لَهُ
 يَا بَيْدُ بَا إِنَّكَ حَكِيمُ الْهِنْدِ وَفَيْلسُوفُهَا . وَإِنِّي فَكَّرْتُ وَنَظَرْتُ فِي
 خَزَائِنِ الْحِكْمَةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْمُلُوكِ قَبْلِي فَلَمْ أَرِ فِيهِمْ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ
 وَضَعَ كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَيَّامَهُ وَسِيرَتَهُ وَيُنَبِّئُ عَنْ أَدَبِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ .
 فَمِنْهُ مَا وَضَعَتْهُ الْمُلُوكُ لِأَنْفُسِهِا وَذَلِكَ لِفَضْلِ حِكْمَةٍ فِيهَا . وَمِنْهُ
 مَا وَضَعَتْهُ حُكَمَاؤُهَا . وَأَخَافُ أَنْ يُلْحَقَنِي مَالِحٌ أَوْلَيْكَ مِمَّا لَا
 حِيلَةَ لِي فِيهِ وَلَا يُوجَدُ فِي خَزَائِنِي كِتَابٌ أَذْكُرُ بِهِ بَعْدِي
 وَيَنْسُبُ إِلَيَّ كَمَا ذُكِّرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي بِكُتُبِهِمْ . وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ
 تَضَعَ لِي كِتَابًا بَلِيغًا مُسْتَفْرَغٌ فِيهِ عَقْلُكَ يَكُونُ ظَاهِرُهُ سِيَاسَةً
 الْعَامَّةِ وَتَأْدِيبًا عَلَى طَاعَةِ الْمَلِكِ وَبَاطِنُهُ أَخْلَاقُ الْمُلُوكِ وَسِيَاسَتُهَا
 لِلرَّعِيَّةِ فَيَسْقُطُ بِذَلِكَ عَنِّي وَعَنْهُمْ كَثِيرٌ مِمَّا نَحْنُاجُ إِلَيْهِ فِي مُعَانَاةِ^(١)
 الْمَلِكِ . وَأُرِيدُ أَنْ يَبْقِيَ لِي هَذَا الْكِتَابُ بَعْدِي ذِكْرًا عَلَى غَايِرِ
 الدُّهُورِ * فَلَمَّا سَمِعَ بَيْدُ بَا كَلَامَهُ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ
 أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ جَدُّهُ . عَلَانَجْمُكَ وَغَابَ نَحْسُكَ وَدَامَتْ

أَيَّامُكَ إِنَّ الَّذِي قَدْ طُبِعَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ مِنْ جُودَةِ الْقَرِيحَةِ وَوُفُورِ
 الْعَقْلِ حَرَكَةً إِلَى عَالِي الْأُمُورِ وَسَمَتْ بِهِ نَفْسُهُ وَهَمَّتْهُ إِلَى أَشْرَفِ
 الْمَرَاتِبِ مَنْزِلَةً وَأَبْعَدَهَا غَايَةً . وَأَدَامَ اللَّهُ سَعَادَةَ الْمَلِكِ وَأَعَانَهُ
 عَلَى مَا عَزَمَ مِنْ ذَلِكَ وَأَعَانِي عَلَى بُلُوغِ مُرَادِهِ . فَيَأْمُرُ الْمَلِكُ
 بِمَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنِّي صَائِرٌ^(١) إِلَى غَرَضِهِ مُجْتَهِدٌ فِيهِ بِرَأْيِي *
 قَالَ لَهُ الْمَلِكُ يَا بَيْدَبَالَمْ تَزَلْ مَوْصُوفًا بِحُسْنِ الرَّأْيِ وَطَاعَةِ الْمُلُوكِ
 فِي أُمُورِهِمْ . وَقَدْ اخْتَبَرْتُ مِنْكَ ذَلِكَ وَاخْتَرْتُ أَنْ تَضَعَ هَذَا
 الْكِتَابَ وَتَعْمَلَ فِيهِ فِكْرَكَ وَتَجْهَدَ فِيهِ نَفْسَكَ بِغَايَةِ مَا تَجِدُ إِلَيْهِ
 السَّبِيلَ . وَلَيْكُنْ مُشْتِمِلًا عَلَى الْحَمْدِ وَالْهَزْلِ وَاللَّهْوِ وَالْحِكْمَةِ
 وَالْفَلَسَفَةِ . فَكَفَّرَ لَهُ يَدًا وَسَجَدَ وَقَالَ قَدْ أَجَبْتُ الْمَلِكَ أَدَامَ اللَّهُ
 أَيَّامَهُ إِلَى مَا أَمَرَنِي بِهِ وَجَعَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَجَلًا^(٢) . قَالَ وَكَمْ
 الْأَجَلُ قَالَ سَنَةٌ . قَالَ قَدْ أَجَلْتُكَ وَأَمَرَهُ بِمَجَازَةِ سَنِيَّةٍ^(٣) تَعْنِيهِ
 عَلَى عَمَلِ الْكِتَابِ * فَبَقِيَ يَدًا بِمُفَكَّرًا فِي الْأَخْذِ فِيهِ وَفِي أَيِّ
 صُورَةٍ يَتَدَبَّرُ بِهَا فِيهِ وَفِي وَضْعِهِ

ثُمَّ إِنَّ يَدًا جَمَعَ تَلَامِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ نَدَبَنِي^(٤)

١ منه وواصل ٢ موعدا ٣ رفيعة ٤ دعاني

إِلَى أَمْرٍ فِيهِ فَخْرِي وَفَخْرُكُمْ وَفَخْرُ بِلَادِكُمْ وَقَدْ جَمَعْتُكُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ.
ثُمَّ وَصَفَ لَهُمْ مَا سَأَلَ الْمَلِكُ مِنْ أَمْرِ الْكِتَابِ وَالْفَرْضِ الَّذِي قَصَدَ
فِيهِ فَلَمْ يَقَعْ لَهُمُ الْفِكْرُ فِيهِ * فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا مِنْهُمْ مَا يُرِيدُهُ فَكَّرُوا
بِقُضْلِ حِكْمَتِهِ أَنْ ذَلِكَ أَمْرٌ إِنَّمَا يَتِمُّ بِاسْتِفْرَاحِ الْعَقْلِ وَإِعْمَالِ
الْفِكْرِ . وَقَالَ أَرَى السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي فِي الْبَحْرِ إِلَّا بِالْمَلَّاحِينَ ^(١)
لأنهم يعدُّونها . وَإِنَّمَا تَسْلُكُ ^(٢) الْحُجَّةُ ^(٣) بِمُدِيرِهَا الَّذِي تَقْرَدُ
بِأَمْرِهَا ^(٤) . وَمَتَى شُحِنَتْ بِالرُّكَّابِ الْكَثِيرِينَ وَكَثُرَ مَلَا حُوهَا
لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْفَرَقِ * وَلَمْ يَزَلْ يُفَكِّرُ فِيمَا يَعْمَلُهُ فِي بَابِ
الْكِتَابِ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى الْأَنْفِرَادِ بِنَفْسِهِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ تَلَامِيذِهِ
كَانَ يَشُقُّ بِهِ . فَتَلَا بِهِ مُنْفَرِدًا مَعَهُ بَعْدَ أَنْ أَعَدَّ ^(٥) مِنَ الْوَرَقِ
الَّذِي كَانَتْ تَكْتُبُ فِيهِ الْهِنْدُشِيئًا وَمِنْ الْقُوتِ مَا يَقُومُ بِهِ
وَتِلْمِذِهِ تِلْكَ الْمُدَّةَ وَجَلَسَا فِي مَقْصُورَةٍ ^(٦) وَرَدَّا عَلَيْهِمَا الْبَابَ .
ثُمَّ بَدَأَ فِي نَظْمِ الْكِتَابِ وَتَصْنِيفِهِ وَلَمْ يَزَلْ هُوَ يُبْلِي وَتِلْمِذُهُ
يَكْتُبُ وَيَرْجِعُ هُوَ فِيهِ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْكِتَابُ عَلَى غَايَةِ
الِإِتْقَانِ وَالْإِحْكَامِ . وَرَتَّبَ فِيهِ خَمْسَةَ عَشَرَ بَابًا كُلُّ بَابٍ مِنْهَا

قَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَفِي كُلِّ بَابٍ مَسْئَلَةٌ وَالْجَوَابُ عَنْهَا لِيَكُونَ لِمَنْ نَظَرَ
 فِيهِ حَظٌّ ^(١) مِنَ التَّبَصُّرَةِ وَالْهُدَايَةِ . وَضَمَّنَ تِلْكَ الْأَبْوَابَ كِتَابًا
 وَاحِدًا وَسَمَّاهُ كِتَابَ كَلِيلَةٍ وَدِمْنَةٍ . ثُمَّ جَعَلَ كَلَامَهُ عَلَى أَلْسِنِ
 الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ لِيَكُونَ ظَاهِرُهُ لِهَوَا الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ
 وَبَاطِنُهُ رِيَاضَةٌ ^(٢) لِعُقُولِ الْخَاصَّةِ . وَضَمَّنَهُ أَيْضًا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
 الْإِنْسَانُ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ وَجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
 مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ وَأَوْلَادِهِ ^(٣) وَيَحْضُهُ ^(٤) عَلَى حُسْنِ
 طَاعَتِهِ لِلْمُلُوكِ وَيَحْنِبُهُ مَا تَكُونُ مُجَانِبَتُهُ خَيْرًا لَهُ * ثُمَّ جَعَلَهُ بَاطِنًا
 وَظَاهِرًا كَرَسَمِ سَائِرِ الْكُتُبِ الَّتِي بِرِسْمِ الْحِكْمَةِ فَصَارَ
 الْحَيَوَانُ لِهَوَا وَمَا يَنْطِقُ بِهِ حِكْمًا وَأَدَبًا * فَلَمَّا ابْتَدَأَ يَدْبَا
 بِذَلِكَ جَعَلَ أَوَّلَ الْكِتَابِ وَصْفَ الصَّدِيقِ كَيْفَ يَكُونُ صَدِيقَانِ
 وَكَيْفَ تَقْطَعُ الْمَوَدَّةُ الثَّابِتَةُ بَيْنَهُمَا بِحِيلَةِ ذِي النَّمِيمَةِ ^(٥) .
 وَأَمَرَ تَلْمِيزَهُ أَنْ يَكْتُبَ عَلَى لِسَانِ يَدْبَا مِثْلَ مَا كَانَ الْمَلِكُ
 شَرْطَهُ ^(٦) فِي أَنْ يَجْعَلَهُ لِهَوَا وَحِكْمَةً . فَذَكَرَ يَدْبَا أَنَّ الْحِكْمَةَ
 مَتَى دَخَلَهَا كَلَامُ الثَّقَلَةِ أَفْسَدَهَا وَأَسْتَجْهَلَ حِكْمَتَهَا

١ نسب ٢ اي تمريتا ٣ اي حياتو ٤ بحثه ويدعوه ٥ نقل الاحاديث
 بقصد الافساد ٦ اشتراطه

فَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَتَلْمِيزُهُ يُعْمَلَانِ الْفِكْرَ فِيمَا سَأَلَهُ الْمَلِكُ حَتَّى
 فَتَقَ ^(١) لَهُمَا الْعَقْلُ أَنَّ يَكُونَ كَلَامُهُمَا عَلَى لِسَانِ بَيِّمَتَيْنِ . فَوَقَعَ
 لَهُمَا مَوْضِعُ اللَّهِو وَالْهَزْلُ بِكَلَامِ الْبَهَائِمِ . وَكَانَتْ الْحِكْمَةُ مَا نَطَقَا
 بِهِ . فَأَصْغَتِ الْحُكَمَاةُ إِلَى حِكْمِهِ وَتَرَكُوا الْبَهَائِمَ وَاللَّهُو وَعَلِمُوا
 أَنَّهَا السَّبَبُ فِي الَّذِي وُضِعَ لَهُمْ وَمَالَتْ إِلَيْهِ الْجُهَالُ عَجَبًا مِنْ
 مُعَاوَرَةِ بَيِّمَتَيْنِ وَلَمْ يَشْكُوا فِي ذَلِكَ وَاتَّخَذُوهُ لَهُوًا وَتَرَكُوا مَعْنَى
 الْكَلَامِ أَنَّ يَفْهَمُوهُ وَلَمْ يَعْلَمُوا الْغَرَضَ الَّذِي وُضِعَ لَهُ . لِأَنَّ
 الْفَيْلَسُوفَ إِنَّمَا كَانَ غَرَضُهُ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ تَوَاصُلِ
 الْإِخْوَانِ كَيْفَ تَتَأَكَّدُ الْمَوَدَّةُ بَيْنَهُمْ عَلَى التَّحْفِظِ مِنْ أَهْلِ
 السَّعَايَةِ ^(٢) وَالْتِحَازِ مِنْ يَوْقِعِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَ الْمُتَحَايِينَ لِيَجْرِيَ بِذَلِكَ نَفْعًا
 إِلَى نَفْسِهِ * فَلَمْ يَزَلْ يَبْدَأُ وَتَلْمِيزُهُ فِي الْمَقْصُورَةِ حَتَّى أُسْتَمَّ
 عَمَلُ الْكِتَابِ فِي مَدَّةِ سَنَةٍ

فَلَمَّا تَمَّ الْحَوْلُ ^(٣) أَنْفَذَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ أَنَّ قَدْ جَاءَ الْوَعْدُ فَمَاذَا
 صَنَعْتَ . فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ يَبْدَأُ إِنِّي عَلَى مَا وَعَدْتُ الْمَلِكَ فَلْيَأْمُرْنِي
 بِجَمَلِهِ بَعْدَ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ لِنَكُونَ قِرَاءَتِي هَذَا الْكِتَابَ

بِحَضْرَتِهِمْ^(١) . فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى الْمَلِكِ سَرَّ بِذَلِكَ وَوَعَدَهُ يَوْمًا
يَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ * ثُمَّ نَادَى فِي أَقَاصِي بِلَادِ الْهِنْدِ
لِيَحْضُرُوا قِرَاءَةَ الْكِتَابِ . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ
يُنْصَبَ لِبَيْدَبَا سَرِيرٌ مِثْلُ سَرِيرِهِ وَكَرَاسِيٌ لِلْبَنَاءِ الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ
وَأَنْفَذَ فَأَحْضَرَهُ . فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَامَ فَلَبَسَ الثِّيَابَ الَّتِي
كَانَ يَلْبِسُهَا إِذَا دَخَلَ عَلَى الْمُلُوكِ وَهِيَ الْمُسُوحُ السُّودُ وَحَمَلَ
الْكِتَابَ تَلْمِيذَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ وَثَبَ الْخَلَائِقُ بِأَجْمَعِهِمْ
وَقَامَ الْمَلِكُ شَاكِرًا فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْمَلِكِ كَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ وَلَمْ يَرْفَعْ
رَأْسَهُ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا أَرْفَعُ رَأْسَكَ فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ هَنَاءٌ
وَفَرَحٌ وَسُرُورٌ وَأَمْرُهُ الْمَلِكُ أَنْ يَجْلِسَ . فَحِينَ جَلَسَ لِقِرَاءَةِ
الْكِتَابِ سَأَلَهُ الْمَلِكُ عَنْ مَعْنَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْكِتَابِ وَالْيَ
أَيَّ شَيْءٍ قَصِدَ فِيهِ فَأَخْبَرَهُ بِغَرَضِهِ فِيهِ وَفِي كُلِّ بَابٍ فَأَزْدَادَ
الْمَلِكُ مِنْهُ تَعْجَبًا وَسُرُورًا فَقَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا مَا عَدَوْتُ^(٢) الَّذِي فِي
نَفْسِي وَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ فَأَطْلُبُ مَا شِئْتَ وَتَحَكَّمْ . فَدَعَا
لَهُ بَيْدَبَا بِالْسَّعَادَةِ وَطُولِ الْجَدِّ^(٣) وَقَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَمَّا الْمَالُ فَلَا

حاجة لي فيه وأما الكسوة فلا أختارُ على لباسي هذا شيئاً ولستُ
أُخْلِى الْمَلِكُ^(١) مِنْ حَاجَةٍ . قَالَ الْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا مَا حَاجَتُكَ فَكُلُّ
حَاجَةٍ لَكَ قَبْلَنَا^(٢) مَقْضِيَّةٌ . قَالَ يَا مَرْءُ الْمَلِكِ أَنْ يَدُونَ كِتَابِي هَذَا
كَمَا دُونَ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ كَتَبْتُهُمْ . وَيَأْمُرُ بِالْحِفَافَةِ عَلَيْهِ فَإِنِّي
أَخَافُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ فَيَتَنَاوَلَهُ أَهْلُ فَارِسَ إِذَا عَلِمُوا
بِهِ . فَالْمَلِكُ يَا مَرْءُ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِ الْحِكْمَةِ . ثُمَّ دَعَا
الْمَلِكُ بِتَلَامِيذِهِ وَأَحْسَنَ لَهُمُ الْجَوَائِزَ

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا مَلَكَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانُ وَكَانَ مُسْتَأْثَرًا^(٣)
بِالْكِتَابِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالنَّظَرِ فِي أَخْبَارِ الْأَوَائِلِ وَقَعَ إِلَيْهِ^(٤)
خَبَرُ الْكِتَابِ فَلَمْ يَقِرَّ قَرَارُهُ حَتَّى بَعَثَ بَرْزَوِيهِ الطَّيِّبَ وَتَلَطَّفَ
حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ فَأَقْرَهُ^(٥) فِي خَزَائِنِ فَارِسَ



باب

بَعْثَةُ الْمَلِكِ كِسْرَى أَنْوَشِرْوَانَ بْنِ قَبَّاذَ بْنِ فَيْرُوزَ
بَرْزَوِيَهَ بْنِ أَزْهَرَ الطَّيِّبِ إِلَى الْهُنْدِ فِي تَحْصِيلِ
هَذَا الْكِتَابِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ غَيْبِهِ وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى كُلِّ عِلْمٍ
وَعَايَةِ . الدَّلَالِ عَلَى الْخَيْرِ الْمُسَبَّبِ كُلِّ فَضِيلَةٍ . أَلْهَمَ عِبَادَهُ
كُلَّ مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ مِنْ نَوَافِلِ الْخَيْرَاتِ . وَنَوَاصِي الْأَبْرَارِ .
إِنَّمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ إِذْ أَمَرَهُمْ بِالشُّكْرِ
لَهُ لِيَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ الْمَزِيدَ مِنْهُ وَيُسَارِعُوا فِيمَا يُرْضِيهِ عَنْهُمْ
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ مُسَبَّبٍ عِلَّةً وَلِكُلِّ عِلَّةٍ مَجْرَى يُجْرِيهَا
اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى يَدِ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِهِ وَيُقَدِّرُهَا لَهُ عَلَى أَيَّامِ دَوْلَتِهِ
وَأَيَّامِ عُمْرِهِ . وَذَلِكَ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ عِلْمٍ أُنْتَسَاخَ هَذَا الْكِتَابِ
وَنَقْلَهُ مِنْ أَرْضِ الْهِنْدِ إِلَى مَمْلَكَةِ فَارِسَ إِنْهَامُ أَلْهَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

١ جمع نافله وهي ما يستحسن عمله ولا يجب

كَسْرَى أَنْوَشِرْوَانَ لِلْبَعْثِ فِي نَقْلِهِ وَنَسْخِهِ . لِأَنَّهُ كَانَ أَكْبَرَ
 مُلُوكِ الْفُرْسِ . وَأَكْثَرَهُمْ حِكْمَةً وَأَسَدَّهُمْ رَأْيًا وَأَزْشَدَّهُمْ تَذِيرًا .
 وَأَحَبَّهُمْ لِلْعُلُومِ وَأَبْجَحَّهُمْ عَنْ مَكَامِنِ ^(١) الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ . وَأَحْرَصَهُمْ
 عَلَى الْخَيْرِ وَتَقَرُّبِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى أَقْنَاءِ مَا يَزِينُهُ بَزِينَةُ الْحِكْمَةِ
 مِنْ طَالِبِي الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ فِي مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ
 وَالصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ . وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا بِنُورِ اللَّهِ تَعَالَى فِي
 سِيَاسَتِهِ عَيْدِهِ وَبِلَادِهِ لِإِقَامَةِ رَعِيَّتِهِ وَأُمُورِهِ * وَهُوَ الْمَلِكُ
 الْمُعْظَمُ فِي قَوْمِهِ . كَسْرَى الْمُتَزَيِّنِينَ بَزِينَةَ الْبَهَاءِ . الْفَاضِلُ الْمَاجِدُ
 الرَّشِيدُ السَّعِيدُ . الَّذِي لَمْ يَغْدِلْهُ أَحَدٌ مِمَّنْ مَضَى قَبْلَهُ مِنْ مُلُوكِ
 الْفُرْسِ . النَّاقِدُ ^(٢) الْبَصِيرُ الْكَامِلُ الْأَدَبُ الْمَعِينَةُ لَهُ نَفْسُهُ
 عَلَى التَّمَاسِ فُرُوعِ الْحُكْمِ . الْمُسْتَعِينُ بِنُورِ الْعَقْلِ وَجُودَةِ الْفِكْرِ .
 الَّذِي اخْتَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الْخُصَالِ الْمَحْمُودَةِ . وَزَيْنَةُ بَزِينَةِ
 الْكِرَامَةِ وَتَوَجُّهُ بِهَذِهِ النِّعَةِ السَّابِقَةِ ^(٣) . حَتَّى أَذْغَنَتْ لَهُ الرِّعِيَّةُ .
 وَطَاعَتِ لِسُلْطَانِهِ الْبَرِّيَّةُ . وَصَفَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَدَانَتْ ^(٤) لَهُ الْبِلَادُ
 وَأَنْقَادَتْ لَهُ الْمُلُوكُ وَرَكَنْتْ إِلَى طَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ .

وَذَلِكَ مِنْهُ ^(١) مِنَ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا قَسَمَهَا لَهُ فِي دَوْلَتِهِ وَجَمَلُهُ
بِهَا فِي أَقْطَارِ مَمْلَكَتِهِ

فَيَنْبِئُهَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي عُنْفُونٍ ^(٢) دَوْلَتِهِ وَشَخْنِهَا ^(٣) وَعِزَّةِ
مَمْلَكَتِهِ وَقَعَسِهَا ^(٤) إِذَا أَخْبَرَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ أَنَّ عِنْدَ بَعْضِ مُلُوكِ
الْهِنْدِ فِي خَزَائِنِهِ كِتَابًا مِنْ تَأْلِيفِ الْحُكَمَاءِ وَتَصَانِيفِ الْعُلَمَاءِ
وَأَسْتِنْبَاطِ الْفُضَلَاءِ. وَقَدْ فَصَّلَتْ لَهُ غَرَائِبُ مِنْ عَجَائِبِ الْمَوْضُوعَةِ
عَلَى أَفْوَاهِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْهَوَامِّ ^(٥) وَخَشَاشِ ^(٦)
الْأَرْضِ. مِمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَضْلَاءُ الْمُلُوكِ لِسِيَاسَةِ رِعْيَتِهَا وَنِظَامِ أُمُورِ
مَمَالِكِهَا وَتَنْدِيرِهَا * فَدَعْنَهُ الْحَاجَةُ إِلَى اقْتِنَاءِ هَذَا الْكِتَابِ لِكَمَالِ
مُلْكِهِ. وَأَنَّهُ بِعَدَمِهِ نَاقِصٌ وَبِتَحْصِيلِهِ كَامِلٌ. وَبِاتِّبَاعِهِ يَحْصُلُ عَلَى
رِضَى الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا. وَانْقِيَادِ الْخَلْقِ لَهُ وَزَجْرِهِ ^(٧) عَنِ الْمَعَاصِي
الَّتِي يَتَّبَعُهَا شَرَارُ ^(٨) الْخَلْقِ. وَيَتَجَنَّبُهَا أَصْفَاهُمْ جَوْهَرًا وَأَجْوَدُهُمْ
طَبَعًا وَأَنْبَغُهُمْ ^(٩) حَسَبًا ^(١٠) * وَأَنَّهُ لَمَّا عَزَمَ عَلَى مَا أَرَادَ مِنْ أَمْرِهِ
وَهُمْ بِاقْتِنَاءِهِ وَنَسْخِهِ قَالَ فِي نَفْسِهِ مَنْ لِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ وَالْخُطْبِ ^(١١)

١ عطية ٢ معظم ٣ عظمتها ٤ معيتها وعزها ٥ ما يقتل من الحشرات
الحشرات مطلقاً ٦ نهيو ٧ اشرار ٨ اظهرهم ٩ الحسب ما ينشئه
الرجل لنفسه من المفاخر ١١ بمعنى الامر

الْجَسِيمُ^(١) وَالْأَدَبِ النَّفِيسِ الَّذِي بِهِ تَكْمَلُ الْفَضَائِلُ. وَلَمْ تَزَيِّنْ
 بِهِ مُلُوكَ الْهِنْدُ دُونَ مُلُوكِ فَارِسَ. وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدَعَ مَشَقَّةَ
 وَلَا صُعُوبَةً وَلَا مُحَاطَرَةً حَتَّى أَبْذُلَهَا فِي طَلَبِ هَذَا الْكِتَابِ. حَتَّى
 أَصِلَ إِلَى نَسْخِهِ وَأَقْتَنَاهُ عَلَى تَرْتِيبِ مَنَافِعِهِ وَعَجَائِبِهِ مِنْ أَقْوَالِ
 الْحُكَمَاءِ وَوَضَعَ الْعُلَمَاءِ. لِيَقَعَ^(٢) لَنَا اسْتِنْبَاطُهُ^(٣) دُونَ سَائِرِ
 الْمُلُوكِ مِنْ أَحَادِيثِ مُعْجِبَةٍ وَفَضَائِلِ مُحْكَمَةٍ^(٤) يَكَادُ الْعَقْلُ يَمُدُّ
 يَدًا إِلَى أَجْتِنَاءِ ثَمَرِهَا وَيَفْتَحُ فَمَا لِلذِّيدِ مَذَاقُهَا وَيَتَعَلَّقُ بِوَثْقِ^(٥)
 حَبْلِهَا. إِذْ يَرُوضُ^(٦) النَّفْسَ بِالْعُدُولِ عَنْ مَسَاوِيهَا وَيَعْدِلُ بِهَا عَنْ
 تَتَبُعِ أَهْوَائِهَا

فَلَمَّا فَحَصَ كِسْرَى رَأْيَهُ السَّيِّدِ^(٧) وَعَزَمَهُ الرَّشِيدَ فِيمَا صَمَّ
 عَلَيْهِ وَهَمَّ بِهِ قَالَ. الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ جَلِيلٌ وَالْخَطْبُ عَظِيمٌ وَالشُّقَّةُ^(٨)
 بَعِيدَةٌ وَالْمَسَافَةُ طَوِيلَةٌ شَاقَّةٌ^(٩). وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَتَحَلَّ^(١٠) مِنْ
 أَهْلِ الْكِتَابَةِ أَصْلِبَهُمْ عُدَدًا^(١١) وَأَجُودَهُمْ عَزَمًا وَحَزَمًا^(١٢). وَهَذَا
 يُوجَدُ إِمَّا فِي كِتَابِ الدِّيَوَانِ وَإِمَّا فِي طَبِّ الْخَاصِّ. لِأَنَّ

١ بمعنى العظيم ٢ أثبت ٣ استخراج ٤ متقنة ٥ محكم متين ٦ أي يشقق
 ويهذب ٧ المصيب ٨ السفر ٩ صعبة ١٠ أي يختار ١١ أي احذرهم
 طبعًا ١٢ ضبطًا لا مَرَّةً

الْخَاصَّ وَالْعَامَّ تَجْمَعُ مَسَالِكُهُمَا جَمِيعُ الْفَضَائِلِ وَالْأَدَبِ وَفَنُونَ
 الْعِلْمِ وَمَحْضُ الْحُكْمِ ^(١) فِي أَنَاةٍ ^(٢) وَتَوَدَّةٍ ^(٣) . وَبُلُوغِ الْأَغْرَاضِ لِمُلُوكِهَا
 بِحُسْنِ الْحِيلِ وَجُودَةِ الذَّهْنِ وَكَمَالِ الْمُرُوءَةِ وَكِتَابِ السِّرِّ
 وَإِظْهَارِ أَضْدَادِهَا

فَلَمَّا تَمَّ عَزْمُهُ وَانْتِظَمَ سَأَلَ وَزَرَآءَهُ أَنْ يَتَقَدَّمُوا وَيَجْتَهِدُوا
 فِي تَطَلُّبِ رَجُلٍ كَامِلٍ عَالِمٍ أَدِيبٍ . قَدْ جَمَعَ الْفَضَائِلَ بِمَحَافِيزِهَا ^(٤)
 وَنُسِبَ إِلَى الْكِمَالِ مِنْ أَهْلِ الصِّنْفَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ . إِمَامًا كَاتِبًا
 خَرِيرًا ^(٥) أَوْ طَيِّبًا فَيَلْسُوفًا مَاهِرًا قَدْ آدَبَتْهُ التَّجَارِبُ . عَارِفًا بِلِسَانِ
 الْفَارِسِيَّةِ خَيْرًا بِاللُّغَةِ الْهِنْدِيَّةِ يَكْتُبُهَا جَمِيعًا حَرِصًا عَلَى الْعِلْمِ
 مُجْتَهِدًا فِي الْأَدَبِ مُوَظِّبًا عَلَى الطَّبِّ أَوْ الْفَلَسَفَةِ فَيَأْتُوهُ بِهِ *
 فَنُفِجَ أَهْلُ مَشُورَتِهِ وَوُزَرَآؤُهُ مُسْرِعِينَ فَبَحَثُوا عَنْ هَذِهِ صِفَتِهِ
 فَوَجَدُوهُ وَظَفَرُوا بِهِ . فَإِذَا هُوَ شَابٌّ جَمِيلُ الْوَجْهِ كَامِلُ الْعَقْلِ
 وَالْأَدَبِ ذُو حَسَبٍ وَصِنَاعَةٍ شَرِيفَةٍ يَعْرِفُ بِهَا وَهِيَ الطَّبُّ .
 وَكَانَ مَاهِرًا فِي الْفَارِسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ وَهُوَ بَرْزَوِيهِ بْنُ أَزْهَرَ
 الْفَيْلَسُوفُ وَكَانَ مِنْ فُضَلَاءِ أَطِبَّاءِ فَارِسَ . فَأُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيِ

الْمَلِكُ كَسَرَى فَخَرَّ سَاجِدًا وَعَفَّرَ ^(١) وَجْهَهُ طَاعَةً لِلْمَلِكِ
 فَشَرَحَ لَهُ الْأَمْرَ بِمَحْضَرٍ مِنْ وُزَرَائِهِ وَخَوَاصِهِ وَأَهْلِ
 مَمْلَكَتِهِ . وَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ إِنِّي تَقَدَّمْتُ إِلَى
 وُزَرَائِ دَوْلَتِي وَأَهْلِ نَصِيحَتِي أَنْ يَنْظُرُوا لِي رَجُلًا كَامِلَ الْفَضْلِ
 قَدْ جَهَدَ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ وَأَقْتَنَاءِ الْفَضَائِلِ . كَاتِبًا لِالسَّرَارِ
 الْمُلُوكِ أَطْلَعُهُ عَلَى مَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ ضَمِيرِي وَأَوْصِلُهُ إِلَى مَكُونِ ^(٢)
 سِرِّي . فَيَأْخُذُ ذَلِكَ بَقَبُولٍ وَإِقْبَالٍ وَسِيَاسَةٍ وَإِذْعَانٍ . وَيُظْهِرُ
 الْخِدْمَةَ وَيَمْحُضُ ^(٣) الْمَهْنَةَ ^(٤) وَيَبْذُلُ الْإِجْتِهَادَ فِي بُلُوغِ الْمَلِكِ
 مِنْهُ وَأَمَلَهُ . وَيُمَيِّزُهُ عَلَى سَائِرِ مُلُوكِ الدُّوَلِ لِيَصِلَ إِلَى مَطْلُوبِهِ
 وَيُكَافَأَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا يَبْقَى فِي عَقِبِهِ ^(٥) بِإِذْلَالِ نَفْسِهِ فِيمَا لِسُلْطَانِهِ *
 وَقَدْ ذَكَرَ عَنْكَ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ وَحِكْمَةٌ شَرِيفَةٌ أَنْتَ بِفِرَاسَتِكَ ^(٦)
 أَهْلٌ لَهَا وَيَنْبُوعٌ تَصْدُرُ عَنْكَ . فَكُنْ عِنْدَ رَجَاءِ الْوُزَرَائِ
 وَالْأَصْفِيَاءِ فِيكَ ^(٧) . وَأَنْزِلْ نَفْسَكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي تَخْتَرْتُ ^(٨)
 لَهَا وَأَنْفَقَ مِنْ سَعَةٍ ^(٩) وَتَسَبَّبَ بِأَسْبَابٍ ^(١٠) مِنْ صِفَا جَوْهَرِهِ وَطَابَ

١ مرغ ٢ مسنور ٣ بخلص ٤ بمعنى الخدمة ٥ ولده من بعده ٦ بصدق
 نظرك ٧ اي حقق املهم فيك ٨ اصطنعت ٩ اي توسع في انفاق المال
 ١٠ اتوسل بوسائل

عَنْصَرُهُ^(١) . وَأَرْتَفَعَ بَعْلُهُ وَحَلِمَهُ وَطَاعَهُ بَارِئُهُ بِطَاعَةِ سُلْطَانِهِ الَّتِي
أَمَرَ بِاتِّبَاعِهَا وَنَهَى وَزَجَرَ عَنِ الْخُرُوجِ عَنْهَا . فَإِنِّي قَدْ اخْتَرْتُكَ
لِمَا بَلَغَنِي مِنْ فَضْلِكَ وَعِلْمِكَ وَعَقْلِكَ وَحِرْصِكَ عَلَى طَلَبِ
الْعِلْمِ حَيْثُ كَانَ * وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ كِتَابِ الْهِنْدِ مَحْزُونٍ فِي
خَزَائِنِهِمْ وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُ . وَقَالَ لَهُ تَجَهَّزْ فَإِنِّي
مُرِحُّكَ إِلَى أَرْضِ الْهِنْدِ . فَتَلَطَّفَ فِي ذَلِكَ بِعَقْلِكَ وَحَسَنِ
أَدَبِكَ وَنَاقِدِ رَأْيِكَ لِاسْتِخْرَاجِ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ خَزَائِنِهِمْ
وَمِنْ قَبْلِ^(٢) عُلَمَائِهِمْ وَحُكَمَائِهِمْ تَامًّا كَامِلًا مَكْتُوبًا بِالْفَارْسِيَّةِ
فَتَسْتَفِيدُهُ أَنْتَ وَتُفِيدُنَا إِيَّاهُ . وَمَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ كُتُبِ الْهِنْدِ
مِمَّا لَيْسَ فِي خَزَائِنِنَا مِنْهُ شَيْءٌ فَأَحْمِلْهُ مَعَكَ . وَقَدْ أَمَرْنَا أَنْ
يُطْلَقَ لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَتَخَارُجٌ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ . فَإِذَا نَفِدَ^(٣) مَا تَسْتَصْحِبُهُ
فَاكْتُبْ إِلَيْنَا نُنَدِّكَ^(٤) بِالْمَالِ وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهِ النِّفْقَةُ فَإِنَّ
جَمِيعَ مَا فِي خَزَائِنِنَا مَبْدُولٌ لَكَ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ وَهَذَا الْكِتَابِ .
فَطَبِ نَفْسًا وَقِرَّ^(٥) عَيْنًا وَعَجَّلْ فِي ذَلِكَ وَلَا تُقْصِرْ فِي طَلَبِ
الْعُلُومِ وَاعْمَلْ عَلَى مَسِيرِكَ^(٦) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

١ اصله ٦ جهة ٢ فرغ ٤ نساعدك ٥ ابرد يكى بفره العين
عن السرور والغبطة ٦ اي على ما يتيسر لك

قَالَ بَرْزَوِيهِ أَيُّهَا الْمَلِكُ عِشْتَ دَهْرًا طَوِيلًا سَعِيدًا وَمَلَكَتِ
 الْأَقَالِمَ السَّبْعَةَ فِي خَفْضٍ ^(١) وَدَعَةٍ ^(٢) مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا . إِنَّمَا
 أَنَا عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِكَ وَسَمٌّ مِنْ سِهَامِكَ فَلْيَرْمِ بِي الْمَلِكُ
 حَيْثُ شَاءَ مِنَ الْأَرْضِ . مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ الْمَلِكُ أَدَامَ اللَّهُ
 أَيَّامَهُ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ أَنْ يَقْعِدَ لِي مَجْلِسًا قَبْلَ سَفَرِي يَحْضُرُهُ
 الْخَوَاصُّ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الطَّاعَةِ وَالْمَمْلُوكَةُ مَا اسْتَخَصَّنِي بِهِ الْمَلِكُ
 وَرَأَيْ أَهْلًا لَهُ وَنَوَهَ بِاسْمِي ^(٣) . فَلْيَفْعَلْ ذَلِكَ مُنْعِمًا عَلَى الْعَبْدِ
 الطَّائِعِ * فَقَالَ الْمَلِكُ يَا بَرْزَوِيهِ قَدْ رَأَيْتُكَ لِذَلِكَ أَهْلًا
 وَأَجَبْتُكَ إِلَى مَا طَلَبْتَ وَأَذِنْتُ لَكَ فِيهَا سَأَلْتَ فَأَفْعَلُ مِنْ
 ذَلِكَ حَسَبَ مَا تَرَاهُ مُوَافِقًا لَكَ مُنَوَّهًا بِاسْمِكَ . ثُمَّ خَرَجَ
 بَرْزَوِيهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ الْمَلِكِ فَرِحًا مَسْرُورًا وَأَعَدَّ لَهُ الْمَلِكُ
 يَوْمًا أَمَرَ أَنْ يُجْمَعَ لَهُ فِيهِ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ وَخَوَاصُّ أُمَرَاءِ
 دَوْلَتِهِ . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُنْصَبَ لَهُ مِنْبَرٌ فَنُصِبَ وَرَفِيَ عَلَيْهِ
 بَرْزَوِيهِ ثُمَّ قَالَ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ بِرَحْمَتِهِ

وَمَنْ عَلَى عِبَادِهِ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ . وَرَزَقَهُمْ مِنَ الْعَقْلِ مَا يَقْدِرُونَ
 بِهِ عَلَى إِصْلَاحِ مَعَاشِرِهِمْ ^(١) فِي الدُّنْيَا وَيَذَرُكَونَ بِهِ أَسْتِنْقَازَ ^(٢)
 أَرْوَاحِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ . وَأَفْضَلُ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
 وَمَنْ بِهِ عَلَيْهِمُ الْعَقْلُ الَّذِي هُوَ الدَّعَاةُ لِكُلِّ شَيْءٍ . وَالَّذِي
 لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا عَلَى إِصْلَاحِ مَعِيشَتِهِ وَلَا إِحْرَازِ ^(٣) نَفْعٍ
 وَلَا دَفْعِ ضَرَرٍ إِلَّا بِفِيضِهِ مِنَ الْخَالِقِ الْمُبْدِعِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ .
 وَكَذَلِكَ طَالِبُ الْآخِرَةِ الزَّاهِدُ الْمُجْتَهِدُ فِي الْعَمَلِ الْمُنْجِي بِهِ
 نَفْسَهُ مِنْ عَمَايَةِ ^(٤) الضَّلَالِ . لَا يَقْدِرُ عَلَى إِتْمَامِ عَمَلِهِ وَإِكْمَالِهِ
 وَلَا يَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَقْلِ الَّذِي هُوَ السَّبَبُ الْمَوْصِلُ إِلَى
 كُلِّ خَيْرٍ وَالْمُفْتَاحُ لِكُلِّ سَعَادَةٍ وَالْمُبْلَغُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ .
 فَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنَى وَلَا بَغْيُهُ أَكْتِفَاءً . وَالْعَقْلُ غَرِيزِي ^(٥)
 مَطْبُوعٌ وَيَتَزَايَدُ بِالتَّجَارِبِ وَالْآدَابِ وَغَرِيزَتُهُ مَكْنُونَةٌ فِي
 الْإِنْسَانِ كَامِنَةٌ فِيهِ كُمُونُ النَّارِ فِي الْعَجْرِ . فَإِنَّ النَّارَ طَبِيعَتُهَا
 فِيهِ كَامِنَةٌ لَا تَظْهَرُ وَلَا يَرَى ضَوْءُهَا حَتَّى يُظْهِرَهَا قَادِحٌ مِنْ
 غَيْرِهَا . فَإِذَا قَدَحَهَا ظَهَرَتْ طَبِيعَتُهَا بِضَوْءِهَا وَحَرِيقِهَا . وَكَذَلِكَ

الْعَقْلُ كَامِنٌ فِي الْإِنْسَانِ لَا يَظْهَرُ حَتَّى يُظْهَرَ الْأَدَبُ وَتَعَضُّدُهُ^(١)
 التَّجَارِبُ . فَإِذَا أُسْتَحْكَمَ^(٢) كَانَ أَوَّلَى بِاتِّجَارِبٍ لِأَنَّهُ هُوَ
 الْمُقْوَى لِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَالْمُعِينُ عَلَى دَفْعِ كُلِّ رَذِيلَةٍ^(٣) . فَلَا
 شَيْءَ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ إِذَا مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ بِهِ وَأَعَانَهُ
 عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُواظَبَةِ عَلَى طُرُقِ الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ وَالْحِرْصِ عَلَى
 ذَلِكَ . وَمَنْ رَزَقَ الْعَقْلَ وَمَنْ بِهِ عَلَيْهِ وَأَعِينَ عَلَى صِدْقِ
 قَرِيحِهِ بِالْأَدَبِ حَرَصَ عَلَى طَلَبِ سَعْدِ جَدِّهِ^(٤) وَأَدْرَكَ فِي
 الدُّنْيَا أَمَلَهُ وَحَازَ^(٥) فِي الْآخِرَةِ ثَوَابَ^(٦) الصَّالِحِينَ . فَالْعَقْلُ هُوَ
 الْمُقْوَى لِلْمَلِكِ عَلَى مَلِكِهِ فَإِنَّ السُّوقَةَ^(٧) وَالْعَوَامَّ لَا يَصْلُحُونَ
 إِلَّا بِإِفَاضَةٍ يَنْبُوعِ الْعَدْلِ الْفَائِضِ عَنِ الْعَقْلِ لِأَنَّهُ سِيَاجُ
 الدَّوْلَةِ

وَقَدْ رَزَقَ اللَّهُ مَلِكَنَا السَّعِيدَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ مِنْ
 الْعَقْلِ أَفْضَلَ الْحَظِّ وَأَجْزَلَهُ . وَمِنْ الْعِلْمِ أَجْمَلَهُ وَأَكْمَلَهُ . وَمِنْ
 الْمَعْرِفَةِ بِالْأُمُورِ أَصَوَّبَهَا . وَسَدَّدَهُ^(٨) مِنَ الْأَفْعَالِ إِلَى أَسَدِّهَا
 وَمِنْ التَّجَرُّبِ عَنِ الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ إِلَى أَنْفَعِهِ . وَبَلَغَهُ مِنْ

١ تعينه ٢ تمكن ٣ ضد الفضيلة ٤ توفيقه وأقباله ٥ نال ٦ اجر
 ٧ الرعية ٨ ارشده

فُنُونِ اخْتِلَافِ الْعِلْمِ وَبُلُوغِ مَنْزِلَةِ الْفَلَسَفَةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ مَلِكٌ
 قَطُّ مِنَ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ . وَكَانَ هُوَ الْقَابِلَ لِذَلِكَ بِجُودَةِ الْمَادَّةِ
 الْقَابِلَةِ لِانْطِبَاعِ الصُّورِ . فَبَلَغَ بِذَلِكَ الرُّتْبَةَ الْقُصْوَى ^(١) فِي
 الْفَضْلِ عَلَى مَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ . حَتَّى كَانَ فِيمَا طَلَبَ
 وَبَحَثَ عَنْهُ وَسَمَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنَ الْعِلْمِ . أَنْ بَلَغَهُ عَنْ كِتَابِ
 بِالْهِنْدِ مِنْ كُتُبِ فَلَاسِفَتِهَا وَعُلَمَائِهَا مَحْزُونٍ عِنْدَ مُلُوكِهِمْ . عَلِمَ
 أَنَّهُ أَصْلُ كُلِّ آدَبٍ وَرَأْسُ كُلِّ عِلْمٍ وَالِدُّ لِكُلِّ مَنَفْعَةٍ .
 وَمِفْتَاحُ عَمَلِ الْآخِرَةِ وَعِلْمُهَا وَمَعْرِفَةُ النُّجَاةِ مِنْ أَهْوَالِهَا . وَالْمَقْوِي
 عَلَى جَمِيعِ الْأُمُورِ وَالْمُعِينُ عَلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ فِي
 تَدْيِيرِهِمْ لِأُمُورِ مَمَالِكِهِمْ وَآدَابِ السُّوقَةِ ^(٢) فِيمَا يُرْضُونَ بِهِ
 مُلُوكَهُمْ وَيُصْلِحُونَ بِهِ مَعَاشَهُمْ . وَهُوَ كِتَابٌ كَلِيلَةٌ وَدِمْنَةٌ *
 فَلَمَّا تَيَقَّنَ مَا بَلَغَهُ عَنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ وَكَشَفَ عَمَّا فِيهِ مِنَ
 الْمَنَافِعِ مِنْ تَقْوِيَةِ الْعَقْلِ وَالْآدَبِ رَأَى أَهْلًا لِذَلِكَ وَنَدَبَنِي
 إِلَى اسْتِخْرَاجِهِ وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ وَالسَّلَامُ
 فَعِنْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لِلْمَلِكِ عِلْمُهُ وَنَجَاتُهُ وَشَهَامَتُهُ ^(٣) فَسَرَّ

١ مؤنة الإفصى بمعنى الابهد ٢ الرعية ٣ ذكاء فواديه

بذلك سروراً شديداً . ثم أمر الملك عند ذلك بإحضار
 النجمين وأن يتخيروا له يوماً سعيداً وطالعا^(١) صالحاً وساعة مباركة
 ليتوجه فيها فأخاروا له يوماً يسير فيه وساعة^(٢) صالحة يخرج فيها *
 فسار برزويه بطالع سعيد وحمل معه من المال عشرين جراباً
 كل جراب فيه عشرة آلاف دينار وتوجه جاداً في طلب حاجته
 نهراً وليلاً حتى قدم بلاد الهند . فجعل يطوف^(٣) بباب الملك
 ويجالس السوق . ويجالس الحكماء ويسأل عن خواص الملك
 والأشراف من جلسائه والعلماء والفلاسفة . وجعل يفشاهم^(٤) في
 مجالسهم ويتلقاهم بالتحية والسلام . ويخبرهم أنه رجل غريب
 قدم بلادهم لطلب العلم والأدب وألبحث عنه ورياضته^(٥) به .
 وأنه محتاج إلى معونتهم فيما يطلب من ذلك ويسألهم بذل الدعاء
 له ببلوغ أماله مع شدة كتمانها لما قدم بسببه ودفعه لسيره . فلم
 يزل كذلك زماناً طويلاً يتأدب على علماء الهند بما هو عالم
 بجميعه وكأنه لا يعلم منه شيئاً . وهو فيما بين ذلك يستر بغيته^(٦)
 وحاجته وفي أثناء ذلك يبعث في مطلوبه بمنكته^(٦) وسياسة

١ من اصطلاحات النجمين والمراد وقتاً ٢ يحول ٣ ياتهم ٤ تهذيب
 اخلافه ٥ مطلوبة ٦ حسن تصرف

وَعِفَّةٍ وَنَزَاهَةٍ^(١) . وَاتَّخَذَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ لَطُولِ مُقَامِهِ أَصْدِقَاءَ
أَصْفِيَاءَ^(٢) كَثِيرِينَ كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْهِنْدِ مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ
وَالْفَلَاسِفَةِ وَالسُّوقَةِ وَمِنْ أَهْلِ كُلِّ طَبَقَةٍ وَصِنَاعَةٍ

وَكَانَ قَدْ اتَّخَذَ مِنْ بَيْنِ أَصْدِقَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ رَجُلًا وَاحِدًا
أَصْطَفَاهُ لِسِرِّهِ وَأَخْصَصَهُ لِمَشُورَتِهِ لِلَّذِي ظَهَرَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَدَبِهِ
وَحِكْمَتِهِ وَفَهْمِهِ وَكَيْفَانِهِ لِسِرِّ نَفْسِهِ وَلَمَّا أُسْتَبَانَ لَهُ مِنْ صِحَّةِ
إِخَائِهِ^(٣) . وَكَانَ يُشَاوِرُهُ فِي الْأُمُورِ وَيَرْتَاحُ إِلَيْهِ^(٤) فِي جَمِيعِ مَا
أَهَمُّهُ . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَكْتُمُ عَنْهُ الْأَمْرَ الَّذِي قَدِمَ مِنْ أَجْلِهِ حَتَّى
يَبْلُغَهُ^(٥) وَيَخْتَبِرُهُ وَيَنْظُرُ هَلْ هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُطْلَعَ عَلَى سِرِّهِ . وَلَمَّا
يَزَلْ يَجْتَثُّ عَنْهُ وَيَجْتَهِدُ فِي أَمْرِهِ حَتَّى وَثِقَ بِهِ وَثُوقًا لَا كُفَاءَ^(٦)
بِالْأَكْفَاءِ . وَعَلِمَ أَنَّهُ مَحَلٌّ لِكَشْفِ الْأَسْرَارِ الْجَلِيلَةِ الْخَطِيرَةِ^(٧) وَأَنَّهُ
مَأْمُونٌ عَلَى مَا يُسْتَوْدَعُ مِنْ ذَلِكَ غَيْرُ خَائِنٍ صَدِيقٌ صَدَقَ^(٨) .
ثُمَّ زَادَ لَهُ الْإِطَافَ^(٩) وَبِهِ أَحْنَفَاءَ^(١٠) وَعَلَيْهِ حُنُوءًا إِلَى أَنْ حَضَرَ
الْيَوْمَ الَّذِي رَجَافِيهِ بُلُوغُ أَمْنِيَّتِهِ^(١١) وَالظَّفَرُ بِحَاجَتِهِ مَعَ طُولِ

١ اي طهارة ٢ مخلصين ٣ اخوتو ٤ تنبسط اليو نفسه ٥ بحجة
٦ الامثال والنظراء ٧ الرفيعة الشريفة ٨ صادق ٩ برأ ١٠ مبالغة في الاكرام
١١ ما يتمناه

أَلْفَبَةِ وَعَظِمَ النِّفَقَةِ فِي اسْتِلْطَافِ الْإِخْوَانِ وَمَجَالَسَتِهِمْ عَلَى
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ

وَأَنَّهُ لَمَّا وَثِقَ بِصَدِيقِهِ الْهِنْدِيِّ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَأَنَسَ بِهِ
وَسَبَرَ^(١) عَقْلُهُ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ^(٢) فِي سِرِّهِ . قَالَ لَهُ يَوْمًا وَهَذَا خَالِيَانِ
يَا أَخِي مَا أُرِيدُ أَنْ أَكْتُمَكَ مِنْ أَمْرٍ فَوْقَ الَّذِي كَتَمْتُكَ
لَأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَلِكَ . فَأَعْلَمَ أَنِّي لِأَمْرٍ قَدِمْتُ بِلَادَكُمْ وَهُوَ غَيْرُ
الَّذِي يَظْهَرُ مِنِّي . وَالْعَاقِلُ يَكْتَفِي مِنَ الرَّجُلِ بِالْأَعْلَامَاتِ مِنْ نَظَرِهِ
وَإِشَارَتِهِ فَيَعْلَمُ بِذَلِكَ سِرَّ نَفْسِهِ وَمَا يُضْمِرُهُ قَلْبُهُ . فَقَالَ لَهُ صَدِيقُهُ
الْهِنْدِيُّ إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بَدَأْتُكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا لَهُ جِئْتَ وَإِيَّاهُ
تُرِيدُ وَإِلَيْهِ قَصَدْتَ وَأَنْتَ تَكْتُمُ مَا تَطْلُبُهُ وَتُظْهِرُ غَيْرَهُ . فَمَا خَفِيَ
عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْكَ وَلَا ذَهَبَ عَنِّي مَا كَتَمْتَهُ . وَلَكِنِّي لِرَغْبَتِي فِيكَ
وَفِي إِخَائِكَ كَرِهْتُ أَنْ أُوْاجِهُكَ بِذَلِكَ وَأُفَاجِئَكَ بِهِ لِأَنِّي
قَدْ ظَهَرَ لِي مَا تَكْتُمُهُ وَبَانَ لِي مَا أَنْتَ لَهُ مُخْفٍ . فَأَمَّا إِذَا قَدْ
أَظْهَرْتَ ذَلِكَ وَأَفْصَحْتَ بِهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنِّي مُخْبِرُكَ عَنْ نَفْسِكَ
وَمُظْهِرُكَ لَكَ سِرِّ رَءَاكَ وَمُعْلِمُكَ عَنْ سِرِّ حَاجَتِكَ الَّتِي قَدِمْتَ

بِسَبِّهَا وَأَطَلْتَ مُقَامَكَ فِي طَلَبِهَا

وَذَلِكَ أَنَّكَ إِنَّمَا وَطِئْتَ أَرْضَنَا وَقَدِمْتَ إِلَى بِلَادِنَا لِتَسْلُبَنَا
كُنُوزَنَا الْفَافِيسَةَ فَتَذْهَبَ بِهَا إِلَى بِلَادِكَ وَتَسْرُبَهَا مِلْكَكَ . وَكَانَ
قُدُومُكَ إِلَيْنَا بِالْمَكْرِ وَمُصَادَقَتُكَ لَنَا بِالْخَدِيعَةِ . وَلَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ
صَبْرَكَ وَمُواظَبَتَكَ عَلَى طَلَبِ حَاجَتِكَ وَالتَّحْفُظَ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ فِي
الْكَلَامِ مَعَ طُولِ مَكْنَتِكَ عِنْدَنَا عَلَى كَتَمِ أَمْرِكَ بِشَيْءٍ
يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى سِرِّيرَتِكَ وَأُمُورِكَ . أَزْدَدْتُ رَغْبَةً فِي إِخَائِكَ
وَنِيقَةً بِعَقْلِكَ وَأَحْبَبْتُ مُودَّتَكَ . فَإِنِّي لَمْ أَرِ فِي الرِّجَالِ رَجُلًا
هُوَ أَرْضَنُ^(١) مِنْكَ عَقْلًا وَلَا أَحْسَنُ أَدَبًا وَلَا أَصْبَرَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ
وَلَا أَكْتَمُ لِسِيرِهِ . وَلَا سِيمَا فِي بِلَادِ غَرْبِيَّةٍ وَمَمْلَكَةٍ غَيْرِ مَمْلَكَتِكَ
وَعِنْدَ قَوْمٍ لَا تَعْرِفُ سُنَنَهُمْ وَلَا شِيَمَهُمْ * وَإِنَّ عَقْلَ الرَّجُلِ لَيَسِينُ
فِي خِصَالِ ثَمَانٍ . الْأُولَى مِنْهَا الرِّفْقُ . وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَعْرِفَ
الرَّجُلُ نَفْسَهُ فَيَحْفَظَهَا . وَالثَّالِثَةُ طَاعَةُ الْمُلُوكِ وَالتَّحَرِّيُ^(٢) لِمَا
يُرْضِيهِمْ . وَالرَّابِعَةُ مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ مَوْضِعَ سِرِّهِ وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ
يُطْلَعَ عَلَيْهِ صَدِيقُهُ . وَالْخَامِسَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ أَدِيبًا

١ اثبت واحكم ٢ طلب الاخرى اي الاولى والانفل

مَلَقَ^(١) اللِّسَانَ . وَالسَّادِسَةُ أَنَّ يَكُونَ لِسِرِّهِ وَلِسِرِّ غَيْرِهِ حَافِظًا .
وَالسَّابِعَةُ أَنَّ يَكُونَ عَلَى لِسَانِهِ قَادِرًا فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يَأْمَنُ
تَبِعَتَهُ^(٢) وَلَا يُطْلَعُ عَلَى سِرِّهِ إِلَّا الثَّقَاتِ . وَالثَّامِنَةُ أَنَّ لَا يَتَكَلَّمُ
فِي الْحَافِلِ^(٣) بِمَا لَا يُسْأَلُ عَنْهُ

فَمَنْ أَجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ كَانَ هُوَ الدَّاعِي الْخَيْرِ إِلَى
نَفْسِهِ . وَهَذِهِ الْخِصَالُ كُلُّهَا قَدْ أَجْتَمَعَتْ فِيكَ وَبَأَنْتَ لِي مِنْكَ
فَاللَّهُ تَعَالَى يَحْفَظُكَ وَيُعِينُكَ عَلَى مَا قَدِمْتَ لَهُ وَيُظْفِرُكَ^(٤) بِحَاجَتِكَ .
لَا نَكَ إِنَّمَا صَادَقْتَنِي لِتَسْلُبَنِي عَلَيَّ وَفَخَرِي وَإِنَّكَ أَهْلٌ لِأَنْ تُسْعَفَ
بِحَاجَتِكَ وَتُسْفَعَ^(٥) بِطَلِبَتِكَ وَتُعْطَى سُؤْلُكَ^(٦) . وَلَكِنَّ حَاجَتَكَ الَّتِي
تَطْلُبُ قَدْ أَرَهَبَتْ نَفْسِي وَأَدْخَلَتْ عَلَيَّ الْفَرْقَ^(٧) وَالْخَشْيَةَ * فَلَمَّا
عَرَفَ بَرَزَوِيهَ أَنَّ الْهِنْدِيَّ قَدْ عَرَفَ أَنَّ مُصَادَقَتَهُ إِنَّمَا كَانَتْ
مَكْرًا وَخَدِيعَةً . وَطَلَبَ حَاجَتَهُ فَلَمْ يَزِجْهُ وَلَمْ يَنْتَهِرْهُ بَلْ رَدَّ عَلَيْهِ
رَدًّا لَيْنًا كَرَدَّ الْأَخِ عَلَى أَخِيهِ بِالتَّعَطُّفِ وَالرِّفْقِ وَثِقَ بِقَضَاءِ
حَاجَتِهِ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ إِنِّي قَدْ كُنْتُ هَيَّاتُ كَلَامًا كَثِيرًا وَشَعَبْتُ
لَهُ شِعَابًا^(٨) وَأَنْشَأْتُ لَهُ أَصُولًا وَطُرُقًا . فَلَمَّا أَنْتَهَيْتُ فِيهِ إِلَى مَا بَادَهْتَنِي

١ من الملق وهو الولد واللفظ ٢ عاقبت ٣ الجامع ٤ يجعلك ظانرا
٥ نقرن ٦ مسؤل ٧ الخوف ٨ أي فصلت له طرقا

بِهِ مِنْ أَطْلَاعِكَ عَلَى أَمْرِي وَالَّذِي قَدِمْتُ لَهُ وَالْقِيَتَهُ إِلَيَّ مِنْ
 ذَاتِ نَفْسِكَ وَرَغْبَتِكَ فِيمَا أَلْقَيْتَ مِنَ الْقَوْلِ . أَكْنَفْتُ بِالْيَسِيرِ
 مِنَ الْخُطَابِ مَعَكَ عَمَّا كُنْتُ أَخْتَلِفُ فِيهِ . إِذْ عَرَفْتُ الْكَثِيرَ
 مِنْ أُمُورِي بِالْقَلِيلِ مِنَ الْكَلَامِ . لِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْعَقْلِ
 وَالْأَدَبِ . فَكَفَيْتَنِي مَوْنَةَ الْكَلَامِ ^(١) . فَأَقْتَصَرْتُ بِهِ مَعَكَ عَلَى
 الْإِيجَازِ . وَرَأَيْتُ مِنْ إِسْعَافِكَ إِيَّايَ بِحَاجَتِي مَا دَلَّنِي عَلَى كَرَمِكَ
 وَحُسْنِ وَفَائِكَ . فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا أُلْقِيَ إِلَى الْفَيْلَسُوفِ وَالسِّرِّ
 إِذَا أُسْتُودِعَ اللَّيِّبَ الْحَافِظَ فَقَدْ حُصِّنَ . وَبَلَغَ بِهِ نِهَاجُ أَمَلِ
 صَاحِبِهِ كَمَا يُحْصَنُ الشَّيْءُ النَّفِيسُ فِي الْقَلَاعِ الْحَصِينَةِ * فَقَالَ
 لَهُ الْهِنْدِيُّ لَا شَيْءَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَوَدَّةِ . وَمَنْ خَلَصَتْ مَوَدَّتُهُ
 كَانَ أَهْلًا أَنْ يَخْلُطَهُ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَذْخَرُ ^(٢) عَنْهُ شَيْئًا وَلَا
 يَكْتُمُهُ سِرًّا وَلَا يَمْنَعُهُ حَاجَتُهُ وَمُرَادُهُ إِنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ .
 وَرَأْسُ الْأَدَبِ حِفْظُ السِّرِّ . فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ الْأَمِينِ
 أَلَكْتُمُ فَقَدْ أَحْتَرَزَ ^(٣) مِنَ التَّضْيِيعِ . لِأَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ
 بِهِ . وَلَا يُكْتَمُ سِرٌّ بَيْنَ اثْنَيْنِ قَدْ عَلِمَاهُ وَتَفَاوَضَا ^(٤) فِيهِ وَلَا يَكُونُ

١ اي اغنيتني عنه ٢ مجبأ ٣ توفي ٤ تشاركا

سِرًّا لِأَنَّ اللِّسَانَيْنِ قَدْ تَكَلَّمَا بِهِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِالسِّرِّ أَثْنَانِ فَلَا بُدَّ
 مِنْ ثَالِثٍ مِنْ جِهَةٍ الْوَاحِدِ أَوْ مِنْ جِهَةٍ الْآخِرِ . فَإِذَا صَارَ
 إِلَى الثَّلَاثَةِ فَقَدْ شَاعَ وَذَاعَ ^(١) حَتَّى لَا يَسْتَطِيعُ صَاحِبُهُ أَنْ يَجْعِدَهُ ^(٢)
 وَيُكَابِرَ ^(٣) فِيهِ . كَأَنَّمِ إِذَا كَانَ مُتَقَطَّعًا فِي السَّمَاءِ فَقَالَ قَائِلٌ
 إِنَّ هَذَا النِّعَمَ مُتَقَطَّعٌ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ

وَأَنَّا فَقَدْ يَدْخُلُنِي مِنْ مَوَدَّتِكَ وَمُخَالَطَتِكَ مَعَ أَنِّي بِقُرْبِكَ سُرُورٌ
 لَا يَعْدِلُهُ ^(٤) شَيْءٌ . وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَطْلُبُهُ مِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ
 الْأَسْرَارِ الَّتِي لَا تُكْتَمُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَفْشَوْ ^(٥) وَيُظْهَرَ حَتَّى يَتَحَدَّثَ
 بِهِ النَّاسُ . فَإِذَا فَشَا فَقَدْ سَعَيْتُ فِي هَلَاقِي هَلَكَائًا لَا أَقْدِرُ عَلَى
 الْفِدَاءِ مِنْهُ بِالْمَالِ وَإِنْ كَثُرَ . لِأَنَّ مَلَكَنَا فَظًّا ^(٦) غَلِيظٌ يُعَاقِبُ
 عَلَى الذَّنْبِ الصَّغِيرِ أَشَدَّ الْعِقَابِ فَكَيْفَ مِثْلُ هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ .
 وَإِذَا حَمَلْتَنِي الْمَوَدَّةَ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَأَسْعِفْتُكَ بِحَاجَتِكَ لَمْ
 يَرُدَّ عِقَابُهُ عَنِّي شَيْءٌ * قَالَ بَرْزَوِيهِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ مَدَحَتِ الصَّدِيقَ
 إِذَا كَتَمَ سِرَّ صَدِيقِهِ وَأَعَانَهُ عَلَى الْفُوزِ ^(٧) . وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي
 قَدِمْتُ لَهُ لِمِثْلِكَ ذَخْرَتُهُ ^(٨) وَبِكَ أَرْجُو بُلُوغَهُ وَأَنَا وَاثِقٌ بِكَرَمِ

١ انشور ٢ ينكره ٣ يناعز ويعاند ٤ يساويه ٥ يشيع ٦ خشن
 ٧ الظفر بما يريد ٨ خبائثه

طِبَاعِكَ وَوُفُورِ عَقْلِكَ فِيهِ . وَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَصَلَ إِلَيْكَ مِنِّي مَا
وَصَلَ مِنَ الْمَشَقَّةِ فَأَنْعِمْ بِتَحْمَلِ ذَلِكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَخْشَى
مِنِّي وَلَا تَخَافُ أَنَّ أُبْدِيَهُ بَلْ تَخْشَى أَهْلَ بَلَدِكَ الْمُظْلِمِينَ
بِكَ ^(١) . وَبِالْمَلِكِ أَنْ يَسْعُوا بِكَ ^(٢) إِلَيْهِ وَيُبْلِغُوهُ ذَلِكَ عَنْكَ . وَأَنَا
أَرْجُو ^(٣) أَنْ لَا يَشِيعَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ لِأَنِّي أَنَا ظَاعِنٌ ^(٤) وَأَنْتَ
مُقِيمٌ وَمَا أَقَمْتُ ^(٥) فَلَا ثَالِثَ بَيْنَنَا . فَتَعَاهَدَا عَلَى هَذَا جَمِيعًا

وَكَانَ الْهِنْدِيُّ خَازِنَ الْمَلِكِ وَبِيَدِهِ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِ فَأَجَابَهُ
إِلَى ذَلِكَ الْكِتَابِ وَإِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ وَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ . فَأَكَبَ ^(٦)
عَلَى تَفْسِيرِهِ وَنَقَلَهُ مِنَ اللِّسَانِ الْهِنْدِيِّ إِلَى اللِّسَانِ الْفَارِسِيِّ .
وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ وَأَنْصَبَ ^(٧) بَدَنَهُ نَهَارًا وَلَيْلًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ وَجِلٌ ^(٨)
فَرَعَ مِنْ مَلِكِ الْهِنْدِ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَذْكُرَ الْمَلِكُ
الْكِتَابَ فِي وَقْتٍ وَلَا يُصَادِفُهُ فِي خَزَائِنِهِ * فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ
اُنْتِسَاخِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِ مِمَّا أَرَادَ مِنْ سَائِرِ الْكُتُبِ كَتَبَ
إِلَى أَنْوَشِرَوَانَ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ سُرَّ
سُرُورًا شَدِيدًا ثُمَّ تَخَوَّفَ مُعَاجَلَةَ الْمَقَادِيرِ أَنْ تُنْغَصَ ^(٩) عَلَيْهِ

١ المحيطين بك ٢ ينعموا عليك ٣ آمل ٤ راحل ٥ أي مدة إقامتي
٦ أقبل ٧ جهد ٨ خائف ٩ تكدر

فَرَحَهُ وَيَنْقُضَ سُورُهُ . فَكَتَبَ إِلَى بَرْزَوِيهِ يَا مَرْهُ بِتَعْجِيلِ
الْقُدُومِ . فَسَارَ بَرْزَوِيهِ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ كِسْرَى

فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ مَا قَدَّمَ مِنْ الشُّعُوبِ ^(١) وَالْإِعْيَاءِ ^(٢)
قَالَ لَهُ أَيُّهَا الْعَبْدُ النَّاصِحُ الَّذِي يَا كُلُّ ثَمَرَةٍ مَا قَدْ غَرَسَ أَبْشَرُ وَقَرَّ
عَيْنًا فَإِنِّي مُشْرِفُكَ وَبَالِغُ بِكَ أَفْضَلَ دَرَجَةٍ . وَأَمْرُهُ أَنْ يُرِيحَ
بَدَنَهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي أَمَرَ الْمَلِكُ بِإِحْضَارِ
أَشْرَافِ مَمْلَكَتِهِ وَجَمِيعِ عُلَمَاءِ مِصْرِهِ ^(٣) وَشُعْرَائِهِ وَالْخُطَبَاءِ .

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَحْضَرَ بَرْزَوِيهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْ
الْمَلِكِ وَجَلَسَ عَلَى مَرْتَبَةٍ أُعِدَّتْ لَهُ . ثُمَّ وَقَعَ ^(٤) الْكَلَامَ فِيهَا
شَاهِدُهُ وَرَأَاهُ وَشَرَحَ قِصَّتَهُ وَحَالَهُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا . فَلَمْ
يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَقَوَادِمِهَا وَأَهْلِ عُلُومِهَا عَلَى طَبَقَاتِهِمْ
إِلَّا تَعَجَّبَ مِنْهُ وَمِنْ طُولِ طَرِيقِهِ وَحُسْنِ سِيرَتِهِ مَعَ صَدِيقِهِ .
وَمَا وَفَى لَهُ بِهِ بِإِعْهَادٍ مِنْهُ لَهُ وَلَا مُقَدِّمَةٍ ^(٥) تَقَدَّمَتْ بَيْنَهُمَا مِنْ
إِفْشَاءِ سِرِّهِ لَهُ مَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ أَفْتِرَاقِ الْأَدْيَانِ وَتَبَايُنِ ^(٦)
الْأَشْكَالِ وَمُنَافَرَةِ الْمَذْهَبِ . وَأَسْتَغْظَمُوا مَا أَنْفَقَ عَلَى تَحْصِيلِ

١ تغير السحنة ٢ شدة التعب ٣ كورثه وناجنيو ٤ اي الى ٥ اي

معرفة ٦ اي امر سابق ٧ تباعد

ذَلِكَ وَعَظُمَ بَرْزَوِيهِ فِي أَعْيُنِ الْحَاضِرِينَ وَكَبُرَ قَدْرُهُ عِنْدَ
 مَلِكِهِ * ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ صَرَفَ مَنْ حَضَرَ وَأَنْصَرَفَ بَرْزَوِيهِ وَعَمَدَ
 الْخُطْبَاءَ ^(١) يَصْنَعُونَ مُقَدِّمَاتٍ تَصْلُحُ لِلْحُضُورِ الْجُلُوسِ وَتَأْهَبُوا
 لِذَلِكَ . وَعَقَدَ لَهُمُ الْمَلِكُ مَجْلِسًا وَحَضَرَ بَرْزَوِيهِ وَخُطْبَاءُ الدَّوْلَةِ
 وَالْوُزَرَاءُ وَفُصَحَاءُ الْمَمْلَكَةِ وَأَحْضَرَ الْكِتَابُ وَسَائِرُ ^(٢) الْكُتُبِ .
 فَلَمَّا قُرِئَتْ الْكُتُبُ وَسَمِعُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ وَسَائِرِ
 الظَّرَائِفِ وَغَرَائِبِ الْأَدَابِ اسْتَبَشَّرَ مَنْ حَضَرَ وَبَلَغَ الْمَلِكُ
 أُمْنِيَّتَهُ وَمَدَحُوا بَرْزَوِيَهُ وَاثْنَوْا عَلَيْهِ وَشَكَرُوهُ عَلَى مَا نَالَهُ مِنْ
 الْعَتَبِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالذَّيْلِ وَالْجَوْهَرِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
 وَفُتِحَتْ خَزَائِنُ الْكُسُوفَةِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَمِيعَ ذَلِكَ *
 ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ أَلْبَسَهُ التَّاجَ وَأَجْلَسَهُ عَلَى سَرِيرِهِ تَشْرِيفًا لَهُ
 وَزِيَادَةً فِي إِجْلَالِهِ . وَلَمَّا تَمَّ لِبَرْزَوِيهِ ذَلِكَ خَرَّ سَاجِدًا
 لِلْمَلِكِ وَقَالَ

أَكْرَمَ اللَّهُ الْمَلِكَ بِأَفْضَلِ الْكِرَامَاتِ بِزِيَادَتِهِ فِي دُنْيَاهُ
 وَأَخْرَاهُ وَخَلَدَ مُلْكُهُ وَثَبَّتَ وَطْأَتَهُ ^(٣) وَشَيْدَ ^(٤) مَبَانِي مَجْدِهِ .

١ اي فصدوا وشرعوا ٢ باقي ٣ اي مكن سلطنته ٤ اي بني ومنت

إِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الْحَمْدِ ^(١) قَدْ أَغْنَانِي عَنِ الْمَالِ بِمَا بَلَغْتُ مِنَ
 الرُّبَّةِ الْعَلِيَّةِ السَّنِيَّةِ وَالْبُعْيَةِ وَالْأُمْنِيَّةِ بِمَا رَزَقَنِي مِنْ تَشْرِيفِ
 مَلِكِ الْمُلُوكِ لِلْعَبْدِ الذَّلِيلِ . لَكِنِ إِذْ كَلَّفَنِي الْمَلِكُ ذَلِكَ
 وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَسْرُهُ فَأَنَا آخِذٌ مِمَّا أَمَرَ لِي بِهِ أَمْثَالًا لِأَمْرِهِ
 وَطَلْبًا لِمَرْضَاتِهِ . وَقَامَ فَأَخَذَ مِنْهَا تَخَنًّا ^(٢) مِنْ طَرَائِفِ خُرَاسَانَ
 مِنْ مَلَابِسِ الْمُلُوكِ * ثُمَّ قَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَنَحَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى عَقْلًا وَافِرًا وَعِلْمًا رَاجِحًا وَخُلُقًا ^(٣) رَحِبًا ^(٤) وَدِينًا
 صَلْبًا ^(٥) وَنِيَّةً سَالِمَةً مِنَ الْعَاهَاتِ ^(٦) . فَلْيَشْكُرِ الصَّانِعَ الْأَزَلِيَّ
 سَرْمَدًا ^(٧) عَلَى مَا وَهَبَهُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ يَسْتَحِقُّهُ وَلَا
 مُقَدِّمَةَ سَبَقَتْ لَهُ . وَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أُكْرِمَ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ
 وَإِنْ كَانَ قَدِ اسْتَوْجِبَهُ تَعَبًا وَمَشَقَّةً . وَأَمَّا أَنَا فَمَهْمَا لَقِيتُهُ
 مِنْ عَنَاءٍ ^(٨) وَتَعَبٍ لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ الشَّرَفَ يَا أَهْلَ هَذَا
 أَلَيْتَ فَإِنِّي لَا أَزَالُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ تَابِعًا رِضَاكُمْ أَرَى الْعَسِيرَ
 فِيهِ يَسِيرًا وَالشَّاقَّ هِينًا وَالنَّصَبَ ^(٩) وَالْأَذَى سُرُورًا وَلَذَّةً لِمَا أَعْلَمُ
 أَنَّ لَكُمْ فِيهِ رِضًى وَعِنْدَكُمْ قُرْبَةٌ ^(١٠) * وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ أَيُّهَا

١ اي ربه ٢ وعاء تصان فيه الثياب ٣ نفائس ٤ سحبة وطبعًا ٥ واسعًا
 ٦ اي متينًا ٧ الآفات والعوارض ٨ دائماً ٩ تعب وجهد ١٠ التعب اقرباً في المترلة

الْمَلِكُ حَاجَةٌ تُسَعِّفُنِي بِهَا وَتُعْطِينِي فِيهَا سُؤْلِي فَإِنْ حَاجَتِي
 يَسِيرَةٌ وَفِي قَضَائِهَا فَايِدَةٌ كَثِيرَةٌ. قَالَ أَنْوَشِرَوَانُ قُلْ فَكُلُّ حَاجَةٍ
 لَكَ قَبْلَنَا مَقْضِيَةٌ فَإِنَّكَ عِنْدَنَا عَظِيمٌ وَلَوْ طَلَبْتَ مُشَارَكَتَنَا
 فِي مُلْكِنَا لَفَعَلْنَا وَلَمْ نَزِدْ طَلِبَتَكَ فَكَيْفَ مَا سِوَى ذَلِكَ فَقُلْ
 وَلَا تَحْتَشِمُ^(١) فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا مَبْدُوءَةٌ لَكَ. قَالَ بَرْزَوِيهِ أَيُّهَا
 الْمَلِكُ لَا تَنْظُرْ إِلَى عَنَائِي فِي رِضَاكَ وَأَنْكِمَاشِي^(٢) فِي طَاعَتِكَ
 فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ يَلْزِمُنِي بِذَلِكَ مُهْجَتِي فِي رِضَاكَ. وَلَوْ لَمْ تَجْزِنِي
 لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدِي عَظِيمًا وَلَا وَاجِبًا عَلَى الْمَلِكِ. وَلَكِنْ لِكَرَمِهِ
 وَشَرَفِ مَنْصِبِهِ عَمَدٌ^(٣) إِلَى مُجَازَاتِي وَخَصَنِي وَأَهْلَ بَيْتِي بَعْلُو
 الْمَرْتَبَةِ وَرَفَعَ الدَّرَجَةَ حَتَّى لَوْ قَدَرَ أَنْ يَجْمَعَ لَنَا بَيْنَ شَرَفِ
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَفَعَلَ فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ الْجَزَاءِ. قَالَ
 أَنْوَشِرَوَانُ أَذْكَرُ حَاجَتِكَ فَعَلَيْ مَا يَسُرُّكَ. فَقَالَ بَرْزَوِيهِ حَاجَتِي
 أَنْ يَخْرُجَ أَمْرُ الْمَلِكِ أَنْفَذَهُ^(٤) اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْحَكِيمِ الْفَاضِلِ
 الرَّفِيعِ الْمَقَامِ وَزِيرِهِ بَرْزَجُمَهْرَ بْنِ الْبُخَنكَانِ أَنْ يَنْظِمَ أَمْرِي
 فِي نُسْخَةٍ وَيُؤَبِّبَ الْكِتَابَ^(٥) وَيَجْعَلَ تِلْكَ النُّسْخَةَ بَابًا يَذْكُرُ فِيهِ

أَمْرِي وَيَصِفُ حَالِي وَلَا يَدْعُ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي ذَلِكَ أَقْصَى ^(١)
 مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ . وَيَأْمُرُهُ إِذَا فَرَّغَ مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ
 الَّتِي تُقْرَأُ قَبْلَ بَابِ الْأَسَدِ وَالْثَوْرِ . فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ
 فَقَدْ بَلَغَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ الشَّرَفِ وَأَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَبَقِيَ لَنَا
 مَا لَا يَزَالُ ذِكْرُهُ بَاقِيًا عَلَى الْأَبَدِ حَيْثُمَا قُرِئَ هَذَا الْكِتَابُ
 فَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانُ وَالْعُظَمَاءُ مَقَالَتَهُ وَمَا سَمَتْ ^(٢)
 إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ مَحَبَّةٍ إِبْقَاءَ الذِّكْرِ عَجِبُوا مِنْ أَدَبِهِ وَحُسْنِ عَقْلِهِ
 وَكِبَرِ نَفْسِهِ وَاسْتَحْسَنُوا طَلِبَتَهُ وَأَخْنِيَارَهُ . فَقَالَ كِسْرَى حُبًّا
 وَكِرَامَةً يَا بَرَزَوِيهَ إِنَّكَ لَا أَهْلٌ أَنْ تُسَعَفَ بِمُحَاجَّتِكَ فَمَا أَقَلَّ مَا
 قَنَعَتْ بِهِ وَأَيَسَرُهُ عِنْدَنَا وَإِنْ كَانَ خَطَرُهُ ^(٣) عِنْدَكَ عَظِيمًا *
 ثُمَّ أَقْبَلَ أَنْوَشِرَوَانُ عَلَى وَزِيرِهِ بَرْزَجُمَهْرَ فَقَالَ لَهُ قَدْ عَرَفْتَ
 مُنَاصِحَةَ بَرَزَوِيهِ لَنَا ^(٤) وَتَجَشُّمَهُ الْخَوَافَ وَالْمَهَالِكَ فِيمَا يُقَرِّبُهُ مِنَّا
 وَإِتْعَابَهُ بَدَنَهُ فِيمَا يَسْرُنَا وَمَا أَقْبَى إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَمَا أَفَادَنَا
 اللَّهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ الْبَاقِي لَنَا فَحَرُّهُ وَمَا عَرَضْنَا
 عَلَيْهِ مِنْ خَزَائِنِنَا لِلْجَزِيَةِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فَلَمْ تَمِلْ نَفْسُهُ إِلَى شَيْءٍ

مِنْ ذَلِكَ . كَانَتْ بُغْيَتُهُ وَطَلَبَتُهُ مِنَّا أَمْرًا يَسِيرًا رَأَاهُ هُوَ الثَّوَابُ
 مِنَّا لَهُ وَالْكَرَامَةُ الْجَلِيلَةُ عِنْدَهُ . فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي
 ذَلِكَ وَتُسَعِّفَهُ بِحَاجَتِهِ وَطَلَبَتِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَسُرُّنِي . وَلَا
 تَدْعُ شَيْئًا مِنْ الْأَجْتِهَادِ وَالْمُبَالَغَةِ إِلَّا بَلَّغْتُهُ وَإِنْ نَالَكَ^(١) فِيهِ
 مَشَقَّةٌ . وَهُوَ أَنْ تَكْتُبَ بَابًا مُضَارِعًا^(٢) لِيَتِلَّكَ الْأَبْوَابُ الَّتِي فِي
 الْكِتَابِ وَتَذَكَّرُ فِيهِ فَضْلَ بَرْزَوِيهِ وَنَسَبَهُ وَحَسَبَهُ وَصِنَاعَتَهُ
 وَأَدَبَهُ وَكَيْفَ كَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ وَتَنْسِبُهُ إِلَيْهِ . وَتَذَكَّرُ
 فِيهِ بَعَثَتُهُ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ فِي حَاجَتِنَا وَمَا أَفْدَنَا مِنَ الْحِكْمِ عَلَى
 يَدِهِ مِنْ هُنَاكَ وَشَرَّفَنَا بِهِ وَفَضَّلَنَا عَلَى غَيْرِنَا . وَكَيْفَ كَانَ حَالُهُ
 بَعْدَ قُدُّومِهِ وَمَا عَرَضْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ فَلَمْ يَقْبَلْهُ . فَقُلْ
 مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْرِيطِ^(٣) وَالْإِطْنَابِ^(٤) فِي مَدْحِهِ وَبَالِغِ فِي
 ذَلِكَ أَفْضَلَ الْمُبَالَغَةِ وَأَجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ أَجْتِهَادًا يَسُرُّ بَرْزَوِيهِ
 وَأَهْلَ الْمَمْلَكَةِ وَإِنَّهُ لَأَهْلٌ لَذَلِكَ مِنْ قِبَلِي وَمِنْ قِبَلِ جَمِيعِ
 أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَمِنْ قِبَلِكَ أَيْضًا لِمَحَبَّتِكَ لِلْعُلُومِ . وَأَجْهَدُ أَنْ
 يَكُونَ غَرَضُ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَفْضَلُ مِنْ أَغْرَاضِ

تِلْكَ الْأَبْوَابِ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ وَأَشَدَّ مُشَاكَلَةً^(١) لِحَالِ هَذَا
الْكِتَابِ . فَإِنَّكَ أَسْعَدُ النَّاسِ كُلِّهِمْ بِذَلِكَ لِإِنْفِرَادِكَ بِهِ وَأَجْعَلُهُ
أَوَّلَ الْأَبْوَابِ . فَإِذَا أَنْتَ عَمِلْتَهُ وَوَضَعْتَهُ بِحَيْثُ رَسَمْتُ لَكَ^(٢)
فَاعْلَمْ لِي لِأَجْمَعَ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَتَقْرَأَهُ عَلَيْهِمْ فَيُظْهِرَ فَضْلُكَ
وَأَجْتِهَادُكَ فِي مُحَبَّتِنَا فَيَكُونَ لَكَ بِذَلِكَ فَخْرٌ

فَلَمَّا سَمِعَ بُرْزُجْمَهُرُ مَقَالَهَ الْمَلِكِ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَقَالَ أَدَامَ
اللَّهُ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَقَاءُ وَبَلَّغَكَ أَفْضَلَ مَنَازِلِ الصَّالِحِينَ فِي
الْآخِرَةِ وَالْأُولَى لَقَدْ شَرَّفْتَنِي فِي ذَلِكَ شَرَفًا بَاقِيًا إِلَى الْأَبَدِ .
ثُمَّ خَرَجَ بُرْزُجْمَهُرُ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ فَوَصَفَ بَرَزَوِيَهُ مِنْ أَوَّلِ
يَوْمٍ دَفَعَهُ^(٣) أَبَوَاهُ إِلَى الْمُوَدَّبِ^(٤) وَمُضِيهِ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ فِي
طَلَبِ الْعَقَاقِيرِ^(٥) وَالْأَدْوِيَةِ . وَكَيْفَ تَعَلَّمَ خُطُوطَهُمْ وَلُغَتَهُمْ
إِلَى أَنْ بَعَثَهُ أَنْوَشِرَوَانُ إِلَى الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْكِتَابِ . وَلَمْ
يَدْعَ مِنْ فَضَائِلِ بَرَزَوِيهِ وَحِكْمَتِهِ وَخِلَاقَتِهِ وَمَذْهَبِهِ أَمْرًا
إِلَّا نَسَقَهُ^(٦) وَأَتَى بِهِ بِأَجُودَ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّرْحِ . ثُمَّ أَعْلَمَ
الْمَلِكُ بِفِرَاغِهِ مِنْهُ فَجَمَعَ أَنْوَشِرَوَانُ أَشْرَافَ قَوْمِهِ وَأَهْلَ مَمْلَكَتِهِ

اموافقة ومشابهة ٢ اي كما رسمت لك سلمه ٤ اي المعلم ٥ النباتات التي
يتداوى بها ٢ نظمه

وَأَذْهَبَهُمْ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِزُرْجُمِهِرَ بِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ وَبَرَزُوهُ قَائِمًا إِلَى
 جَانِبِ بَزْرَجُمِهِرَ وَأَبْدَأَ بِوَصْفِ بَرَزُوهِ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى آخِرِهِ .
 فَفَرَحَ الْمَلِكُ بِمَا أَتَى بِهِ بَزْرَجُمُهُرُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ . ثُمَّ أَتَتْهُ
 الْمَلِكُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ عَلَى بَزْرَجُمِهِرَ وَشَكَرُوهُ وَمَدَحُوهُ وَأَمَرَ
 لَهُ الْمَلِكُ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَكُسُوفَةٍ وَحِلْيَةٍ^(١) وَأَوَانِي فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذَلِكَ
 شَيْئًا غَيْرَ كُسُوفَةٍ كَانَتْ مِنْ ثِيَابِ الْمُلُوكِ . ثُمَّ شَكَرَ لَهُ ذَلِكَ
 بَرَزُوهُ وَقَبَلَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ وَأَقْبَلَ عَلَى الْمَلِكِ وَقَالَ أَدَامَ اللَّهُ
 لَكَ الْمُلْكَ وَالسَّعَادَةَ فَقَدْ بَلَغْتَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ الشَّرَفِ بِمَا أَمَرْتَ
 بِهِ بَزْرَجُمُهُرَ مِنْ صَنْعَةِ الْكِتَابِ فِي أَمْرِي وَإِبْقَاءِ ذِكْرِي *
 ثُمَّ أَنْصَرَفَ الْجَمْعُ مَسْرُورِينَ مُبْتَهَجِينَ وَكَانَ يَوْمًا لَا
 مِثَالَ لَهُ

باب

عرض الكتاب

لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُتَّقِعِ مَعَرِبِ هَذَا الْكِتَابِ
 هَذَا كِتَابُ كَلِمَةٍ وَدِمْنَةٍ . وَهُوَ مِمَّا وَضَعَتْهُ عُلَمَاءُ الْهِنْدِ

١ جمع حلبة وهي ما يتزين به من المعادن المصوغة

مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي أُلْهِمُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهَا أَبْلَغَ مَا
وَجَدُوا مِنَ الْقَوْلِ فِي النَّحْوِ ^(١) الَّذِي أَرَادُوا * وَلَمْ تَزَلِ الْعُلَمَاءُ
مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَلِسَانٍ يَلْتَمِسُونَ أَنْ يُعْقَلَ ^(٢) عَنْهُمْ وَيَحْتَالُونَ
لِذَلِكَ بِصُنُوفِ الْحِيلِ وَيَبْتَغُونَ إِخْرَاجَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلَالِ ^(٣) فِي
إِظْهَارِ مَا لَدَيْهِمْ مِنَ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ حَتَّى كَانَ مِنْ تِلْكَ الْعِلَالِ
وَضَعُ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى أَفْوَاهِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ فَأَجْتَمَعَ لَهُمْ بِذَلِكَ
خِلَالٌ ^(٤) * أَمَّا هُمْ فَوَجَدُوا مُنْصَرَفًا ^(٥) فِي الْقَوْلِ وَشِعَابًا ^(٦)
يَأْخُذُونَ مِنْهَا وَوُجُوهًا يَسْلُكُونَ فِيهَا . وَأَمَّا الْكِتَابُ فَجَمَعَ
حِكْمَةً وَلَهُوَ أَفْخَارُهُ الْحِكْمَاءُ لِحِكْمَتِهِ وَالْأَغْرَارُ ^(٧) لِلْهُوهِ . وَالْمُتَعَلِّمُ
مِنَ الْأَحْدَاثِ ^(٨) نَاشِطٌ ^(٩) فِي حِفْظِ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ يُرَبِّطُ فِي
صَدْرِهِ وَلَا يَدْرِي مَا هُوَ بَلْ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ مِنْ ذَلِكَ بِمَكْتُوبٍ
مَرْقُومٍ . وَكَانَ كَالرَّجُلِ الَّذِي لَمَّا أُسْتَكْمِلَ الرَّجُولِيَّةُ وَجَدَ
أَبَوِيهِ قَدْ كُنَزَا لَهُ كُنُوزًا وَعَقَدَا لَهُ عُقْدًا ^(١٠) . أُسْتَفْنَى بِهَا عَنْ
الْكَدْحِ ^(١١) فِيمَا يَعْمَلُهُ مِنْ أَمْرِ مَعِيشَتِهِ فَأَغْنَاهُ ^(١٢) مَا أَشْرَفَ ^(١٣)

١ الطريق ٢ أي يؤخذ ويقيم ٣ أي الوسائل ٤ أي طرق ومناهب
٥ مذهباً يتصرفون اليه ٦ أي طرقاً ٧ السذج الغفل ٨ السغار ٩ مجتهد
١٠ أي عقارات ١١ الكد والسعي ١٢ الضمير للمتعلم ١٣ أي وصل

عَلَيْهِ مِنَ الْحِكْمَةِ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ وُجُوهِ الْأَدَبِ *
 فَأَقُولُ مَا يَنْبَغِي لِمَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ أَنْ يَعْرِفَ الْوُجُوهُ الَّتِي
 وَضَعَتْ لَهُ وَالرُّمُوزَ^(١) الَّتِي رُمِزَتْ فِيهِ وَإِلَى أَيِّ غَايَةٍ جَرَى
 مُؤَلَّفُهُ فِيهِ عِنْدَ مَا نَسَبَهُ إِلَى الْبَهَائِمِ وَأَضَافَهُ إِلَى غَيْرِ مُفْضَحٍ^(٢)
 وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْضَاعِ الَّتِي جَعَلَهَا امْتِثَالًا * فَإِنَّ قَارِئَهُ مَتَى
 لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمْ يَدْرَ مَا أُرِيدَ بِتِلْكَ الْمَعَانِي وَلَا أَيِّ ثَمَرَةٍ
 يَحْتَنِي مِنْهَا وَلَا أَيِّ نَتِيجَةٍ تَحْصُلُ لَهُ مِنْ مُقَدِّمَاتِ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا
 الْكِتَابُ . وَإِنَّهُ إِنْ كَانَتْ غَايَتُهُ مِنْهُ اسْتِثْمَامُ قِرَاءَتِهِ وَالْبُلُوغُ
 إِلَى آخِرِهِ دُونَ تَفْهَمِ مَا يَقْرَأُ مِنْهُ لَمْ يَعُدْ عَلَيْهِ شَيْءٌ يُرْجَعُ إِلَيْهِ نَفْعُهُ
 وَمَنْ اسْتَكْتَرَّ مِنْ جَمْعِ الْكُتُبِ وَقِرَاءَةِ الْعُلُومِ مِنْ غَيْرِ
 أَعْمَالِ الرُّبُوبِيَّةِ فِيمَا يَقْرَأُهُ كَانَ خَلِيقًا أَنْ لَا يُصِيبَهُ إِلَّا مَا أَصَابَ
 الرَّجُلَ الَّذِي زَعَمَتِ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ أَجْنَاظُ بَعْضِ الْمَفَاوِزِ^(٣) فَظَهَرَ
 لَهُ مَوْضِعُ آثَارِ كَنْزِهِ فَجَعَلَ يَحْفَرُ وَيَطْلُبُ فَوْقَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ
 عَيْنٍ^(٤) وَوَرَقٍ^(٥) فَقَالَ فِي نَفْسِهِ إِنَّ أَنَا أَخَذْتُ فِي نَقْلِ هَذَا
 الْمَالِ قَلِيلًا قَلِيلًا طَالَ عَلَيَّ وَقَطَعَنِي^(٦) الْأَشْتَغَالُ بِنَقْلِهِ وَإِخْرَازِهِ^(٧)

١ الاشارات الخفية ٢ اي ناطق ٣ الفلوات لا ما فيها ٤ نقود ذهبيه
 ٥ نقود فضيه ٦ متعني ٧ حفظو

عَنِ اللَّذَّةِ بِمَا أَصَبَتْ مِنْهُ . وَلَكِنْ سَأَسْتَأْجِرُ أَقْوَامًا يَحْمِلُونَهُ
إِلَى مَنْزِلِي وَأَكُونُ أَنَا آخِرَهُمْ وَلَا يَكُونُ بَقِي وَرَائِي شَيْءٌ
يُشْغِلُ فِكْرِي بِنَقْلِهِ وَأَكُونُ قَدْ اسْتَظْهَرْتُ^(١) لِنَفْسِي فِي إِرَاحَةٍ
بَنِي عَنْ الْكَدِّ يَسِيرِ أَجْرَةٍ أُعْطِيهَا لَهُمْ . ثُمَّ جَاءَ بِالْحَمَّالِينَ
فَجَعَلَ يُحْمِلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يُطِيقُ فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ هُوَ
فَيَفُوزُ بِهِ^(٢) . حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ الْكَثَرِ شَيْءٌ أَنْطَلَقَ خَلْفَهُمْ إِلَى
مَنْزِلِهِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مِنْ أَلْمَالِ شَيْئًا لَا كَثِيرًا وَلَا قَلِيلًا . وَإِذَا كُلُّ
وَاحِدٍ مِنَ الْحَمَّالِينَ قَدْ فَازَ بِمَا حَمَلَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يَكُنْ لِلرَّجُلِ
مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْعَنَاءُ^(٣) وَالتَّعَبُ لِأَنَّهُ لَمْ يَفَكِّرْ فِي آخِرِ أَمْرِهِ

وَكَذَلِكَ مَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ وَلَمْ يَفْهَمْ مَا فِيهِ وَلَمْ يَعْلَمْ
غَرَضَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا يَبْدُو لَهُ مِنْ خَطِّهِ وَنَقْشِهِ
كَأَنَّهُ لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَدَّمَ لَهُ جَوْزٌ صَحِيحٌ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا أَنْ
يَكْسِرَهُ وَيَسْتَخْرِجَ مَا فِيهِ * وَكَانَ أَيْضًا كَالرَّجُلِ الَّذِي طَلَبَ
عِلْمَ الْفَصِيحِ مِنَ كَلَامِ النَّاسِ فَأَتَى صَدِيقًا لَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَهُ
عِلْمٌ بِالْفَصَاحَةِ فَأَعْلَمَهُ حَاجَتَهُ إِلَى عِلْمِ الْفَصِيحِ . فَرَسَمَ لَهُ صَدِيقُهُ

فِي صَحِيفَةٍ صَفْرَاءَ فَصَيَّحَ الْكَلَامَ وَتَصَارِيْفُهُ وَوُجُوهُهُ .
 فَأَنْصَرَفَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ فَعَجَلَ يَكْثُرُ قِرَاءَتَهَا وَلَا يَقِفُ عَلَى
 مَعَانِيهَا وَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ مَا فِيهَا حَتَّى اسْتَظْهَرَهَا ^(١) كُلَّهَا فَأَعْتَقَدَ
 أَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِعِلْمِ مَا فِيهَا . ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي
 مَحْفَلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فَأَخَذَ فِي مُحَاوَرَتِهِمْ ^(٢) فَجَرَتْ
 لَهُ كَلِمَةٌ أَخْطَأَ فِيهَا فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْجَمَاعَةِ إِنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ
 وَالْوَجْهَ غَيْرُ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ . فَقَالَ كَيْفَ أَخْطِئْتُ وَقَدْ قَرَأْتُ
 الصَّحِيفَةَ الصَّفْرَاءَ وَهِيَ فِي مَنْزِلِي . فَكَانَتْ مَقَالَتُهُ هَذِهِ أَوْجَبَ
 لِحُجَّةٍ ^(٣) عَلَيْهِ وَزَادَهُ ذَلِكَ قُرْبًا مِنَ الْجَهْلِ وَبُعْدًا مِنَ الْأَدَبِ
 ثُمَّ إِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا فهِمَ هَذَا الْكِتَابَ وَبَلَغَ نَهَايَةَ عِلْمِهِ
 فِيهِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا عِلْمٌ مِنْهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ وَيَجْعَلَهُ مَثَلًا
 لَا يَحِيدُ عَنْهُ * فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ كَانَ مِثْلَهُ كَالرَّجُلِ الَّذِي
 زَعَمُوا أَنْ سَارِقًا تَسَوَّرَ عَلَيْهِ ^(٤) وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَنْزِلِهِ فَعَلِمَ بِهِ
 فَقَالَ وَاللَّهِ لَا سَكُنْتُ حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ وَلَا أَذْعُرُهُ ^(٥) وَلَا
 أَعْلِمُهُ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ بِهِ . فَإِذَا بَلَغَ مُرَادَهُ قُمْتُ إِلَيْهِ فَتَغَصَّصْتُ ^(٦)

١ حفظها غيباً ٢ مراجعتهم في الكلام ٣ الاحتجاج ٤ أي دخل عليه
 واثباً عن سورينيه ٥ أفرعه ٦ كدّرت

ذَلِكَ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّهُ أَمْسَكَ عَنْهُ وَجَعَلَ السَّارِقُ يَتَرَدَّدُ وَطَالَ
 تَرَدُّدُهُ فِي جَمْعِهِ مَا يَجِدُهُ . فَغَلَبَ الرَّجُلُ النَّعَاسُ فَنَامَ وَفَرَغَ
 اللَّصُّ مِمَّا أَرَادَ وَأَمْكَنَهُ الذَّهَابُ وَاسْتَيْقِظَ الرَّجُلُ فَوَجَدَ اللَّصَّ
 قَدْ أَخَذَ الْمَتَاعَ ^(١) . فَفَازَ بِهِ . فَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يَلُومُهَا وَعَرَفَ
 أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ بِاللَّصِّ إِذْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ فِي أَمْرِهِ مَا يَجِبُ
 وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ الْعِلْمَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْعَمَلِ وَإِنَّ الْعِلْمَ كَالشَّجَرَةِ
 وَالْعَمَلَ بِهِ كَالثَّمَرَةِ . وَإِنَّمَا صَاحِبُ الْعِلْمِ يَقُومُ بِالْعَمَلِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ
 وَإِنْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ مَا يَعْلَمُ فَلَيْسَ يُسَمَّى عَالِمًا . وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا
 كَانَ عَالِمًا بِطَرِيقِ مَخُوفٍ ثُمَّ سَلَكَهُ عَلَى عِلْمٍ بِهِ سُمِّيَ جَاهِلًا .
 وَلَعَلَّهُ إِنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ وَجَدَهَا قَدْ رَكِبَتْ أَهْوَاءَ ^(٢) هَجَمَتْ
 بِهَا فِيمَا هُوَ أَعْرَفُ بِضَرَرِهَا فِيهِ وَأَذَاهَا . وَمَنْ رَكِبَ ^(٣) هَوَاهُ
 وَرَفَضَ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا جَرَّبَهُ هُوَ أَوْ أَعْلَمَهُ بِهِ غَيْرُهُ كَانَ
 كَالْمَرِيضِ الْعَالِمِ بِرَدِيءِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَجِدِّهِ وَخَفِيفِهِ
 وَثَقِيلِهِ ثُمَّ يَحْمِلُهُ الشَّرَّ ^(٤) عَلَى أَكْلِ رَدِيئِهِ وَتَرْكِ مَا هُوَ
 أَقْرَبُ إِلَى النَّجَاةِ وَالتَّخَلُّصِ مِنْ عِلَّتِهِ . وَأَقْلُ النَّاسِ عُذْرًا فِي

١ واحد الامتعة ٢ جمع هوى وهو ميل النفس ٣ أي اتبع ٤ شدة الحرص على الطعام

اجْتَنَابِ مَحْمُودِ الْأَفْعَالِ وَأَزْتِكَابِ مَذْمُومِهَا مَنْ أَبْصَرَ ذَلِكَ
 وَمَيَّزَهُ وَعَرَفَ فَضْلَ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ . كَمَا أَنَّهُ لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ
 أَحَدُهُمَا بَصِيرٌ وَالْآخَرُ أَعْمَى سَاقَمَا الْأَجَلَ ^(١) إِلَى حُقْرَةٍ
 فَوْقَهَا فِيهَا كَنَانٌ إِذَا صَارَا فِي قَعْرِهَا بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ . غَيْرَ أَنَّ
 الْبَصِيرَ أَقْلٌ عُدْرًا عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الضَّرِيرِ إِذَا كَانَتْ لَهُ
 عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَذَاكَ بِمَا صَارَ ^(٢) إِلَيْهِ جَاهِلٌ غَيْرُ عَارِفٍ *
 وَعَلَى الْعَالِمِ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ وَيُؤَدِّبَهَا بِعِلْمِهِ وَلَا تَكُونَ غَايَتُهُ
 اقْتِنَاءُ الْعِلْمِ لِمُعَاوَنَةِ غَيْرِهِ وَنَفْعِهِ بِهِ وَحِرْمَانِ نَفْسِهِ مِنْهُ .
 وَيَكُونُ كَالْعَيْنِ الَّتِي يَشْرَبُ النَّاسُ مَاءَهَا وَلَيْسَ لَهَا فِي ذَلِكَ
 شَيْءٌ مِنَ الْمَنْفَعَةِ . وَكَدُودَةُ الْقَرْيَةِ الَّتِي تُحْكِمُ صَنْعَتَهُ وَلَا تَنْتَفِعُ
 بِهِ . فَيَنْبَغِي لِمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَبْدَأَ بِعِظَةِ نَفْسِهِ وَيَتَعَدَّهَا ^(٣)
 بِرِيَاضَتِهَا ثُمَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَقْبِسَهُ ^(٤) . فَإِنَّ خِلَالَ ^(٥)
 يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الدُّنْيَا أَنْ يَقْتَنِيَهَا وَيَقْبِسَهَا . مِنْهَا الْعِلْمُ وَالْمَالُ
 وَمِنْهَا اتِّخَاذُ الْمَعْرُوفِ ^(٦) . وَلَيْسَ لِلْعَالِمِ أَنْ يَعِيبَ أَمْرًا بِشَيْءٍ
 فِيهِ مِثْلُهُ وَيَكُونُ كَالْأَعْمَى الَّذِي يُعِيرُ الْأَعْمَى بِعَمَاهُ . وَيَنْبَغِي

١ اي انقضاء العمر ٢ انتهى ووصل ٣ وعظ ٤ يتفقد ٥ يستفيد

٦ اي امورا ٧ اصطناعه مع الناس

لِمَنْ طَلَبَ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهِ غَايَةٌ ^(١) وَنَهَايَةٌ يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا
وَيَقِفُ عِنْدَهَا وَلَا يَتِمَادَى ^(٢) فِي الطَّلَبِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ مَنْ سَارَ
إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ فَيُوشِكُ أَنْ تَنْقَطِعَ ^(٣) بِهِ مَطِيلَتُهُ ^(٤) وَإِنَّهُ كَانَ
حَقِيقًا إِلَّا ^(٥) يَعْنِي نَفْسُهُ ^(٦) فِي طَلَبِ مَا لَا حَدَّ لَهُ وَمَا لَمْ يَنْلَهُ
أَحَدٌ قَبْلَهُ . وَلَا يَتَأَسَفَ عَلَيْهِ وَلَا يَكُونُ لِدُنْيَاهُ مُؤَثِّرًا ^(٧) عَلَى آخِرَتِهِ .
فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَعْلُقْ قَلْبَهُ بِالْغَايَاتِ ^(٨) قَلَّتْ حَسْرَتُهُ عِنْدَ مُفَارَقَتِهَا *
وَقَدْ يُقَالُ فِي أَمْرَيْنِ إِنَّهُمَا يَجْمَلَانِ ^(٩) بِكُلِّ أَحَدٍ . أَحَدُهُمَا
الْأَنْسُكُ وَالْآخَرُ الْمَالُ الْحَلَالُ . وَقَدْ يُقَالُ فِي أَمْرَيْنِ إِنَّهُمَا لَا
يَجْمَلَانِ بِأَحَدٍ . أَلَمَلِكُ أَنْ يُشَارَكَ فِي مَلِكِهِ وَالرَّجُلُ أَنْ
يُشَارَكَ فِي خَاصَّتِهِ ^(١٠) . وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَقْنَطَ ^(١١) وَيَأْسَ ^(١٢)
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ فِيمَا لَا يَنْالُهُ فَرُبَّمَا سَاقَ الْقَدَرُ ^(١٣) لَهُ رِزْقًا
هَيْنًا وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهُ لَا يَدْرِي بِهِ وَلَا يَعْلَمُ وَجْهَهُ

وَمِنْ أَمْثَالِ هَذَا أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِهِ فَاقَةٌ وَجُوعٌ وَعُرْيٌ
فَأَلْجَأَهُ ^(١٤) ذَلِكَ إِلَى أَنْ سَأَلَ بَعْضَ أَقَارِبِهِ وَأَصْدِقَائِهِ فَلَمْ يَكُنْ

١ أحد ٢ يلج ويدوم ٣ نعيم عن السير ٤ دابة ٥ أن لا ٦ يتعب
٧ مفضلاً ٨ المطالب ٩ يحسن ١٠ ما يختص به ١١ يقطع المال
١٢ بمعنى يقنط ١٣ قضاء الله ١٤ اضطره ودفعه

عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ يَعُوذُ بِهِ عَلَيْهِ^(١) . فَيَنِمَّا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَنْزِلِهِ إِذْ بَصُرَ بِسَارِقٍ^(٢) فِي الْمَنْزِلِ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ وَاللَّهِ مَا فِي مَنْزِلِي شَيْءٌ أَخَافُ عَلَيْهِ فَلْيَجْهَدْ السَّارِقُ جُهْدَهُ^(٣) . فَيَنِمَّا السَّارِقُ يُجُولُ إِذْ وَقَعَتْ يَدُهُ عَلَى خَابِيَةٍ فِيهَا حِنْطَةٌ فَقَالَ السَّارِقُ وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ عَنَّا يَ اللَّيْلَةُ بَاطِلًا وَلَعَلِّي لَا أَصِلُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ . وَلَكِنْ سَأَحْمِلُ هَذِهِ الْحِنْطَةَ خَيْرٌ مِنَ الرُّجُوعِ بِغَيْرِ شَيْءٍ . ثُمَّ بَسَطَ رِدَاءَهُ^(٤) لِيَصُبَّ عَلَيْهِ الْحِنْطَةَ فَقَالَ الرَّجُلُ يَذْهَبُ هَذَا بِالْحِنْطَةِ وَلَيْسَ وَرَأْيِي سِوَاهَا فَيَجْتَمِعُ عَلَيَّ مَعَ الْعُرْيِ ذَهَابُ مَا كُنْتُ أَقْتَاتُ بِهِ وَمَا تَجْتَمِعُ وَاللَّهِ هَاتَانِ الْخُلْتَانِ^(٥) عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَهْلَكَتَاهُ . ثُمَّ صَاحَ بِالسَّارِقِ وَوَثَبَ إِلَيْهِ بِهَرَاوَةِ^(٦) كَانَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ فَلَمَّ يَكُنْ لِلْسَّارِقِ حِيلَةٌ إِلَّا الْهَرَبُ مِنْهُ وَتَرَكَ رِدَاءَهُ وَنَجَا بِنَفْسِهِ وَغَدَا الرَّجُلُ بِهِ كَاسِيًا^(٧)

وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَرْكَنَ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْمِثْلِ فَيَتَكَلَّفَ عَلَيْهِ وَيَدْعَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ السَّعْيِ وَالْعَمَلِ لِصَلَاحِ مَعَاشِهِ . بَلْ أَنْ لَا يَأْلُو جَهْدًا^(٨) فِي الطَّلَبِ عَلَى قَدَرِ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَى

ازيادة عن عوز ٢ اي يذو ويوسعه به ٣ لحة ٤ طاقته واستطاعته

٥ ثوب يلبس فوق الثياب ٦ الخلة النفر والحاجة ٧ عصا ضخمة ٨ مكسباً

٩ اي لا يقصر في المجهود وهو التعب والمشقة

مَنْ تَوَاتِيهِ ^(١) الْمَقَادِيرُ وَتُسَاعِدُهُ عَلَى غَيْرِ التَّمَسُّكِ مِنْهُ وَلَا حَرَكَةٍ
 لِأَنَّ أَوَّلِكَ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ. وَإِنَّمَا الْجُمْهُورُ مِنْهُمْ مَنْ يَجْهَدُ
 نَفْسَهُ فِي الْكَدِّ وَالسَّعْيِ فِيمَا يُصْلِحُ مِنْ أَمْرِهِ وَيَنَالُ بِهِ مَا يَرِيدُ*
 وَيَتَعَرَّضُ أَنْ يَكُونَ مَكْسَبُهُ مِنْ أَطْيَبِ الْمَكْسَبِ وَأَفْضَلِهَا وَأَنْفَعِهَا
 لَهُ وَلِغَيْرِهِ مَعًا، أَمْكَنَ. وَلَا يَتَعَرَّضُ لِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْعَنَاءُ وَالشَّقَاءُ
 وَمَا يُعْقِبُهُ الْهَمُّ وَالْغَمُّ وَلِيَحْذَرَ أَنْ يُعَاوِدَ مَا أَصَابَهُ مِنْهُ الضَّرَرُ.
 وَيَنْبَغِي لَهُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَحْذَرَ مِمَّا يُصِيبُ غَيْرَهُ مِنَ الضَّرَرِ لِئَلَّا
 يُصِيبَهُ مِثْلُهُ. فَيَكُونُ كَالْحَمَامَةِ الَّتِي تُفْرِخُ الْفِرَاحَ فَتُؤْخَذُ وَتُذَبِّحُ
 ثُمَّ لَا يَمْنَعُهَا ذَلِكَ مِنْ أَنْ تَعُودَ فَتُفْرِخَ مَوْضِعَهَا وَتُقِيمَ بِمَكَانِهَا
 فَتُؤْخَذَ الثَّانِيَةَ مِنْ فِرَاحِهَا فَتُذَبِّحُ حَتَّى تُؤْخَذَ هِيَ أَيْضًا فَتُذَبِّحَ
 وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدًّا يُوقِفُ عَلَيْهِ.
 وَمَنْ تَجَاوَزَ فِي الْأَشْيَاءِ حُدَّهَا أَوْشَكَ أَنْ يَلْحَقَهُ التَّقْصِيرُ عَنْ
 بُلُوغِهَا. وَالتَّجَاوُزُ الْحَدَّ وَالْمُقَصِّرُ عَنْهُ سَيَّانٌ ^(٢) بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ
 لِأَنَّ كِلَيْهِمَا زَانِعٌ عَنْهُ فِي الْحَالَيْنِ جَمِيعًا* وَيُقَالُ مَنْ كَانَ سَعْيُهُ
 لِآخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ فِحْيَانُهُ لَهُ وَعَلَيْهِ. وَمَنْ كَانَ سَعْيُهُ لِدُنْيَاهُ خَاصَّةً

فَحَيَاتُهُ عَلَيْهِ وَمَنْ كَانَ سَعْيُهُ لِآخِرَتِهِ فَحَيَاتُهُ لَهُ * وَيُقَالُ فِي أَشْيَاءَ
يَجِبُ عَلَى صَاحِبِ الدُّنْيَا إِصْلَاحُهَا وَبَذْلُ جُودِهَا فِيهَا . مِنْهَا
أَمْرُ دِينِهِ . وَمِنْهَا أَمْرُ مَعِيشَتِهِ . وَمِنْهَا مَا يَنْتَهِي وَبَيْنَ النَّاسِ .
وَمِنْهَا مَا يَكْسِبُهُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ بَعْدَهُ * وَقَدْ قِيلَ فِي أُمُورٍ مِنْ
كُنْ فِيهِ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ عَمَلٌ . مِنْهَا التَّوَانِي ^(١) . وَمِنْهَا تَضْيِيعُ
الْفُرْصِ . وَمِنْهَا التَّصَدِيقُ لِكُلِّ مُخْبِرٍ . وَمِنْهَا التَّكْذِيبُ لِكُلِّ
عَارِفٍ * وَرُبَّ مُخْبِرٍ بَشِيٍّ عَقْلُهُ ^(٢) وَلَا يَعْرِفُ اسْتِقَامَتَهُ فَيُصَدِّقُهُ .
وَالَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنَ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ . رَجُلٌ يُصَدِّقُ بِمَا جَرَّبَهُ
غَيْرُهُ وَصَدَقَهُ فَيُصَدِّقُهُ هُوَ وَيَتِمَادَى فِي التَّصَدِيقِ حَتَّى كَانَا جَرَّبَهُ
بِنَفْسِهِ . وَرَجُلٌ يُصَدِّقُ بِالْأُمُورِ الَّتِي جَرَّبَهَا وَلَكِنْ عَنْ غَيْرِ
عِلْمٍ بِحَقِيقَتِهَا . وَرَجُلٌ تَلَبَّسَ عَلَيْهِ الْأُمُورُ فَيُصَدِّقُ بِهَا * وَيَنْبَغِي
لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لِهَوَاهُ مَتَبًّا ^(٣) وَلَا يَقْبَلُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ حَدِيثًا
وَلَا يَتِمَادَى فِي الْخَطَا إِذَا التَّبَسَّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَلَا يَلْجَأُ فِي شَيْءٍ
مِنْهُ وَلَا يَقْدِمَ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الصَّوَابُ فِيهِ وَتَسْتَوْضَحَ ^(٤)
لَهُ الْحَقِيقَةُ . وَلَا يَكُونَ كَالرَّجُلِ الَّذِي يَزِنُ عَنْ الطَّرِيقِ فَيَسْتَمِيرُ

١ التفتيش والنور في العمل ٢ ادركه بعقله ٣ شاككا في صدقه ٤ تنضح

عَلَى الضَّلَالِ فَلَا يَزْدَادُ فِي السَّيْرِ جَهْدًا إِلَّا أَرْدَادَ عَنِ الْقَصْدِ
 بَعْدًا . وَكَأَنَّ رَجُلًا الَّذِي تَقْدَى عَلَيْهِ ^(١) فَلَا يَزَالُ يَحْكُمُهَا حَتَّى
 رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَلْحَكُ سَبَبًا فِي ذَهَابِهَا * وَيَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ
 يُصَدِّقَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَيَعْلَمَ أَنَّ مَا كُتِبَ سَوْفَ يَكُونُ
 وَأَنَّ مَنْ أَتَى صَاحِبَهُ بِمَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ فَقَدْ ظَلَمَ . وَيَأْخُذُ
 بِالْحَزْمِ فِي أُمُورِهِ وَيَجِبُ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُمْ
 مَا يَكْرَهُ لَهَا فَلَا يَطْلُبُ أَمْرًا فِيهِ مَضَرَّةٌ لغيرِهِ طَلَبًا لِصَلَاحِ نَفْسِهِ
 بِفَسَادِ غَيْرِهِ فَإِنَّ كُلَّ غَادِرٍ مَأْخُوذٌ

وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ خَلِيقًا أَنْ يُصِيبَهُ مَا أَصَابَ التَّاجِرَ
 مِنْ رَفِيقِهِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ تاجرٌ وَكَانَ لَهُ شَرِيكٌ .
 فَاسْتَأْجَرَا حَانُوتًا ^(٢) وَجَعَلَا مَتَاعَهُمَا ^(٣) فِيهِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَرِيبَ
 الْمَنْزِلِ مِنَ الْحَانُوتِ فَأَضْمَرَ ^(٤) فِي نَفْسِهِ أَنْ يَسْرِقَ عِدْلًا ^(٥) مِنْ
 أَعْدَالِ رَفِيقِهِ وَمَكَرَ الْحِيلَةَ ^(٦) فِي ذَلِكَ وَقَالَ إِنَّ أَنَا أَتَيْتُ لَيْلًا لَمْ
 أَمِنْ أَنْ أَحْمِلَ عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِي أَوْ رِزْمَةً مِنْ رِزْمِي وَلَا أَعْرِفُهَا
 فَيَذْهَبَ عَنَّا وَيَتَعَبِي بَاطِلًا . فَأَخَذَ رِدَاءَهُ ^(٧) وَأَلْقَاهُ عَلَى الْعِدْلِ

١ بصيها فذى من غبار ونحوه ٢ دكانا ٣ اي بضاعتها ٤ نوى
 ٥ الكيس الكبير فيو البضاعة ٦ اي اضمرها بالمكر ٧ ثوبه الذي فوق ثيابه

الَّذِي أَضْمَرَ أَخْذَهُ ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ . وَجَاءَ رَفِيقُهُ بَعْدَ
 ذَلِكَ لِيُصْلِحَ أَعْدَالَهُ فَقَالَ وَاللَّهِ هَذَا رِذَاءٌ صَاحِبِي وَلَا أَحْسِبُهُ
 إِلَّا قَدْ نَسِيَهُ . وَمَا الرَّأْيُ أَنْ أَدْعَهُ هُنَا وَلَكِنْ أَجْعَلُهُ عَلَى
 رِزْمِهِ فَلَعَلَّهُ يَسْتَبْقِيَنِي إِلَى الْخَانُوتِ فَيَجِدُهُ حَيْثُ يُحِبُّ . ثُمَّ أَخَذَ
 الرِّذَاءَ فَأَتَقَاهُ عَلَى عِدْلِ مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ وَأَقْفَلَ الْخَانُوتَ
 وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ . فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ أَتَى رَفِيقُهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ قَدْ
 وَاطَّاهُ^(١) عَلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ وَضَمَّنَ لَهُ جُعْلًا^(٢) عَلَى حِمْلِهِ فَصَارَ
 إِلَى الْخَانُوتِ فَتَحَسَّسَ^(٣) الرِّذَاءَ فِي الظُّلْمَةِ وَتَلَمَّسَهُ^(٤) فَوَجَدَهُ
 عَلَى الْعِدْلِ فَأَحْمَلَ ذَلِكَ الْعِدْلَ وَأَخْرَجَهُ هُوَ وَالرَّجُلُ وَجَعَلَا
 يَتَرَاوِحَانِ فِي حِمْلِهِ^(٥) حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ وَرَمَى نَفْسَهُ تَعْبًا . فَلَمَّا أَصْبَحَ
 أَفْتَقَدَهُ فَإِذَا هُوَ بَعْضُ أَعْدَالِهِ فَنَدِمَ أَشَدَّ النَّدَامَةِ ثُمَّ انْطَلَقَ نَحْوَ
 الْخَانُوتِ فَوَجَدَ شَرِيكَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ فَفَتَحَ الْخَانُوتَ وَفَقَدَ الْعِدْلَ
 فَأَغْتَمَ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا وَقَالَ وَاسَوْءًا^(٦) مِنْ رَفِيقِي صَالِحٍ قَدْ
 أَتَمَّنَنِي عَلَى مَالِهِ وَخَلَفَنِي^(٧) فِيهِ مَاذَا يَكُونُ حَالِي عِنْدَهُ . وَلَسْتُ
 أَشْكُ فِي تَهْمَتِهِ إِيَّايَ وَلَكِنْ قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي^(٨) عَلَى غَرَامَتِهِ^(٩) . فَلَمَّا

١ وافقه ٢ اجرة ٣ تطلبة بالحس ٤ تطلبة بالفس ٥ بحمله هذا مرة
 وهذا مرة ٦ السوء الامر الفجع يريدوا تخلفنا اي استخلفني ٨ اي صممت اي تعوبضو عليه

أَتَاهُ صَاحِبُهُ وَجَدَهُ مُغْتَمًّا فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ إِنِّي قَدْ أَفْتَقَدْتُ
 الْأَعْدَالَ وَفَقَدْتُ عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِكَ وَلَا أَعْلَمُ بِسَبَبِهِ وَإِنِّي
 لَا أَشْكُ فِي تَهْمَتِكَ إِيَّايَ وَإِنِّي قَدْ وَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ .
 فَقَالَ لَهُ يَا أَخِي لَا تَغْتَمَنَّ فَإِنَّ الْخِيَانَةَ شَرُّ مَا عَمِلَهُ الْإِنْسَانُ وَالْمَكْرُ
 وَالْخُدَيْعَةُ لَا يُؤَدِّيَانِ إِلَى خَيْرٍ وَصَاحِبُهُمَا مَغْرُورٌ أَبَدًا وَمَا عَادَ
 وَبَالَ ^(١) الْبَغْيِ ^(٢) إِلَّا عَلَى صَاحِبِهِ . وَأَنَا أَحَدُ مَنْ مَكَّرَ وَخَدَعَ
 وَأَحْثَلَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ . فَأَخْبَرَهُ بِخَبْرِهِ
 وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ . فَقَالَ لَهُ رَفِيقُهُ مَا مَثَلُكَ إِلَّا مَثَلُ اللَّصِّ وَالتَّاجِرِ
 فَقَالَ لَهُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ زَعَمُوا أَنَّ تَاجِرًا كَانَ لَهُ فِي مَنْزِلِهِ خَائِيتَانِ أَحَدَاهُمَا
 مَمْلُوءَةٌ حِنْطَةً وَالْأُخْرَى مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا . فَتَرَقَّبَهُ بَعْضُ اللَّصُوصِ
 زَمَانًا حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْضُ الْأَيَّامِ تَشَاغَلَ التَّاجِرُ عَنِ الْمَنْزِلِ
 فَتَغَفَّلَهُ ^(٣) اللَّصُّ وَدَخَلَ الْمَنْزِلَ وَكَمَنَ فِي بَعْضِ نَوَاحِيهِ . فَلَمَّا هَمَّ
 بِأَخْذِ الْخَائِيَةِ الَّتِي فِيهَا الدَّنَانِيرُ أَخَذَ الَّتِي فِيهَا الْحِنْطَةُ وَظَنَهَا الَّتِي
 فِيهَا الذَّهَبُ . وَلَمْ يَزَلْ فِي كَدٍّ وَتَعَبٍ حَتَّى أَتَى بِهَا مَنْزِلَهُ فَلَمَّا فَتَحَهَا

وَعَلِمَ مَا فِيهَا نَدِمَ

قَالَ لَهُ الْخَائِنُ مَا أَبَدْتَ الْمَثَلَ وَلَا تَجَاوَزْتَ الْقِيَاسَ وَقَدْ
اعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي وَخَطَايَايَ عَلَيْكَ وَعَزِيزٌ^(١) عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا
كَهَذَا غَيْرَ أَنَّ النَّفْسَ الرَّدِيئَةَ تَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ^(٢) . فَقَبِلَ الرَّجُلُ
مَعْذَرَتَهُ وَأَضْرَبَ^(٣) عَنْ تَوْبِيخِهِ وَعَنِ الثَّقَةِ بِهِ وَنَدِمَ هُوَ عِنْدَ مَا
عَايَنَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ وَتَقْدِيمِ جَهْلِهِ^(٤)

وَقَدْ يَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي كِتَابِنَا هَذَا أَنْ لَا تَكُونَ غَايَتُهُ التَّصَحُّحُ
لِتَزَاوِيْقِهِ^(٥) بَلْ يُشْرِفَ عَلَى مَا يَتَضَمَّنُ مِنَ الْأَمْثَالِ حَتَّى يَأْتِيَ
عَلَيْهِ^(٦) إِلَى آخِرِهِ وَيَقِفَ عِنْدَ كُلِّ مَثَلٍ وَكَلِمَةٍ وَيُعْمَلَ فِيهَا
رَوِيَّتُهُ وَيَكُونَ مِثْلُ ثَالِثِ الْأَخَوَةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفَ لَهُمْ
أَبُوهُمْ أَلْمَالُ الْكَثِيرَ فَتَنَازَعُوهُ^(٧) بَيْنَهُمْ . فَأَمَّا الْإِثْنَانِ الْكَبِيرَانِ
فَإِنَّهُمَا أَسْرَعَا فِي إِتْلَافِهِ وَإِنْفَاقِهِ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ . وَأَمَّا الصَّغِيرُ
فَإِنَّهُ عِنْدَمَا نَظَرَ مَا صَارَ إِلَيْهِ أَخَوَاهُ مِنْ إِسْرَافِهِمَا^(٨) وَتَحْلِيهِمَا^(٩)
مِنَ الْمَالِ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يُشَاوِرُهَا وَقَالَ يَا نَفْسُ إِنَّمَا الْمَالُ يَطْلُبُهُ

١ البصع ٢ القبيح من الذنوب ٣ عرض ٤ ما قدم منه ٥ أي النظر
فيها وذلك لأنه كان في أصله مشتملاً على صور أشخاص الحوادث التي فيه ٦ ينم
٧ أي نقاسم ٨ تبذرها ٩ تفرغها

صَاحِبُهُ وَيَجْمَعُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ لِبَقَاءِ حَالِهِ وَصَلَاحِ مَعَاشِهِ وَدُنْيَاهُ
 وَشَرَفِ مَنْزِلَتِهِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَأَسْتِغْنَاءِهِ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ وَصَرَفِهِ
 فِي وَجْهِهِ مِنْ صِلَةِ الرَّحِيمِ ^(١) وَالْإِنْفَاقِ عَلَى الْوَلَدِ وَالْإِفْضَالِ
 عَلَى الْإِخْوَانِ * فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ وَلَا يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي
 يَبْدُو فَقِيرًا وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا ^(٢) . وَإِنْ هُوَ أَحْسَنَ إِمْسَاكِهِ ^(٣)
 وَأَقْلَامَ عَلَيْهِ ^(٤) لَمْ يَعْدَمْ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا مِنْ دُنْيَا تَبْقَى عَلَيْهِ
 وَحَمْدٌ يُضَافُ إِلَيْهِ . وَمَتَى قَصَدَ إِتْفَاقَهُ عَلَى غَيْرِ الْوُجُوهِ الَّتِي
 حَدَّثَ ^(٥) لَمْ يَلْبَثْ ^(٦) أَنْ يُتْلَفَهُ وَيَبْقَى عَلَى حَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ . وَلَكِنْ
 الرَّأْيُ أَنْ أُمْسِكَ هَذَا الْمَالَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنِي اللَّهُ بِهِ
 وَيُغْنِيَ إِخْوَتِي عَلَى يَدَيَّ فَإِنَّمَا هُوَ مَالُ أَبِي وَمَالُ أَيْيَمَاهُ . وَإِنْ
 أَوْلَى الْإِنْفَاقِ عَلَى صِلَةِ الرَّحِيمِ وَإِنْ بَعْدَتْ فَكَيْفَ بِإِخْوَتِي .
 فَأَنْفَذَ فَأَحْضَرَهَا وَشَاطَرَهَا مَالَهُ ^(٧)

وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى قَارِئِ هَذَا الْكِتَابِ أَنْ يُدِيمَ النَّظَرَ
 فِيهِ مِنْ غَيْرِ ضَجَرٍ وَيَلْتَمِسَ جَوَاهِرَ مَعَانِيهِ وَلَا يَظُنَّ أَنْ تَسْتَجِبَهُ إِنَّمَا
 هِيَ الْإِخْبَارُ عَنْ حِيلَةٍ بِهَيْمَتَيْنِ أَوْ مُحَاوَرَةٍ سَبْعٍ لِتَوْرِيقِ نَصْرِفِ

١ القرابة ٢ غنى ٣ ضبطه ٤ أي تديره ٥ أي رُسُمت وفرضت

٦ يبطي ٧ أعطاهما شطرة أي نصفه

بِذَلِكَ عَنِ الْفَرَضِ الْمَقْصُودِ وَيَكُونُ مَثَلُهُ مَثَلُ الصَّيَّادِ الَّذِي
 كَانَ فِي بَعْضِ الْخُلُجِ ^(١) يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ فِي زَوْرَقٍ . فَرَأَى
 ذَاتَ يَوْمٍ فِي عَفِيقِ الْمَاءِ صَدْفَةً تَتَلَأُلُ حُسْنًا فَتَوَهَّمَا جَوْهَرًا
 لَهُ قِيمَةٌ . وَكَانَ قَدْ أَلْقَى شَبَكَّتَهُ فِي الْبَحْرِ فَأَشْمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ
 كَانَتْ قُوَّتَ يَوْمِهِ فَحَلَّاهَا وَقَذَفَ ^(٢) نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ لِيَأْخُذَ الصَّدْفَةَ .
 فَلَمَّا أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً لَا شَيْءَ فِيهَا مِمَّا ظَنَّ . فَتَدِمَّ عَلَى تَرْكِ
 مَا فِي يَدِهِ لِلطَّمَعِ . وَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي
 نَحَى ^(٣) عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَأَلْقَى شَبَكَّتَهُ فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا
 وَرَأَى أَيْضًا صَدْفَةً سَنِيَةً ^(٤) فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا .
 وَاجْتَاَزَ ^(٥) بِهَا بَعْضُ الصَّيَّادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالَ
 وَكَذَلِكَ الْجُهَالُ عَلَى إِغْفَالٍ أَمْرُ التَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ
 وَالْإِغْتِرَارُ بِهِ وَتَرْكُ الْوُقُوفِ عَلَى أَسْرَارِ مَعَانِيهِ وَالْأَخْذُ بِظَاهِرِهِ ^(٦)
 دُونَ الْأَخْذِ بِبَاطِنِهِ . وَمَنْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى النُّظَرِ فِي أَبْوَابِ
 الْهَزْلِ مِنْهُ فَهُوَ كَرَجُلٍ أَصَابَ أَرْضًا طَيِّبَةً حَرَّةً ^(٧) وَحَبًّا
 صَحِيحًا فَرَزَعَهَا وَسَقَاها حَتَّى إِذَا قَرَّبَ خَيْرُهَا تَشَاغَلَ عَنْهَا

١ جمع خلج ٢ مسيل ٣ رى ٤ اعتزل ٥ اي كريمة

٦ مر ٧ اي الاعتماد عليه ٨ لا رمل فيها

يَجْمَعُ مَا فِيهَا مِنَ الزَّهْرِ وَقَطَعَ الشَّوْكَ فَأَهْلَكَ بِتَشَاغُلِهِ مَا كَانَ
 أَحْسَنَ فَائِدَةً وَأَجْمَلَ عَائِدَةً^(١) * وَيَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي هَذَا لِكِتَابِ
 أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَغْرَاضٍ . أَحَدُهَا مَا قُصِدَ فِيهِ
 إِلَى وَضْعِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبَهَائِمِ غَيْرِ النَّاطِقَةِ مِنْ مُسَارَعَةِ أَهْلِ
 الْهَزْلِ مِنَ الشَّبَّانِ إِلَى قِرَاءَتِهِ فَتُسْتَمَالُ بِهِ قُلُوبُهُمْ لِأَنَّ هَذَا
 هُوَ الْغَرَضُ بِالْبَوَادِرِ مِنْ حِيلِ الْحَيَوَانَاتِ . وَالثَّانِي إِظْهَارُ خَيَالَاتِ
 الْحَيَوَانَاتِ بِصُنُوفِ الْأَصْبَاغِ وَالْأَلْوَانِ لِيَكُونَ أُنْسًا لِقُلُوبِ
 الْمُلُوكِ وَيَكُونَ حِرْصُهُمْ عَلَيْهِ أَشَدَّ لِلزُّهَةِ فِي تِلْكَ الصُّورِ .^(٢)
 وَالثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فَيَتَّخِذُهُ الْمُلُوكُ وَالسُّوقَةُ^(٣)
 فَيَكْثُرَ بِذَلِكَ انْتِسَاخُهُ وَلَا يَبْطُلَ فَيَخْلُقَ عَلَى مَرُورِ الْأَيَّامِ .
 وَلِيَتَفَعَّلَ بِذَلِكَ الْمَصُورُ وَالنَّاسِخُ أَبَدًا . وَالْغَرَضُ الرَّابِعُ وَهُوَ
 الْأَقْصَى مَخْصُوصٌ بِالْفِيلَسُوفِ خَاصَّةً

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ لَمَّا رَأَيْتُ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ
 فَسَرُوا هَذَا الْكِتَابَ مِنَ الْهِنْدِيَّةِ إِلَى الْفَارِسِيَّةِ وَالْحَقُّوْا بِهِ
 أَبَا وَهُوَ بَابُ بَرْزَوِيهِ الطَّيِّبِ وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ مَا ذَكَرْنَا

١ منفعة ٢ لانه كان ذا صورٍ كما مرَّ ٣ الرعية وقد مرَّ

فِي هَذَا أَلْبَابٍ لِمَنْ أَرَادَ قِرَاءَتَهُ وَاقْتِبَاسَ عُلُومِهِ وَفَوَائِدِهِ
وَضَعْنَا لَهُ هَذَا أَلْبَابَ فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ تَرَشُّدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

بَابُ

بَرْزَوِيهِ

لِبَرْزَجُمَهْرَ بْنِ الْبَغْتِكَا

قَالَ بَرْزَوِيهِ بْنُ أَزْهَرَ رَأْسُ أَطِبَّاءِ فَارِسَ وَهُوَ الَّذِي
تَوَلَّى انْتِسَاخَ هَذَا الْكِتَابِ وَتَرْجَمَهُ مِنْ كُتُبِ الْهِنْدِ وَقَدْ مَضَى
ذِكْرُ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ * إِنْ أَبَى كَانَتْ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ ^(١) وَكَانَتْ أُمِّي مِنْ
عُظَمَاءِ يَبُوتِ الزَّمَانَةِ ^(٢) وَكَانَ مَنُشَايَ فِي نَعْمَةٍ ^(٣) كَامِلَةٍ
وَكَانَتْ أَكْرَمَ وَلَدِ أَبِي عَلِيٍّ وَكَانَا بِي أَشَدَّ احْتِفَاطًا مِنْ
دُونِ إِخْوَتِي حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ سَبْعَ سِنِينَ أَسْلَمَانِي إِلَى الْمُؤَدِّبِ .
فَلَمَّا حَدَّثْتُ الْكِتَابَةَ ^(٤) شَكَرْتُ أَبِي وَنَظَرْتُ فِي الْعِلْمِ
فَكَانَ أَوَّلُ مَا ابْتَدَأْتُ بِهِ وَحَرَصْتُ عَلَيْهِ عِلْمَ الطِّبِّ لِأَنِّي
كُنْتُ عَرَفْتُ فَضْلَهُ . فَأَقَمْتُ فِي تَعْلَمِهِ سَبْعَ سِنِينَ وَكُلَّمَا
أَزْدَدْتُ مِنْهُ عِلْمًا أَزْدَدْتُ عَلَيْهِ حِرْصًا وَلَهُ أَتِبَاعًا حَتَّى أَحْطَتْ

١ اي المغاتلين ٢ طائفة معروفة عندهم ٣ نعم ٤ تعلمتها ومهرت فيها

مِنْهُ بِعِلْمٍ وَافِرٍ وَقَدَرْتُ عَلَى غَوَامِضِهِ . فَلَمَّا هَمَّتْ نَفْسِي بِمُدَاوَاةِ
 الْمَرَضَى وَعَزَمْتُ عَلَى ذَلِكَ أَمَرْتُهَا ^(١) ثُمَّ خَيْرْتُهَا بَيْنَ الْأُمُورِ
 الْأَرْبَعَةِ الَّتِي يَطْلُبُهَا النَّاسُ وَفِيهَا يَرْغَبُونَ وَلَهَا يَسْعَوْنَ . فَقُلْتُ
 أَيُّ هَذِهِ الْخِلَالِ أُبْتَغِي فِي عِلْمِي وَأَيُّهَا أُحَرِّى ^(٢) بِي فَأَدْرَكَ
 مِنْهُ حَاجَتِي . الْمَالُ أَمْ الذِّكْرُ أَمْ اللَّذَاتُ أَمْ الْآخِرَةُ .
 وَكُنْتُ وَجَدْتُ فِي كُتُبِ الطِّبِّ أَنَّ أَفْضَلَ الْأَطْيَاءِ مَنْ
 وَاطَبَ عَلَى طِبِّهِ لَا يَبْتَغِي إِلَّا أَجْرَ الْآخِرَةِ . فَرَأَيْتُ أَنَّ أَطْلُبَ
 الْأَشْتَغَالَ بِالطِّبِّ ابْتِغَاءَ الْآخِرَةِ وَرَجَاءَ أَجْرِ الْمُنْقَلَبِ ^(٣)
 لَا أُبْتَغِي مَكْفَاةَ الدُّنْيَا وَلَا تَعْجِيلَهَا . لِئَلَّا أَكُونَ كَالْتَّاجِرِ
 الَّذِي بَاعَ يَاقُوتَهُ ثَمِينَةً كَانَ يُصِيبُ بِثَمَنِهَا غِنَى الدَّهْرِ بِخَزَرَةٍ
 لَا تُسَاوِي شَيْئًا . مَعَ أَنِّي قَدْ وَجَدْتُ فِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ أَنَّ
 الَّذِي يَبْتَغِي بِطِبِّهِ أَجْرَ الْآخِرَةِ لَا يَنْقُصُهُ ذَلِكَ حَظَّهُ مِنْ
 الدُّنْيَا وَأَنَّ مِثْلَهُ مِثْلُ الزَّارِعِ الَّذِي يَبْذُرُ حَبَّهُ فِي الْأَرْضِ
 وَيَعْمُرُهَا ^(٤) ابْتِغَاءَ الزَّرْعِ لَا ابْتِغَاءَ الْعُشْبِ ثُمَّ هِيَ لَا مَحَالَةَ ^(٥)
 نَابَتْ فِيهَا الْوَنُ ^(٦) الْعُشْبِ مَعَ نَاصِرِ ^(٧) الزَّرْعِ . فَأَقْبَلْتُ عَلَى

١ شاورتها ٢ اولى ٣ اي العاقبة ٤ اي يصلحها ٥ لا بد ٦ انواع

٧ اي خصب

مُدَاوَاةُ الْمَرَضِ ابْتِغَاءَ أَجْرِ الْآخِرَةِ فَلَمْ أَدْعُ مَرِيضاً أَرْجُو لَهُ
الْبَرْءَ وَآخِرَ لَا أَرْجُو لَهُ ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي أَطْمَعُ أَنْ يَخِفَّ عَنْهُ
بَعْضُ الْمَرَضِ إِلَّا بِالْفَتْ فِي مُدَاوَاتِهِ جُهْدِي وَمَنْ قَدَرْتُ عَلَى
الْقِيَامِ عَلَيْهِ ^(١) قُمْتُ عَلَيْهِ بِنَفْسِي وَمَنْ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْقِيَامِ عَلَيْهِ
وَصَفْتُ لَهُ مَا يَصْلُحُ وَأَعْطَيْتُهُ مِنَ الدَّوَاءِ مَا يَتَعَالَجُ بِهِ وَأَمَرْتُهُ
بِالَّذِي يَنْبَغِي وَلَمْ أُرِدْ مِنْ فَلَنتُ مَعَهُ ذَلِكَ جَزَاءً وَلَا مَكْفَاءً.
وَلَمْ أَغْبِطْ أَحَدًا ^(٢) مِنْ نُظَرَائِي ^(٣) الَّذِينَ هُمْ مِثْلِي فِي الْعِلْمِ
وَلَا مَنْ هُمْ فَوْقِي فِي الْجَاهِ وَالْمَالِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا لَا يَعُودُ بِصَلَاحٍ
وَلَا حُسْنِ سِيرَةٍ قَوْلًا وَلَا عَمَلًا

وَلَمَّا كَانَتْ نَفْسِي تُتَوَقُّ ^(٤) إِلَى ذَلِكَ وَتُنَازِعُنِي ^(٥) فِي أَنْ
تَنَالَ مِثْلَ مَنْ أَلِهمُّ كُنْتُ آيِي ^(٦) لَهَا إِلَّا الْخُصُومَةَ ^(٧) وَأَقُولُ لَهَا
يَا نَفْسِ أَمَا تَعْرِفِينَ نَفْعَكَ مِنْ ضَرْكِ أَلَا تَتَّهِنِينَ عَنْ طَلَبِ مَا
لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ إِلَّا قَلَّ أَنْفَاعُهُ بِهِ وَكَثُرَ عَنَآؤُهُ فِيهِ وَأَشْتَدَّتْ
الْمُؤُونَةُ ^(٨) عَلَيْهِ وَعَظُمَتِ الْمَشَقَّةُ لَدَيْهِ بَعْدَ فِرَاقِهِ * يَا نَفْسِ أَمَا
تَذَكِّرِينَ مَا بَعْدَ هَذِهِ الدَّارِ فَيُنْسِيكَ مَا تَشْرَهِنَ إِلَيْهِ ^(٩) مِنْهَا.

١ ملازمته والقِيَامُ بِشأنه ٢ اتقى مثل حاله ٣ امثالي ٤ تشناق ٥ نجاديني
٦ لا اريد ٧ المخاصمة ٨ النفل والشدة ٩ اي نحرصين عليه حرصاً شديداً

أَلَا تَسْتَحِينَ مِنْ مُشَارَكَةِ الْفَجَّارِ فِي حُبِّ هَذِهِ الْعَاجِلَةِ الْفَانِيَةِ
الَّتِي مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَيْسَ لَهُ وَلَيْسَ يَبَاقُ عَلَيْهِ
فَلَا يَأْلُفُهَا إِلَّا الْمَغْرُورُونَ الْجَاهِلُونَ * يَا نَفْسِ انْظُرِي فِي
أَمْرِكَ وَانْصَرِي عَنْ هَذَا السَّفَةِ ^(١) وَأَقْبِلِي بِقُوَّتِكَ وَسَعْيِكَ عَلَى
تَقْدِيمِ الْخَيْرِ وَإِيَّاكَ وَالْتِسْوِيفِ ^(٢) . وَادْذَكِّرِي أَنَّ هَذَا الْجَسَدَ
مَوْجُودٌ لِإِفَاتٍ ^(٣) وَأَنَّهُ مَمْلُوءٌ أَخْلَاطًا فَاسِدَةً قَذِرَةً مُتَعَادِيَةً ^(٤)
مُتَغَالِبَةً تَعْقِدُهَا الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ إِلَى نَفَادٍ كَالصَّغْنِ الْمُفْصَلَةِ أَعْضَاؤُهُ
إِذَا رُكِبَتْ وَوُضِعَتْ جَمَعَهَا فِي مَوَاضِعِهَا مِسْمَارٌ وَاحِدٌ يُمَسِّكُ
بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَإِذَا أُخِذَ ذَلِكَ الْمِسْمَارُ تَسَاقَطَتْ تِلْكَ
الْأَوْصَالُ ^(٥) * يَا نَفْسِ لَا تَعْتَرِي بِصُحْبَةِ أَحْبَابِكَ وَخَلَانِكَ
وَلَا تَحْرِصِي عَلَى ذَلِكَ كُلِّ الْحَرَصِ فَإِنَّ صُحْبَتَهُمْ عَلَى مَا فِيهَا
مِنْ الْبُهْجَةِ وَالسُّرُورِ كَثِيرَةٌ الْمُؤُونَةُ وَالْأَذَى وَعَاقِبَةُ ذَلِكَ
الْفِرَاقُ . وَمِثْلُهَا مِثْلُ الْمَغْرِفَةِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي جِدَّتِهَا لِسُخُونَةِ
الْمَرْقِ وَلَذَعِهِ فَإِذَا قَدُمَتْ صَارَتْ وَقُودًا فِي النَّارِ * يَا نَفْسِ
لَا يَحْمِلَنَّكَ أَهْلُكَ وَأَقَارِبُكَ عَلَى جَمْعِ مَا تَهْلِكُ فِيهِ إِرَادَةً

١ الخنة والطيش ٢ المطل ٣ اعراض مفسدة ٤ بينها عداوة
٥ الاعضاء

صَلْتِهِمْ ^(١) فَإِذَا أَنْتِ كَأَلْدُخْنَةِ ^(٢) الْأَرَجَةِ ^(٣) الَّتِي تَحْتَرِقُ
وَيَذْهَبُ آخَرُونَ بِرِيحِهَا * يَا نَفْسِ لَا تَرْكَبِي إِلَى هَذِهِ الدَّارِ
الْفَانِيَةِ وَلَا تَعْتَرِي بِهَا طَمَعًا فِي الْبَقَاءِ وَالْمَنْزِلَةِ الَّتِي يَنْظُرُ إِلَيْهَا
أَهْلُهَا. فَكَأَيِّ ^(٤) مِمَّنْ لَا يُبْصِرُ صِغَرُ مَا يَسْتَعْظُمُ وَحَقَارَتُهُ حَتَّى
يُفَارِقَهُ كَشَعَرِ الرَّأْسِ الَّذِي يَخْدُمُهُ صَاحِبُهُ وَيُكْرِمُهُ مَا دَامَ عَلَى
رَأْسِهِ فَإِذَا فَارَقَ رَأْسَهُ اسْتَقْدَرَهُ ^(٥) وَرَقَضَهُ * يَا نَفْسِ لَا تَمْلِي
مِنْ عِبَادَةِ ^(٦) الْمَرْضَى وَمُدَاوَاتِهِمْ وَأَعْتَبِرِي كَيْفَ يَجْهَدُ الرَّجُلُ
أَنْ يُفَرِّجَ عَنْ مَضْمِيهِ وَاحِدٍ ^(٧) كُرْبَةً ^(٨) وَاحِدَةً وَيَسْتَنْقِذَهُ مِنْهَا
رَجَاءً الْأَجْرِ. فَكَيْفَ بِالطَّيِّبِ الَّذِي يَفْعَلُ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ
مَعَ كَثِيرِينَ. إِنْ هَذَا لِلْخَلِيقِ أَنْ يَعْظُمَ رَجَاؤُهُ وَيُوثِقَ مِنْهُ
بِحُسْنِ الثَّوَابِ * يَا نَفْسِ لَا يُبْعَدُ عَلَيْكَ أَمْرُ الْآخِرَةِ فَتَمِيلِي
إِلَى الْعَاجِلَةِ فِي اسْتِغْجَالٍ ^(٩) الْقَلِيلِ وَيَبِيعِ الْكَثِيرِ بِالْيَسِيرِ.
كَالتَّاجِرِ الَّذِي كَانَ لَهُ مِلٌّ يَنْتِ مِنَ الصَّنَدَلِ ^(١٠) فَقَالَ إِنْ
بَعْتُهُ وَزَنًا طَالَ عَلَيَّ فَبَاعَهُ جُزْأً ^(١١) بِأَبْخَسِ ^(١٢) الثَّمَنِ * وَقَدْ

١ اي الاحسان اليهم ٢ نوع من الطيب ٣ ذات الارج وهو طيب الرائحة

٤ فك ٥ وجده قدراً ٦ زبارة ٧ ذي ضم اي ظلم وجهه ٨ شدة

٩ طلب العجلة ١٠ حب طيب الرائحة ١١ بلا وزن ١٢ انقص

وَجَدْتُ آراءَ النَّاسِ مُخْتَلِفَةً وَأَهْوَاءَهُمْ^(١) مُتَبَايِنَةً^(٢) وَكُلٌّ عَلَى
كُلٍّ عَادٍ^(٣) وَلَهُ عَدُوٌّ وَمُعْتَابٌ^(٤) وَفِيهِ وَاقِعٌ^(٥)

فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ لَمْ أَجِدْ إِلَى مُتَابَعَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ سَبِيلًا
وَعَرَفْتُ أَنِّي إِنْ صَدَقْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ لَا عِلْمَ لِي بِجَالِهِ كُنْتُ فِي
ذَلِكَ كَالْمُصَدِّقِ الْمَخْدُوعِ الَّذِي زَعَمُوا فِيهِ أَنَّ سَارِقًا عَلَا ظَهْرَ
بَيْتِ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَاسْتَيْقِظَ
الرَّجُلُ مِنْ وَطْئِهِمْ^(٦) فَأَيَقِظُ امْرَأَتَهُ فَأَعْلَمَهَا بِذَلِكَ وَقَالَ لَهَا
رُويْدًا^(٧) إِنِّي لَا حَسَبُ اللَّصُوصِ عَلَوْا عَلَى الْبَيْتِ فَأَيَقِظْنِي
بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ اللَّصُوصُ وَقُولِي أَلَا تُخْبِرُنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ عَنْ
أَمْوَالِكَ هَذِهِ الْكَثِيرَةِ وَكُنُوزِكَ الْعَظِيمَةِ مِنْ أَيْنَ جَمَعْتَهَا
فَإِذَا امْتَنَعْتُ عَلَيْكَ فَأَلْجِي عَلَيَّ فِي السُّؤَالِ وَاسْتَخْلِفْنِي حَتَّى
أَقُولَ لَكَ فَفَعَلَتِ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ وَسَأَلَتْهُ كَمَا أَمَرَهَا وَأَنْصَتَتْ^(٨)
اللُّصُوصُ إِلَى سَمَاعِ قَوْلِهِمَا فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ أَيُّهَا الْمَرْأَةُ قَدْ
سَأَلْتُكَ الْقَدْرَ إِلَى رِزْقٍ وَاسِعٍ وَمَالٍ كَثِيرٍ فَكُلِّي وَأَشْرِي وَلَا
تَسْأَلِي عَن أَمْرِ إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِهِ لَمْ أَمَنَّ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ

١ اميال نفوسهم ٢ متباعدة ٣ ساطٍ وهاجم ٤ قاذح في عرضوه
وهو غائب ٥ سائب له ٦ دوسهم ٧ مهلاً ٨ اصغت

فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ مَا أَكْرَهُ وَتَكْرَهُينَ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ أَخْبِرْنِي
 أَيُّهَا الرَّجُلُ فَلَمَعِمِي ^(١) مَا يَقْرُبُنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامَنَا . فَقَالَ لَهَا
 فَإِنِّي مُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجْمَعْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ إِلَّا مِنَ السَّرِقَةِ .
 قَالَتْ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ وَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ وَأَنْتَ عِنْدَ النَّاسِ
 مِنَ الْبَرَّةِ ^(٢) الصَّلَاحِ . قَالَ ذَلِكَ لِعِلْمِ أَصْبَتُهُ فِي السَّرِقَةِ
 وَكَانَ الْأَمْرُ عَلَيَّ يَسِيرًا وَأَنَا آمِنٌ مِنْ أَنْ يَتَّهَمَنِي أَحَدٌ أَوْ
 يَرْتَابَ بِي . قَالَتْ فَأَذْكُرْ لِي ذَلِكَ . قَالَ كُنْتُ أَذْهَبُ فِي
 اللَّيْلَةِ الْمُقَمَّرَةِ أَنَا وَأَصْحَابِي حَتَّى أَعْلُو دَارَ بَعْضِ الْأَغْنِيَاءِ
 مِثْلَنَا فَأَنْتَهِيَ ^(٣) إِلَى الْكُوَّةِ ^(٤) الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا الضَّوْءُ . فَأَرَفِي ^(٥)
 بِهِذِهِ الرُّقِيَّةِ وَهِيَ شَوْلَمُ شَوْلَمَ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَأَعْتَنَقُ الضَّوْءَ فَلَا
 يَحْسُ بَوُقُوعِي أَحَدٌ وَلَا يَبْقَى فِي أَلَيْتِ شَيْءٍ إِلَّا أَنَا تَانِي قَاصِدًا
 مُطِيعًا فَلَا أَدْعُ مَا لَا وَلَا مَتَاعًا إِلَّا أَخَذْتُهُ . ثُمَّ أُعِيدُ الْعَزِيمَةَ ^(٦)
 أَيْضًا وَأَعْتَنَقُ الضَّوْءَ فَيَجْذِبُنِي فَأَصْعَدُ إِلَى أَصْحَابِي فَنَمِضِي
 سَالِمِينَ آمِنِينَ * وَلَيْسَ عَلَى مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ
 جُرْأَةٌ ^(٧) فَيُسَلِّمُ نَفْسَهُ إِلَى حِبَالِ الضَّوْءِ وَيَتَعَلَّقَ بِهَا وَيَنْزِلَ

١ قسما بعمرى ٢ جمع بار ٣ اصل ٤ النافذة ٥ من اعمال السحرة

٦ الرقية ٧ شجاعة واقدام

عَلَيْهَا. فَأَكْتَنِي ذَلِكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْلِمِيهِ لِأَحَدٍ * فَلَمَّا سَمِعَ
 الْلُصُوصُ ذَلِكَ قَالُوا قَدْ ظَفَرْنَا اللَّيْلَةَ بِمَا نُرِيدُ مِنَ الْمَالِ .
 ثُمَّ إِنَّهُمْ أَطَالُوا الْمَكْثَ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّ صَاحِبَ الدَّارِ وَزَوْجَتَهُ
 قَدْ هَجَمَا ^(١) وَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ مُقَمَّرَةً وَلِلَّيْتِ كُوَّةٌ نَافِذٌ مِنْهَا
 الضُّوءُ . فَقَامَ قَائِدُهُمْ إِلَى مَدْخَلِ الضُّوءِ وَقَالَ شَوْلَمُ شَوْلَمُ سَبْعَ
 مَرَّاتٍ ثُمَّ أَعْتَقَ الضُّوءَ لِيَنْزِلَ إِلَى أَرْضِ الْمَنْزِلِ فَوَقَعَ عَلَى
 أَمْرَاسِهِ ^(٢) مِنْكَسًّا ^(٣) فَوَثَبَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ بِبِهْرَاوَتِهِ ^(٤) وَقَالَ لَهُ
 مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا الْمُصَدِّقُ الْمَخْدُوعُ الْمَغْتَرُّ بِمَا لَا يَكُونُ
 أَبَدًا وَهَذِهِ ثَمَرَةُ رُقِيَّتِكَ وَعَاقِبَةُ مَنْ يُصَدِّقُ كُلَّ مَا يَسْمَعُ
 فَلَمَّا تَحَرَّزْتُ مِنْ تَصَدِيقِ مَا لَا يَكُونُ وَلَمْ أَمِنْ إِنْ
 صَدَّقْتُهُ أَنْ يُوقِعَنِي فِي تَهْلُكَةٍ عُدْتُ إِلَى الْجَبْثِ عَنِ الْأَدْيَانِ
 وَالتَّيْمَاسِ الْعَدْلِ ^(٥) مِنْهَا . فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ مِمَّنْ كَلَّمْتُهُ جَوَابًا
 فِيمَا سَأَلْتُهُ عَنْهُ فِيمَا وَلَمْ أَرِ فِيمَا كَلَّمُونِي بِهِ شَيْئًا يَحِقُّ لِي فِي
 عَقْلِي أَنْ أُصَدِّقَ بِهِ وَلَا أَنْ أَتَّبِعُهُ . فَقُلْتُ لِمَا لَمْ أَجِدْ ثِقَةً
 أَخَذْتُ مِنْهُ فَالَرَّأْيُ أَنْ أَلْزَمَ دِينَ آبَائِي وَأَجْدَادِي الَّذِي

وَجَدْتُهُمْ عَلَيْهِ وَهَمَّتْ بِذَلِكَ . ثُمَّ التَّمَسْتُ لِنَفْسِي مَخْرَجًا فَقُلْتُ
 إِنْ كَانَ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا مَعْذُورًا فَإِنَّ الَّذِي يَجِدُ أَبَاهُ سَاحِرًا
 وَيَجْرِي عَلَى مِثَالِهِ يَكُونُ غَيْرَ مَلُومٍ مَعَ أَشْبَاهِ ذَلِكَ مِمَّا لَا
 يَحْتَمِلُهُ الْعَقْلُ . وَذَكَرْتُ فِي ذَلِكَ قَوْلَ رَجُلٍ كَانَ فَاحِشًا إِلَّا كُلَّ (١)
 فُتُوبَةٍ فِي ذَلِكَ فَقَالَ كَذَلِكَ كَانَ أَكُلُ أَبِي وَجَدِّي فَلَمَّا
 ذَهَبْتُ التَّمَسْتُ الْعُذْرَ لِنَفْسِي فِي لُزُومِ دِينِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
 وَلَمْ أَجِدْ لَهَا عَلَى الثُّبُوتِ عَلَى دِينِ الْآبَاءِ طَاقَةً . بَلْ وَجَدْتُهَا
 تُرِيدُ أَنْ تَتَفَرَّغَ لِلْبَحْثِ عَنِ الْأَدْيَانِ وَالْمَسْئَلَةِ عَنْهَا وَلِلنَّظَرِ فِيهَا .
 هَجَسَ (٢) فِي قَلْبِي وَخَطَرَ عَلَى بَالِي قُرْبُ الْأَجَلِ وَسُرْعَةُ انْقِطَاعِ
 الدُّنْيَا وَأَعْتَبَاطُ (٣) أَهْلِهَا وَتَحْرُمُ (٤) الدَّهْرِ حَيَاتُهُمْ . فَفَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ
 وَقُلْتُ أَمَّا أَنَا فَلَعَلِّي قَدْ قُرْبُ أَجَلِي وَحَانَتْ نُفُوتِي (٥) وَقَدْ كُنْتُ
 أَعْمَلُ أُمُورًا مَحْمُودَةً أَرْجُو أَنْ تَكُونَ أَصْلَحَ الْأَعْمَالِ . وَلَعَلَّ
 تَرَدُّدِي شَغَلَنِي عَنْ خَيْرٍ كُنْتُ أَعْمَلُهُ فَيَكُونُ أَجَلِي دُونَ مَا
 تَطْمَحُ (٦) إِلَيْهِ نَفْسِي وَيَطْلُبُهُ أَمَلِي . وَيُصِيبُنِي مَا أَصَابَ الرَّجُلَ
 الَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ تَوَاطَأَ (٧) مَعَ خَادِمٍ فِي بَيْتٍ لِإِحْدَى الْأَغْنِيَاءِ

١ مجاوز الحد فيه ٢ بمعنى خطر ٣ أي هلاك ٤ استئصال

٥ الاسم من الانتقال بمعنى الموت ٦ أي تميل ٧ اتفق

عَلَى أَنْ يَأْتِيَ الْبَيْتَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يَغِيبُ أَهْلُهُ فَيَجْمَعُ لَهُ الْخَادِمُ
مِمَّا فِي الْبَيْتِ فَيَذْهَبُ بِهِ وَيَبِيعُهُ وَيَتَشَاوِرُا ثَمَنَهُ . فَأَتَقَقَّ
ذَاتَ لَيْلَةٍ أَنْ غَابَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَبَقِيَ الْخَادِمُ وَحْدَهُ فَأَنْفَذَ
فَأَخْبَرَ صَاحِبَهُ فَأَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ وَأَخَذَا فِي الْجَمْعِ مِمَّا
فِيهِ وَبَيْنَا ^(١) هُمَا يَجْمَعَانِ إِذْ قُرِعَ الْبَابُ . وَكَانَ لِلْبَيْتِ بَابٌ
آخَرٌ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ الرَّجُلُ وَكَانَ ذَلِكَ الْبَابُ عِنْدَ جُبِّ ^(٢)
الْمَاءِ . فَقَالَ الْخَادِمُ لِلرَّجُلِ عَلَى عَجَلٍ مِنْهُ وَخِيفَةٍ بَادِرٍ أَخْرِجْ
مِنَ الْبَابِ الَّذِي عِنْدَ جُبِّ الْمَاءِ وَأَشَارَ لَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ . فَأَنْطَلَقَ
الرَّجُلُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ فَوَجَدَ الْبَابَ وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ جُبَّ
الْمَاءِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ أَمَا الْبَابُ فَوَجَدْتُهُ وَأَمَا الْجُبُّ
فَلَمْ أَجِدْهُ . فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَائِقُ ^(٣) وَمَا تَصْنَعُ بِالْجُبِّ أَنَا ذَلَّلْتُكَ
بِهِ لِتَعْرِفَ الْبَابَ فَإِذَا قَدْ عَرَفْتَهُ فَأَذْهَبَ عَاجِلًا . فَقَالَ لَهُ لَمْ
يَكُنْ ذَلِكَ صِدْقًا فَلَمْ ذَكَرْتَ الْجُبَّ وَلَيْسَ هُوَ هُنَاكَ . فَقَالَ
لَهُ وَيْحَكَ ^(٤) أَيُّهَا الْأَحْمَقُ أَنْجُ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْحَقُّقَ وَالتَّرَدُّدَ .
فَقَالَ لَهُ كَيْفَ أَمْضِي وَقَدْ خَاطَلْتُ ^(٥) عَلَيَّ وَذَكَرْتَ الْجُبَّ وَلَيْسَ

١ بينا ٢ بر ٣ الاحق في غياق ٤ وملك ٥ اي
خلطت الحق بالباطل

هَذَاكَ . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ حَتَّى دَخَلَ رَبُّ الْيَتَامَى
فَأَخَذَ بِتَلْيِيهِ^(١) وَأَوْجَعَهُ ضَرْبًا وَرَفَعَهُ^(٢) إِلَى السُّلْطَانِ^(٣)
فَلَمَّا خِفْتُ مِنَ التَّرَدُّدِ رَأَيْتُ أَنْ لَا أَتَعَرَّضَ لَهُ وَلَا لِمَا
أَتَخَوَّفُ مِنْهُ الْمَكْرُوهَ وَأَفْتَصَرْتُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ تَشَهُدُ بِهِ الْعُقُولُ
وَتَتَّفِقُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْأَدْيَانِ وَيُرَى أَنَّهُ صَوَابٌ وَحَقٌّ . فَكَفَفْتُ
يَدَيَّ عَنِ الضَّرْبِ وَالْقَتْلِ وَالسَّرِقَةِ وَزَجَرْتُ نَفْسِي عَنِ الْكِبْرِ^(٤)
وَالنُّغْصِ وَنَزَهْتُ قَلْبِي عَنِ الْحَقْدِ وَالْبَغْضِ وَالْخِيَانَةِ وَصُنْتُ
لِسَانِي عَنِ الْكُذِّبِ وَالْبُهْتَانِ^(٥) وَالنِّمِصَةِ^(٦) وَكُلِّ أَمْرٍ
مَكْرُوهٍ . وَأَضْمَرْتُ فِي نَفْسِي أَنْ لَا أَبْغِيَ عَلَى أَحَدٍ وَلَا أَكْذِبَ
بِالْبَعْثِ^(٧) وَلَا الْقِيَامَةِ وَلَا الثَّوَابِ وَلَا الْعِقَابِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ^(٨) يَكْفِي عَلَى الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ وَعَلَى الشَّرِّ بِالشَّرِّ
وَأَنْ لَا بُدَّ مِنَ الْمَسْئَلَةِ وَالْحِسَابِ . وَزَايَلْتُ^(٩) الْأَشْرَارَ وَحَاوَلْتُ
الْجُلُوسَ مَعَ الْأَخْيَارِ بِمُجْهِدِي . وَرَأَيْتُ كَلَامًا مِنَ الصَّلَاحِ وَالْعِلْمِ
لَيْسَ كَمِثْلِهِ صَاحِبٌ وَلَا قَرِينٌ^(١٠) . وَوَجَدْتُ مَكْسَبَهُ إِذَا وَفَّقَ اللَّهُ

١ جمع ثيابة عند صدور وعنفو صاحبها آية ٢ قدمه ٣ المراد به هنا المحاكم

٤ الكبرياء ٥ القول على الناس ما لم يفعلوا ٦ الاسم من اغتابه وقد مر

٧ بمعنى القيامة ٨ من أسماء الله ومعناه الدائم ٩ فارقت ١٠ مصاحب

وَأَعَانَ يَسِيرًا وَوَجَدْتُهُ يَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ وَيُشِيرُ بِالصَّخْرِ فَعَلَ
 الصَّدِيقُ بِالصَّدِيقِ. وَوَجَدْتُهُ لَا يَنْقُصُ عَلَى الْإِنْفَاقِ مِنْهُ بَلْ
 يَزِدُّهُ وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الْأَسْتِعْمَالِ بَلْ يَجِدُّ وَيَزْهَوُ وَيَكْثُرُ.
 وَوَجَدْتُهُ لَا خَوْفَ عَلَيْهِ مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يَغْضِبَهُ ^(١) وَلَا مِنَ
 الْأَلْفَاتِ أَنْ تُفْسِدَهُ وَلَا مِنَ الْمَاءِ أَنْ يَغْرِقَهُ. وَلَا مِنَ النَّارِ
 أَنْ تَحْرِقَهُ. وَلَا مِنَ اللَّصُوصِ أَنْ تَسْرِقَهُ. وَلَا مِنَ السَّبَاعِ
 وَجَوَارِحِ الطَّيْرِ ^(٢) أَنْ تُمَزِّقَهُ

وَوَجَدْتُ الرَّجُلَ السَّاهِيَ اللَّاهِي الْمُوَثِّرَ الْيَسِيرَ يَنَالُهُ
 فِي يَوْمِهِ وَيَعْدِمُهُ فِي غَدِهِ عَلَى الْكَثِيرِ الْبَاقِي نَعِيمُهُ. يُصِيبُهُ
 فِيمَا ذَهَبَتْ فِيهِ أَيَّامُهُ مَا أَصَابَ التَّاجِرَ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ
 كَانَ لَهُ جَوْهَرٌ نَفِيسٌ فَاسْتَأْجَرَ لِنَقَبِهِ رَجُلًا فِي الْيَوْمِ عَلَى
 مِثْلِ دِرْهَمٍ يَدْفَعُهَا إِلَيْهِ وَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَعْمَلَ. وَإِذَا فِي
 نَاحِيَةِ الْبَيْتِ صَبْحٌ ^(٣) مَوْضُوعٌ فَقَالَ التَّاجِرُ لِلصَّانِعِ هَلْ تَحْسِنُ
 الضَّرْبَ بِالصَّخْرِ قَالَ نَعَمْ وَكَانَ بِضَرْبِهِ مَاهِرًا فَقَالَ الرَّجُلُ
 دُونَكَ ^(٤) الصَّخْرُ فَاسْمِعْنَا ضَرْبَكَ بِهِ. فَأَخَذَ الرَّجُلُ الصَّخْرَ وَلَمْ

١ باخذه قهراً وظلماً ٢ ما يصيد منها ٣ من آلات الطرب

٤ أي خذ

يَزَلْ يُسْمِعُ التَّاجِرَ الضَّرْبَ الصَّحِيجَ وَالصَّوْتَ الرَّخِيمَ وَالتَّاجِرُ
يُشِيرُ بِيَدِهِ وَرَأْسِهِ طَرَبًا حَتَّى أَمْسَى . فَلَمَّا حَانَ الْغُرُوبُ قَالَ
الرَّجُلُ لِلتَّاجِرِ مَرُّ لِي بِالْأَجْرَةِ فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ وَهَلْ عَمِلْتَ
شَيْئًا تَسْتَحِقُّ بِهِ الْأَجْرَةَ فَقَالَ لَهُ عَمِلْتُ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ وَأَنَا
أَجِيرُكَ وَمَا اسْتَعْمَلْتَنِي^(١) عَمِلْتُ . وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى اسْتَوْفَى
مِنْهُ مِئَةَ الدَّرَاهِمِ وَبَقِيَ جَوْهَرُهُ غَيْرُ مَتَقُوبٍ

فَلَمْ أَزِدْ فِي الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا نَظْرًا إِلَّا أَزِدْتُ فِيهَا
زَهَادَةً وَمِنْهَا هَرَبًا وَوَجَدْتُ النَّسِكَ هُوَ الَّذِي يُمَهِّدُ^(٢) لِلْمَعَادِ^(٣)
كَمَا يُمَهِّدُ الْوَالِدُ لَوْلَدِهِ . وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْبَابُ الْمَفْتُوحُ إِلَى النِّعَمِ
الْمُقِيمِ وَوَجَدْتُ النَّاسِكَ قَدْ تَدَبَّرَ فَعَلْتُهُ^(٤) بِالسَّكِينَةِ^(٥) وَالْوَقَارِ
فَشَكَرَ وَتَوَاضَعَ . وَقَنَعَ فَاسْتَغْنَى . وَرَضِيَ فَلَمْ يَهْتَمَّ . وَخَلَعَ الدُّنْيَا
فَنَجَا مِنَ الشُّرُورِ . وَرَفَضَ الشَّهَوَاتِ فَصَارَ طَاهِرًا . وَطَرَحَ الْحَسَدَ
فَوَجِبَتْ لَهُ الْحُبَّةُ . وَأَنْفَرَدَ بِنَفْسِهِ فَكَفَى الْأَحْزَانَ وَسَخَتْ نَفْسُهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ . وَاسْتَعْمَلَ الْعَقْلَ فَأَبْصَرَ الْعَاقِبَةَ فَأَمِنَ النَّدَامَةَ .
وَأَعْتَزَلَ النَّاسَ^(٦) فَسَلِمَ مِنْهُمْ وَلَمْ يَخَفْهُمْ

١ طلبت مني عمله ٢ يسهل ويوطئ ٣ للآخرة ٤ نظر في عواقبها ٥ الطائفة
والهدوء ٦ نفخ عنهم

فَلَمْ أَزِدْ فِي أَمْرِ النَّسْكِ نَظْرًا إِلَّا أَزْدَدْتُ فِيهِ رَغْبَةً
 حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ ثُمَّ تَخَوَّفْتُ أَنْ لَا أَصْبِرَ
 عَلَى عَيْشِ النَّاسِكِ وَلَا أَقْوَى عَلَى عُسْرِهِ وَمَشَقَّتِهِ لِمَا أَعْتَدَتْهُ
 وَغَذِيَّتُهُ بِهِ مِنْذُ كُنْتُ وَلِيدًا وَلَمْ أَمِنْ إِنْ تَرَكْتُ الدُّنْيَا
 وَأَخَذْتُ فِي النَّسْكِ أَنْ أَضْعُفَ عَنْ ذَلِكَ وَأَكُونَ قَدْ
 رَفَضْتُ أَعْمَالًا كُنْتُ أَرْجُو عَائِدَتَهَا ^(١) وَقَدْ كُنْتُ أَعْمَلُهَا فَأَنْتَفِعَ
 بِهَا فِي الدُّنْيَا. فَيَكُونُ مِثْلِي فِي ذَلِكَ مِثْلَ الْكَلْبِ الَّذِي مَرَّ بِنَهْرٍ
 وَفِيهِ فِيهِ ضِلَعٌ فَرَأَى ظِلَّهَا فِي الْمَاءِ فَأَهْوَى ^(٢) لِيَأْخُذَهَا فَأَتْلَفَ مَا
 كَانَ مَعَهُ وَلَمْ يَجِدْ فِي الْمَاءِ شَيْئًا فَفَهِمْتُ ^(٣) أَنَّ النَّسْكَ مَهَابَةٌ شَدِيدَةٌ
 وَخِفْتُ مِنَ الضَّجَرِ وَقِلَّةِ الصَّبْرِ وَأَرَدْتُ الثَّبُوتَ عَلَى حَالَتِي الَّتِي
 كُنْتُ عَلَيْهَا ثُمَّ بَدَأَ ^(٤) لِي أَنْ أَقِيسَ مَا أَخَافُ أَنْ لَا أَصْبِرَ
 عَلَيْهِ مِنَ الشُّظْفِ ^(٥) وَالضَّبَقِ وَالْحَشُونَةِ فِي النَّسْكِ وَمَا يُصِيبُ
 صَاحِبَ الدُّنْيَا مِنَ الْبَلَاءِ. وَكَانَ عِنْدِي أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ
 شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذَائِهَا إِلَّا وَهُوَ مُتَحَوِّلٌ إِلَى الْآذَى وَمَوْلَدٌ
 لِلْحُزْنِ. فَالِدُنْيَا كَالْمَاءِ الْمِلْحِ ^(٦) الَّذِي لَا يَزْدَادُ شَارِبُهُ شُرْبًا إِلَّا

١ نفها ٢ اي انعطف ومال ٣ خفت ٤ عرض وخطر

٥ ضيق العيش وشدة ٦ ذي الملوحة

أَزْدَادَ عَطَشًا. وَكَالْعَظْمِ الَّذِي يُصِيبُهُ ^(١) الْكَلْبُ فَيَجِدُ فِيهِ
 رِيحَ اللَّحْمِ فَلَا يَزَالُ يَطْلُبُ ذَلِكَ اللَّحْمَ حَتَّى يُدْمِيَ فَاهُ ^(٢) وَلَا
 يَنَالُ شَيْئًا مِمَّا طَلَبَ. وَكَالْحِدَاةِ ^(٣) الَّتِي تَظْفَرُ ^(٤) بِالْبَضْعَةِ مِنَ
 اللَّحْمِ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا الطَّيْرُ فَلَا تَزَالُ تَدُورُ وَتَدَابُّ ^(٥) حَتَّى تُعْيِيَ
 وَتَفْجَزَ فَإِذَا تَعَبَتْ أَلْقَتْ مَا مَعَهَا. وَكَالْكُوزِ مِنَ الْعَسَلِ الَّذِي
 فِي أَسْفَلِهِ أَلْسُهُ الَّذِي يُذَاقُ مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ وَآخِرُهُ مَوْتُ
 رُعَاتٍ ^(٦). وَكَأَحْلَامِ النَّائِمِ الَّتِي يَفْرَحُ بِهَا الْإِنْسَانُ فِي نَوْمِهِ
 فَإِذَا اسْتَيْقَظَ ذَهَبَ الْفَرَحُ. وَكَالْبَرْقِ الَّذِي يُضِيءُ سِيرًا فَيُطْمَعُ
 بِالنُّورِ ثُمَّ يَذْهَبُ بَغْتَةً وَيَرْجِعُ الظُّلَامُ. وَكَدَوْدَةِ الْقَرْيَةِ الَّتِي
 تَنْسُجُ نَهَارًا وَلَيْلًا وَتَهْلِكُ وَسَطَ نَسِيجِهَا الَّذِي كُلَّمَا زَادَتْ مِنْهُ
 نَسِجًا زَادَ اسْتَحْكَامًا وَمَنْعًا لَهَا عَنِ الْخُرُوجِ.

فَلَمَّا فَكَّرْتُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ رَجَعْتُ إِلَى طَلَبِ النَّسْكِ
 وَهَزَنِي الْإِشْتِيَاقُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَا يَلِيقُ بِي أَنْ أَقِيسَ الدُّنْيَا
 بِالنَّسْكِ إِذَا تَفَكَّرْتُ فِيهَا وَفِي شُرُورِهَا وَأَحْزَانِهَا. ثُمَّ خَاصَمْتُ
 نَفْسِي إِذْ هِيَ فِي شُرُورِهَا سَارِحَةٌ وَقَدْ لَا تَثْبُتُ عَلَى أَمْرِ تَعَزُّمٍ

١ يحده ٢ يُسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ ٣ طَائِرٌ ٤ الْقِطْعَةُ ٥ تَجْتَمِعُ

٦ سَرِيعٌ

عَلَيْهِ كَقَاضٍ سَمِعَ مِنْ خَصْمٍ وَاحِدٍ فَحَكَمَ لَهُ فَلَمَّا حَضَرَ
 الْخَصْمُ الثَّانِي عَادَ إِلَى الْأَوَّلِ فَقَضَى عَلَيْهِ * ثُمَّ نَظَرْتُ فِي
 الَّذِي أَكَابِدُهُ مِنْ أَحْتِمَالِ النَّسْكِ وَضِيقِهِ فَقُلْتُ مَا أَصْغَرَ
 هَذِهِ الْمَشَقَّةَ فِي جَانِبِ رَوْحٍ ^(١) الْأَبَدِ وَرَاحَتِهِ . ثُمَّ نَظَرْتُ
 فِيهَا تَشْرَهُ ^(٢) إِلَيْهِ النَّفْسُ الْبَهِيمَةُ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا فَقُلْتُ مَا أَمَرُّ
 هَذَا وَأَوْجَعَهُ وَهُوَ يَدْفَعُ إِلَى عَذَابِ الْأَبَدِ وَأَهْوَالِهِ . وَكَيْفَ
 لَا يَسْتَخْلِي الرَّجُلُ مَرَارَةً قَلِيلَةً تَعْقُبُهَا ^(٣) حَلَاوَةٌ طَوِيلَةٌ وَكَيْفَ
 لَا تَمُرُّ ^(٤) عَلَيْهِ حَلَاوَةٌ قَلِيلَةٌ تَعْقُبُهَا مَرَارَةٌ دَائِمَةٌ . وَقُلْتُ لَوْ أَنَّ
 رَجُلًا عُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْيشَ مِئَةَ سَنَةٍ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ يَوْمٌ
 وَاحِدٌ إِلَّا يُضْعَفُ مِنْهُ بَضْعَةٌ ^(٥) غَيْرَ أَنَّهُ يَشْرُطُ لَهُ أَنَّهُ إِذَا اسْتَوْفَى
 السِّنِينَ الْمِئَةَ نَجَا مِنْ كُلِّ أَلَمٍ وَأَذَى وَصَارَ إِلَى الْأَمْنِ وَالسُّرُورِ
 كَانَ حَقِيقًا أَنْ لَا يَرَى تِلْكَ السِّنِينَ شَيْئًا . فَكَيْفَ يَا بِي الصَّبْرَ
 عَلَى أَيَّامٍ قَلِيلٍ يَعْيشُهَا فِي النَّسْكِ وَأَذَى تِلْكَ الْأَيَّامِ قَلِيلٍ
 يُعَقَّبُ خَيْرًا كَثِيرًا . أَوَلَيْسَ أَنَّ الدُّنْيَا كُلُّهَا بَلَاءٌ وَعَذَابٌ
 وَالْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُ فِي عَذَابِهَا مِنْ حِينٍ يُولَدُ إِلَى أَنْ

١ سرور ٢ اي تميل ٣ ثاني بعدها ٤ من المارة ٥ قطع

منه فطعة

يَسْتَوِي فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ

فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ طِفْلاً ذَاقَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْوَانًا إِنْ جَاعَ
فَلَيْسَ بِهِ اسْتِطْعَامٌ ^(١) أَوْ عَطَشَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِسْقَاءٌ ^(٢) أَوْ
وَجِعَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِفْثَاءٌ ^(٣). مَعَ مَا يَلْقَى مِنَ الْوُضْعِ وَالْحَمْلِ وَالْمَفِّ
وَالدَّهْنِ وَالنَّسْخِ إِنْ أُنِيمَ عَلَى ظَهْرِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ قِيَامًا وَلَا تَقَلُّبًا.
ثُمَّ يَلْقَى أَصْنَافَ الْعَذَابِ مَا دَامَ رَضِيْعًا فَإِذَا أَفَلَتْ مِنْ
عَذَابِ الرِّضَاعِ أَخَذَ فِي عَذَابِ الْأَدَبِ فَأَذِيقَ مِنْهُ أَلْوَانًا
مِنْ عُنْفِ الْمُعَلِّمِ وَخَجَرِ الدَّرْسِ وَسَاءَمَةِ ^(٤) الْكِتَابَةِ. ثُمَّ لَهُ مِنَ
الدَّوَاءِ وَالْحِمِيَةِ ^(٥) وَالْأَسْقَامِ وَالْأَوْجَاعِ أَوْفَى نَصِيبٍ. فَإِذَا
أَدْرَكَ لِحَقَّهُ هُمُّ الْأَهْلِ وَكَانَتْ هِمَّتُهُ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَتَرْبِيَةِ
الْوَلَدِ وَمُخَاطَرَةِ الطَّلَبِ وَالسَّعْيِ وَالْكَدِّ وَالتَّعَبِ. وَهُوَ مَعَ كُلِّ
ذَلِكَ يَتَقَلَّبُ مَعَ أَعْدَائِهِ الْبَاطِنِينَ وَاللَّازِمِينَ لَهُ وَهُمْ الْمِرَّةُ
الْصَفْرَاءُ وَالْمِرَّةُ السُّودَاءُ وَالرَّيْحُ وَالْبَلْغَمُ وَالْدَّمُ مَعَ السُّمِّ
الْمَيْتِ وَالْحِمَةِ اللَّادِغَةِ وَالْخَوْفِ مِنَ السَّبَاعِ وَالْهُوَامِ مَعَ
تَقَلُّبِ الْفُضُولِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْأَمْطَارِ وَالرِّيَّاحِ وَالشَّلُوجِ

١ طلب طعام ٢ طلب شرب ٣ استعانة ٤ مل ٥ النوقي

وَالشَّيْطَانِ الدَّائِمِ وَالْقَرِينِ السَّوِّءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الطَّوَارِي^(١)
الرَّدِيئَةِ ثُمَّ أَنْوَاعِ عَذَابِ الْهَرَمِ^(٢) لِمَنْ يَبْلُغُهُ

فَلَوْ لَمْ يَخَفْ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ شَيْئًا وَكَانَ قَدْ آمَنَ وَوَثِقَ
بِالسَّلَامَةِ مِنْهَا فَلَمْ يَفَكِّرْ بِهَا لَوَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُفَكِّرًا فِي
السَّاعَةِ الَّتِي يَحْضُرُهُ فِيهَا الْمَوْتُ وَيُفَارِقُ الدُّنْيَا فَيَذْكُرُ مَا هُوَ نَازِلٌ
بِهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مِمَّا هُوَ أَشَدُّ جِدًّا مِنْ ذَلِكَ مِنْ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ
وَالْأَقَارِبِ وَالْمَالِ وَكُلِّ مَضْنُونٍ^(٣) بِهِ مِنَ الدُّنْيَا مَعَ الْأَشْرَافِ^(٤)

عَلَى الْهُولِ^(٥) الْعَظِيمِ بَعْدَ الْمَوْتِ . فَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَكَانَ
حَقِيقًا أَنْ يُعَذِّبَ عَاجِزًا مُفَرِّطًا^(٦) مُحِبًّا لِلدُّنْيَا مُسْتَحَقًّا لِلنُّومِ *
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَعْلَمُ هَذَا وَلَا يَسْتَعِدُّ لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ وَيَسْتَحَالُ لِعَدِّ
جُهْدِهِ فِي الْحِيلَةِ وَيَرْفُضُ مَا يَشْغَلُهُ وَيُلْهِمِهِ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا
وَعُغُورِهَا . وَلَا سِيَّمَا فِي هَذَا الزَّمَانِ الشَّبِيهِ بِالصَّافِي وَهُوَ كَدِرٌ .
فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ حَازِمًا عَظِيمَ الْمَقْدَرَةِ رَفِيعَ الْهِمَّةِ بَلِغِ
الْقُحْصِ عَدْلًا^(٧) مَرْجُوًّا صَدُوقًا شَكُورًا رَحْبَ الذَّرَاعِ^(٨) مُوَظَّيًّا
عَلَى الْحُسْنَى^(٩) عَالِمًا بِالنَّاسِ مُهْتَمًّا بِأُمُورِ رَعِيَّتِهِ نَاطِرًا فِي أَحْوَالِهِمْ

١ المحوادث ٢ الشجوخة ٣ منقول ٤ الاقبال ٥ الخوف
الشديد ٦ مقصرًا ٧ عادلاً ٨ أي واسع الخلق ٩ الاعمال الحميمة

مُجِبًّا لِلْعِلْمِ وَالْخَيْرِ وَالْأَخْيَارِ شَدِيدًا عَلَى الظَّالِمَةِ ^(١) غَيْرَ جَبَانٍ
 وَلَا خَفِيفِ الْقِيَادِ ^(٢) رَفِيقًا بِالتَّوَسُّعِ عَلَى الرِّعْيَةِ فِيمَا يُحِبُّونَ
 وَالِدَفْعِ لِمَا يَكْرَهُونَ . فَإِنَّا قَدْ نَرَى الزَّمَانَ مُذْبِرًا ^(٣) بِكُلِّ
 مَكَانٍ حَتَّى كَانَ أُمُورُ الصِّدْقِ قَدْ نَزَعَتْ مِنَ النَّاسِ فَأَصْبَحَ
 مَا كَانَ عَزِيزًا ^(٤) فَقْدُهُ مَفْقُودًا وَمَوْجُودًا مَا كَانَ ضَائِرًا ^(٥) وَجُودُهُ .
 وَكَانَ الْخَيْرُ أَصْبَحَ ذَابِلًا وَالشَّرُّ نَاصِرًا ^(٦) . وَكَانَ الْفَهْمُ أَصْبَحَ قَدْ
 زَالَتْ سَبْلُهُ وَكَانَ الْحَقُّ وَلَى كَسِيرًا وَأَقْبَلَ الْبَاطِلُ تَابِعُهُ . وَكَانَ
 اتِّبَاعُ الْهَوَى وَإِضَاعَةُ الْحُكْمِ أَصْبَحَ بِالْحُكَّامِ مُوَكَّلًا ^(٧) وَأَصْبَحَ
 الْمَظْلُومُ بِالْحَيْفِ مُقَرًّا ^(٨) وَالظَّالِمُ بِنَفْسِهِ مُسْتَظِيلًا ^(٩) وَكَانَ
 الْخِرَاصُ أَصْبَحَ فَاعِرًا ^(١٠) فَاهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ يَتَلَقَّفُ ^(١١) مَا قَرُبَ مِنْهُ
 وَمَا بَعُدَ . وَكَانَ الرِّضَى أَصْبَحَ مَجْهُولًا وَكَانَ الْأَشْرَارُ يَقْصِدُونَ
 السَّمَاءَ صُعُودًا وَكَانَ الْأَخْيَارُ يُرِيدُونَ بَطْنَ الْأَرْضِ .
 وَأَصْبَحَتِ الْمَرْوَةُ مَقْدُوفًا بِهَا ^(١٢) مِنْ أَعْلَى شَرَفٍ ^(١٣) إِلَى أَسْفَلٍ
 دَرَكٍ ^(١٤) . وَأَصْبَحَتِ الدَّنَاءَةُ مُمَكَّنَةً وَأَصْبَحَ السُّلْطَانُ مُتَّقِلًا عَنْ
 أَهْلِ الْفَضْلِ إِلَى أَهْلِ النَّقْصِ . وَكَانَ الدُّنْيَا جَذَلَةً ^(١٥) مَسْرُورَةً

١ جمع ظالم ٢ الرّس من اي غير سهل الانقياد ٣ موليا ٤ اي نادرا
 ٥ مضرا ٦ زاهيا ٧ اي لازما لم ٨ الظلم والجور ٩ منعظا
 ١٠ فاتحا ١١ بتناول ١٢ ملقاة ١٣ مكان عال ١٤ اقصى قعر الشيء ١٥ فرحة

تَقُولُ قَدْ غَيَّبَ الْخَيْرَاتُ وَأُظْهِرَتِ السَّيِّئَاتُ
فَلَمَّا فَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَأُمُورِهَا وَأَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ أَشْرَفُ
الْخَلْقِ فِيهَا وَأَفْضَلُهُ ثُمَّ هُوَ لَا يَتَقَلَّبُ إِلَّا فِي الشُّرُورِ وَالْهُومِ
عَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ الْعَجَبِ وَتَحَقَّقْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ ذُو عَقْلٍ
يَعْلَمُ ذَلِكَ ثُمَّ لَا يَحْتَالُ لِنَفْسِهِ فِي النِّجَاةِ وَيَلْتَمِسُ الْخُلَاصَ
وَإِنْ فَرَّطَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ عِنْدِي عَاجِزٌ قَلِيلُ الرَّأْيِ نَاقِصُ الْهَمَّةِ
فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مُفَرِّطُونَ فِي ذَلِكَ
مُغْفِلُونَ لَهُ فَقَضَيْتُ الْعَجَبَ ^(١) مِنْ ذَلِكَ وَالتَّمَسْتُ ^(٢) لَهُمْ عُدْرًا
فِيهِ وَنَظَرْتُ فَإِذَا الْإِنْسَانُ لَا يَمْنَعُهُ عَنِ الْإِحْتِيَالِ لِنَفْسِهِ إِلَّا
لَذَّةَ صَغِيرَةٍ حَقِيرَةٍ مِنَ النَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَالشَّمِّ وَالذَّوْقِ وَاللَّمْسِ
لَعَلَّهُ أَنْ يُصِيبَ مِنْهَا الطَّفِيفَ أَوْ يَقْتَنِي مِنْهَا الْيَسِيرَ فَإِذَا ذَلِكَ
يَشْغَلُهُ وَيَذْهَبُ بِهِ عَنِ الْإِهْتِمَامِ لِنَفْسِهِ وَطَلَبِ النِّجَاةِ لَهَا
فَالْتَمَسْتُ لِلْإِنْسَانِ مَثَلًا فَإِذَا مَثَلُهُ مِثْلُ رَجُلٍ نَجَا مِنْ خَوْفٍ
فِيلٍ هَائِجٍ إِلَى بَيْتٍ قَدْ دَلَّى فِيهَا وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ كَانَا عَلَى سَمَائِهَا ^(٣)
فَوَقَعَتْ رِجْلَاهُ عَلَى شَيْءٍ فِي طَيِّ الْبَيْتِ ^(٤) فَإِذَا حَيَاتٌ أَرْبَعٌ

قَدْ أَخْرَجْنَ رُؤُوسَهُنَّ مِنْ أَجْجَارِهِنَّ ^(١) . ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا فِي قَعْرِ
 الْبُئْرِ تَيْنِ فَاتَحَ فَاهُ مُنْتَظِرٌ لَهُ لِيَقَعَ فَيَأْخُذُهُ . فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى
 الْفُصَيْنِ فَإِذَا فِي أَصْلِهِمَا جُرْذَانِ أَسْوَدُ وَأَبْيَضُ وَهُمَا يَقْرَضانِ
 الْفُصَيْنِ دَائِبِينَ ^(٢) لَا يَفْتَرَابُ * فَيَيْنَمَا هُوَ فِي النَّظَرِ لِأَمْرِهِ
 وَالْإِهْتِمَامِ لِنَفْسِهِ إِذْ بَصُرَ قَرِيبًا مِنْهُ بِخَلِيَّةٍ ^(٣) فِيهَا عَسَلٌ فَذَاقَ
 الْعَسَلَ فَشَغَلَتْهُ حَلَاوَتُهُ وَالْهَتَّةُ لَذَّتُهُ عَنِ الْفِكْرِ فِي شَيْءٍ مِنْ
 أَمْرِهِ وَأَنْ يَلْتَمِسَ الْخُلَاصَ لِنَفْسِهِ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ عَلَى
 حَيَاتٍ أَرْبَعٍ لَا يَدْرِي مَتَى يَقَعُ عَلَيْهِنَّ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ الْجُرْذَيْنِ
 دَائِبَانِ فِي قِطْعِ الْفُصَيْنِ وَمَتَى انْقَطَعَا وَقَعَ عَلَى التَّيْنِ . فَلَمْ
 يَزَلْ لَاهِيًا غَافِلًا مَشْغُولًا بِتِلْكَ الْحَلَاوَةِ حَتَّى سَقَطَ فِي فَمِ التَّيْنِ
 فَهَلَكَ

فَشَبَّهْتُ بِالْبُئْرِ الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ آفَاتٍ وَشُرُورًا وَمَخَافَاتٍ
 وَعَاهَاتٍ ^(٤) . وَشَبَّهْتُ بِالْحَيَاتِ الْأَرْبَعِ الْأَخْلَاطِ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي
 فِي الْبَدَنِ فَإِنَّهَا مَتَى هَاجَتْ أَوْ هَاجَ أَحَدُهَا كَانَتْ كَحْمَةٍ ^(٥)
 الْأَفَاعِي ^(٦) وَالسَّمُ الْمُمِيتِ . وَشَبَّهْتُ بِالْفُصَيْنِ الْأَجَلَ الَّذِي

١. الحجر بنقدم النجم للهوام والسباع كالوكر للطير ٢. مستمرين

٣. بيت النحل ٤. اعراضاً مفسدة ٥. الابهرة التي تلسع بها

٦. الحيات

هُوَ إِلَى حِينٍ ثُمَّ لَا بُدَّ مِنْ فَنَائِهِ وَانْقِطَاعِهِ . وَشَبَّهَتْ بِالْجُرْذَيْنِ
 الْأَسْوَدَ وَالْأَبْيَضَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اللَّذَيْنِ هُمَا دَائِبَانِ فِي إِفْنَاءِ
 الْأَجَلِ . وَشَبَّهَتْ بِالتَّيْنِ الْمَصِيرِ ^(١) الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ . وَشَبَّهَتْ
 بِالْعَسَلِ هَذِهِ الْحَلَاوَةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي يَنَالُ مِنْهَا الْإِنْسَانُ فَيَرَى
 وَيَظْعُمُ ^(٢) وَيَسْمَعُ وَيَشْمُ وَيَلْمَسُ وَيَتَشَاغَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَيَلْهُو
 عَنْ شَأْنِهِ فَيَنْسَى أَمْرَ الْآخِرَةِ وَيَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ قَصْدِهِ
 فَيُحِينِدُ صَارَ أَمْرِي إِلَى الرِّضَى بِحَالِي وَإِصْلَاحِ مَا اسْتَطَعْتُ
 إِصْلَاحَهُ مِنْ عَمَلِي لَعَلِّي أَنْ أُصَادِفَ بَاقِيَ أَيَّامِي زَمَانًا أُصِيبُ
 فِيهِ دَلِيلًا عَلَى هُدَايَ وَسُلْطَانًا عَلَى نَفْسِي وَقَوَامًا عَلَى أَمْرِي .
 فَأَقَمْتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ وَأَتَّجَهْتُ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ فِي طَلَبِ
 الْعَقَاقِيرِ ^(٣) وَالْأَدْوِيَةِ . ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهَا فِي انْتِسَاخِ هَذَا الْكِتَابِ
 وَأَنْصَرَفْتُ مِنْهَا إِلَى بِلَادِي وَقَدْ انْتَسَخْتُ مِنْ كُتُبِهِمْ كُتُبًا
 كَثِيرَةً مِنْهَا هَذَا الْكِتَابُ



باب

fiddle
multitude

الْأَسَدُ وَالثَّوْرُ

وَهُوَ أَوَّلُ الْكِتَابِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَدْبَا الْفَيْلَسُوفُ وَهُوَ رَأْسُ الْبَرَاهِمَةِ
أَضْرِبْ لِي مَثَلًا لِمُتَحَابِّينَ يَقْطَعُ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ الْفُتْحَالُ حَتَّى
يَحْمِلَهُمَا عَلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ

قَالَ يَدْبَا إِذَا أُبْتُلِيَ الْمُتَحَابِّانِ بِأَنْ يَدْخُلَ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ
الْمُتَحَالُّ لَمْ يَلْبَثَا ^(١) أَنْ يَتَقَاطَعَا ^(٢) وَيَتَدَابَّرَا ^(٣) وَآفَةُ ^(٤) الْمُوَدَّةِ النَّسِيمَةُ
وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ دَسْتَاوَنْدَ رَجُلٌ شَيْخٌ لَهُ ثَلَاثَةُ
بَنِينَ فَلَمَّا بَلَغُوا أَشَدَّهُمْ ^(٥) أَسْرَفُوا فِي مَالِ آبَائِهِمْ ^(٦) وَلَمْ يَكُونُوا
أَحْتَرَفُوا ^(٧) حِرْفَةً يَكْسِبُونَ بِهَا لِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا فَلَا مَهْمَ أَبُوهُمْ
وَوَعَظَهُمْ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِمْ وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُمْ يَا بَنِيَّ إِنْ صَاحِبُ
الدُّنْيَا يَطْلُبُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ لَنْ يَذَرَكَهَا إِلَّا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ أَمَّا
الْثَلَاثَةُ الَّتِي يَطْلُبُ فَالْسَّعَةُ فِي الرِّزْقِ وَالْمَنْزِلَةُ فِي النَّاسِ وَالزَّادُ

١ يبطل ٢ يهجر بعضها بعضاً ٣ يولي بعضها عن بعض ٤ الآفة عرض
مفسد لما أصابه وقد مر ٥ قوتهم أي خرجوا من سن الصبوة ٦ بالغوا في
انفاقو ٧ أي اتخذوا

لِلْآخِرَةِ وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي دَرْكِ^(١) هَذِهِ الثَّلَاثَةِ
فَأَكْتِسَابُ الْمَالِ مِنْ أَحْسَنِ وَجْهِ يَكُونُ ثُمَّ حُسْنُ الْقِيَامِ^(٢)
عَلَى مَا أَكْتَسَبَ مِنْهُ ثُمَّ اسْتِثْمَارُهُ^(٣) ثُمَّ أَنْفَاقُهُ فِي مَا يُصْلِحُ
الْمَعِيشَةَ وَيَرْضَى الْأَهْلَ وَالْأَخْوَانَ فَيَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي
الْآخِرَةِ * فَمَنْ ضَيَّعَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ لَمْ يَدْرِكْ مَا أَرَادَ
مِنْ حَاجَتِهِ لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكْتَسِبْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يَعِيشُ بِهِ
وَإِنْ هُوَ كَانَ ذَا مَالٍ وَأَكْتَسَبَ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنْ الْقِيَامَ عَلَيْهِ
أَوْشَكَ الْمَالُ أَنْ يَفْنَى وَيَبْقَى مُعْدِمًا^(٤) وَإِنْ هُوَ وَضَعَهُ وَلَمْ
يَسْتِثْمِرْهُ لَمْ تَنْمُو لَهُ قِلَّةُ الْأَنْفَاقِ مِنْ سُرْعَةِ الذَّهَابِ كَالْكُلْحَلِ الَّذِي
لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ إِلَّا غِبَارُ الْمِيلِ ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ سَرِيعُ فَنَائِهِ
وَإِنْ هُوَ أَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ وَوَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَأَخْطَأَ
بِهِ مَوَاضِعَ اسْتِحْقَاقِهِ صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْفَقِيرِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ ثُمَّ لَمْ
يَمْنَعْ ذَلِكَ أَيْضًا مَالَهُ مِنَ التَّلَفِ بِالْحَوَادِثِ وَالْعِلَلِ الَّتِي تَجْرِي
عَلَيْهِ كَمَحْسَنِ الْمَاءِ الَّذِي لَا تَزَالُ الْمِيَاهُ تَنْصَبُ فِيهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ
لَهُ مَخْرَجٌ وَمَفَاضٌ وَمَتَنَفَسٌ^(٥) يَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ بِقَدْرِ مَا يَنْبَغِي^(٦)

١ ادراك ٢ التدبير والسياسة ٣ استخراج ثمرة منه أي فائدة ٤ فقيرًا

٥ مكان بفيض منه ٦ مكان يتنفس منه أي بطن

خَرِبَ وَسَالَ وَنَزَمَ نَوَاحٍ كَثِيرَةً وَرُبَّمَا أُنْبِتَقَ ^(١) الْبُتْقُ الْعَظِيمُ
فَذَهَبَ الْمَاءُ ضَيَاعًا وَإِنْ بَنِي الشَّيْخِ اتَّعْظُوا بِقَوْلِ آبِيهِمْ وَأَخَذُوا
بِهِ ^(٢) وَعَلِمُوا أَنَّ فِيهِ الْخَيْرَ وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ ^(٣) فَأَنْطَلَقَ أَكْبَرُهُمْ نَحْوَ
أَرْضٍ يُقَالُ لَهُ مَيُونُ فَاتَى فِي طَرِيقِهِ عَلَى مَكَانٍ فِيهِ وَحْلٌ كَثِيرٌ
وَكَانَ مَعَهُ عَجَلَةٌ يَجْرُهَا ثَوْرَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهَا شَتْرَبَةٌ وَلِلْآخَرِ بَنْدَبَةٌ
فَوَحَلَ شَتْرَبَةٌ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فَعَالَجَهُ ^(٤) الرَّجُلُ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى
بَلَغَ مِنْهُمْ الْجَهْدَ ^(٥) فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى إِخْرَاجِهِ فَذَهَبَ الرَّجُلُ
وَخَلَفَ عِنْدَهُ رَجُلَانِ يَشَارِفُهُ ^(٦) لَعَلَّ الْوَحْلَ يَنْشَفُ فَيَتْبَعُهُ بِهِ ^(٧)
فَلَمَّا بَاتَ الرَّجُلُ بِذَلِكَ الْمَكَانِ تَبَرَّمَ ^(٨) بِهِ لَوْ اسْتَوْحَشَ أَفْتَرَكَ
الْثَوْرَانِ وَاتَّحَقَّ بِصَاحِبِهِ فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ الثَّوْرَ قَدِمَاتَ ^(٩) وَقَالَ لَهُ إِنَّ
الْإِنْسَانَ إِذَا انْقَضَتْ مَدَّتُهُ أَوْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ فَهُوَ وَإِنْ اجْتَهَدَ فِي
التَّوَقِّي مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَخَافُ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ الْهَلَاكَ لَمْ يَقْنِ ذَلِكَ
عَنْهُ ^(١٠) شَيْئًا وَرُبَّمَا عَادَ اجْتِهَادُهُ فِي تَوَقِّيهِ وَحَذَرِهِ وَبَالَآ عَلَيْهِ
كَالَّذِي قِيلَ إِنَّ رَجُلًا سَلَكَ مَفَازَةً فِيهَا خَوْفٌ مِنْ

- ١ انصرفوا فغير ٢ علموا بموجبه ٣ اعتمدوا ٤ أي حاول إخراجه
٥ أي بلغ إقصاه ٦ بطلع عليه ٧ مل ٨ أي لم يبتغمه ٩ سوء عاقبة
١٠ فلاة لا ماء فيها

السباع ^(١) وَكَانَ الرَّجُلُ خَيْرًا بَوْعَتْ ^(٢) تِلْكَ الْأَرْضُ وَخَوْفُهَا ^(٣) فَلَمَّا سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ اعْتَرَضَ لَهُ ذِئْبٌ مِنْ أَحَدِ الذِّئَابِ وَأَضْرَاها ^(٤) فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ أَنَّ الذِّئْبَ قاصِدٌ نَحْوَهُ اخافَ مِنْهُ وَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا لِيَجِدَ مَوْضِعًا يَتَحَرَّزُ فِيهِ مِنَ الذِّئْبِ فَلَمْ يَرِ إِلَّا قَرْيَةً خَلْفَ وادٍ فَذَهَبَ مَسْرِعًا نَحْوَ الْقَرْيَةِ فَلَمَّا أَتَى الْوَادِي لَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَنْظَرَةً وَرَأَى الذِّئْبَ قَدْ أَدْرَكَهُ فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ وَهُوَ لَا يَحْسِنُ السَّيَاحَةَ وَكَادَ يَفْرُقُ لَوْلَا أَنْ بَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ افْتَوَقَعُوا ^(٥) لِإِخْرَاجِهِ فَأَخْرَجُوهُ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ ^(٦) فَلَمَّا حَصَلَ الرَّجُلُ عِنْدَهُمْ وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ غَائِلَةٍ ^(٧) الذِّئْبِ رَأَى عَلَى عُدْوَةِ ^(٨) الْوَادِي بَيْتًا مُفْرَدًا فَقَالَ أَذْخُلُ هَذَا الْبَيْتَ فَاسْتَرِيحُ فِيهِ فَلَمَّا دَخَلَهُ وَجَدَ جَمَاعَةً مِنَ اللَّصُوصِ قَدْ قَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ التَّجَارِ وَهُمْ يَقْتَسِمُونَ مَالَهُ وَيُرِيدُونَ قَتْلَهُ ^(٩) فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ ذَلِكَ اخافَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَضَى نَحْوَ الْقَرْيَةِ فَاسْتَدَ ظَهْرَهُ إِلَى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِهَا لِيَسْتَرِيحَ مِمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ الْهَوْلِ ^(١٠) وَالْأَعْيَاءِ ^(١١) إِذْ سَقَطَ عَلَيْهِ

- ١ الحيوانات المفترسة ٢ وعورة ٣ تفضيل من قولهم سبغ ضار
٤ يتوقى ٥ لمحط ٦ اي رموا بانفسهم ٧ اي كاد يهلك
٨ اي شر ٩ جانب ١٠ مخوف الشديد ١١ شدة التعب

الْحَائِطُ فَاتَ لَمَنْكَ

قَالَ الرَّجُلُ اَصَدَقْتَ قَدْ بَلَغَنِي هَذَا الْخَبَرُ * وَامَّا الثَّوْرُ
 فَانَّهُ خَلَصَ مِنْ مَكَانِهِ وَابْعَثَ (١) فَلَمْ يَزَلْ فِي مَرْجٍ مَخْصِبٍ
 كَثِيرِ الْمَاءِ وَالْكَلا (٢) فَلَمَّا سَمِعَ وَامِنْ جَعَلَ يَخُورُ وَيَرْفَعُ
 كَهْوَتَهُ بِالْخَوَارِ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ اَجْمَةٌ (٣) فِيهَا اَسَدٌ عَظِيمٌ وَهُوَ
 مَلِكُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَمَعَهُ سَبَاعٌ كَثِيرَةٌ وَذُنَابٌ وَبَنَاتٌ اَوَى
 وَتَغَالَبَ اَوْفُودُ وَثَمُورُ (٤) وَكَانَ هَذَا الْاَسَدُ مُنْفَرِدًا بِرَأْيِهِ
 دُونَ اخِذِ بَرَأْيِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ خَوَارَ الثَّوْرَ وَلَمْ
 يَكُنْ رَأَى ثَوْرًا قَطُّ وَلَا سَمِعَ خَوَارَهُ خَامِرٍ مِنْهُ هَبَّةٌ
 وَخَشْيَةٌ وَكَرِهَ أَنْ يَشْعُرَ بِذَلِكَ جَنْدُهُ فَكَانَ مُقِيمًا مَكَانَهُ
 لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشُطُ (٥) بَلْ يُؤْتِي بَرْزَقِهِ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى يَدِ جَنْدِيهِ
 وَكَانَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ السَّبَاعِ أَبْنَاءُ اَوَى يُقَالُ لِأَحَدِهَا كَلِيلَةٌ
 وَلِأُخْرٍ دِمْنَةٌ وَكَانَا دَوِيَّ دَهَاءٍ (٦) وَعَلِيهِ وَادِبُ (٧)
 فَقَالَ دِمْنَةُ يَوْمًا لِأَخِيهِ كَلِيلَةُ يَا أَخِي مَا شَأْنُ الْاَسَدِ

- ١ اسرع ٢ العشب ٣ من الخوار وهو صوت البقر ٤ شجر كبير
 ٥ ملف ٦ جمع ابن آوى وهو حيوان معروف ٧ داخله ٨ خوف ٩ علم
 ١٠ اي لا يتحول عن مكانه ١١ اي يخرج لشأنه ١٢ جوده راي ١٣ ما بال

باب الاسد والثور والفرس والفردي والنجار

مُقيماً مكانه لا يبرح ولا ينشط خلافاً لعادته. قال له كَلِيلَةُ
 ما شأنك أنت؟ والمسألة عن هذا. نحن على باب ملكنا آخذين
 بما أحب وتاركين ما يكره. ولنا من أهل المرتبة التي يتناول
 أهلها كلام الملوك والنظر في أمورهم. فأمسك عن هذا
 وأعلم أنه من تكلف من القول والفعل ما ليس من شكله صابه
 ما أصاب الفرد من النجار. قال ديمته وكيف كان ذلك
 قال كَلِيلَةُ زعموا أن فرداً رأى نجاراً يشق خشبة وهو
 راكب عليها وكلما شق منها ذراعاً أدخل فيها وتدّاً فوقف
 ينظر إليه وقد أعجبه ذلك. ثم إن النجار ذهب لبعض شأنه
 فقام الفرد وتكلف ما ليس من شأنه ^(١) فركب الخشبة وجعل
 وجهه قبل التودد ^(٢) وظهره قبل طرف الخشبة فتدلى ذنبه في الشق
 ونزع التودد فلزم الشق عليه فكاد يغشى عليه من الألم.
 ثم إن النجار وافاه ^(٣) فأصابه ^(٤) على تلك الحالة فأقبل عليه يضربه
 فكان ما لقي من النجار من الضرب أشد مما أصابه من الخشبة.*
 قال ديمته قد سمعت ما ذكرت. وليس كل من يدنو من الملوك

يَقْدِرُ عَلَى صَحْبِهِمْ وَيَقُوزُ بِقُرْبِهِمْ. وَلَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْنُو
 مِنْهُمْ لَيْسَ يَدْنُو مِنْهُمْ لَطَنِهِ فَإِنَّ الْبَطْنَ يَحْسِي بِكُلِّ شَيْءٍ وَإِنَّمَا
 يَدْنُو مِنْهُمْ لِكَيْسَرِ الصِّدْقِ وَيَكْبِتُ الْعَدُوَّ. وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ
 لَا مَرْوَةَ لَهُ وَهُمْ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِالْقَلِيلِ وَيَرْضَوْنَ بِالذُّلِّ
 كَأَنَّكَ الْكَلْبُ الَّذِي يَصِيبُ عَظْمًا يَأْسًا فَيَفْرَحُ بِهِ. وَأَمَّا أَهْلُ
 الْفَضْلِ وَالْمَرْوَةِ فَلَا يَقْنَعُونَ بِالْقَلِيلِ وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ إِذْ يَدُونُ أَنْ تَسْمُوَ
 بِهِمْ نَفْسُهُمْ إِلَى مَا هُمْ أَهْلُ لَهُ وَهُوَ أَيْضًا لَهُمْ أَهْلٌ. كَأَنَّكَ
 الَّذِي يَقْتَرِسُ الْأَرْزَبَ فَإِذَا رَأَى الْبَعِيرَ تَرَكَهَا وَطَلَبَ الْبَعِيرَ.
 أَلَا تَرَى أَنَّ الْكَلْبَ يَصْبِصُ بِذَنَبِهِ حَتَّى تَرْمِي لَهُ الْكِسْرَةَ
 مِنَ الْخَبْنِ فَيَفْرَحُ بِهَا وَيَقْنَعُهُ مِنْكَ وَأَنَّ الْفِيلَ الْمَعْتَرَفَ بِفَضْلِهِ
 وَقُوَّتِهِ إِذَا قَدِمَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ لَا يَقْتَلِفُهُ حَتَّى يَمْسَحَ وَجْهَهُ وَيَتَمَلَّقَ
 لَهُ. فَمَنْ عَاشَ ذَا مَالٍ وَكَانَ ذَا فَضْلٍ وَافْتِضَالَ عَلَى نَفْسِهِ
 وَأَهْلِهِ وَأَخْوَانِهِ غَيْرَ خَامِلٍ الْمَنْزِلَةَ فَهُوَ إِنْ قَلَّ عَمْرُهُ طَوِيلُ
 الْعُمُرِ. وَمَنْ كَانَ فِي عَيْشِهِ ضَيْقٌ وَقَلَّةٌ وَأَمْسَاكٌ عَلَى نَفْسِهِ
 وَذَوِيهِ وَكَانَ خَامِلَ الْمَنْزِلَةِ فَالْمَقْبُورُ أَحْيَا مِنْهُ. وَمَنْ عَمِلَ

١ بَيِّنٌ وَيُفْهِرُ ٢ بِمَرْكَةٍ ٣ خِلَافٌ مَشْهُورٌ ٤ بِجَلٍّ وَشَحٍّ

٥ أَهْلُهُ ٦ تَفْضِيلٌ مِنَ الْحَيَاةِ

لَبَنُهُ وَشَهْوَاتِهِ وَقَنَعَ وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ عَدَّ مِنَ الْبَهَائِمِ * قَالَ
 كَلِيلَةُ قَدْ فَهِمْتُ مَا قُلْتَ فَرَأَيْتَ عَقْلَكَ وَأَعْلَمَ أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ
 مَنْزِلَةً وَقَدَرًا فَإِنْ كَانَ فِي مَنْزِلَتِهِ الَّتِي هُوَ فِيهَا مَتَمَسِّكًا ^(١) كَانَ
 حَقِيقًا أَنْ يَقْنَعَ . وَلَيْسَ لَنَا مِنَ الْمَنْزِلَةِ مَا يَحِيطُ حَالِنَا الَّتِي نَحْنُ
 عَلَيْهَا . ثُمَّ إِنَّ مَنْزِلَةَ الْإِنْسَانِ مَقْدُورَةٌ عَلَيْهِ مِنْذُ الْأَوَّلِ فَلَا
 سَبِيلَ لَهُ إِلَّا الرِّضَى بِمَا كَيْفَ كَانَتْ * قَالَ دِمْنَةُ إِنَّ الْمَنَازِلَ
 مُتَنَازِعَةٌ مُشْتَرِكَةٌ عَلَى قَدَرِ الْمَرْوَةِ قَالَتْ لَمْ تَرْفَعَهُ مَرْوَةً مِنْ
 الْمَنْزِلَةِ الْوَضِيعَةِ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ وَمَنْ لَا مَرْوَةَ لَهُ يَحِيطُ نَفْسَهُ
 مِنَ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الْوَضِيعَةِ . وَإِنَّ الْأَرْزَاقَ إِلَى
 الْمَنْزِلَةِ الشَّرِيفَةِ شَدِيدٌ وَالْإِنْخِطَاطُ مِنْهَا هِينٌ كَالْحَجْرِ الثَّقِيلِ
 رَفَعَهُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْعَاقِبِ عَسِرَ وَوَضَعَهُ إِلَى الْأَرْضِ هِينٌ .
 فَتَحَنُّ أَحَقُّ أَنْ نَرْوِمَ مَا فَوْقَنَا مِنَ الْمَنَازِلِ وَأَنْ نَلْتَمِسَ ذَلِكَ
 بِمَرْوَتِنَا . ثُمَّ كَيْفَ نَقْنَعُ بِمَنْزِلَتِنَا وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ التَّحَوُّلَ عَنْهَا *
 قَالَ كَلِيلَةُ فَمَا الَّذِي أَجْتَمَعَ عَلَيْهِ رَأْيُكَ * قَالَ دِمْنَةُ أَرِيدُ أَنْ
 أَتَعَرَّضَ لِلْأَسَدِ عِنْدَ هَذِهِ الْفُرْصَةِ لِأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّهُ ضَعِيفُ

١ فَبَرَّ مَتَمَسِّكٌ فِيهِ ٢ مَقْدُورَةٌ ٣ أَي كَلَّ بِطَلِبِهَا ٤ مَا بَيْنَ الْمَعْنَى

الرأي قد التبس عليه أمره وعلى جنده أيضاً ولعلي على هذه
الحال أذنو منه فأصيب عنده منزلة ومكانة^(١) فبيد رني
بالكلام فأجيبه بما تقدحه القرية لعلها تنتج بيننا نتيجة تؤدي
إلى إظهار أمر مكنوم * قال كليله وما يدريك أن الأسد قد
التبس عليه أمره * قال دمنه بالحس والرأي أعلم ذلك منه فإن
الرجل ذا الرأي يعرف حال صاحبه وباطن أمره بما يظهره
من دله وشكله^(٢) * قال كليله فكيف ترجو المنزلة عند الأسد
ولست بصاحب السلطان ولا لك علم بخدمة السلاطين وآدابهم
وآداب مجالسهم * قال دمنه الرجل الشديد القوي لا ينوبه^(٣)
الحمل الثقيل وإن لم تكن عادته الحمل والرجل الضعيف لا
يستقل به^(٤) وإن كان ذلك من صناعته * قال كليله فإن
السلطان لا يتوخى^(٥) بكرامته فضلاء من بحضرته ولكنه يؤثر^(٦) الأدنى
ومن قرب منه * قال دمنه يقال إن مثل السلطان في إثارة
الأفضل دون الأدنى مثل شجر الكرم الذي لا يعلق إلا
بأكرم الشجر * قال كليله وكيف ترجو المنزلة عند الأسد
ولم تكن دنوت منه من قبل

١ بمعنى المنزلة ٢ كلاها بمعنى ما يبدو من هيئته وحاله ٣ ينقل

٤ لا يجمله ٥ ينقص من قبيل الاهتمام ٦ يفضل ويختار

قَالَ دِمْنَةُ قَدْ فَهِمْتُ كَلَامَكَ جَمِيعَهُ وَتَدَبَّرْتُ^(١) مَا قُلْتَ
 وَأَنْتَ صَادِقٌ . لَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّ الَّذِينَ لَهُمُ الْمَنَازِلُ الرَّفِيعَةُ عِنْدَ
 الْمُلُوكِ قَدْ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يَرْقُوا إِلَيْهَا لَيْسَتْ بِمَجَالَتِهِمْ فَيَقْرُبُونَ بَعْدَ
 الْبُعْدِ وَيَدْنُونَ بَعْدَ التَّنَاسُيِ^(٢) وَأَنَا مُتَمَسِّسٌ بِلَوْغِ مَكَانَتِهِمْ بِجُهْدِي .
 وَقَدْ قِيلَ لَا يُؤَظَبُ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَنْ يَطْرَحُ الْأَثَنَةَ^(٣)
 وَيَحْمِلُ الْأَذَى وَيَكْظِمُ^(٤) الْغَيْظَ وَيَرْفُقُ^(٥) بِالنَّاسِ وَيَكْتُمُ السِّرَّ
 فَإِذَا وَصَلَ إِلَى ذَلِكَ فَقَدْ بَلَغَ مُرَادَهُ قَالَ كَلِيلَةُ هَبْكَ^(٦) وَصَلْتَ
 إِلَى الْأَسَدِ فَمَا تَوْفِيقُكَ عِنْدَهُ الَّذِي تَرْجُو أَنْ تَنَالَ بِهِ الْمَنْزِلَةَ
 عِنْدَهُ وَالْحُطُوتَ^(٧) لَدَيْهِ قَالَ دِمْنَةُ لَوْ دَنَوْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ أَخْلَاقَهُ
 لَرَفَقْتُ فِي مُتَابَعَتِهِ وَقَلَّةِ الْخِلَافِ لَهُ . وَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا هُوَ فِي نَفْسِهِ
 صَوَابٌ زَيْنَتْهُ لَهُ وَصَبَّرَتْهُ عَلَيْهِ وَعَرَفَتْهُ بِمَا فِيهِ مِنَ النِّفْعِ وَالْخَيْرِ
 وَشَجَعَتْهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ حَتَّى يَزْدَادَ بِهِ سُرُورًا . وَإِذَا
 أَرَادَ أَمْرًا يُخَافُ عَلَيْهِ ضَرُّهُ وَشَيْنُهُ^(٨) بَصُرَتْهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ
 وَالشَّيْنِ وَأَطْلَعَتْهُ عَلَى مَا فِي تَرْكِهِ مِنَ النِّفْعِ وَالزَّيْنِ بِحَسَبِ مَا
 أَجَدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ . وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَزْدَادَ بِذَلِكَ عِنْدَ الْأَسَدِ

١ اي تأملت واعتبرت ٢ التباعد ٣ عزة النفس ٤ يحبس

٥ بلطف ٦ احبب نفسك ٧ المكاتبه والكرامة ٨ اي عيبه

مَكَانَةً وَيَرَى مِنِّي مَا لَا يَرَاهُ مِنْ غَيْرِي . فَإِنَّ الرَّجُلَ الْأَدِيبَ
الرَّفِيقَ ^(١) لَوْ شَاءَ أَنْ يُظِلَّ حَقًّا أَوْ يُحِقَّ بَاطِلًا لَفَعَلَ . كَالْمُصَوِّرِ
الْمَاهِرِ الَّذِي يُصَوِّرُ فِي الْحَيْطَانِ صُورًا كَأَنَّهَا خَارِجَةٌ وَلَيْسَتْ
بِخَارِجَةٍ وَأُخْرَى كَأَنَّهَا دَاخِلَةٌ وَلَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ . فَإِذَا هُوَ عَرَفَ
مَا عِنْدِي وَبَانَ لَهُ حُسْنُ رَأْيِي وَجُودَةُ فِكْرِي التَّمَسَّ إِكْرَامِي
وَقَرَّبَنِي إِلَيْهِ

قَالَ كَلِيلُهُ أَمَّا إِنْ قُلْتَ هَذَا أَوْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكَ مِنَ السُّلْطَانِ فَإِنَّ صُحْبَتَهُ خَطَرَةٌ وَأَحْذَرُكَ مِنَ الَّذِي
أَرَدْتَهُ كَعِظَمِ خَطَرِهِ ^(٢) عِنْدَكَ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ إِنْ ثَلَاثَةٌ لَا
يُحْتَرَمْنَ إِلَّا أَمْوُجٌ وَلَا يَسْلَمُ مِنْهُنَّ إِلَّا قَلِيلٌ . وَهِيَ صُحْبَةُ
السُّلْطَانِ وَائْتِمَانُ النِّسَاءِ عَلَى الْأَسْرَارِ وَشَرْبُ السَّمِّ لِلتَّجَرِبَةِ .
وَأِنْ مَاشَبَهَ الْعُلَمَاءِ السُّلْطَانِ بِالْجَبَلِ الصَّعْبِ الْمُرْتَفِعِ ^(٣) الَّذِي فِيهِ
الشَّجَرُ الطَّيِّبُ وَالْأَنْهَارُ الْجَارِيَةُ وَالْجَوَاهِرُ النَّفِيسَةُ وَالْأَدْوِيَةُ
الْنافِعَةُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَعْدِنُ السَّبَاعِ وَالنُّورُ وَالذَّنَابُ وَكُلُّ
ضَارٍّ مَخُوفٍ . فَلَا رَتَقَاءَ إِلَيْهِ شَدِيدٌ وَالْمَقَامُ ^(٤) فِيهِ أَشَدُّ . قَالَ
دِمْنَةُ صَدَقْتَ فِيمَا ذَكَرْتَ غَيْرَ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ

يَنْلِ الرِّغَابَ وَمَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ الَّذِي لَعَلَّهُ يَبْلُغُ فِيهِ حَاجَتُهُ هَيْئَةً
وَمَخَافَةً لِمَا لَعَلَّهُ أَنْ يَتَوَقَّاهُ فَلَيْسَ بِبَالِغٍ جَسِيمًا^(١). وَقَدْ قِيلَ إِنْ
خَصَالًا ثَلَاثَةً لَنْ يَسْتَطِيعَهَا أَحَدٌ إِلَّا بِمَعُونَةٍ مِنْ عُلُوِّ هَيْئَةٍ
وَعَظِيمِ خَطَرٍ^(٢). مِنْهَا صُحْبَةُ السُّلْطَانِ وَتِجَارَةُ الْبَحْرِ وَمُنَاجَزَةُ
الْعُدَّةِ^(٣). وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ فِي الرَّجُلِ الْفَاضِلِ الرَّشِيدِ إِنَّهُ لَا
يَنْبَغِي أَنْ يَرَى إِلَّا فِي مَكَانَيْنِ وَلَا يَلِيقُ بِهِ غَيْرُهُمَا إِمَّا مَعَ
الْمُلُوكِ مُكْرَمًا أَوْ مَعَ النُّسَاكِ مُتَعَبِدًا. كَالْفِيلِ إِنْ مَا جَمَالُهُ
وَبِهَآؤُهُ^(٤) فِي مَكَانَيْنِ إِمَّا أَنْ تَرَاهُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَحَشِيًّا أَوْ مَرْكَبًا
لِلْمُلُوكِ * قَالَ كَلِيلَةُ خَارَ اللَّهُ لَكَ^(٥) فِيمَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ
ثُمَّ إِنْ دِمْنَةُ انْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَغَفَرَ^(٦) وَجْهَهُ
بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ * فَقَالَ الْأَسَدُ لِبَعْضِ جُلَسَائِهِ مَنْ هَذَا *
فَقَالَ هَذَا دِمْنَةُ بْنُ سَلِيطٍ * قَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَبَاهُ * ثُمَّ
سَأَلَهُ أَيْنَ تَكُونُ * قَالَ لَمْ أَزَلْ مُرَاطِبًا بَابَ الْمَلِكِ^(٧) دَاعِيًا لَهُ
بِالنَّصْرِ وَدَوَامِ الْبَقَاءِ. رَجَاءً أَنْ يَخْضُرَ أَمْرُ فَاعِزِ الْمَلِكِ فِيهِ
بِنَفْسِي وَرَأْيِي. فَإِنَّ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ تَكْثُرُ فِيهَا الْأُمُورُ الَّتِي

١ اي امرا جسيما اي عظيمها ٢ قدر ومثزلة ٣ مباشرة فتنا له

٤ حسنة ٥ جعل لك الخير ٦ مرغ ٧ مواظبا عليه

رُبَّمَا يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى الَّذِي لَا يُؤْبَهُ^(١) لَهُ . وَلَيْسَ أَحَدٌ يَصْغُرُ
أَمْرُهُ إِلَّا وَقَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ بَعْضُ الْغَنَاءِ^(٢) وَالْمَنَافِعِ عَلَى قَدَرِهِ
حَتَّى الْعُودُ الْمُلْقَى فِي الْأَرْضِ رُبَّمَا نَفَعَ فَيَأْخُذُهُ الرَّجُلُ فَيَحْكُ
بِهِ أَذُنُهُ فَيَكُونُ عِدَّتُهُ^(٣) عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ قَوْلَ
دِمْنَةَ أَعْجِبَهُ وَطَمِعَ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ وَرَأَى . فَأَقْبَلَ عَلَى
مَنْ حَضَرَ فَقَالَ إِنَّ الرَّجُلَ ذَا النُّبْلِ^(٤) وَالْمَرْوَةَ يَكُونُ خَامِلَ
الذِّكْرِ مُخَفِّضَ الْمَنْزِلَةِ فَتَأْتِي مَنْزِلَتُهُ إِلَّا أَنْ تَشَبَّ^(٥) وَتَرْتَفَعَ
كَالشَّعْلَةِ مِنَ النَّارِ يَضْرِبُهَا صَاحِبُهَا وَتَأْتِي إِلَّا أَرْتَفَاعًا
فَلَمَّا عَرَفَ دِمْنَةُ أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ عَجِبَ مِنْهُ وَحَسَنَ عِنْدَهُ
كَلَامُهُ قَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ رَعِيَّةَ الْمَلِكِ تَحْضُرُ بَابَهُ رَجَاءً أَنْ
يَعْرِفَ مَا عِنْدَهَا مِنْ عِلْمٍ وَافِرٍ كَالزَّرْعِ الْمَدْفُونِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ
فَضْلُهُ حَتَّى يُخْرَجَ وَيَظْهَرَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ . فَيَجِبُ عَلَى الْمَلِكِ
أَنْ يَبْلُغَ بِكُلِّ أَمْرٍ مَرْتَبَتَهُ عَلَى قَدَرِ رَأْيِهِ وَعَلَى قَدَرِ مَا
يَجِدُ عِنْدَهُ مِنَ الْمَنْفَعَةِ . وَقَدْ قِيلَ أَمْرَانِ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ
يَأْتِيَهُمَا^(٦) مِثْلُ أَنْ يُجْعَلَ الْخُلُالُ قِلَادَةً لِلْعُنُقِ وَمِثْلُ أَنْ يُجْعَلَ

١ يَنْبَهُ ٢ بِمَعْنَى النِّفْعِ ٣ عِدَّةُ الشَّيْءِ مَا احْتَجَّتِ الْيَدُ فِيهِ ٤ الذِّكَاءُ
وَالنَّجَابَةُ ٥ تَهَيَّجَ وَتَعَلَّو ٦ أَيْ يَفْعَلُهَا

الْقِلَادَةُ خَلْجَالًا فِي الرَّجُلِ . وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ الْفَضْلَ فِي أَمْرَيْنِ
 فَضْلُ الْمُقَاتِلِ عَلَى الْمُقَاتِلِ وَالْعَالِمِ عَلَى الْعَالِمِ . وَإِنْ كَثَرَتْ
 الْأَعْوَانُ إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُخْتَبَرِينَ رَبِّهَا تَكُونُ مَضَرَّةً عَلَى الْعَمَلِ .
 فَإِنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ رَجَاؤُهُ بِكَثَرَةِ الْأَعْوَانِ وَلَكِنْ بِصَالِحِي
 الْأَعْوَانِ . وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَحْمِلُ الْحَجَرَ الثَّقِيلَ
 فَيَقْتُلُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا يَجِدُّهُ ثَمَنًا . وَحَامِلُ الْيَاقُوتِ وَإِنْ قَلَّ يَقْدَرُ
 عَلَى بَيْعِهِ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْمَالِ . وَالْعَمَلُ الَّذِي يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى
 الْحِيلِ وَالْحِدَاعِ لَا يَقْتَحِمُهُ إِلَّا أَفْهَمُ الرِّجَالِ وَأَذْكَاهُمْ .
 وَالرَّجُلُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى الْجُدُوعِ ^(١) لَا يَجِزُّهُ ^(٢) الْقَصَبُ وَإِنْ
 كَثُرَ . فَأَنْتَ الْآنَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَقِيقٌ أَنْ لَا تَحْتَفِرَ مَرْوَةَ أَنْتَ
 تَجِدُّهَا عِنْدَ رَجُلٍ صَغِيرِ الْمَنْزِلَةِ فَإِنَّ الصَّغِيرَ رَبُّهَا عَظِيمٌ كَالْعَصَبِ
 الَّذِي يُؤْخَذُ مِنَ الْمَيْتَةِ فَإِذَا عَمِلَتْ مِنْهُ الْقَوْسُ أَكْرَمَ فَتَقْبِضُ
 عَلَيْهِ الْمُلُوكُ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْبَاسِ وَاللَّهِوِ

وَأَحَبُّ دِمْنَةٍ أَنْ يَرِي الْقَوْمَ أَنَّ مَا نَالَهُ مِنْ كِرَامَةِ الْمَلِكِ
 إِنَّمَا هُوَ لِرَأْيِهِ وَمَرْوَتِهِ وَعَقْلِهِ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ

لِمَعْرِفَتِهِ أَبَاهُ . فَقَالَ إِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَقْرَبُ الرِّجَالَ لِقُرْبِ
 آبَائِهِمْ وَلَا يُعْذِرُهُمْ لِبُعْدِهِمْ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ
 بِمَا عِنْدَهُ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ جَسَدِهِ وَمِنْ جَسَدِهِ
 مَا يَدْوِي ^(١) حَتَّى يُؤْذِيَهُ وَلَا يُدْفَعُ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَّا بِالْذَّوِّ الَّذِي
 يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدُ

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ مَقَالَتِهِ هَذِهِ أُعْجِبَ الْأَسَدُ بِهِ ^(٢)
 إِعْجَابًا شَدِيدًا وَأَحْسَنَ الرَّدَّ عَلَيْهِ وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ . ثُمَّ قَالَ
 الْمَلِكُ لِحُجَسَاتِهِ يَنْبَغِي لِلْسُّلْطَانِ أَنْ لَا يُلْعَجَ فِي تَضْيِيعِ حَقِّ ذَوِي
 الْحَقُوقِ فَإِنَّ عَاقِبَةَ ذَلِكَ رَدِيئَةٌ حَتَّى مِمَّنْ لَا يُتَوَقَّعُ أَذَاهُ . وَالنَّاسُ
 فِي ذَلِكَ رَجُلَانِ رَجُلٌ طَبَعُهُ الشَّرَاسَةُ فَهُوَ كَالْحَيَّةِ إِنْ وَطَّئَهَا ^(٣)
 الْوَاطِئُ فَلَمْ تَلْدَغْهُ لَمْ يَكُنْ جَدِيرًا أَنْ يَغْرُهُ ذَلِكَ مِنْهَا فَيَعُودَ إِلَى
 وَطْئِهَا ثَانِيَةً فَتَلْدَغُهُ . وَرَجُلٌ أَصْلُ طَبَاعِهِ السُّهُولَةُ فَهُوَ
 كَالصَّنْدَلِ ^(٤) الْبَارِدِ الَّذِي إِذَا أُفْرِطَ فِي حِكْمِهِ صَارَ
 حَارًّا مُؤْذِيًّا

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ اسْتَأْنَسَ بِالْأَسَدِ وَخَلَا بِهِ فَقَالَ لَهُ يَوْمًا

١ بسببه داء ٢ اعجبه ٣ داسها ٤ نوع من الخشب

رَأَيْتُ الْمَلِكَ قَدْ أَقَامَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لَا يَبْرَحُ مِنْهُ خِلَافًا
لِمَالُوفِهِ وَهُوَ أَعْظَمُهُ اللَّهُ مُنِيعُ الْجَانِبِ نَافِذُ الْأَمْرِ مِنَ السَّاحَةِ .
فَرَأَيْتُ أَنْ أَتَطَوَّلَ عَلَيْهِ بِالْإِسْتِفْهَامِ عَلَى وَجْهِ التَّصِيحَةِ فَإِنَّ
الْأُمُورَ الْخَفِيَّةَ لَا يُظْهِرُهَا إِلَّا أَلْبَحَثُ عَنْهَا فَإِذَا أَظْهَرْتُ أَجِيلَتِ
الْفِكْرَةُ فِيهَا * فَيَنْمَاهُمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِذْ خَارَشَتْ رُبَّةُ خُورًا ^(١)
شَدِيدًا فَهَيَّجَ الْأَسَدَ وَكَرِهَ أَنْ يُخْبَرَ دِمْنَةً بِمَا نَالَهُ . وَعَلِمَ
دِمْنَةُ أَنْ ذَلِكَ الصَّوْتُ قَدْ أَدْخَلَ عَلَى الْأَسَدِ رِيَّةً ^(٢)
وَهَيْبَةً . فَسَأَلَهُ هَلْ رَأَى الْمَلِكَ ^(٣) سَمَاعُ هَذَا الصَّوْتُ *
قَالَ لَمْ يَرُ بَنِي شَيْءٍ سِوَى ذَلِكَ وَهُوَ الَّذِي حَبَسَنِي هَذِهِ الْمُدَّةَ
فِي مَكَانِي . وَقَدْ صَحَّ ^(٤) عِنْدِي مِنْ طَرِيقِ الْقِيَاسِ أَنَّ جَثَّةَ صَاحِبِ
هَذَا الصَّوْتِ الْمُنْكَرِ ^(٥) الَّذِي لَمْ أَسْمَعْهُ قَطُّ عَظِيمَةٌ لِأَنَّ صَوْتَهُ
تَابِعٌ لِبَدَنِهِ . فَإِنْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ لَنَا مَعَهُ قَرَارٌ وَلَا مَقَامٌ ^(٦) *
قَالَ دِمْنَةُ لَيْسَ الْمَلِكُ بِحَقِيقٍ ^(٧) أَنْ يَدْعَ مَكَانَهُ لِأَجْلِ صَوْتٍ .
فَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ لَيْسَ مِنْ كُلِّ الْأَصْوَاتِ تَجِبُ الْهَيْبَةُ * قَالَ
الْأَسَدُ وَمَا مِثْلُ ذَلِكَ

١ الخوار صوت النور وقد مر ٢ شيئاً بكرهه ٣ ادخل عليه ريبة

٤ ثبت ٥ أى الكربة النجس ٦ إقامة وقد مر ٧ بأهل

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَبًا أَتَى أَجْمَةً فِيهَا طَبْلٌ مَعْلَقٌ عَلَى شَجَرَةٍ وَكُلَّمَا هَبَّتِ الرِّيحُ أَعْلَى قُضْبَانِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ حَرَّكَتُهَا فَضَرَبَتْ الطَّبْلَ فَسَمِعَ لَهُ صَوْتُ عَظِيمٌ بَاهِرٌ ^(١) فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ نَحْوَهُ لِأَجْلِ مَا سَمِعَ مِنْ عَظِيمِ صَوْتِهِ . فَلَمَّا أَتَاهُ وَجَدَهُ ضَخْمًا فَآيَقَنَ فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ الشَّعْمِ وَاللَّحْمِ فَعَالَجَهُ حَتَّى شَقَّهُ فَلَمَّا رَأَاهُ أَجُوفًا لَاشَيْءٍ فِيهِ قَالَ لَا أَذْري لَعَلَّ أَفْشَلَ ^(٢) الْأَشْيَاءِ أَجْهَرُهَا ^(٣) صَوْتًا وَأَعْظَمُ أَجْثَةً

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الصَّوْتَ الَّذِي رَاعَنَّا ^(٤) لَوْ وَصَلْنَا إِلَيْهِ لَوَجَدْنَاهُ أَيْسَرَمًا فِي أَنْفُسِنَا . فَإِنْ شَاءَ الْمَلِكُ بَعَثَنِي وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ حَتَّى آتِيَهُ بَيَانُ هَذَا الصَّوْتِ . فَوَافَقَ الْأَسَدَ قَوْلُهُ فَإِذِنْ لَهُ فِي الْذَهَابِ نَحْوُ الصَّوْتِ

فَانْطَلَقَ دِمْنَةُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ شَرَبَتْهُ . فَلَمَّا فَصَلَ ^(٥) دِمْنَةُ مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ فَكَّرَ الْأَسَدُ فِي أَمْرِهِ وَنَدِمَ عَلَى إِرْسَالِ دِمْنَةَ حَيْثُ أَرْسَلَهُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ مَا أَصَبْتُ فِي أَيْتِمَانِي دِمْنَةَ وَإِطْلَاعِهِ عَلَى سِرِّي وَقَدْ كَانَ بِيَايَ مَطْرُوحًا . فَإِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَحْضُرُ بَابَ الْمَلِكِ إِذَا كَانَ قَدْ أُطِيلَتْ

جفوته ^(١) مِنْ غَيْرِ جُزْمٍ ^(٢) كَانَ مِنْهُ أَوْ كَانَ مُبَغِيًّا عَلَيْهِ ^(٣) عِنْدَ
 سُلْطَانِهِ . أَوْ كَانَ عِنْدَهُ مَعْرُوفًا بِالْشَّرِّ وَالْخَرَضِ . أَوْ كَانَ قَدْ
 أَصَابَهُ ضَرْبٌ وَطَلِقَ فَلَمْ يَنْعَشْهُ ^(٤) . أَوْ كَانَ قَدْ اجْتَرَمَ جُرْمًا مَضُومًا
 يَخَافُ الْعُقُوبَةَ مِنْهُ . أَوْ كَانَ يَرْجُو شَيْئًا يَضُرُّ الْمَلِكَ وَلَهُ مِنْهُ نَفْعٌ
 أَوْ يَخَافُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَنْفَعُهُ ضَرًّا . أَوْ كَانَ لِعَدُوِّ الْمَلِكِ سَلَامًا ^(٥)
 وَلَسَلِمِهِ حَرْبًا ^(٦) . أَوْ كَانَ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا فِي يَدِهِ مِنْ
 السُّلْطَانِ . أَوْ بَاعَدَهُ . أَوْ طَرَدَهُ . فَلَيْسَ السُّلْطَانُ بِمُحَقِّقٍ أَنْ يَجْعَلَ
 فِي الْأَسْرِ سَالًا إِلَّا هَؤُلَاءِ ^(٧) ، وَالثَّقَةُ بِهِمْ وَالْأَثِمَانُ لَهُمْ * وَإِنْ
 دِمْنَةٌ دَاهِيَةٌ أَدِيبَ وَقَدْ كَانَ بِيَايِي مَطْرُوحًا مَجْفُورًا وَلَعَلَّهُ
 قَدْ احْتَمَلَ عَلَى بَذَلِكَ ضَائِعًا ^(٨) . وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَحْمِلُهُ عَلَى خِيَانَتِي
 وَاعْتَانَةِ عَدُوِّي وَتَقْيِصَتِي ^(٩) عِنْدَهُ . وَلَعَلَّهُ أَنْ يُصَادَفَ صَاحِبَ
 الصَّوْتِ أَقْوَى سُلْطَانًا ^(١٠) مِنْهُ فَيَرْغَبُ بِهِ عَنِّي وَيَمِيلُ مَعَهُ عَلَيَّ
 وَلَقَدْ كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ أَهْجُمَ عَلَى صَاحِبِ هَذَا الصَّوْتِ
 بِنَفْسِي . وَلَمْ يَزَلِ الْأَسَدُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِأَمْثَالِ ذَلِكَ حَتَّى

١ مقاطعة ٢ ذنب ٣ مظلوما ٤ سوء حالة ٥ بهضة

٦ مسالما ٧ محاربا ٨ اعترض ٩ بمعنى الاستئمان لم والاطمئنان

١٠ ذودها أي حذق ونباهة والناء للبالغ ١١ حقنا ١٢ ثلبي وذبي

١٣ السلطان فوق الملك

حَلَّ يَمْشِي وَيَنْظُرُ إِلَى الطَّرِيقِ الَّتِي سَارَ فِيهَا دِمْنُهُ فَلَمْ يَمْشِ غَيْرَ قَلِيلٍ حَتَّى بَصَرَ بِدِمْنِهِ مُقْبِلًا نَحْوَهُ فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ وَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ

وَدَخَلَ دِمْنُهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ مَاذَا صَنَعْتَ أَوْ مَاذَا رَأَيْتَ * قَالَ رَأَيْتُ ثَوْرًا وَهُوَ صَاحِبُ الْخَوَارِ وَالصَّوْتِ الَّذِي سَمِعْتَهُ * قَالَ فَمَا قُوَّتُهُ * قَالَ لَا شَيْءَ كَفَاءَ (١) لَهُ وَقَدْ دَنَوْتُ مِنْهُ وَحَازَرْتَهُ مُحَاورَةً الْأَكْفَاءُ (٢) أَلَمْ يَسْتَطِعْ لِي شَيْئًا * قَالَ الْأَسَدُ لَا يَغْنُوكَ ذَلِكَ مِنْهُ وَلَا يَصْغُرَنَّ عِنْدَكَ أَمْرُهُ فَإِنَّ الرِّيحَ الشَّدِيدَةَ لَا تَعْبَأُ بِضَعْفِ الْحَشِيشِ (٣) لَكِنَّا نَحْطُمُ طِوَالَ الْأَنْخِلِ وَعَظِيمِ الشَّجَرِ وَتَقْلَعُ الدَّوْحَةَ الْعَالِيَةَ (٤) مِنْ مَوْضِعِهَا * قَالَ دِمْنُهُ لَا تَهَابْنِ أَيُّهَا الْمَلِكُ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ أَمْرُهُ فَأَنَا عَلَى ضَعْفِي أَنْتَ بِهِ فَكَوْنُ لَكَ عَبْدًا سَامِعًا مُطِيعًا * قَالَ الْأَسَدُ دُونَكَ مَا بَدَأَ لَكَ وَقَدْ تَعَلَّقَ أَمَلُهُ بِهِ فَانْطَلِقْ دِمْنُهُ إِلَى الثَّوْرِ فَقَالَ لَهُ غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا مُكْتَرِبٍ إِنْ الْأَسَدَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأَتِيَهُ بِكَ وَأَمَرَنِي إِنْ أَنْتَ عَجَلْتَ إِلَيْهِ أَنْ أَوْمَنَكَ عَلَى مَا

١ لمح ٢ باس وشدة ٣ الأمثال ٤ تكثر ٥ العشب
٦ تكسر ٧ الشجرة العظيمة ٨ المنكبة ٩ بمعنى مع

سلف من ذنبك في التآخر عنه وترك لقاءه (١). وإن أنت
تأخرت وأجمت (٢) أن أعجل الرجعة إليه فأخبره * قال له
شترته ومن هذا الأسد الذي أرسلك إلي وأين هو وما حاله *
قال دمنه هو ملك السباع وهذه الأرض التي نحن عليها
وهو بمكان كذا ومعه جند كثير من جنسه * فرعب شترته
من ذكر الأسد والسباع وقال إن أنت جعلت لي الأمان
على نفسي أقبلت معك إليه * فأعطاه دمنه من الأمان ما
وثق به ثم أقبل والثور معه حتى دخلا على الأسد فأحسن
الأسد إلى الثور وقربه وقال له امتي قدمت هذه البلاد وما
أقدمكما (٣). فقص شترته عليه قصته * فقال له الأسد
أصحبني والزمني فإني مكرمك ومحسن إليك * فدعاه الثور
وأثنى عليه وأنصرف وقد أعجب به الأسد أعجابا شديدا لما
ظهر له من عقله وأدبه * ثم إنه قربه وأكرمه وأنس به
وأثمنه على أسراره وشاوره في أمره ولم تزد الأيام إلا
عجبا به (٤) ورغبة فيه وتقريرا له حتى صار أخص أصحابه

١ اتيانه ٢ بمعنى تأخرت ٣ جعلك تقدما ٤ أي رضى شديدا له

عِنْدَهُ مَنَزَلَةٌ

فَلَمَّا رَأَى دِمْنَةً أَنَّ الثَّورَ قَدْ اخْتَصَّ بِالْأَسَدِ دُونَهُ وَدُونَ
 أَصْحَابِهِ وَأَنَّهُ قَدْ صَارَ صَاحِبَ رَأْيِهِ وَأَخْلَوَاتِهِ وَلَهُوَ أَحْسَدُ
 حَسَدًا عَظِيمًا وَبَلَغَ مِنْهُ غَيْظُهُ كُلَّ مَبْلَغٍ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى
 أَخِيهِ كَلِيلَةَ وَقَالَ لَهُ أَلَا تَجِبُ يَا أَخِي مِنْ عَجْزِ رَأْيِي وَصَنِيعِي
 بِنَفْسِي وَنَظَرِي فِيهَا يَنْفَعُ الْأَسَدَ وَأَغْلَتْ نَفْعَ نَفْسِي حَتَّى
 حَلَمْتُ إِلَى الْأَسَدِ ثَوْرًا غَلْبَنِي عَلَى مَنَزَلَتِي * قَالَ كَلِيلَةُ أَقَدْ
 أَصَابَكَ مَا أَصَابَ النَّاسِكَ * قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا أَصَابَ (١) مِنْ بَعْضِ الْمُلُوكِ
 كُسُوفَةً فَاخْرَجَهُ أَفْصَرُ بِهِ سَارِقًا فَطَمَعَ فِي الثِّيَابِ وَعَمِلَ عَلَى
 سَرَقَتِهَا (٢) فَاتَى النَّاسِكَ وَقَالَ لَهُ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَصْبِحَ بِمَا تَعْلَمُ
 مِنْكَ وَأَخْذُ عَنْكَ فَاذِنْ لَهُ النَّاسِكَ فِي صَحْبَتِهِ فَصَحِبَهُ مُتَشَبِّهًا
 بِهِ وَأَوْرَقَ (٣) لَهُ فِي خِدْمَتِهِ حَتَّى أَمِنَهُ النَّاسِكَ وَأَوْطَمَانَ إِلَيْهِ (٤)
 فَرَصَدَهُ (٥) حَتَّى إِذَا ظَفَرَ بِهِ وَأَوْمَكَّتْهُ الْفُرْصَةُ أَخَذَ تِلْكَ
 الثِّيَابَ فَذَهَبَ بِهَا فَلَمَّا قَدَّ النَّاسِكَ ثِيَابَهُ عَلِمَ أَنَّ صَاحِبَهُ

١ نال ٢ أى نواها وسعى فيها ٣ لان ولطف ٤ ركن اليه وامنه

٥ ترقبة

قَدْ أَخَذَهَا فَتُوجَّهَ فِي طَلَبِهِ ١ فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِوَعْلَيْنِ ٢
يَتَنَاطَلِحَانِ حَتَّى سَالَتْ دِمَاؤُهُمَا ٣ فَجَاءَ ثَعْلَبٌ يَلُغُ فِي تِلْكَ ٤
الدِّمَاءِ وَيَتَحَكَّكُ بِمَا وَزِاحُمَا فَفَضِبَا مِنْهُ وَأَقْبَلَا عَلَيْهِ ٥
بِنِظَاحِهِمَا فَفَتَلَاهُ ٦ فَغَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ وَمَضَى حَتَّى دَخَلَ ٧
أَحَدُ الْمَدِينِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا قَرْيَةً ٨ إِلَّا بَيْتَ امْرَأَةٍ فَتَزَلَّ ٩
بِهَا وَأَسْتَضَفَهَا ١٠ وَكَانَتْ لِلْمَرْأَةِ جَارِيَةٌ تَوَاجِرُهَا ١١ وَكَانَتْ
الْجَارِيَةُ قَدْ عَلِقَتْ ١٢ رَجُلًا تُرِيدُ أَنْ تَخْذَهُ بَعْلًا لَهَا وَقَدْ أَضَرَّ
ذَلِكَ بِمَوْلَاتِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا سَبِيلٌ إِلَى مَدَافَعَتِهِ ١٣ فَاحْتَالَتْ لِقَتْلِهِ
فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي اسْتَضَفَهَا فِيهَا النَّاسُ ١٤ ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ
وَأَفَى ١٥ فَسَقَتُهُ مِنَ الْخُمُرَةِ حَتَّى سَكَّرَ وَنَامَ ١٦ فَلَمَّا اسْتَغْرَقَ فِي
النَّوْمِ وَنَامَ مِنْ فِي الْبَيْتِ عَمِدَتْ لِسَمٍّ ١٧ كَانَتْ قَدْ أَعَدَّتْهُ ١٨ فِي
قَصَبَةٍ لَتَنْفُخُهُ فِي أَنْفِ الرَّجُلِ ١٩ فَلَمَّا أَرَادَتْ ذَلِكَ بَدَرَتْ ٢٠ مِنْ
أَنْفِهِ عَطْسَةٌ رَفَعَتْ السَّمَّ إِلَى حَلْقِ الْمَرْأَةِ فَوَقَعَتْ مَيِّتَةً ٢١
وَكُلُّ ذَلِكَ بَعَيْنِ النَّاسِ وَسَمْعِهِ ٢٢
فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ لَمْ يَصْدُقْ أَنْ طَلَعَ الصَّبَاحُ حَتَّى خَرَجَ ٢٣

١ الوعل الانثى من تيوس الجبل ٢ يشرب بلسانه كالكلب ٣ ضيافة
٤ طلب منها ان تضيفة ٥ تستخدمها بالاجرة ٦ احبت ٧ جاء
٨ قصدت ٩ هياته ١٠ سبقت واسرعت

يَتَّبِعِي مَنْزِلًا غَيْرَهُ. فَاسْتَضَافَ رَجُلًا اسْكُفًا فَأَتَى بِهِ امْرَأَتَهُ
 وَقَالَ لَهَا اُنْظُرِي إِلَى هَذَا النَّاسِكِ وَأَكْرِمِي مَثْوَاهُ (١) وَقَوْمِي
 بِخِدْمَتِهِ فَقَدْ دَعَانِي بَعْضُ أَصْدِقَائِي لِلشَّرْبِ عِنْدَهُ ثُمَّ انْطَلَقَ
 ذَاهِبًا. وَكَانَ لِلْمَرْأَةِ ابْنَةٌ تُرِيدُ أَنْ تَزَوِّجَهَا لِرَجُلٍ لَمْ يَكُنْ
 زَوْجَهَا يُرِيدُهُ. فَكَانَ الرَّجُلُ يَخْتَلِفُ (٢) إِلَى الْبَيْتِ فِي غِيَابِ
 زَوْجِهَا وَالْوَسِيطُ بَيْنَهُمَا امْرَأَةُ حَجَّامٍ (٣). فَأَرْسَلَتْ امْرَأَةُ
 الْأِسْكَافِ إِلَى امْرَأَةِ الْحَجَّامِ تَأْمُرُهَا بِالْمَصِيرِ إِلَيْهَا وَتَعْرِفُ
 الرَّجُلَ غِيَابَ زَوْجِهَا وَقَالَتْ إِنَّ زَوْجِي قَدْ ذَهَبَ لِلشَّرْبِ
 عِنْدَ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ وَإِنْ عَادَ لَا يَعُودُ إِلَّا سَكْرَانٌ فَقُولِي
 لَهُ لِيَسْرِعِ الْكُرَّةَ (٤) ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ جَاءَ فَقَعَدَ عَلَى الْبَابِ
 يَنْتَظِرُ الْإِذْنَ أَوْ وَافِقَ ذَلِكَ الْحَجَّامِ (٥) الْأِسْكَافِ سَكْرَانٌ فَرَأَى
 الرَّجُلَ فِي الظُّلْمَةِ وَأَرْتَابَ بِهِ فَلَمْ يَكَلِّمْهُ وَدَخَلَ مَغْضِبًا (٦)
 إِلَى امْرَأَتِهِ فَأَوْجَعَهَا ضَرْبًا. ثُمَّ أَوْثَقَهَا (٧) فِي اسْطَوَانَةٍ (٨) فِي
 الْمَنْزِلِ وَذَهَبَ فَنَامَ لَا يَعْقِلُ * وَجَاءَتْ امْرَأَةُ الْحَجَّامِ تَعْلِمُهَا
 أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ أَطَالَ الْجُلُوسَ فَقَالَتْ لَهَا انْظُرِي إِلَى مَا أَنَا

١ اي ضيافته ٢ يتردد ٣ حلاق ٤ اي بالحي

٥ اي يعجل الحجي ٦ غضبان ٧ ربطها ٨ عبود

سورة الاسد والثور - مثل امرأة الاسكاف وامرأة الحجام

فيه سببه فان شئت واحسنت الي وحللتني وربطتك مكاني
 حتى انطلق فاعتذر اليه واعجل العودة فاجابها امرأة الحجام
 الى ذلك وحللتها وانطلقت الى الرجل واوثقت هي نفسها مكانها
 فاستيقظ الاسكاف قبل ان تعود زوجته فناداها باسمها فلم
 تجبه امرأة الحجام وخافت من الفضيحة ان ينكر صوتها
 ثم دعاها ثانية فلم تجبه فامتلأ غيظا وحنقا وقام نحوها
 بالشفرة فجدع انفها وقال خذي هذا فانحني به صديقك
 وهو لا يشك في انها امراته ثم جاءت امرأة الاسكاف
 فرأت صنع زوجها بامرأة الحجام فساءها ذلك واكبرته
 وحلت وثاقها فانطلقت الى منزلها مجدوعة الانف وكل
 ذلك بعين الناسك وسمعه ثم ان امرأة الاسكاف جعلت
 تبتهل وتدعو على زوجها الذي ظلمها وتقول اللهم ان كان
 زوجي قد ظلمني فاعد علي انفي صحيا ثم رفعت صوتها
 ونادت زوجها ايها الفاجر الظالم قم فانظر كيف صنعك
 بي وصنع الله بي كيف رحمني ورد انفي صحيا كما

١ اي يلينس عليه ٢ السكين ٣ قطع ٤ عدته امرأ كبرا
 ٥ رباطها

كَانَ اِقَامَ ^{لله} ^{مهمسا} ^{Dehleh} وَأَوْقَدَ الْمِصْبَاحَ وَنَظَرَ فَإِذَا أَنْفُ زَوْجَتِهِ صَحِيحٌ .
 فَأَسْتَغْفَرَ إِلَيْهَا وَتَابَ عَنْ ذَنْبِهِ وَأَسْتَغْفَرَ إِلَى رَبِّهِ * وَأَمَّا امْرَأَةُ
 الْحَجَّامِ فَإِنَّهَا لَمَّا وَصَلَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا تَفَكَّرَتْ فِي طَلَبِ الْمَذْرِ
 عِنْدَ زَوْجِهَا وَأَهْلِهَا فِي جَدْعِ أَنْفِهَا وَرَفَعَ الْأَلْتِبَاسَ . فَلَمَّا كَانَ
 عِنْدَ السَّحْرِ اسْتَيْقَظَ الْحَجَّامُ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ هَاتِي أَدَوَاتِي ^(١) كُلَّهَا
 فَإِنِّي أُرِيدُ الْمُضِيَّ إِلَى بَعْضِ الْأَشْرَافِ . فَأَتَتْهُ بِالْمُوسَى فَقَالَ
 لَهَا هَاتِي الْأَدَوَاتِ جَمِيعَهَا فَلَمْ تَأْتِهِ إِلَّا بِالْمُوسَى . فَغَضِبَ حِينَ
 أَطَالَتْ التَّكْرَارَ وَرَمَاهَا بِهِ فَوَلَوْتَ وَصَاحَتْ أَنْفِي أَنْفِي وَجَلَبَتْ ^(٢)
 حَتَّى جَاءَ أَهْلُهَا وَأَقْرَبَاؤُهَا فَرَأَوْهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَأَخَذُوا الْحَجَّامَ
 فَأَنْطَلَقُوا بِهِ إِلَى الْقَاضِي . فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي مَا حَمَلَكَ عَلَى
 جَدْعِ أَنْفِ امْرَأَتِكَ . فَلَمْ تَكُنْ لَهُ حُجَّةٌ يَحْتَجُّ بِهَا . فَأَمَرَ بِهِ
 الْقَاضِي أَنْ يُقْتَصَّ مِنْهُ ^(٣) * فَلَمَّا قُدِّمَ لِلْقِصَاصِ وَافَى ^(٤) النَّاسُكَ
 فَتَقَدَّمَ إِلَى الْقَاضِي وَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْحَاكِمُ لَا يَشْتَبِهَنَّ عَلَيْكَ
 هَذَا الْأَمْرُ فَإِنَّ اللَّصَّ لَيْسَ هُوَ الَّذِي سَرَقَنِي . وَإِنَّ الثَّعْلَبَ
 لَيْسَ الْوَعْلَانِ قَتَلَاهُ . وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَيْسَ السَّمُّ قَتَلَهَا . وَإِنَّ امْرَأَةَ

١ آلات صناعتي ٢ من المجلبة وهي الصباح ٣ يعاقب ٤ جاء

الْحَجَّامُ لَيْسَ زَوْجُهَا جَدَعَ أَنْفَهَا وَإِنَّمَا نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ
بِأَنْفُسِنَا . فَسَأَلَهُ الْقَاضِي عَنِ التَّفْسِيرِ فَأَخْبَرَهُ بِالْقِصَّةِ . فَأَمَرَ
الْقَاضِي بِإِطْلَاقِ الْحَجَّامِ ×

قَالَ دِمْنَةُ قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ وَهُوَ شَبِيهُ بِأَمْرِي . وَلَعَلِّي
مَا ضُرَّرْتُ أَحَدًا سِوَايَ نَفْسِي وَلَكِنْ مَا أَلْحَيْتُهُ * قَالَ كَلِيلَةُ أَخْبَرَنِي
عَنْ رَأْيِكَ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَعَزِّمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ * قَالَ دِمْنَةُ أَمَّا
أَنَا فَلَسْتُ الْيَوْمَ أَرْجُو أَنْ تَزْدَادَ مَنَزَلَتِي عِنْدَ الْأَسَدِ فَوْقَ
مَا كَانَتْ عَلَيْهِ . وَلَكِنْ أَلْتَمِسُ أَنْ أَعُودَ إِلَى مَا كَانَتْ حَالِي
عَلَيْهِ . فَإِنَّ أُمُورًا ثَلَاثَةً الْعَاقِلُ جَدِيرٌ بِالنَّظَرِ فِيهَا وَالْأَحْتِيَالُ
لَهَا يَجْهَدُ . مِنْهَا النَّظَرُ فِي مَا مَضَى مِنَ الضَّرِّ وَالنَّفْعِ . أَنْ يَحْتَرِسَ
مِنَ الضَّرِّ الَّذِي أَصَابَهُ فِي مَا سَلَفَ لِئَلَّا يَعُودَ إِلَى ذَلِكَ الضَّرِّ .
وَيَلْتَمِسَ النَّفْعَ الَّذِي مَضَى وَيَحْتَالُ لِمَعَاوَدَتِهِ . وَمِنْهَا النَّظَرُ فِي مَا
هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ وَالْإِسْتِثْنَائِ (١) مِمَّا يَنْفَعُ
وَالْهَرَبُ مِمَّا يَضُرُّ . وَمِنْهَا النَّظَرُ فِي مُسْتَقْبَلِ مَا يَرْجُو مِنْ قَبْلِ
النَّفْعِ . وَمَا يَخَافُ مِنْ قَبْلِ الضَّرِّ لِيَسْتَتِمَّ مَا يَرْجُو وَيَتَوَقَّى مَا

يَخَافُ مِنْهُمْ

وَإِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي بِهِ أَرْجُو أَنْ تَعُودَ مَنْزِلَتِي
وَمَا غَلَبْتُ عَلَيْهِ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ لَمْ أَجِدْ حِيلَةً وَلَا وَجْهًا إِلَّا
الْإِحْسِيَالَ لِأَكْلِ الْعُشْبِ ^(١) هَذَا حَتَّى أَفْرَقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْحَيَاةِ فَإِنَّهُ إِنْ فَارَقَ الْأَسَدَ عَادَتْ لِي مَنْزِلَتِي . وَلَعَلَّ ذَلِكَ
يَكُونُ خَيْرًا لِلْأَسَدِ فَإِنْ إِفْرَاطُهُ فِي تَقْرِيبِ الثَّوْرِ خَلِيقُ أَنْ
يَشِينَهُ وَيَضُرَّهُ فِي أَمْرِهِ * قَالَ كَلِمَةً مَا أَرَى عَلَى الْأَسَدِ فِي
رَأْيِهِ فِي الثَّوْرِ وَمَكَانِهِ مِنْهُ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ شَيْنًا وَلَا شَرًّا * قَالَ
دِمْنَةُ إِنَّمَا يُؤْتِي السُّلْطَانُ ^(٢) وَيُفْسِدُ أَمْرُهُ مِنْ قَبْلِ سِتَّةِ أَشْيَاءَ .
الْحِرْمانِ وَالْفِتْنَةِ وَالْهَوَى وَالْفَظَاظَةَ وَالزَّمانَ وَالْخُرْقَ * فَأَمَّا
الْحِرْمانُ فَإِنَّ يَحْرُمَ مِنْ صَالِحِي الْأَعْوَانِ وَالْثَّغَمَاءِ وَالسَّاسَةِ ^(٣)
مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ ^(٤) وَالْأَمَانَةِ وَأَنْ يَكُونَ مَنْ حَوْلَهُ
فَاسِدًا مانِعًا مِنْ وُصُولِ أُمُورِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ . وَأَنْ يَحْرُمَ هُوَ
أَهْلُ النَّصِيحَةِ وَالصَّلَاحِ مِنْ عِنَايَتِهِ وَالتَّغَاثَةِ إِلَيْهِمْ * وَأَمَّا الْفِتْنَةُ
فَإِنَّهَا تَحَارِبُ رَعِيَّتَهُ وَتُوقِعُ الْخِلَافَ وَالنِّزَاعَ بَيْنَهُمْ * وَأَمَّا الْهَوَى

١ يريد به الثور ٢ يوجد عليه السبيل ٣ جمع سائس من سياسة الدولة

٤ الشدة والباس

فَالْإِغْرَامُ^(١) بِالنِّسَاءِ وَالْحَدِيثُ وَاللَّهُوُ وَالشَّرَابُ وَالصَّيْدُ وَمَا
 أَشْبَهَ ذَلِكَ * وَأَمَّا الْفُظَاظَةُ فَهِيَ إِفْرَاطُ الشَّدَةِ حَتَّى يَجْمَعَ
 اللَّسَابُ بِالشَّتَمِ^(٢) وَالْيَدُ بِالْبَطْشِ فِي غَيْرِ مَوْضِعَيْهِمَا * وَأَمَّا
 الزَّمانُ فَهُوَ مَا يُصِيبُ النَّاسَ مِنَ السِّنِينَ^(٣) مِنَ الْمَوْتَانِ^(٤) وَنَقْصِ
 الثَّمَرَاتِ وَالْفُرُزَاتِ^(٥) وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ * وَأَمَّا الْخَرْقُ فَأَعْمَالُ
 الشَّدَةِ فِي مَوْضِعِ اللَّيْنِ وَاللَّيْنِ فِي مَوْضِعِ الشَّدَةِ * وَإِنَّ الْأَسَدَ
 قَدْ أَغْرِمَ بِالثَّوْرِ إِغْرَامًا شَدِيدًا هُوَ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّهُ
 خَلِقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيَضُرَّهُ فِي أَمْرِهِ * قَالَ كَلِيلُهُ وَكَيْفَ تُطَبِّقُ
 الثَّوْرَ وَهُوَ أَشَدُّ مِنْكَ وَأَكْرَمُ عَلَى الْأَسَدِ مِنْكَ وَأَكْثَرُ
 أَعْوَانًا . قَالَ دِمْنَةُ لَا تَنْتَظِرْ إِلَى صَغِيرِي وَضَعْفِي فَإِنَّ الْأُمُورَ
 لَيْسَتْ بِالْأَضْعَفِ وَلَا الْقُوَّةُ وَلَا الصَّغِيرُ وَلَا الْكَبِيرُ فِي الْجَنَّةِ .
 فَرُبَّ صَغِيرٍ ضَعِيفٍ قَدْ بَلَغَ بِحِيلَتِهِ وَدَهَائِهِ وَرَأْيِهِ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ
 كَثِيرٌ مِنَ الْأَقْوِيَاءِ . أَوَلَمْ يَلْنُكَ أَنْ غَرَابًا ضَعِيفًا
 أَحْتَالَ لِأَسْوَدَ^(٦) حَتَّى قَتَلَهُ * قَالَ كَلِيلُهُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ
 قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ غَرَابًا كَانَ لَهُ وَكْرٌ^{مكر} فِي شَجَرَةٍ عَلَى

١ الولع ٢ سبق اليه ٣ السنين التي فيها الشدة والضيق

٤ موت المواني ٥ المحروب ٦ حبة عظيمة

جبل وكان قريباً منه جحر ثعبان (١) أسود . فكان الغراب إذا أفرخ عمد الأسود إلى فراخه فأكلها . فبلغ ذلك من الغراب (٢) فأحزنه فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى وقال له أريد مشاورتك في أمر قد عذمت عليه . قال وما هو قال الغراب قد عذمت أن أذهب إلى الأسود إذا نام فانقر عينيه فأفقاها علي أستريح منه . قال ابن آوى بش الحيلة التي أحتلت فألتبس أمراً تصيب فيه بغيثك من الأسود من غير أن تقرر بنفسك وتخطر بها . وإياك أن يكون مثلك مثل العجوم (٤) الذي أراد قتل السرطان فقتل نفسه . قال الغراب وكيف كان ذلك

قال ابن آوى زعموا أن عجماء عشت في أجنة كثيرة السمك فكان يختلج إلى ما فيها من السمك فيأكل منه . فعاش بها ما عاش ثم هزم فلم يستطع صيداً فأصابه جوع وجهد شديد . فجلس حزينا يلتبس الحيلة في أمر هزم به سرطان فرأى حاله وما هو عليه من الكابة (٧) والحزن . فدنا منه وقال

١ حية ٢ أي عظم عنده ٣ تعرضها للهلكة ٤ طائر ٥ يتردد ٦ شاخ ٧ الغم

لَهُ مَا لِي أَرَاكَ أَيُّهَا الطَّائِرُ هَكَذَا حَزِينًا كَثِيرًا . قَالَ الْعُجُومُ
 وَكَيْفَ لَا أَحْزَنُ وَقَدْ كُنْتُ أَعِيشُ مِنْ صَيْدٍ مَا هُنَا مِنَ السَّمَكِ .
 وَإِنِّي رَأَيْتُ الْيَوْمَ صَيَّادِينَ قَدْ مَرَّ بِهَذَا الْمَكَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا
 لِصَاحِبِهِ إِنَّ هُنَا سَمَكًا كَثِيرًا أَفَلَا نَصِيدُهُ أَوَّلًا . فَقَالَ
 الْآخَرُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي مَكَانٍ كَذَا سَمَكًا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا
 السَّمَكِ فَلْنَبْدَأْ بِذَلِكَ فَإِذَا فَرَغْنَا مِنْهُ حُتْنَا إِلَى هَذَا فَافْتَنَاهُ .
 وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمَا إِذَا فَرَعَا مِمَّا تَمَّ أَنْتَهُمَا إِلَى هَذِهِ الْأَجَمَةِ
 فَأَصْطَادَا مَا فِيهَا فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَهُوَ هَلَاقِي وَنَفَادُ مَدَنِي *
 فَأَنْطَلَقَ السَّرْطَانُ إِلَى جَمَاعَةِ السَّمَكِ فَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ . فَأَقْبَلْنَ
 عَلَى الْعُجُومِ - فَاسْتَشْرَحْنَ وَقُلْنَ لَهُ إِنَّا أَتَيْنَاكَ لِتَشِيرَ عَلَيْنَا إِنْ كَانَ
 ذَا الْعَقْلِ لَا يَدْعُ مُشَاوَرَةَ عَدُوِّهِ وَبِقَاؤُكَ بَقَاؤُنَا . قَالَ الْعُجُومُ
 أَمَّا مَكَابِرَةُ الصَّيَّادِينَ فَلَا طَاقَةَ لِي بِهَا . وَلَا أَعْلَمُ حِيلَةً إِلَّا
 الْمَصِيرَ إِلَى غَدِيرٍ قَرِيبٍ مِنْ هُنَا فِيهِ سَمَكٌ وَمِيَاهُ كَثِيرَةٌ
 وَقَصَبٌ . فَإِنْ اسْتَطَعْتُنَّ أَنْ تَنْقَالَ إِلَيْهِ كَانَ فِيهِ صَلَاحٌ كُنْ
 وَخَضِبْكَ . فَقُلْنَ لَهُ مَا يَمُنُّ عَلَيْنَا بِذَلِكَ غَيْرُكَ . فَجَعَلَ الْعُجُومُ

يَحْمِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَمَكَيْنِ حَتَّى يَنْتَهِي بِهِمَا إِلَى بَعْضِ التَّلَالِ
فَيَأْكُلُهُمَا. حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ لَأَخْذِ السَّمَكَيْنِ
فَجَاءَهُ السَّرَطَانُ فَقَالَ لَهُ إِنِّي أَيْضًا قَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ مَكَانِي هَذَا
وَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ فَأَذْهَبْ بِي إِلَى ذَلِكَ الْغَدِيرِ. فَقَالَ لَهُ احْبَا
وَكَرَامَةً وَأَحْتَمِلْهُ وَطَارَ بِهِ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ التَّلِّ الَّذِي
كَانَ يَأْكُلُ السَّمَكِ فِيهِ، نَظَرَ السَّرَطَانُ فَرَأَى عِظَامَ السَّمَكِ
مَجْمُوعَةً هُنَاكَ أَفَعَلِمَ أَنَّ الْعُجُومَ هُوَ صَاحِبُهَا وَأَنَّهُ يَرِيدُ بِهِ
مِثْلَ ذَلِكَ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلُ عَدُوَّهُ فِي الْهَوَاطِنِ
الَّتِي يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا هَالِكٌ سَوَاءٌ قَاتَلَ أَمْ لَمْ يُقَاتِلْ كَانَ حَقِيقًا
أَنَّهُ يُقَاتِلُ عَنْ نَفْسِهِ كَرَمًا وَحِفَاطًا. وَلَا يُمْكِنُ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى
يَسْتَفْرِغَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْحِيلَةِ فِي قِتَالِهِ لِأَنَّهُ قَدْ بَنَى أَمْرَهُ عَلَى
التَّلَفِ فَلَعَلَّ خَلَاصَهُ فِي ذَلِكَ الْقِتَالِ وَالْهَلَاكُ وَاقِعٌ بِهِ كَيْفَ
كَانَ فَلَمْ يَزَلْ يَحْتَمِلُ عَلَى الْعُجُومِ حَتَّى تَمُوتَ مِنْ عَنَقِهِ
فَأَهْوَى بِكَلْبَتِهِ عَلَيْهَا فَعَضَرَهَا فَمَاتَتْ. وَتَخَلَّصَ السَّرَطَانُ
إِلَى جَمَاعَةِ السَّمَكِ فَأَخْبَرَهُنَّ بِذَلِكَ

وَأِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ الْحَيَلَةِ
 مَهْلِكَةٌ لِلْمَعْتَالِ . وَلَكِنِّي أَذْكَ عَلَى أَمْرٍ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ
 عَلَيْهِ كَانَ فِيهِ هَلَاكُ الْأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَهْلِكَ بِهِ نَفْسُكَ
 وَتَكُونُ فِيهِ سَلَامَتُكَ . قَالَ الْغُرَابُ وَمَا ذَاكَ . قَالَ ابْنُ آوَى
 تَنْطَلِقُ فَتَبْصُرُ ^(١) فِي طَيْرَانِكَ لَعَلَّكَ أَنْ تَنْظُرَ بِشَيْءٍ مِنْ حُلِيِّ
 النِّسَاءِ فَتَخْطِفَهُ وَلَا تَزَالُ طَائِرًا وَاقِعًا بِحَيْثُ لَا تَفُوتُ الْعُيُونُ
 فَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ تَبْعُوكَ تَأْتِي جَرَّ الْأَسْوَدِ قَتْرَمِي بِالْحُلِيِّ
 عِنْدَهُ . فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَخَذُوا حُلِيمَ وَأَرَا حُوكَ مِنْ
 الْأَسْوَدِ * فَانْطَلَقَ الْغُرَابُ مُحَلِّقًا ^(٢) فِي السَّمَاءِ فَوَجَدَ أَمْرًا
 مِنْ بَنَاتِ الْعُظَمَاءِ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ تَغْتَسِلُ وَقَدْ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا
 وَحُلِيَهَا نَاحِيَةً فَانْقَضَ ^(٤) وَأَخْطَفَ مِنْ حُلِيمَا عَقْدًا وَطَارَ بِهِ
 فَتَبِعَهُ النَّاسُ وَلَمْ يَزَلْ طَائِرًا وَاقِعًا بِحَيْثُ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى
 أَنْتَهَى إِلَى جَرِّ الْأَسْوَدِ فَالْقَى الْعَقْدَ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ .
 فَلَمَّا اتَّوَا أَخَذُوا الْعَقْدَ وَقَتَلُوا الْأَسْوَدَ
 وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْحَيَلَةَ تَجْزِي ^(٥)

١ نطلب ان تبصر ٢ اي تطير وتقع ٣ مرتفعاً ٤ وقع
 ٥ تفني وتكنفي

مَا لَا تَجْزِي الْقُوَّةُ * قَالَ كَلِيلُهُ إِنَّ الثَّورَ لَوْلَمْ يَجْتَمِعْ مَعَ
شِدَّتِهِ رَأْيُهُ لَكَانَ كَمَا تَقُولُ وَلَكِنَّ لَهُ مَعَ شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ حُسْنَ
الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ فَمَاذَا تَسْتَطِيعُ لَهُ * قَالَ دِمْنَةُ إِنَّ الثَّورَ لَكَمَا
ذَكَرْتَ فِي قُوَّتِهِ وَرَأْيِهِ وَلَكِنَّهُ مَقَرٌّ لِي بِالْفَضْلِ وَأَنَا
خَلِيقُ أَنْ أَصْرَعَهُ ^(١) كَمَا صَرَعْتَ الْأَرْبُ الْأَسَدَ . قَالَ
كَلِيلُهُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ كَثِيرَةِ
الْمِيَاهِ وَالْعُشْبِ وَكَانَ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ مِنَ الْوُحُوشِ فِي سَعَةِ
الْمِيَاهِ وَالْمَرْعَى شَيْءٌ كَثِيرٌ . إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهَا ذَلِكَ لِحُوفِهَا
مِنَ الْأَسَدِ . فَاجْتَمَعَتْ وَأَتَتْ إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَتْ لَهُ إِنَّكَ
لَتَصِيبُ مِنَّا الدَّابَّةَ بَعْدَ الْجَهْدِ وَالْعَبَثِ . وَقَدْ رَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فِيهِ
صَلَاحٌ لَكَ وَآمَنٌ لَنَا . فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَنَا وَلَمْ تَخَفْنَا فَالْكَ عَلَيْنَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةٌ نُرْسِلُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتِ غَدَائِكَ . فَرَضِيَ
الْأَسَدُ بِذَلِكَ وَصَاحَ الْوَحْشَ عَلَيْهِ وَوَفِينَ لَهُ بِهِ * ثُمَّ إِنَّ
أَرْبَابًا أَصَابَتْهُمُ الْقُرْعَةُ وَصَارَتْ غَدَاءَ الْأَسَدِ . فَقَالَتْ لِلْوُحُوشِ

اِنْ اَتَيْنِ رَفَقَتْنِ (١) بِي فِيمَا لَا يَضُرُّكَ رَحُوتُ اَنْ اَرِيحَنَّ مِنَ
 الْاَسَدِ . فَقَالَتِ الْوُحُوشُ وَمَا الَّذِي تَكْفِينَا مِنَ الْاُمُورِ .
 قَالَتْ تَأْمُرُنَ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِي اِلَى الْاَسَدِ اَنْ يَمْلِي رَشْمًا
 اَبْطِئُ عَلَيْهِ بَعْضَ الْاَبْطَاءِ فَقُلْنَ لَهَا ذَلِكَ لَكَ . فَاَنْطَلَقَتْ
 الْاَرْنَبُ مُتَبَاطِئَةً (٢) حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَقْتَ الَّذِي كَانَ تَعْدِي
 فِيهِ الْاَسَدُ . ثُمَّ تَقَدَّمَتْ اِلَيْهِ وَحَدَّاهُ رُويْدًا (٤) وَقَدْ جَاعَ
 فَغَضِبَ وَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْوَهَا فَقَالَ لَهَا مِنْ اَيْنَ اَقْبَلْتِ .
 قَالَتْ اَنَا رَسُولُ الْوُحُوشِ اِلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَنِي وَمَعِيَ اَرْنَبٌ لَكَ
 فَتَبْعِي اَسَدٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ الطَّرِيقِ فَاَخْذَهَا مِنِّي وَقَالَ اَنَا
 اَوَّلِي بِهَذِهِ الْاَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْوُحُوشِ فَقُلْتُ لَهُ اَنْ
 هَذَا غَدَاءُ الْمَلِكِ اَرْسَلْتُ بِهِ الْوُحُوشَ اِلَيْهِ فَلَا تَقْصِبْنَهُ فَسَبَكَ
 وَشَتَمَكَ فَاقْبَلْتِ مَسْرُوعَةً لِاخْبَرِكَ . فَقَالَ الْاَسَدُ اَنْطَلْقِي مَعِيَ
 فَاَرِنِي مَوْضِعَ هَذَا الْاَسَدِ . فَاَنْطَلَقَتْ الْاَرْنَبُ اِلَى جَبِّ (٥)
 فِيهِ مَاءٌ غَامِرٌ صَافٍ . فَاَطْلَعَتْ فِيهِ وَقَالَتْ هَذَا الْمَكَانُ .
 فَاَطْلَعَ الْاَسَدُ فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ الْاَرْنَبِ فِي الْمَاءِ فَلَمْ يَشْكُ

فِي قَوْلِهَا وَوَتَبَّ عَلَى الْأَسَدِ لِيُقَاتِلَهُ فَفَرَّقَ فِي الْجَبِّ. فَأَنْقَلَبَتْ^(١)
 الْأَرْزَبُ إِلَى الْوُحُوشِ فَأَعْلَمَتْهُنَّ صَنِيعَهَا بِالْأَسَدِ^(٢)
 قَالَ كَلِيلَةُ ابْنِ قَدَرْتٍ عَلَى هَلَاكِ الثَّوْرِ بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ
 مَضَرَّةٌ لِلْأَسَدِ فَشَانَكَ^(٣) فَإِنَّ الثَّوْرَ قَدْ أَضْرَبَ بِي وَبِكَ وَبِغَيْرِنَا
 مِنَ الْجَنْدِ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِهَلَاكِ الْأَسَدِ فَلَا
 تُقَدِّمُ^(٤) عَلَيْهِ فَإِنَّهُ غَدَرَ مِنِّي وَمِنْكَ

ثُمَّ إِنْ دِمْنَةُ تَرَكَ الدَّخُولَ عَلَى الْأَسَدِ أَيَّامًا كَثِيرَةً.
 وَثُمَّ أَنَاهُ عَلَى حَلْوَةٍ مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ مَا حَبَسَكَ عَنِّي مِنْذُ^(٥)
 زَمَانٍ لَمْ أَرَكَ. أَلَا لِحَيْرٍ كَانَ أُنْقِطَاعُكَ. قَالَ دِمْنَةُ لَيْكُنْ
 خَيْرًا أَيُّهَا الْمَلِكُ. قَالَ الْأَسَدُ وَهَلْ حَدَثَ أَمْرٌ. قَالَ دِمْنَةُ
 حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنِ الْمَلِكُ يُرِيدُهُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ جُنْدِهِ.

قَالَ وَمَا ذَاكَ. قَالَ كَلَامٌ فَطِيعٌ. قَالَ أَخْبِرْنِي بِهِ. قَالَ
 دِمْنَةُ إِنْ كُلَّ كَلَامٍ يَكْرَهُهُ سَامِعُهُ لَا يَجْسُرُ عَلَيْهِ قَائِلُهُ
 وَإِنْ كَانَ نَاصِحًا مُشَفِّقًا إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَقُولُ لَهُ عَاقِلًا فَإِنْ
 اتَّفَقَ ذَلِكَ حَمَلَ الْقَوْلَ عَلَى عَمَلِ النَّحْبَةِ وَعَلِمَ مَا فِيهِ مِنَ
 النَّصِيحَةِ لِأَنَّ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ نَفْعٍ فَهُوَ لَهُ * وَإِنَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ

لَنُؤَفِّضِيْكَ وَرَأَيْكَ بِذَلِكَ عَلَيَّ أَنْ يُوجِعَنِي أَنْ أَقُولَ مَا تَكْرَهُ
 وَإِنِّي وَاثِقٌ بِكَ أَنَّكَ تَعْرِفُ نَصِيحِي وَإِيَّازِي (١) إِيَّاكَ عَلَى نَفْسِي
 وَإِنَّهُ لَيُعْرِضُ لِي أَنَّكَ غَيْرُ مُصَدِّقِي فِيْمَا أُخْبِرُكَ بِهِ وَلَكِنِّي
 إِذَا تَذَكَّرْتُ وَتَفَكَّرْتُ أَنَّ نَفُوسَنَا مَعَاشِرِ الْوُحُوشِ مُتَعَلِّقَةٌ
 بِكَ لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ أَدَاءِ (٢) النَّصِيحِ الَّذِي يَلْزُمُنِي وَإِنْ أَنْتَ
 لَمْ تَسْأَلْنِي أَوْ خِفْتُ أَنْ لَا تَقْبَلَهُ مِنِّي فَإِنَّهُ يُقَالُ مِنْ كَتَمِ
 السُّلْطَانِ نَصِيحَتَهُ وَالْأَطِبَّاءِ مَرَضَهُ وَالْإِخْوَانَ رَأْيَهُ فَقَدْ خَانَ
 نَفْسَهُ قَالَ الْأَسَدُ فَمَا ذَاكَ قَالَ دِمْنَةُ حَدَّثَنِي الْأَمِينُ الصَّدُوقُ (٣)
 عِنْدِي أَنَّ شَتْرَبَةَ خَلَا بَرُّوْسَ جُنْدِكَ وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي قَدْ خَبَرْتُ
 الْأَسَدَ وَبَلَّوْتُ رَأْيَهُ وَمَكِيدَتَهُ (٤) وَقُوَّتَهُ فَاسْتَبَانَ لِي أَنَّ ذَلِكَ يَأُولُ
 مِنْهُ إِلَى ضَعْفٍ وَعَجْزٍ وَسَيَكُونُ لِي وَلَهُ شَأْنٌ (٥) مِنَ الشُّوْءِ
 فَلَمَّا بَلَغَنِي ذَلِكَ عَلِمْتُ أَنَّ شَتْرَبَةَ خَوَّانٌ غَدَّارٌ وَأَنَّكَ
 أَكْرَمْتَهُ الْكَرَامَةَ كُلَّهَا وَجَعَلْتَهُ نَظِيرَ نَفْسِكَ فَهُوَ يَظُنُّ
 أَنَّهُ مِثْلُكَ وَأَنَّكَ مَتَى زِلْتَ عَنْ مَكَانِكَ كَانَ لَهُ مُلْكُكَ
 وَلَا يَدْعُ جُهْدًا (٦) إِلَّا بَلَغَهُ فِيكَ وَقَدْ كَانَ يُقَالُ إِذَا عَرَفَ
 الْمَلِكُ مِنْ أَحَدٍ رَعِيَّتَهُ أَنَّهُ قَدْ سَاوَاهُ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْحَالِ فَلْيَصْرَعْهُ

١ تنضيبي ٢ بخطر ٣ نادبة ٤ الصادق ٥ امتحنت
 ٦ مكره وحيلة ٧ يرجع ٨ امر ٩ طاقة وإساعة

فَإِنْ هُوَ لَمْ يَفْعَلْ بِهِ ذَلِكَ كَانَ هُوَ الْمَصْرُوعَ . وَشَتْرَبُهُ أَعْلَمُ
 بِالْأُمُورِ وَأَبْلَغُ فِيهَا . وَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ تَمَامِهِ
 وَوُقُوعِهِ . فَإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ وَأَنْ لَا تَسْتَدْرِكَهُ ^(١) * فَإِنَّهُ
 يُقَالُ الرَّجُلُ جَالٌ ثَلَاثَةً حَازِمٌ وَأَحْزَمٌ مِنْهُ وَعَاجِزٌ . فَالْحَازِمُ مَنْ
 إِذَا نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ لَمْ يَدْهَشْ ^(٢) لَهُ وَلَمْ يَذْهَبْ قَلْبُهُ شِعَاعًا ^(٣) وَلَمْ
 تَغَيَّرْ بِهِ ^(٤) حِيلَتُهُ وَمَكِيدَتُهُ الَّتِي يَرْجُو بِهَا الْخُرُجَ مِنْهُ . وَأَحْزَمٌ
 مِنْ هَذَا الْمَقْدَامُ ^(٥) ذُو الْعِدَّةِ الَّذِي يَعْرِفُ الْإِبْتِلَاءَ ^(٦) قَبْلَ وَقُوعِهِ
 فَيُعْظِمُهُ ^(٧) إِعْظَامًا وَيَحْتَالُ لَهُ حِيلَةً حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ لَزِمَهُ فَيَحْسِمُ ^(٨)
 الدَّاءَ قَبْلَ أَنْ يُبْتَلَى بِهِ وَيُدْفَعُ الْأَمْرَ قَبْلَ وَقُوعِهِ . وَأَمَّا الْعَاجِزُ
 فَهُوَ فِي تَرَدُّدٍ وَتَمَنٍّ وَتَوَانٍ ^(٩) حَتَّى يَهْلِكَ * وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ
 مَثَلُ السَّمَكَاتِ الثَّلَاثِ . قَالَ الْأَسَدُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرَ آكَانٍ فِيهِ ثَلَاثٌ مِنَ السَّمَكِ
 كَيْسَةٌ ^(١٠) وَأَكْسَسَ مِنْهَا وَعَاجِزَةٌ . وَكَانَ ذَلِكَ الْغَدِيرُ يَجُوفُ
 مِنَ الْأَرْضِ لَا يَكَادُ يَفْرُغُ بِهِ أَحَدٌ وَيَقْرُبُهُ نَهْرٌ جَارٍ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ
 أَجْتَازَ بِذَلِكَ النَّهْرِ صَيَادَانِ فَأَبْصَرَ الْغَدِيرَ فِتْوَاعِدَانِ أَنْ يَرْجِعَا

- ١ ثلثاه ٢ يغير ٣ منفردًا وهو كناية عن شدة الخوف ٤ تعجز
 ٥ الجري الكبير الاقدام ٦ البلية ٧ يعدة عظيمًا ٨ يقطع
 ٩ فنور ١٠ عاقلة ١١ ما ارتفع من الارض

إِلَيْهِ بِشَبَاكِهِمَا فَصِيدَا مَا فِيهِ مِنَ السَّمَكِ. فَسَمِعَ السَّمَكَاتُ
 قَوْلَهُمَا فَأَمَّا أَكْبَسُهُنَّ فَلَمَّا سَمِعَتْ قَوْلَهُمَا أَرْتَابَتْ ^(١) بِهِمَا وَتَخَوَّفَتْ
 مِنْهُمَا فَلَمْ تَعْرِجْ ^(٢) عَلَى شَيْءٍ حَتَّى خَرَجَتْ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي
 يَدْخُلُ فِيهِ الْمَاءُ مِنَ النَّهْرِ إِلَى الْغَدِيرِ فَخَبَتْ بِنَفْسِهَا. وَأَمَّا
 الْكَيْسَةُ الْأُخْرَى فَإِنَّهَا مَكَثَتْ مَكَانَهَا وَتَهَاوَنْتْ فِي الْأَمْرِ
 حَتَّى جَاءَ الصَّيَادَانِ. فَلَمَّا رَأَتْهُمَا وَعَرَفَتْ مَا يُرِيدَانِ إِذْهَبَتْ
 تَخْرُجُ مِنْ حَيْثُ يَدْخُلُ الْمَاءُ فَإِذَا بِهِمَا قَدْ سَدَا ذَلِكَ الْمَكَانَ.
 فَمِنْهُنَّ قَالَتْ لِفَرْطِ ^(٣) وَهَذِهِ عَاقِبَةُ التَّفْرِيطِ فَكَيْفَ الْحِيلَةُ عَلَى
 هَذِهِ الْحَالِ وَقَلِمَا تَنْجُ حِيلَةَ الْعَجَلَةِ وَالْأَرْهَاقِ ^(٤) غَيْرَ أَنَّ الْعَاقِلَ
 لَا يَقْنَطُ ^(٥) مِنْ مَنَافِعِ الرَّأْيِ وَلَا يَأْسُ عَلَى حَالٍ وَلَا يَدْعِي الرَّأْيَ
 وَالْجَهْدَ. ثُمَّ إِنَّهَا تَهَاوَنْتْ ^(٦) فَظَفَتْ ^(٧) عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ مُنْقَلِبَةً
 عَلَى ظَهْرِهَا تَارَةً ^(٨) وَتَارَةً عَلَى بَطْنِهَا. فَأَخَذَهَا الصَّيَادَانِ وَظَنَّاها
 مَيْتَةً فَوَضَعَاهَا عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ النَّهْرِ وَالْغَدِيرِ فَوَثَبَتْ إِلَى
 النَّهْرِ فَخَبَتْ. وَأَمَّا الْعَاجِزَةُ فَلَمْ تَزَلْ فِي إِقْبَالٍ وَإِدْبَارٍ حَتَّى
 صِيدَتْ

١ شكت ٢ لم تعطف ولم تغل ٣ قصرت ٤ أي التاعروا لا بطاء
 ٥ يقطع الامل ٦ اظهرت انها ميتة ٧ عامت ٨ مرة

قَالَ الْأَسَدُ قَدْ فَهِمْتُ ذَلِكَ وَلَا أَظُنُّ الثَّورَ يَغْشِي وَلَا
 يَرْجُو لِي الْغَوَائِلَ ^(١). وَكَيْفَ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرِ مِنِّي سُوءًا قَطًّا
 وَلَمْ أَدْعُ خَيْرًا إِلَّا فَعَلْتُهُ مَعَهُ وَلَا أُمْنِيَّةَ ^(٢) إِلَّا بَلَغْتُهُ إِيَّاهَا.
 قَالَ دِمْنَةُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَا ذَكَرْتُهُ
 مِنْ أَكْرَامِكَ لَهُ وَتَبْلِيغِكَ إِيَّاهُ كُلَّ مَنْزِلَةٍ خِلا مِنْزِلَتِكَ وَإِنَّهُ
 مُتَطَلِّعٌ ^(٣) إِلَيْهَا. فَإِنَّ اللَّئِيمَ لَا يَزَالُ نَافِعًا نَاصِحًا حَتَّى يَرْفَعَ
 إِلَى الْمَنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ. فَإِذَا بَلَغَهَا أَشْرَبَتْ ^(٤) نَفْسُهُ
 إِلَى مَا فَوْقَهَا وَلَا سِيمَا أَهْلَ الْخِيَانَةِ وَالْفُجُورِ ^(٥). فَإِنَّ اللَّئِيمَ الْفَاجِرَ
 لَا يَخْدُمُ السُّلْطَانَ وَلَا يَنْصَحُ لَهُ إِلَّا مِنْ فَرْقٍ ^(٦) أَوْ حَاجَةٍ فَإِذَا
 اسْتَغْنَى وَذَهَبَتِ الْهَيْبَةُ وَالْحَاجَةُ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ. كَذَنْبِ
 الْكَلْبِ الَّذِي يَرْبُطُ لَيْسَتْ قِيمَ فَلَا يَزَالُ مُسْتَوِيًّا مَا دَامَ مُرْبُوطًا
 فَإِذَا حُلَّ انْحَنَى وَتَعَوَّجَ كَمَا كَانَ

وَأَعْلَمَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ نُصَحَائِهِ مَا
 يَشْتَقُّ عَلَيْهِ مِمَّا يَنْصَحُونَ لَهُ لَمْ يَحْمَدْ غَيْبَ ^(٧) رَأْيِهِ. كَالْمَرِيضِ
 الَّذِي يَدْعُ مَا يَصِفُ لَهُ الطَّيِّبُ وَيَعْمِدُ لِمَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ.

١ الممالك ٢ ما ينهى ٣ رافع بصره ٤ تطاولت ٥ المعاصي
 ٦ خوف ٧ عاقبة

وَحَقٌّ عَلَى مُؤَارِرِ^(١) السُّلْطَانِ أَنْ يُبَالِغَ فِي التَّخْضِيعِ^(٢) لَهُ
 عَلَى مَا يَزِيدُ بِهِ سُلْطَانُهُ قُوَّةً وَيَزِينُهُ وَالْكَفِّ عَمَّا يَضُرُّهُ
 وَيَشِينُهُ^(٣). وَخَيْرُ الْأَخْوَانِ وَالْأَعْوَانِ أَقْلَهُمْ مُدَاهَنَةً^(٤) فِي
 النَّصِيحَةِ. وَخَيْرُ الْأَعْمَالِ أَحْمَدُهَا عَاقِبَةً. وَخَيْرُ النِّسَاءِ الْمُوَافِقَةُ
 لِبَعْلِهَا. وَخَيْرُ الثَّنَاءِ مَا كَانَ عَلَى أَفْوَاهِ الْأَخْيَارِ. وَأَفْضَلُ
 الْمُلُوكِ مَنْ لَا يُخَاطِطُهُ بَطَرٌ وَلَا يَسْتَكْبِرُ عَنْ قَبُولِ النَّصِيحَةِ.
 وَخَيْرُ الْأَخْلَاقِ أَعْوَنُهَا عَلَى الْوَرَعِ^(٥). * وَقَدْ قِيلَ لَوْ أَنَّ أَمْرًا
 تَوَسَّدَ النَّارَ^(٦) وَأَفْتَرَشَ الْحَيَاتِ^(٧) كَانَ أَحَقَّ أَنْ يَهْنِئَهُ النَّوْمُ
 مِنْ يَحْسُشُ مِنْ صَاحِبِهِ بَعْدَاوَةَ يَرِيدُهُ بِهَا وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ.
 وَأَعْجَزُ الْمُلُوكِ آخِذُهُمْ^(٨) بِالْهُوَيْنَاءِ^(٩) وَأَقْلَهُمْ نَظْرًا فِي مُسْتَقْبَلِ
 الْأُمُورِ وَأَشْبَهُهُمْ بِالْفِيلِ الْهَائِجِ الَّذِي لَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.
 فَإِنْ أَحْزَنَهُ أَمْرٌ تَهَاوَنَ بِهِ وَإِنْ أَضَاعَ الْأُمُورَ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى
 قُرْنَائِهِ^(١٠). * قَالَ الْأَسَدُ لَقَدْ أَغْلَظْتُ فِي الْقَوْلِ وَقَوْلُ النَّاصِحِ
 مَقْبُولٌ مَحْمُولٌ. وَإِنْ كَانَ شَتْرَبُهُ مُعَادِيًّا لِي كَمَا نَقُولُ فَإِنَّهُ
 لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضُرَّنِي وَلَا أَنْ يَفْتَّ فِي سَاعِدِي^(١١) وَكَيْفَ

١ معاون ٢ المحت ٣ خلاف يزينة ٤ غشا وتلقا ٥ التقوى
 ٦ اتخذها وسادة أي مخدة ٧ اتخذها فراشا ٨ تفضيل من الاخذ
 ٩ الثأني والمراد بها هنا الثواني والثور ١٠ جمع قرين وهو العنبر ١١ بضعفني

يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ آكِلُ عُشْبٍ وَأَنَا آكِلُ لَحْمٍ وَإِنَّمَا
هُوَ لِي طَعَامٌ وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةٌ. ثُمَّ لَيْسَ إِلَى الْغَدِيرِ بِهِ
سَبِيلٌ بَعْدَ الْأَمَانِ الَّذِي جَعَلْتُهُ لَهُ وَبَعْدَ إِكْرَامِي لَهُ وَثَنَائِي
عَلَيْهِ وَإِنْ غَيَّرْتُ مَا كَانَ مِنِّي وَبَدَّلْتُهُ فَقَدْ سَفَهْتُ رَأْيِي ^(١)
وَجَهَلْتُ نَفْسِي ^(٢) وَغَدَرْتُ بِذِمَّتِي ^(٣) وَنَقَضْتُ عَهْدِي بِقَالَ دِمْنَةُ
لَا يَغُرُّكَ قَوْلُكَ هُوَ لِي طَعَامٌ وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةٌ. فَإِنْ شَرَبْتَهُ
إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْكَ بِنَفْسِهِ أَحْتَالَ لَكَ مِنْ قَبْلِ غَيْرِهِ. وَيُقَالُ
إِنْ اسْتَضَافَكَ ضَيْفٌ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ أَخْلَاقَهُ
فَلَا تَأْمَنُ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا تَأْمَنُ أَنْ يَصِلَكَ مِنْهُ أَوْ بِسَبَبِهِ مَا
أَصَابَ الْقُمَّلَةَ مِنَ الْبُرْغُوثِ. قَالَ الْأَسَدُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ
قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ قُمَّلَةً لَزِمَتْ فِرَاشَ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ
دَهْرًا فَكَانَتْ تَصِيبُ مِنْ دَمِهِ وَهُوَ نَائِمٌ لَا يَشْعُرُ وَتَدِبُ دَيْبًا
رَفِيقًا ^(٤). فَمَكَثَتْ كَذَلِكَ حِينًا حَتَّى اسْتَضَافَهَا لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي
بُرْغُوثٌ فَقَالَتْ لَهُ بَيْتُ اللَّيْلَةِ عِنْدَنَا فِي دَمٍ طَيِّبٍ وَفِرَاشٍ
لَيْنٍ. فَأَقَامَ الْبُرْغُوثُ عِنْدَهَا حَتَّى إِذَا أَوَى الرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ

١ نسبتہ الی السفہ وھو الجھل والخفۃ ٢ نسبتھا الی الجھل ٣ عہدی
وحرمتی ٤ اطمینا

وَتَبَّ عَلَيْهِ الْبُرْغُوثُ فَلَدَغَهُ لَدَغَةً أَقْيَظَتْهُ وَأَطَارَتْ النَّمَمَ عَنْهُ
فَقَامَ الرَّجُلُ وَأَمَرَ أَنْ يَفْتَشَ فِرَاشَهُ فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ إِلَّا الْقَمَلَةَ
فَأَخَذَتْ فَقَصَصَتْ (١) وَفَرَ الْبُرْغُوثُ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لَتَعْلَمَ أَنَّ صَاحِبَ الشَّرِّ
لَا يَسْلُمُ مِنْ شَرِّهِ أَحَدًا وَإِنْ هُوَ ضَعُفَ عَنْ ذَلِكَ جَاءَ الشَّرُّ
بِسَبَبِهِ وَإِنْ كُنْتَ لَا تَخَافُ مِنْ شَرِّهِ فَخَفَّ غَيْرُهُ مِنْ جَنْدِكَ
الَّذِينَ قَدْ حَرَّشَهُمْ عَلَيْكَ (٢) وَحَمَلَهُمْ عَلَى عِدَاوَتِكَ فَيُفَوِّقُ فِي
نَفْسِ الْأَسَدِ (٣) كَلَامُ دِمْنَةٍ فَقَالَ فَمَا الَّذِي تَرَى إِذْنًا وَبِمَاذَا
تَشِيرُ قَالَ دِمْنَةُ إِنْ الضَّرْسُ الْمَأْكُولُ (٤) لَا يَزَالُ صَاحِبُهُ
مِنْهُ فِي أَلَمٍ وَآذَى حَتَّى يَقْلَعَهُ وَالطَّعَامُ الَّذِي قَدْ عَفِنَ فِي
الْبَطْنِ الرَّاحَةُ فِي قَذْفِهِ وَالْعَدُوُّ الْخَفِيفُ دَوَاؤُهُ قَتْلُهُ قَالَ
الْأَسَدُ لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَكْرَهُ مُجَاوَرَةَ شَرِّهِ إِيَّايَ وَأَنَا مُرْسِلٌ
إِلَيْهِ وَذَاكَ لَهُ مَا وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ ثُمَّ أَمَرَهُ بِاللَّحَاقِ حَيْثُ
أَحَبَّ (٥)

فَكَرِهَ دِمْنَةُ ذَلِكَ وَعَلِمَ أَنَّ الْأَسَدَ مَتَى كَلَّمَ شَرِّهِ فِي

١ قتل بالظفر ٢ اغرام بك وهميم عليك ٣ ائرفيها ٤ المنخور
٥ اي بالانصراف

ذَلِكَ وَسَمِعَ مِنْهُ جَوَابًا عَرَفَ بَاطِلَ مَا أَتَى هُوَ بِهِ وَأَطْلَعَ عَلَى غَدْرِهِ
 وَكَذِبِهِ وَلَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فَقَالَ لِلْأَسَدِ: أَمَا أَرْسَلْتُكَ إِلَى
 شَتْرَبَةَ فَلَا أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا وَلَا حِزْمًا فَلْيَنْظُرِ الْمَلِكُ فِي ذَلِكَ
 فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ لَكَ فِي نَفْسِكَ الْخِيَارُ مَا دَامَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَهُ
 قَدْ وَصَلَ إِلَيْكَ فَإِنَّهُ مَتَى عَلِمَ ذَلِكَ خَفْتُ أَنْ يَاجِلَ الْمَلِكُ
 بِالْمَكَابَرَةِ وَهُوَ إِنْ قَاتَلَكَ فَاتَّكَ مُسْتَعِدًّا وَإِنْ فَارَقَكَ فَارَقَكَ
 فِرَاقًا يَلِيكَ مِنْهُ النِّقْصُ وَيَلْزَمُكَ مِنْهُ الْعَارُ مَعَ أَنْ ذَوِي
 الرِّأْيِ مِنَ الْمُلُوكِ لَا يَعْْلَنُونَ عَقُوبَةَ مَنْ لَمْ يَعْْلَنِ ذَنْبَهُ وَلَكِنْ
 لِكُلِّ ذَنْبٍ عِنْدَهُمْ عَقُوبَةٌ فَلِذَنْبِ الْعِلَانِيَةِ عَقُوبَةُ الْعِلَانِيَةِ
 وَلِذَنْبِ السِّرِّ عَقُوبَةُ السِّرِّ قَالَ الْأَسَدُ إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا عَاقَبَ
 أَحَدًا عَنْ ظَنِّهِ ظَنُّهَا مِنْ غَيْرِ تَبْقَى لِحَرْمِهِ فَنَفْسُهُ عَاقِبَ
 وَإِيَّاهَا ظَلَمَ وَكَانَ نَاقِصَ الْبَصِيرَةِ قَالَ دِمْنَةُ أَمَا إِذَا كَانَ هَذَا
 رَأْيَ الْمَلِكِ فَلَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ شَتْرَبَةُ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَعِدٌّ لَهُ
 وَإِيَّاكَ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْكَ غَرَّةٌ أَوْ غَفْلَةٌ فَإِنِّي لَا أَحْسِبُ
 الْمَلِكَ حِينَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَّا سِعْرِفُ أَنَّهُ قَدْ هَمَّ بِعَظِيمَةٍ
 وَمِنْ عِلَامَاتِ ذَلِكَ أَنَّكَ تَرَى هَيْئَتَهُ مُتَغَيِّرَةً وَتَرَى أَوْصَالَهُ

تُرْعَدُ ^(١) وَتَرَاهُ مُلْتَفِتًا يَمِينًا وَشِمَالًا وَتَرَاهُ يُصَوِّبُ قَرْنَيْهِ ^(٢) فِعْلَ
الَّذِي هُمْ بِالنِّطَاحِ وَالْقِتَالِ * قَالَ الْأَسَدُ سَأَكُونُ مِنْهُ عَلَى
حَذَرٍ وَإِنْ رَأَيْتُ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْتَ عَلِمْتُ أَنَّ مَا
فِي أَمْرِهِ شَكٌّ

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنُهُ مِنْ تَحْرِيشِ الْأَسَدِ عَلَى الثَّوْرِ أَوْعَرَ
أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مَا كَانَ يَلْتَمِسُ وَأَنَّ الْأَسَدَ سَيَحْذَرُ مِنْ
الثَّوْرِ وَتَهَيَّأَ لَهُ أَنْ يَأْتِيَ الثَّوْرَ لِيُغْرِبَهُ بِالْأَسَدِ ^(٣) . وَأَحَبُّ
أَنْ يَكُونَ إِيَّانَهُ مِنْ قَبْلِ الْأَسَدِ خَافَةً أَنْ يَبْلُغَهُ ذَلِكَ فَيَتَأَذَى
بِهِ . فَقَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَلَا آتِي شَتْرَبَةً فَأَنْظُرَ إِلَى حَالِهِ وَأَمْرِهِ
وَأَسْمَعَ كَلَامَهُ لَعَلِّي أَنْ أَطْلُعَ عَلَى سِرِّهِ فَأُطْلِعَ الْمَلِكَ عَلَى
ذَلِكَ وَعَلَى مَا يَظْهَرُ لِي مِنْهُ . فَأَذِنَ لَهُ الْأَسَدُ فِي ذَلِكَ .
فَأَنْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى شَتْرَبَةٍ كَالْكُتَيْبِ الْحَزِينِ . فَلَمَّا رَأَى
الثَّوْرَ رَحِبَ بِهِ ^(٤) . وَقَالَ مَا كَانَ سَبَبُ انْقِطَاعِكَ عَنِّي فَأَنِّي
لَمْ أَرَكَ مِنْذُ أَيَّامٍ أَسْلَامَةً هُوَ . قَالَ دِمْنُهُ وَمَتَى كَانَ مِنْ أَهْلِ
الْأَسْلَامَةِ مَنْ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ وَأَمْرُهُ يَبِيدُ غَيْرَهُ مِمَّنْ لَا يُوثِقُ بِهِ
وَلَا يَنْفِكُ عَلَى خَطَرٍ وَخَوْفٍ حَتَّى مَا مِنْ سَاعَةٍ أَتَمُّ وَيَأْمَنُ

فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ * قَالَ شَتْرَبُهُ وَمَا الَّذِي حَدَثَ * قَالَ دِمْنُهُ حَدَثَ
 مَا قَدِرَ وَهُوَ كَأَنَّ * وَمَنْ ذَا الَّذِي غَالِبَ الْقَدِرَ * وَمَنْ ذَا الَّذِي
 بَلَغَ مِنَ الدُّنْيَا جَسِيمًا مِنَ الْأُمُورِ فَلَمْ يَبْطُرْ * وَمَنْ ذَا الَّذِي
 بَلَغَ مِنْهُ فَلَمْ يَغْتَرْ * وَمَنْ ذَا الَّذِي تَبِعَ هَوَاهُ فَلَمْ يَخْشَرْ * وَمَنْ
 ذَا الَّذِي حَدَثَ النِّسَاءَ فَلَمْ يَحْشَرْ * وَمَنْ ذَا الَّذِي طَلَبَ مِنَ
 اللَّثَامِ فَلَمْ يَحْرَمْ * وَمَنْ ذَا الَّذِي خَالَطَ الْأَشْرَارَ فَلَمْ يَنْجَسْ * وَمَنْ ذَا
 الَّذِي صَحِبَ السُّلْطَانَ فَدَامَ لَهُ مِنْهُ الْأَمْنُ وَالْإِحْسَانُ * وَلَقَدْ
 صَدَّقَ الَّذِي قَالَ امْثُلُ السَّلَاطِينِ فِي قَلَّةِ وَقَائِهِمْ لِمَنْ صَحِبَهُمْ
 وَسَخَاءِ أَنْفُسِهِمْ بَيْنَ فَقْدِهِمْ مِنْ قُرَائِهِمْ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْخَنَانِ
 كُلَّمَا فَقَدَ وَاحِدًا جَاءَ آخَرُ * قَالَ شَتْرَبُهُ إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ
 كَلَامًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ رَأَيْكَ مِنَ الْأَسَدِ رَأْيٌ وَهَذَا كَ
 مِنْهُ أَمْرٌ * قَالَ دِمْنُهُ أَجَلُ لَقْدَرَانِي مِنْهُ ذَلِكَ وَلَيْسَ هُوَ
 فِي أَمْرِ نَفْسِي * قَالَ شَتْرَبُهُ فَنَفْسِي مِنْ رَأْيِكَ * قَالَ دِمْنُهُ
 قَدْ تَعَلَّمُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَتَعَلَّمُ حَقِّكَ عَلَيَّ وَمَا كُنْتُ جَعَلْتُ
 لَكَ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ أَيَّامَ أَرْسَلَنِي الْأَسَدُ إِلَيْكَ * فَلَمْ أَجِدْ
 بَدَأَ مِنْ حِفْظِكَ وَإِطْلَاعِكَ عَلَى مَا أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ مِمَّا أَخَافُ

عَلَيْكَ مِنْهُ * قَالَ شَرَبْتُ وَمَا الَّذِي بَلَغَكَ * قَالَ دِمْنَةُ حَدَّثَنِي
 الْحَبِيرُ الصَّدُوقُ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ ^(١) فِي قَوْلِهِ أَنَّ الْأَسَدَ قَالَ
 لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَجَلَسَاتِهِ قَدْ أَعْجَبَنِي سَمْنُ الثَّوْرِ وَلَيْسَ لِي إِلَى
 حَيَاتِهِ حَاجَةٌ فَأَنَا آكَلُهُ وَمُطْعَمُهُ أَجْعَالِي مِنْ لَحْمِهِ فَلَمَّا
 بَلَغَنِي هَذَا الْقَوْلَ وَعَرَفْتُ غَدْرَهُ وَسُوءَ عَهْدِهِ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ
 لِأَفْضِي لَكَ حَقَّكَ وَتَحْتَالَ أَنْتَ لِأَمْرِكَ

فَلَمَّا سَمِعَ شَرَبْتُ كَلَامَ دِمْنَةَ وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ دِمْنَةُ
 جَعَلَ لَهُ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ وَفَكَرَ فِي أَمْرِ الْأَسَدِ ظَنَّ أَنَّ
 دِمْنَةَ قَدْ صَدَقَهُ وَنَصَحَ لَهُ وَرَأَى أَنَّ الْأَمْرَ شَبِيهُ بِمَا قَالَ
 دِمْنَةُ. فَأَهَمَّهُ ذَلِكَ وَقَالَ مَا كَانَ لِلْأَسَدِ أَنْ يَغْدَرَ بِي وَلَمْ
 آتِ إِلَيْهِ ذَنْبًا ^(٢) وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ جُنْدِهِ مُنْذُ صَحَبْتُهُ وَلَا
 أَظُنُّ الْأَسَدَ إِلَّا قَدْ حُمِلَ عَلَيَّ بِالْكَذِبِ وَشَبَّ ^(٣) عَلَيْهِ أَمْرِي
 فَإِنَّ الْأَسَدَ قَدْ صَحَبَهُ قَوْمٌ سُوءٌ وَجَرَّبَ مِنْهُمْ الْكَذِبَ وَأُمُورًا
 تُصَدَّقُ إِذَا بَلَغَتْهُ عَنْ غَيْرِهِمْ. فَإِنَّ صَحْبَةَ الْأَشْرَارِ رُبَّمَا أَوْرَثَتْ
 صَاحِبَهَا سُوءَ ظَنٍّ بِالْأَخْيَارِ وَحَمَلَهُ مَا يَخْتَبِرُهُ مِنْهُمْ عَلَى الْخَطَا
 فِي حَقِّ غَيْرِهِمْ كَخَطَا الْبَطَلَةِ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا رَأَتْ فِي الْمَاءِ

ضَوْءُ كَوْكَبٍ فَظَنَّتْهُ سَمَكَةً فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهَا . فَلَمَّا جَرَبَتْ
ذَلِكَ مِرَارًا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ فَتَرَكْتَهُ . ثُمَّ رَأَتْ
مِنْ غَدٍ ذَلِكَ الْيَوْمِ سَمَكَةً فَظَنَّتْ أَنَّهَا مِثْلُ الَّذِي رَأَتْهُ بِالْأَمْسِ
فَتَرَكْتَهَا وَلَمْ تَطْلُبْ صَيْدَهَا

فَإِنْ كَانَ الْأَسَدُ قَدْ بَلَغَهُ عَنِّي كَذِبُ فَصَدَّقَهُ عَلَيَّ وَسَمِعَهُ
فِيَّ فَمَا جَرَى عَلَى غَيْرِي يَجْرِي عَلَيَّ . وَإِنْ كَانَ لَمْ يَبْلُغْهُ شَيْءٌ
وَأَرَادَ السُّوءَ بِي مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ .
وَقَدْ كَانَ يُقَالُ إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ أَنْ يَطْلُبَ الرَّجُلُ رِضَى صَاحِبِهِ
وَلَا يَرْضَى . وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَلْتَمِسَ رِضَاهُ فَيَسْتَخْطُ . فَإِذَا
كَانَتِ الْمَوْجِدَةُ ^(١) عَنْ عِلَّةٍ كَانِ الرَّضَى مَوْجُودًا وَالْعَفْوُ
مَأْمُولًا . وَإِذَا كَانَتْ عَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ انْقَطَعَ الرَّجَاءُ . لِأَنَّ الْعِلَّةَ
إِذَا كَانَتِ الْمَوْجِدَةُ فِي وُرُودِهَا ^(٢) كَانَ الرَّضَى مَأْمُولًا فِي
صُدُورِهَا ^(٣) . وَقَدْ نَظَرْتُ فَلَا أَعْلَمُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَسَدِ جُرْمًا
وَلَا كَبِيرَ ذَنْبٍ وَلَا صَغِيرَهُ . وَلَعَمْرِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَطَالَ
صُحْبَةَ صَاحِبٍ أَنْ يَحْتَرِسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَلَا أَنْ
يَتَحَفَّظَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ كَبِيرَةٌ أَوْ صَغِيرَةٌ يَكْرَهُهَا صَاحِبُهُ .

وَلَكِنَّ الرَّجُلَ ذَا الْعَقْلِ وَالْوَفَاءِ إِذَا سَقَطَ عِنْدَهُ صَاحِبُهُ
سَقَطَتْ نَظَرُ فِيهَا وَعَرَفَ قَدْرَ مَبْلَغِ خَطَايَاهُ عَمْدًا كَانَ أَوْ خَطَاءً.
ثُمَّ يَنْظُرُ هَلْ فِي الصَّحْفِ عَنْهُ أَمْرٌ يَخَافُ ضَرَرَهُ وَشَيْنُهُ فَلَا يُؤَاخِذُ
صَاحِبَهُ بِشَيْءٍ يَجِدُ فِيهِ إِلَى الصَّحْفِ عَنْهُ سَبِيلًا

فَإِنْ كَانَ الْأَسَدُ قَدْ اعْتَقَدَ عَلَيَّ ذَنْبًا فَلَسْتُ أَعْلَمُهُ إِلَّا
أَنِّي خَالَفْتُهُ فِي بَعْضِ رَأْيِهِ بَطْرًا مِنِّي وَنَصِيحَةً لَهُ . فَلَعَلَّهُ أَنْ
يَكُونَ قَدْ أَنْزَلَ أَمْرِي عَلَى الْحَرَاءَةِ عَلَيْهِ وَالْمُخَالَفَةِ لَهُ . وَلَا
أَجِدُ لِي فِي هَذَا الْمُحْضَرِ ^(١) إِثْمًا ^(٢) مَا . لِأَنِّي لَمْ أَخَالَفْهُ فِي شَيْءٍ
إِلَّا مَا قَدْ نَدَرَ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ الرُّشْدَ ^(٣) وَالْمَنْفَعَةَ وَالْدِّينَ وَلَمْ
أُجَاهِرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى رُؤُوسِ جُنْدِهِ وَعِنْدَ أَصْحَابِهِ وَلَكِنْ
كُنْتُ أَخْلُو بِهِ وَأُكَلِّمُهُ سِرًّا كَلَامَ الْهَائِبِ الْمُوقِرِ . وَعَلِمْتُ
أَنَّهُ مِنَ التَّمَسِّ الرُّخَصَ ^(٤) مِنَ الْإِخْوَانِ عِنْدَ الْمُشَاوَرَةِ وَمِنْ
الْأَطِبَّاءِ عِنْدَ الْمَرَضِ وَمِنْ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ الشُّبْهِ فَقَدْ أَخْطَأَ مَنَافِعَ
الرَّأْيِ وَأَزْدَادَ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ تَوَرُّطًا ^(٥) وَحَمَلَ الْوِزْرَ ^(٦) *
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ سَكَرَاتِ

١ مكان المحذور ٢ ذنباً ٣ الهدى ٤ جمع رخصة وهي اليسر
والتسامل ٥ دخولا في الورطة وهي الهلاك ٦ الاتم

السُّلْطَانِ فَإِنَّ صُحْبَةَ السُّلْطَانِ خَطِرَةٌ وَإِنْ صُوحِبَ بِالسَّلَامَةِ وَالثِّقَةِ
 الْمَوَدَّةِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ فَرُبَّمَا عَثَرَ مُصَاحِبُهُ الْعَثْرَةَ فَلَا يَنْتَشِشُ ^(١) وَلَا
 تُقَالُ عَثْرَتُهُ ^(٢) * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا فَبَعْضُ مَا أُوتِيَتْ مِنَ الْفَضْلِ
 قَدْ جُعِلَ لِي فِيهِ الْهَلَاكُ وَبَعْضُ النِّحَاسِ آفَةٌ لِصَاحِبِهَا . فَإِنَّ
 الشَّجَرَةَ اللَّذِيذَةَ الثَّمَرِ رُبَّمَا كَانَ أَذَاهَا فِي حَمْلِهَا فَلَوِيَتْ أَغْصَانُهَا
 وَهَضِرَتْ ^(٣) أَطْرَافُهَا حَتَّى تَتَكَسَّرَ . وَالطَّائِرُ وَالْأَسَدُ أَفْضَلُهُ
 يُنْسَلُ ^(٤) فَيُؤْلِمُهُ . وَالْفَرَسُ الْمُطَهَّمُ ^(٥) الْجَرِي ^(٦) رُبَّمَا رُكِبَ
 حَتَّى يَنْقَطِعَ . وَالْبَلْبَلُ الْحَسَنُ الصَّوْتِ يُحْبَسُ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ
 الطَّيْرِ * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَلَا هَذَا فَهُوَ إِذَنْ مِنْ مَوَاقِعِ الْقَضَاءِ
 وَالْقَدَرِ الَّذِي لَا يُدْفَعُ . وَالْقَدَرُ هُوَ الَّذِي يَسْلُبُ الْأَسَدَ قُوَّتَهُ
 وَشِدَّتَهُ وَيُدْخِلُهُ الْقَبْرَ . وَهُوَ الَّذِي يَحْمِلُ الرَّجُلَ الضَّعِيفَ عَلَى
 ظَهْرِ الْفِيلِ الْهَائِجِ وَهُوَ الَّذِي يُسَلِّطُ عَلَى الْحَيَّةِ ذَاتِ الْحِمَّةِ ^(٧) مَنْ
 يَنْزِعُ حِمَّتَهَا وَيَلْعَبُ بِهَا . وَهُوَ الَّذِي يُصَيِّرُ الْعَاجِزَ حَازِمًا وَيَشْبِطُ ^(٨)
 السَّهْمَ الْمُنْطَلِقَ وَيُوسِّعُ عَلَى الْمُقْتِرِ ^(٩) وَيُشْجِعُ الْجَبَانَ وَيُجَبِّنُ
 الشُّجَاعَ عِنْدَ مَا تَعْتَرِيهِ ^(١٠) الْمَقَادِيرُ بِالْعِلَالِ الَّتِي اتَّفَقَتْ ^(١١) لَهَا

١ ينهض ٢ يرفع من سقوطه ٣ جذبت وعطفت ٤ ينزع ٥ النام
 الخلق ٦ الكثير الجري ٧ الابرة التي تلدغ بها ٨ يعوق ٩ القنبر
 ١٠ نصيبة ١١ حدث اتفاقاً

قَالَ دِمْنُهُ إِنَّ إِرَادَةَ الْأَسَدِ بِكَ لَيْسَتْ مِنْ تَحْرِيشِ
 الْأَشْرَارِ وَلَا سَكْرَةِ السُّلْطَانِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ. وَلَكِنَّهَا الْقَدَرُ
 وَالْفُجُورُ مِنْهُ فَإِنَّهُ فَاجِرٌ خَوَّانٌ غَدَّارٌ لِطَعَامِهِ حَلَاوَةٌ وَآخِرُهُ
 سُمٌّ مُمِيتٌ. قَالَ شَتْرَبُهُ فَأَرَانِي ^(١) قَدْ اسْتَلْذَذْتُ الْحَلَاوَةَ إِذْ
 ذُقْتُهَا وَقَدْ أَنْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ. وَلَوْلَا الْحَيْنُ ^(٢)
 مَا كَانَ مُقَامِي عِنْدَ الْأَسَدِ وَهُوَ آكِلُ لَحْمٍ وَأَنَا آكِلُ عُشْبٍ.
 فَأَنَا فِي هَذِهِ الْوَرْطَةِ كَالنَّحْلَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَى نَوْرِ ^(٣) النَّيْلُوفَرِ
 إِذْ تَسْتَلِذُّ رِيحَهُ وَطَعْمَهُ فَتَحْبِسُهَا تِلْكَ اللَّذَّةُ عَنِ الْحَيْنِ الَّذِي
 يَنْبَغِي أَنْ تَطِيرَ فِيهِ. فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ يَنْضَمُّ عَلَيْهَا فَتَرْتَبِكُ فِيهِ
 وَتَمُوتُ. وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْكَفَافِ ^(٤) الَّذِي يُغْنِيهِ
 وَطَمَحَتْ ^(٥) عَيْنُهُ إِلَى مَا سِوَى ذَلِكَ وَلَمْ يَتَخَوَّفْ عَاقِبَتَهُ كَانَ
 كَالذُّبَابِ الَّذِي لَا يَرْضَى بِالشَّجَرِ وَالرَّيَاحِينِ وَلَا يَقْنَعُهُ ذَلِكَ
 حَتَّى يَطْلُبَ الْمَاءَ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أُذُنِ الْفِيلِ فَيَضْرِبُهُ الْفِيلُ
 بِأَذَانِهِ فَيَهْلِكُهُ. وَمَنْ يَبْذُلُ وُدَّهُ وَنَصِيحَتَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ
 كَمَنْ يَبْذُرُ فِي السَّبَّاحِ ^(٦) وَمَنْ يُشِرْ عَلَى الْمُعْجَبِ ^(٧) كَمَنْ يُشَاوِرُ

١ ارى نفسي ٢ الاجل ٣ زهر ٤ ما كف واغنى عن الناس
 ٥ ارتفعت ومالت ٦ الارض ذات التزوال والح ٧ المتكبر

الْمَيْتَ أَوْ يُسَارَّ^(١) الْأَصَمَّ^(٢)

قَالَ دِمْنَةُ دَعُ عَنْكَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَحْتَلْ لِنَفْسِكَ.
قَالَ شَرَبُهُ بِأَيِّ شَيْءٍ أَحْتَلُ لِنَفْسِي إِذَا أَرَادَ الْأَسَدُ أَكْلِي
مَعَ مَا عَرَفْتَنِي مِنْ رَأْيِ الْأَسَدِ وَسُوءِ أَخْلَاقِهِ. وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ
لَمْ يَرُدِّي إِلَّا خَيْرًا أَتَمَّ أَرَادَ أَصْحَابُهُ بِمَكْرِهِمْ وَفُجُورِهِمْ هَلَاكِي
لَقَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ. فَإِنَّهُ إِذَا أَجْتَمَعَ الْمَكْرَةُ^(٣) الظُّلْمَةُ عَلَى
الْبَرِيءِ الصَّالِحِ كَانُوا خُلُقَاءَ^(٤) أَنْ يَهْلِكُوهُ وَإِنْ كَانُوا ضِعْفَاءَ
وَهُوَ قَوِيٌّ. كَمَا أَهْلَكَ الذُّنْبُ وَالْغُرَابُ وَأَبْنُ آوَى الْجَمَلِ
حِينَ أَجْتَمَعُوا عَلَيْهِ بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ وَالْخِيَانَةِ. قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ
كَانَ ذَلِكَ

قَالَ شَرَبُهُ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرَةٍ
لِطَرِيقِ مَنْ طُرُقِ النَّاسِ وَكَانَ لَهُ أَصْحَابُ ثَلَاثَةِ ذُنُبٍ وَغُرَابٌ
وَأَبْنُ آوَى. وَإِنْ رُعَاةَ مَرُّوا بِذَلِكَ الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جَمَالٌ.
فَتَخَلَّفَ^(٥) مِنْهَا جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجْمَةَ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى الْأَسَدِ.
فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ. قَالَ مِنْ مَوْضِعٍ كَذَا. قَالَ

١ يكلم بكلام خفي ٢ الاطرش خلقة ٣ جمع ماكر ٤ جمع خليق
بمعنى اهل ٥ تاخر

فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قَالَ تُقِيمُ عِنْدَنَا فِي
السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخَصْبِ . فَأَقَامَ الْأَسَدُ وَالْجَمْلُ مَعَهُ زَمَانًا
طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِطَلَبِ الصَّيْدِ .
فَلَقِيَ فِيلاً عَظِيمًا فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثَقَلًا مُثْنًا
بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ وَقَدْ خَدَشَهُ الْفِيلُ بِأَنْيَابِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ
إِلَى مَكَانِهِ وَقَعَ لَا يَسْتَطِيعُ حَرَكًَا وَلَا يَقْدِرُ عَلَى طَلَبِ الصَّيْدِ .
فَلَبِثَ الذَّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا لِأَنَّهُمْ
كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ وَطَعَامِهِ . فَأَصَابَهُمْ
وَأَصَابَهُ جُوعٌ شَدِيدٌ وَهَزَالٌ ^(١) وَعَرَفَ الْأَسَدُ مِنْهُمْ ذَلِكَ
فَقَالَ لَقَدْ جُهَدْتُمْ وَأَحْتَجَمْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ . فَقَالُوا لَا تَهْمُنَا
أَنْفُسُنَا . لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكَ عَلَى مَا نَرَاهُ فَلَيْتَنَا نَجِدَ مَا يَأْكُلُهُ
وَيُصْلِحُهُ . قَالَ الْأَسَدُ مَا أَشْكُ فِي نَصِيحَتِكُمْ وَلَكِنْ أَنْتَشِرُوا
لَعَلَّكُمْ تَصِيدُونَ صَيْدًا تَأْتُونَنِي بِهِ فَيُصِيبُنِي وَيُصِيبُكُمْ مِنْهُ رِزْقٌ .
فَخَرَجَ الذَّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ فَتَنَحَّوْا
وَأَثْمَرُوا ^(٢) فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا مَا لَنَا وَلِهَذَا أَلَاكِلِ الْعُشْبِ
الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا أَلَا نَزِينُ ^(٣)

لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ. قَالَ ابْنُ آوَى هَذَا مِمَّا لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ لِأَنَّهُ قَدْ آمَنَ الْجَمَلُ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ^(١). قَالَ الْغُرَابُ أَنَا أَكْفِيكُمْ أَمْرَ الْأَسَدِ. ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ هَلْ أَصَبْتَ شَيْئًا. قَالَ الْغُرَابُ إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ. وَأَمَّا نَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بِنَا مِنَ الْجُوعِ. وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقْنَا إِلَى أَمْرٍ وَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ إِنْ وَافَقْنَا الْمَلِكَ فَتَحَنَّنَ لَهُ مُجِيبُونَ. قَالَ الْأَسَدُ وَمَا ذَاكَ. قَالَ الْغُرَابُ هَذَا الْجَمَلُ أَكَلَ الْعُشْبَ الْمُتَمَرِّغُ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ مَنَفْعَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدٍّ عَائِدَةٍ^(٢) وَلَا عَمَلٍ يُعْقِبُ مَصْلَحَةً^(٣) فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ ذَلِكَ غَضِبَ وَقَالَ مَا أَخْطَأَ رَأْيِكَ وَمَا عَجَزَ مَقَالِكَ وَأَبْعَدَكَ عَنِ الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ. وَمَا كُنْتَ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِيَّ عَلَيَّ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَذَا الْخِطَابِ مَعَ مَا عَلِمْتَ مِنْ أَنِّي قَدْ آمَنْتَ الْجَمَلَ وَجَعَلْتَهُ مِنْ ذِمَّتِي. أَوْ لَمْ يَلْغُفْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ أَمْنٍ نَفْسًا خَائِفَةً وَحَقَنَ دَمًا مَهْدُورًا^(٤). وَقَدْ آمَنْتَهُ وَلَسْتُ بِغَادِرٍ بِهِ وَلَا خَافِرٍ^(٥) لَهُ ذِمَّةً. قَالَ الْغُرَابُ إِنِّي لَا عَرَفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ وَلَكِنْ

١ عهده أي أمانته ٢ فائدة ٣ بمعنى منفعة ٤ مسفوكا بالباطل ٥ ناقص

النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ وَأَهْلُ الْبَيْتِ تُفْتَدَى
بِهِمُ الْقَبِيلَةُ وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَى
الْمَلِكِ. وَقَدْ نَزَلَتْ بِالْمَلِكِ الْحَاجَةُ وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ
مُخْرَجًا عَلَى أَنْ لَا يَتَكَلَّفَ الْمَلِكُ ذَلِكَ وَلَا يَلِيهِ ^(١) بِنَفْسِهِ وَلَا
يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا. وَلَكِنَّا نَحْتَالُ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلَهُ فِيهَا صَلَاحٌ وَظَفَرٌ *
فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا الْخِطَابِ. فَلَمَّا
عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى صَاحِبِيهِ فَقَالَ لَهُمَا قَدْ كَلَّمْتُ
الْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ الْجَمَلِ عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ عِنْدَ
الْأَسَدِ فَنَذْكُرُ مَا أَصَابَهُ وَتَتَوَجَّعَ لَهُ أَهْتِمَامًا مِنَّا بِأَمْرِهِ وَحِرْصًا
عَلَى صَلَاحِهِ. وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ عَلَيْهِ تَجَمُّلاً لِأَيُّ كَلِّهِ
فَيَرُدُّ الْآخِرَانِ عَلَيْهِ وَيُسِفُّهَا رَأْيُهُ وَيُبَيِّنَانِ الضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ.
فَإِذَا جَاءَتْ نَوْبُهُ الْجَمَلِ صَوَّبْنَا رَأْيَهُ فَهَلَكَ وَسَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ
الْأَسَدُ عَنَّا. فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ الْغُرَابُ
قَدْ أَحْتَجَمْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِلَى مَا يَقُولُكَ. وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ
أَنْفُسَنَا لَكَ فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ. فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا
بَقَاءٌ بَعْدَكَ وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرٍ ^(٢) فَلْيَا كُنْ لِي الْمَلِكُ

فَقَدْ طَبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذَّئْبُ وَابْنُ آوَى أَنَّ أُسْكُتَ
فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ * قَالَ ابْنُ آوَى
لَكِنْ أَنَا أَشْبَعُ الْمَلِكِ فُلْيَا كُلْنِي فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطَبْتُ
نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذَّئْبُ وَالْغُرَابُ بِقَوْلِهِمَا إِنَّكَ لَمُنْنٌ قَدِيرٌ * قَالَ
الذَّئْبُ إِنِّي أَسْتُ كَذَلِكَ فُلْيَا كُلْنِي الْمَلِكُ فَقَدْ سَمَحْتُ
بِذَلِكَ وَطَابَتْ بِهِ نَفْسِي . فَأَعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ آوَى وَقَالَا
قَدْ قَالَتِ الْأَطْيَاءُ مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ فُلْيَا كُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ *
فَظَنَّ الْجَمْلُ أَنَّهُ إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ التَّمَسُّوا لَهُ
عُذْرًا كَمَا التَّمَسَّ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الْأَعْدَاءُ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى الْأَسَدُ
عَنْهُ بِذَلِكَ وَيَنْجُو مِنَ الْمَهَالِكِ . فَقَالَ لَكِنْ أَنَا فِيَّ لِلْمَلِكِ شَيْعٌ
وَرِيٌّ وَلَحْمِي طَيِّبٌ هَنِيءٌ وَبَطْنِي نَظِيفٌ فُلْيَا كُلْنِي الْمَلِكُ
وَيُطْعِمُ أَصْحَابَهُ وَخَدَمَهُ فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطَابَتْ نَفْسِي بِهِ .
فَقَالَ الذَّئْبُ وَابْنُ آوَى وَالْغُرَابُ لَقَدْ صَدَقَ الْجَمْلُ وَكَرَّمُ
وَقَالَ مَا عَرَفْتُ مِنْهُمْ وَتَبَّوْا عَلَيْهِ فَمَزَّقُوهُ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ
الْأَسَدِ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى هَلَاقِي فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَمْتِنَعَ

مِنْهُمْ وَلَا أَحْتَرَسَ وَإِنْ كَانَ رَأْيِي الْأَسَدَ فِيَّ عَلَى غَيْرِ مَا هُمْ
 عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ . فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُنِي وَلَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا .
 وَقَدْ يُقَالُ خَيْرُ السَّلَاطِينِ مَنْ أَشَبَّهُ النَّسْرَ وَحَوْلَهُ الْحَيْفُ لَا مَنْ
 أَشَبَّهُ الْحَيْفَةَ وَحَوْلَهَا النَّسُورُ . وَلَوْ أَنَّ الْأَسَدَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ
 لِي إِلَّا الْخَيْرُ وَالرَّحْمَةُ لَغَيَّرْتُهُ كَثْرَةُ الْأَقَاوِيلِ فَإِنَّهَا إِذَا
 كَثُرَتْ لَمْ تَكُفَّ دُونَ أَنْ تَذْهَبَ الرِّقَّةُ وَالرَّأْفَةُ . أَلَا تَرَى
 أَنَّ الْمَاءَ لَيْسَ كَالْقَوْلِ وَأَنَّ الْحَجَرَ أَشَدَّ مِنَ الْإِنْسَانِ . وَالْمَاءُ
 إِذَا دَامَ انْحِدَارُهُ عَلَى الْحَجَرِ لَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى يَثْقُبَهُ وَيُؤَثِّرَ فِيهِ .
 وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْإِنْسَانِ . قَالَ دِمْنَةُ فَمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ
 الْآنَ . قَالَ شَتْرَبَةُ مَا أَرَى إِلَّا الْأَجْتِهَادَ وَالْمُجَاهِدَةَ بِالْقِتَالِ
 فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْمُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ وَلَا لِلْمُحْتَسِبِ ^(١) فِي صَدَقَتِهِ وَلَا
 لِلْوَرَعِ فِي وَرَعِهِ مِنَ الْأَجْرِ مَا لِلْمُجَاهِدِ عَنْ نَفْسِهِ إِذَا كَانَتْ
 مُجَاهِدَتُهُ عَلَى الْحَقِّ . قَالَ دِمْنَةُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُخَاطِرَ بِنَفْسِهِ
 وَهُوَ يَسْتَطِيعُ غَيْرَ ذَلِكَ . وَلَكِنْ ذَا الرَّأْيِ جَاعِلٌ الْقِتَالَ آخِرَ
 الْحِيلِ وَبَادِي قَبْلِ ذَلِكَ بِمَا أُسْتَطَاعَ مِنْ رِفْقٍ وَتَحَلٍّ ^(٢) . وَقَدْ
 قِيلَ لَا تَحْقِرَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ الْمُهِنَ ^(٣) وَلَا سِيَّما إِذَا كَانَ

ذاحيلة وَيَقْدِرُ عَلَى الْأَعْوَانِ . فَكَيْفَ بِالْأَسَدِ عَلَى جَرَائِهِ
وَشِدَّتِهِ . فَإِنَّ مَنْ حَقَرَ عَدُوَّهُ لِيُضْعِفَهُ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ وَكِيلَ
الْبَحْرِ مِنَ الطِّيطَوَى . قَالَ شَرَبُهُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ طَائِرًا مِنْ طُيُورِ الْبَحْرِ يُقَالُ لَهُ
الطِّيطَوَى كَانَ وَطَنُهُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَمَعَهُ زَوْجَةٌ لَهُ . فَلَمَّا
جَاءَ أَوَانُ إِفْرَاحِهِمَا قَالَتِ الْأُنْثَى لِلذَّكَرِ لَوْ التَّمَسْنَا مَكَانًا
حَرِيرًا^(١) غَيْرَ هَذَا نَفْرَحُ فِيهِ فَإِنِّي أَخَافُ مِنَ الْبَحْرِ إِذَا مَدَّ
الْمَاءُ أَنْ يَذْهَبَ بِفِرَاحِنَا . فَقَالَ لَهَا مَا أَرَاهُ يُحْمِلُ^(٢) عَلَيْنَا فَإِنَّ
وَكِيلَ الْبَحْرِ يَخَافُنِي أَنْ أُنْتَقِمَ مِنْهُ فَأَفْرِخِي فِي مَكَانِكَ فَإِنَّهُ
مُوَافِقٌ لَنَا وَالْمَاءُ وَالزَّهْرُ مِنَّا قَرِيبٌ . قَالَتْ لَهُ يَا غَافِلُ مَا أَشَدَّ
عِنَادَكَ وَتَصَلُّبَكَ أَمَا تَذْكُرُ وَعِيدَهُ^(٣) وَتَهْدَدُهُ إِيَّاكَ . أَلَا تَعْرِفُ
نَفْسَكَ وَقَدْرَكَ فِي وَعِيدٍ مِنْ لَاطِقَةٍ لَكَ بِهِ . فَأَبَى أَنْ يُطِيعَهَا .
فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهَا قَالَتْ لَهُ إِنَّ مِنْ لَمْ
يَسْمَعْ قَوْلَ النَّاصِحِ يُصِيبُهُ مَا أَصَابَ السُّلْحَفَةَ حِينَ لَمْ تَسْمَعْ
قَوْلَ الْبَطَّيْنِ . قَالَ الذَّكَرُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَتِ الْأُنْثَى زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ عِنْدَهُ عُشْبٌ وَكَانَ

١ حسبنا ٢ بهم ٣ الوعيد في الشر كالوعد في الخير

فِيهِ بَطَّانٌ. وَكَانَ فِي الْغَدِيرِ سُلْحَفَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَطَّانِ مَوْدَةٌ
وَصَدَاقَةٌ. فَاتَّفَقَ أَنْ غِيضَ^(١) ذَلِكَ الْمَاءُ فَجَاءَتِ الْبَطَّانُ لِدَوَاعِ
السُّلْحَفَةِ وَقَالَتِ السَّلَامُ عَلَيْكَ فَإِنَّا ذَاهِبَتَانِ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ
لَا جُلَّ نُقْصَانِ الْمَاءِ عَنْهُ. فَقَالَتْ إِنَّمَا بَيْنُ نُقْصَانِ الْمَاءِ عَلَيَّ
مِثْلِي الَّتِي كَأَنِّي السَّفِينَةُ لَا أَقْدِرُ عَلَى الْعَيْشِ إِلَّا بِالْمَاءِ. فَأَمَّا
أَنْتُمْ فَتَقْدِيرَانِ عَلَى الْعَيْشِ حَيْثُ كُنْتُمَا. فَأَذْهَبَا بِي مَعَكُمْ.
قَالَتَا نَعَمْ * قَالَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى حِمْلِي * قَالَتَا نَأْخُذُ بِطَرْفِي
عُودٍ وَتَقْبِضِينَ بِيكَ عَلَى وَسْطِهِ وَنَطِيرُ بِكَ فِي الْجَوْ. وَإِيَّاكَ
إِذَا سَمِعْتَ النَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ أَنْ تَنْطِقِي. ثُمَّ أَخَذَتَاهَا فَطَارَتَا بِهَا
فِي الْجَوْ. فَقَالَ النَّاسُ عَجَبٌ سُلْحَفَةٌ بَيْنَ بَطَّانٍ قَدْ حَمَلَتَاهَا.
فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ قَالَتْ فَقَا اللَّهُ أَعْيَنَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ.
فَلَمَّا فَتَحَتْ فَاها بِالنُّطْقِ وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ فَمَاتَتْ

قَالَ الذَّكَرُ قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتِكَ فَلَا تَخَافِي وَكِيلَ الْبَحْرِ.
فَلَمَّا مَدَّ الْمَاءَ^(٢) دَنَا وَكِيلُ الْبَحْرِ فَذَهَبَ بِغَرَاخِمِهَا * فَقَالَتْ الْآنْثَى
قَدْ عَرَفْتُ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ أَنَّ هَذَا كَائِنٌ وَمَا أَصَابَنَا إِنَّمَا هُوَ
بِتَغْرِيطِكَ^(٣) * قَالَ الذَّكَرُ قَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ وَأَنَا عَلَى قَوْلِي

وَسَوْفَ تَرَيْنِ صُنِّي بِهِ وَأَنْتَقَامِي مِنْهُ * ثُمَّ مَضَى إِلَى جَمَاعَةِ الطَّيْرِ
فَقَالَ لَهُنَّ إِنَّكُنَّ أَخَوَاتِي وَثِقَاتِي ^(١) فَأَعِنِّي * قُلْنَ مَاذَا تَرِيدُ أَنْ
نَفْعَلَ . قَالَ تَجْمَعْنَ وَتَذْهَبْنَ مَعِيَ إِلَى سَائِرِ الطَّيْرِ فَنَشْكُو إِلَيْهِنَّ
مَا لَقِيتُ مِنْ وَكِيلِ الْبَحْرِ وَتَقُولُ لَهُنَّ إِنَّكُنَّ طَيْرٌ مِثْلُنَا فَأَعِنَّا *
فَقَالَتْ لَهُ جَمَاعَةُ الطَّيْرِ إِنَّ الْعَنْقَاءَ بِنْتَ الرِّيحِ هِيَ سَيِّدَتُنَا
وَمَلِكَتُنَا فَأَذْهَبْنَا إِلَيْهَا حَتَّى نَصْبِغَ بِهَا فَتُظَهِّرَ لَنَا فَنَشْكُو إِلَيْهَا
مَا نَالَكِ ^(٢) مِنْ وَكِيلِ الْبَحْرِ وَنَسْأَلَهَا أَنْ تَنْتَقِمَ لَنَا مِنْهُ بِقُوَّةِ مَلِكِهَا *
ثُمَّ إِنَّهُنَّ ذَهَبْنَ إِلَيْهَا مَعَ الطَّيِّطَوَى فَأَسْتَعْنَيْنَهَا ^(٣) وَصَحْنَهَا بِهَا
فَتَرَأَتْ لَهُنَّ فَأَخْبَرْنَهَا بِقِصَّتِهِنَّ وَسَأَلْنَهَا أَنْ تَطِيرَ مَعَهُنَّ إِلَى مُحَارَبَةِ
وَكَيلِ الْبَحْرِ . فَأَجَابَتْهُنَّ إِلَى ذَلِكَ . فَلَمَّا عَلِمَ وَكِيلُ الْبَحْرِ أَنَّ
الْعَنْقَاءَ قَدْ قَصَدَتْهُ فِي جَمَاعَةِ الطَّيْرِ خَافَ مِنْ مُحَارَبَةِ مَلِكِ
لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ ^(٤) . فَرَدَّ فِرَاحَ الطَّيِّطَوَى وَصَالِحَهُ فَرَجَعَتْ
الْعَنْقَاءُ عَنْهُ

وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لَتَعْلَمَ أَنَّ الْقِتَالَ مَعَ الْأَسَدِ
لَا أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا * قَالَ شَرَبْتُهِ فَمَا أَنَا بِمُقَاتِلِ الْأَسَدِ وَلَا نَاصِبِ

١ اللواتي اتقى يكن ٢ اصابك ٣ طلبن اغاثتها اي مساعدتها

٤ لا قدرة له عليه

لَهُ الْعَدَاوَةُ سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً وَلَا مُتَغَيِّرٌ لَهُ عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ حَتَّى
يَدُودِي مِنْهُ مَا أَتَخَوَّفُ فَأُغَالِبُهُ * فَكَرِهَ دِمْنُهُ قَوْلَهُ وَعَلِمَ أَنَّ
الْأَسَدَ إِنْ لَمْ يَرَ مِنَ الثَّوْرِ أَلْعَامَاتِ الَّتِي كَانَ ذَكَرَهَا لَهُ
أَتَمَّهُ ^(١) وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ . فَقَالَ لِشَرْبَةِ أَذْهَبَ إِلَى الْأَسَدِ
فَسَتَعْرِفُ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ مَا يُرِيدُ مِنْكَ * قَالَ شَرْبَةُ وَكَيْفَ
أَعْرِفُ ذَلِكَ * قَالَ دِمْنُهُ سَتَرَى الْأَسَدَ حِينَ تَدْخُلُ عَلَيْهِ
مُقَعِيًا ^(٢) عَلَى ذَنْبِهِ رَافِعًا صَدْرَهُ إِلَيْكَ مَاذَا بَصَرُهُ نَحْوَكَ قَدْ صَرَ ^(٣)
أَذْنِيهِ وَفَفَرَ ^(٤) فَاهُ وَأَسْتَوَى ^(٥) لِلْوُثْبَةِ ^(٦) . قَالَ إِنْ رَأَيْتُ هَذِهِ
الْعَلَامَاتِ مِنَ الْأَسَدِ عَرَفْتُ صِدْقَكَ فِي قَوْلِكَ

ثُمَّ إِنْ دِمْنَهُ لَمَّا فَرَغَ مِنْ تَحْرِيشِ الْأَسَدِ عَلَى الثَّوْرِ وَالثَّوْرِ
عَلَى الْأَسَدِ تَوَجَّهَ إِلَى كَلِيلَةٍ * فَلَمَّا اتَّقَمَا قَالَ كَلِيلَةُ لِامْ أَنْتَ
عَمَلُكَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ * قَالَ دِمْنُهُ قَرِيبٌ مِنَ الْفَرَاغِ عَلَى
مَا أَحْبَبْتُ وَتَحَبَّبْتُ * ثُمَّ إِنْ كَلِيلَةُ وَدِمْنَةُ أَنْظَلَا جَمِيعًا لِيَحْضُرَا
قِتَالَ الْأَسَدِ وَالثَّوْرِ وَيَنْظُرَا مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا وَمَا يُؤُولُ إِلَيْهِ
أَمْرُهُمَا . وَجَاءَ شَرْبَةُ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَرَأَاهُ مُقَعِيًا كَمَا وَصَفَهُ

١ بمعنى أساء به الظن ٢ جا لسا على البنيو ناصبًا فخذيه كجلوس الكلب

٣ نصب ٤ فجع ٥ جلس ٦ الفقرة والعجبة

لَهُ دِمْنُهُ * فَقَالَ مَا صَاحِبُ السُّلْطَانِ إِلَّا كَصَاحِبِ الْحَيَّةِ الَّتِي
 فِي صَدْرِهِ لَا يَدْرِي مَتَى تَهْبِجُ عَلَيْهِ * ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ نَظَرَ إِلَى
 الثَّوْرِ فَرَأَى الدِّلَالَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا لَهُ دِمْنُهُ فَلَمْ يَشْكْ أَنَّهُ
 جَاءَ لِقِتَالِهِ فَوَاتَبَهُ ^(١) وَنَشَأَتْ بَيْنَهُمَا الْحَرْبُ وَأُشْتُدَّ قِتَالُ الثَّوْرِ
 وَالْأَسَدِ وَطَالَ وَسَالَتْ بَيْنَهُمَا الدِّمَاءُ * فَلَمَّا رَأَى كَلِيلَةُ أَنَّ
 الْأَسَدَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْقِتَالِ مَا بَلَغَ قَالَ لِدِمْنَةِ أَيُّهَا الْفَسَلُ ^(٢) مَا
 أَنْكَرَ ^(٣) جَهْلَتِكَ وَأَسَوًّا عَاقِبَتِكَ فِي تَذْيِيرِكَ * قَالَ دِمْنَةُ
 وَمَا ذَاكَ * قَالَ كَلِيلَةُ جُرَحَ الْأَسَدُ وَهَلَكَ الثَّوْرُ. وَإِنَّ أَخْرَقَ ^(٤)
 الْخُرْقِ ^(٥) مَنْ حَمَلَ صَاحِبَهُ عَلَى سُوءِ الْخُلُقِ وَالْمُبَارَزَةِ وَالْقِتَالِ
 وَهُوَ يَجِدُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ سَبِيلًا. وَإِنَّمَا الرَّجُلُ إِذَا أَمَكَّتَهُ
 الْفُرْصَةُ مِنْ عَدُوِّهِ يَتْرُكُهُ مَخَافَةَ التَّعَرُّضِ لَهُ بِالْبُجَاهَةِ وَرَجَاءَ
 أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ بِدُونِ ذَلِكَ. وَإِنَّ الْعَاقِلَ يُدَبِّرُ الْأَشْيَاءَ وَيَقِيسُهَا
 قَبْلَ مُبَاشَرَتِهَا ^(٦) فَمَارَجَا أَنْ يَتِمَّ لَهُ مِنْهَا أَقْدَمُ ^(٧) عَلَيْهِ وَمَا خَافَ
 أَنْ يَتَعَدَّرَ ^(٨) عَلَيْهِ مِنْهَا أَنْخَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ * وَإِنِّي
 لَأَخَافُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ بَغْيِكَ هَذَا فَإِنَّكَ قَدْ أَحْسَنْتَ الْقَوْلَ وَلَمْ

١ هاجمه ٢ الذي لا مروءة له ٣ أفتح ٤ تفضيل من الخرق وهو عدم احسان التصرف في الامور ٥ جمع اخرق ٦ الشروع فيها ٧ هم ٨ لا يمكن

تُحْسِنُ الْعَمَلَ . أَيْنَ مُعَاهَدَتِكَ إِيَّايَ أَنْكَ لَا تُضِرُّ بِالْأَسَدِ فِي
تَدْبِيرِكَ * وَقَدْ قِيلَ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ . وَلَا فِي
الْفَقْهِ إِلَّا مَعَ الْوَرَعِ ^(١) . وَلَا فِي الصَّدَقَةِ إِلَّا مَعَ النِّيَّةِ . وَلَا فِي
الْمَالِ إِلَّا مَعَ الْجُودِ . وَلَا فِي الصَّدَقِ إِلَّا مَعَ الْوَفَاءِ . وَلَا فِي
الْحَيَاةِ إِلَّا مَعَ الصَّحَّةِ . وَلَا فِي الْأَمْنِ إِلَّا مَعَ السُّرُورِ * وَقَدْ شَرَطَتْ
أَمْرًا لَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ إِلَّا الْعَاقِلُ الرَّفِيقُ ^(٢)

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَدَبَ يَذْهَبُ عَنِ الْعَاقِلِ الطَّيِّسِ وَيَزِيدُ
الْأَحْمَقَ طَيْشًا كَمَا أَنَّ النَّهَارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصَرٍ نَظْرًا وَيَزِيدُ
الْخَفَّاشَ ^(٣) سُوءَ النَّظَرِ . فَذَوُ الْعَقْلِ لَا يَنْظُرُ مِنْ مَنْزِلَةٍ أَصَابَهَا وَإِنْ
تَعَاطَمَ أَمْرُهُ وَقَدَرُهُ وَيَكُونُ عِنْدَ ذَلِكَ كَالْجَبَلِ الَّذِي لَا تَحْرِكُهُ
الرِّيَّاحُ الشَّدِيدَةُ . وَالسَّخِيفُ كَالْعُشْبِ يَحْرِكُهُ أَذْنَى رِيحٍ * وَقَدْ
أَذْكُرْنِي أَمْرَكَ شَيْئًا سَمِعْتُهُ . فَإِنَّهُ يُقَالُ إِنَّ السُّلْطَانَ إِذَا كَانَ
صَالِحًا وَوُزَرَآؤُهُ وَزَرَآءُ سُوءٍ مَنَعُوا خَيْرَهُ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ
يَدْنُو مِنْهُ . وَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ مِثْلُ الْمَاءِ الطَّيِّبِ الَّذِي فِيهِ التَّمَّاسِيقُ
لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَنَاوَلَهُ وَإِنْ كَانَ إِلَى الْمَاءِ مُحْتَاجًا . وَإِنَّمَا
الْمَلِكُ وَزَيْتُهُ أَنْ تَكُونَ جُنُودُهُ وَوُزَرَآؤُهُ دَوِيَّ صَلَاحِ

فَيَسِدُّونَ أَحْوََالَ النَّاسِ وَيَنْظُرُونَ فِي صَلَاحِهِمْ * وَأَنْتَ
يَا دِمْنَةُ أَرَدْتَ أَنْ لَا يَدْنُو مِنْ الْأَسَدِ أَحَدٌ سِوَاكَ وَهَذَا أَمْرٌ
لَا يَصِحُّ وَلَا يَتِمُّ أَبَدًا وَذَلِكَ لِلْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ إِنْ أَلْجَأَ بِأَمَوَاجِهِ
وَالسُّلْطَانَ بِأَصْحَابِهِ وَمِنْ الْحَقِّ الْحَرَصُ عَلَى النَّيَاسِ الْإِخْوَانِ
بِغَيْرِ الْوَفَاءِ لَهُمْ * وَالنَّيَاسِ الْآخِرَةِ بِالرَّيَاءِ * وَمَوَدَّةِ النِّسَاءِ
بِالْعِلَظَةِ ^(١) . وَنَفَعَ النَّفْسَ بِضَرِّ الْغَيْرِ * وَمَا عِظَتِي وَتَأْدِيبِي إِيَّاكَ
إِلَّا كَمَا قَالَ الرَّجُلُ لِلطَّائِرِ لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيَةً مَا لَا يَسْتَقِيمُ وَلَا
تُعَاجِلْ تَأْدِيبَ مَا لَا يَتَأَدَّبُ * قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْقِرَدَةِ ^(٢) كَانُوا سَاكِنِينَ
فِي جَبَلٍ . فَالْتَمَسُوا فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَّاحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا
فَلَمْ يَجِدُوا . فَرَأَوْا بِرَاعَةً ^(٣) تَطِيرُ كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ نَارٍ فَظَنُّوْهَا نَارًا
وَجَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا فَالْتَقَوْهُ عَلَيْهَا وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَيَتَرَوِّحُونَ ^(٤) بِأَيْدِيهِمْ طَمَعًا فِي أَنْ يُوقِدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ ^(٥) بِهَا
مِنَ الْبَرْدِ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ طَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ
وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَقَدَرَأَى مَا صَنَعُوا فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ لَا تَتَّبِعُوا

١ خلاف الرقة ٢ جمع قرد ٣ ذهابه تطير في الليل كأنها نار

٤ يحملون الرميح ٥ يندفأون

فَإِنَّ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَيْسَ بِنَارٍ . فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ عَزَمَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيُنْهَاهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَعَرَفَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ فَإِنَّ الْحَجَرَ الصُّلْبَ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ لَا تَجْرُبُ عَلَيْهِ السُّيُوفُ وَالْعُودُ الَّذِي لَا يَنْحَنِي لَا تَعْمَلُ مِنْهُ الْقَوْسُ فَلَا تَتَعَبُ . فَأَبَى الطَّائِرُ أَنْ يُطِيعَهُ وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقِرْدَةِ لِيُعْرِفَهُمْ أَنَّ الْيُرَاعَةَ لَيْسَتْ بِنَارٍ فَتَنَاوَلَهُ بَعْضُ الْقِرْدَةِ فَضْرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَمَاتَ * فَهَذَا مَثَلُكَ مَعِيَ فِي ذَلِكَ . ثُمَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ الْخُبُّ ^(١) وَالْفُجُورُ ^(٢) وَهِيَ خَاتَمٌ ^(٣) سَوْءٌ وَالْخُبُّ شَرُّهَا عَاقِبَةٌ . وَلِهَذَا مَثَلٌ * قَالَ دِمْنَةُ وَمَا ذَلِكَ الْمَثَلُ

قَالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّ خُبًّا ^(٤) وَمُغْفَلًا أُشْتُرَكَا فِي تِجَارَةٍ وَسَافَرَا . فَبَيْنَمَا هُمَا فِي الطَّرِيقِ تَخَلَّفَ ^(٥) الْمُغْفَلُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ فَوَجَدَ كِبَسًا فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ فَأَخَذَهُ . فَأَحْسَنَ بِهِ الْخُبُّ فَرَجَعَا إِلَى بَلَدِهِمَا حَتَّى إِذَا دَنَوَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَعَدَا لِاقْتِسَامِ الْمَالِ . فَقَالَ الْمُغْفَلُ خُذْ نِصْفَهُ وَأَعْطِنِي نِصْفَهُ وَكَانَ الْخُبُّ قَدْ قَرَّرَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ يَذْهَبَ بِالْأَلْفِ جَمِيعًا . فَقَالَ لَا نَقْتَسِمُ فَإِنَّ الشَّرِكَةَ وَالْمُفَاوَضَةَ ^(٦)

١ الخبث والخداع ٢ الكذب والعصيان ٣ خصلنا ٤ الخبيث
٥ تاخر ٦ بمعنى الشراكة

أَقْرَبُ إِلَى الصَّفَاءِ وَالْمُخَالَطَةِ . وَلَكِنْ أَخَذُ نَفَقَةً وَتَأْخُذُ مِثْلَهَا
وَيَدْفِنُ الْبَاقِي فِي أَصْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَهُوَ مَكَانٌ حَرِيْزٌ وَذَلِكَ
أَكْتَمُ لِأَمْرِنَا . فَإِذَا أُحْتَجْنَا جِئْنَا أَنَا وَأَنْتَ فَتَأْخُذُ حَاجَتَنَا
مِنْهُ وَلَا يَعْلَمُ بِمَوْضِعِنَا أَحَدٌ . فَأَخَذَا مِنْهَا يَسِيرًا وَدَفَنَّا الْبَاقِي فِي
أَصْلِ الشَّجَرَةِ وَدَخَلَا الْبَلَدَ * ثُمَّ إِنَّ الْخَبَّ خَالَفَ الْمُغْفَلَ إِلَى
الدَّنَائِيرِ ^(١) فَأَخَذَهَا وَسَوَّى الْأَرْضَ كَمَا كَانَتْ . وَجَاءَ الْمُغْفَلُ بَعْدَ
ذَلِكَ فَقَالَ لِلْخَبِّ قَدْ أُحْتَجْتُ إِلَى نَفَقَةٍ فَأَنْطَلِقْ بِنَا نَأْخُذُ حَاجَتَنَا .
فَقَامَ الْخَبُّ مَعَهُ وَذَهَبَا إِلَى الْمَكَانِ فَحَفَرَا فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا . فَأَقْبَلَ
الْخَبُّ عَلَى وَجْهِهِ يَلْطِمُهُ وَيَقُولُ لَا تَقْتَرِ بِصُحْبَةِ صَاحِبٍ . خَالَفْتَنِي
إِلَى الدَّنَائِيرِ فَأَخَذَتْهَا . فَجَعَلَ الْمُغْفَلُ يَحْلِفُ وَيَلْعَنُ أَخَذَهَا وَلَا
يَزِدَادُ الْخَبُّ إِلَّا شِدَّةً فِي اللَّظْمِ وَقَالَ مَا أَخَذَهَا غَيْرُكَ وَهَلْ
شَعَرَ بِهَا أَحَدٌ سِوَاكَ * ثُمَّ طَالَ بَيْنَهُمَا ذَلِكَ فَتَرَفَعَا إِلَى الْقَاضِي
فَأَقْصَصَ الْقَاضِي قِصَّتَهُمَا ^(٢) . فَأَدْعَى الْخَبُّ أَنَّ الْمُغْفَلَ أَخَذَهَا
وَجَمَدَ ^(٣) الْمُغْفَلُ . فَقَالَ لِلْخَبِّ أَلَيْكَ عَلَى دَعْوَاكَ بَيِّنَةٌ . قَالَ
نَعَمْ الشَّجَرَةُ الَّتِي كَانَتْ الدَّنَائِيرُ عِنْدَهَا تَشْهَدُ لِي أَنَّ الْمُغْفَلَ قَدْ
أَخَذَهَا وَكَانَ الْخَبُّ قَدْ أَتَى أَبَاهُ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ وَطَلَبَ إِلَيْهِ

أَنْ يَذْهَبَ فَيَتَوَارَى^(١) فِي الشَّجَرَةِ بِحَيْثُ إِذَا سُئِلَ أَجَابَ .
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ رَبُّ مُثَمِّلٍ أَوْقَعَهُ تَحِيْلُهُ^(٢) فِي وَرْطَةٍ عَظِيمَةٍ لَا
يَقْدِرُ عَلَى الْخُلَاصِ مِنْهَا . فَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مِثْلَكَ مِثْلَ الْعُلْجُومِ .
قَالَ الْخَبُّ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ .

قَالَ أَبُوهُ زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُومًا جَاوَرَ حَيَّةً فَكَانَ كُلَّمَا أَفْرَحَ
جَاءَتْ إِلَى عَشِيهِ وَأَكَلَتْ فِرَاحَهُ . فَفَزِعَ^(٣) فِي ذَلِكَ إِلَى
السَّرَطَانِ فَقَالَ لَهُ السَّرَطَانُ إِنَّ بَقْرُوكَ جُحْرًا يَسْكُنُهُ ابْنُ
عَرْسٍ وَهُوَ يَأْكُلُ الْحَيَّاتِ . فَاجْمَعْ سَكًّا كَثِيرًا وَفَرِّقْهُ مِنْ
جُحْرِ ابْنِ عَرْسٍ إِلَى جُحْرِ الْحَيَّةِ فَإِنَّهُ إِذَا بَدَأَ فِي أَكْلِ
السَّمَكِ انْتَهَى مِنْ جُحْرِ الْحَيَّةِ فَأَكَلَهَا . فَفَعَلَ وَكَانَ كَذَلِكَ .
ثُمَّ تَدَرَّجَ ابْنُ عَرْسٍ إِلَى جُحْرِ الْحَيَّةِ فِي طَلَبِ غَيْرِهَا حَتَّى بَلَغَ
إِلَى جُحْرِ الْعُلْجُومِ فَأَكَلَهُ أَيْضًا وَفِرَاحَهُ جَمِيعًا .

وإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لَتَعْلَمَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَبَيَّنْ^(٤) فِي
الْحِيلِ وَيَتَدَبَّرْهَا وَيَنْظُرْ فِيهَا أَوْقَعَتْهُ حِيلَتُهُ فِي أَشَدِّ مِمَّا يَحْتَمِلُ
لَهُ * قَالَ الْخَبُّ قَدْ فَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ وَلَكِنْ لَا تَخَفْ فَإِنَّ الْأَمْرَ
يَسِيرُ حَقِيرٌ . وَلَمْ يَزَلْ بِهِ^(٥) حَتَّى طَاوَعَهُ وَأَنْطَلَقَ مَعَهُ فَدَخَلَ

جَوْفَ الشَّجَرَةِ * ثُمَّ إِنَّ الْقَاضِيَ لَمَّا سَمِعَ مِنَ الْخَبِّ حَدِيثَ
 شَهَادَةِ الشَّجَرَةِ أَكْبَرَهُ ^(١) وَأَنْطَلَقَ هُوَ وَصَحَابُهُ وَالْخَبُّ وَالْمُغْفَلُ مَعَهُ
 حَتَّى وَافَى الشَّجَرَةَ فَسَأَلَهَا عَنِ الْخَبْرِ . فَقَالَ الشَّيْخُ مِنْ جَوْفِهَا
 نَعَمْ الْمُغْفَلُ أَخَذَهَا . فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِيَ ذَلِكَ أَشَدَّ تَعَجُّبُهُ وَجَعَلَ
 يَطُوفُ بِالشَّجَرَةِ ^(٢) حَتَّى بَانَ لَهُ خَرْقٌ فِيهَا فَتَأَمَّلَهُ فَلَمْ يَرَفِهِ شَيْئًا
 فَدَعَا بِحَطَبٍ وَأَمَرَ أَنْ تُحْرَقَ الشَّجَرَةُ فَأُضْرِمَتْ حَوْلَهَا النَّيرانُ .
 فَاسْتَفَاثَ أَبُو الْخَبِّ عِنْدَ ذَلِكَ فَأَخْرَجَ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ .
 فَسَأَلَهُ الْقَاضِيَ عَنِ الْقِصَّةِ فَأَخْبَرَهُ بِالْخَبْرِ . فَأَوْقَعَ بِالْخَبِّ ضَرْبًا
 وَبِأَيِّهِ صَفْعًا ^(٣) وَأَرْكَبُهُ مَشْهُورًا وَغَرَّمَ الْخَبِّ الدَّنَائِيرَ ^(٤) فَأَخَذَهَا
 وَأَعْطَاهَا الْمُغْفَلَ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْخَبِّ وَالْخُدَيْعَةَ
 رُبَّمَا كَانَ صَاحِبُهُمَا هُوَ الْمَغْبُونُ . وَإِنَّكَ يَا دِمْنَةُ جَامِعٌ لِلْخَبِّ
 وَالْخُدَيْعَةِ وَالْفُجُورِ . وَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ ثَمَرَةَ عَمَلِكَ مَعَهَا أَنَّكَ
 لَسْتَ بِنَاجٍ مِنَ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّكَ ذُو لَوْنَيْنِ وَلِسَانَيْنِ . وَإِنَّمَا
 عَذُوبَةُ مَاءِ الْأَنْهَارِ مَا لَمْ تَبْلُغْ إِلَى الْبَحَارِ . وَصَلَاحُ أَهْلِ
 الْبَيْتِ مَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمُ الْمُفْسِدُ . وَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَشْبَهُ بِكَ مِنْ

١ أعدّه كبيراً ٢ بدور حولها ٣ ضرباً على مؤخر العنق ٤ الزمّة دفعها

الْحَيَّةُ ذَاتِ اللِّسَانَيْنِ الَّتِي فِيهَا أَلْسَمٌ فَإِنَّهُ قَدْ يَجْرِي مِنْ
 لِسَانِكَ كَسْمِهَا. وَإِنِّي لَمْ أَزَلْ لِدَلِكِ أَلْسَمٌ مِنْ إِسَانِكَ خَائِفًا
 وَلِمَا يَحُلُّ بِكَ مُتَوَقِّعًا^(١). وَالْمُفْسَدُ بَيْنَ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ
 كَالْحَيَّةِ الَّتِي يَرْبِيهَا الرَّجُلُ وَيُطْعِمُهَا وَيَمْسَحُهَا وَيَكْرُمُهَا ثُمَّ لَا
 يَكُونُ لَهُ مِنْهَا غَيْرُ اللَّدَغِ. وَقَدْ يُقَالُ الزَّمْ ذَا الْعَقْلِ وَذَا الْكَرَمِ
 وَذَا الْأَصْلِ الطَّيِّبِ وَاسْتَرْسِلْ إِلَيْهِمْ^(٢) وَإِيَّاكَ وَمَفَارِقَتَهُمْ.
 وَأَصْحَبُ الصَّاحِبِ إِذَا كَانَ عَاقِلًا كَرِيمًا أَوْ عَاقِلًا غَيْرَ كَرِيمٍ أَوْ
 كَرِيمًا غَيْرَ عَاقِلٍ. فَأَلْعَاقِلُ الْكَرِيمُ كَامِلٌ وَالْعَاقِلُ غَيْرُ الْكَرِيمِ
 أَصْغَبُهُ وَإِنْ كَانَ غَيْرُ مَحْمُودٍ الْخَلِيقَةِ^(٣) وَأَحْذَرُ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ
 وَانْتَفِعْ بِعَقْلِهِ. وَالْكَرِيمُ غَيْرُ الْعَاقِلِ الزَّمْهُ وَلَا تَدْعُ مُوَاسَلَتَهُ وَإِنْ
 كُنْتَ لَا تَحْمَدُ عَقْلَهُ وَانْتَفِعْ بِكَرَمِهِ وَانْفَعُهُ بِعَقْلِكَ. وَالْفِرَارُ
 كُلُّ الْفِرَارِ مِنَ اللَّئِيمِ الْأَحْمَقِ. وَإِنِّي بِالْفِرَارِ مِنْكَ لَجَدِيرٌ.
 وَكَيْفَ يَرْجُو إِخْوَانُكَ عِنْدَكَ كَرَمًا وَوُدًّا وَقَدْ صَنَعْتَ بِمِلْكِكَ
 الَّذِي أَكْرَمَكَ وَشَرَّفَكَ مَا صَنَعْتَ. وَإِنْ مَثَلَكَ مَثَلُ
 التَّاجِرِ الَّذِي قَالَ إِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْدَانَهَا مِثَّةً مِنْ^(٤)

١ منتظرًا ٢ التعمق في مودتهم ٣ الطبيعة ٤ المن رطلان

حَدِيدًا لَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ لِبُزَاتِهَا أَنْ تَخْتَطِفَ الْفِيلَةَ . قَالَ دِمْنَةُ
وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضٍ كَذَا تَاجِرٌ . فَأَرَادَ
الْخُرُوجَ إِلَى بَعْضِ أُلُجُوهِ^(١) لِابْتِغَاءِ^(٢) الرِّزْقِ وَكَانَ عِنْدَهُ مِثَّةٌ
مِنْ حَدِيدًا فَأَوْدَعَهَا رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِهِ وَذَهَبَ فِي وَجْهِهِ^(٣) .
ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمِدَّةٍ فَجَاءَ وَالتَّمَسَ الْحَدِيدَ فَقَالَ لَهُ قَدْ
أَكَلْتَهُ الْجُرَذَانُ . فَقَالَ قَدْ سَمِعْتُ أَنْ لَا شَيْءَ أَقْطَعُ مِنْ
أَنْبِيَاءِ الْحَدِيدِ . فَفَرَحَ الرَّجُلُ بِتَصْدِيقِهِ عَلَى مَا قَالَ وَادَّعَى *
ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ خَرَجَ فَلَقِيَ ابْنًا لِلرَّجُلِ فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى
مَنْزِلِهِ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ لَهُ هَلْ عِنْدَكَ
عِلْمٌ مِنْ ابْنِي . فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ إِنِّي لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ
بِالْأَمْسِ رَأَيْتُ بَازِيًا قَدْ اخْتَطَفَ صَبِيًّا صِفَتُهُ كَذَا وَلَعَلَّهُ
ابْنُكَ . فَلَطَمَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ وَقَالَ يَا قَوْمُ هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ
أَنَّ الْبُزَاةَ تَخْتَطِفُ الصَّبِيَّانَ . فَقَالَ نَعَمْ وَإِنْ أَرْضًا تَأْكُلُ
جُرَذَانَهَا مِثَّةً مِنْ حَدِيدًا لَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ تَخْتَطِفَ بُزَاتِهَا الْفِيلَةَ .
قَالَ لَهُ الرَّجُلُ أَنَا أَكَلْتُ حَدِيدَكَ وَهَذَا ثَمَنُهُ فَارْزُدْ

عَلَيَّ ابْنِي

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ مَنْ غَدَرَ
بِمَلِكِهِ وَصَاحِبِ نِعْمَاهُ ^(١) فَلَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ يَغْدُرَ بغيرِهِ . وَإِذَا
صَاحِبَ أَحَدٍ صَاحِبًا وَغَدَرَ بِمَنْ سِوَاهُ فَقَدْ عَلِمَ صَاحِبُهُ أَنَّهُ
لَيْسَ عِنْدَهُ لِلْمُودَّةِ مَوْضِعٌ . فَلَا شَيْءَ أَضْيَعُ مِنْ مَوْدَّةٍ تُنْمَحُ
مَنْ لَا وِفَاءَ لَهُ . وَحَبَاءُ ^(٢) يُصْطَنَعُ عِنْدَ مَنْ لَا شُكْرَ لَهُ .
وَأَدَبٌ يُجْمَلُ إِلَى مَنْ لَا يَتَأَدَّبُ بِهِ وَلَا يَسْمَعُهُ . وَسِرٌّ يُسْتَوْدَعُ
مَنْ لَا يُحْفَظُهُ * وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْمُرَّةَ لَوْ طُلِيتَ بِالْعَسَلِ لَمْ ^(٣) يُجِدْهَا
ذَلِكَ شَيْئًا . وَإِنْ صَحْبَةُ الْأَخْيَارِ ثَوْرٌ أَوْ خَيْرٌ وَصَحْبَةُ الْأَشْرَارِ
ثَوْرٌ أَوْ شَرٌّ . كَالرَّيْحِ إِذَا مَرَّتْ بِالطَّيِّبِ حَمَلَتْ طَيِّبًا وَإِذَا
مَرَّتْ بِالنَّاتِنِ حَمَلَتْ نَتْنًا * وَقَدْ طَالَ وَثَقُلَ كَلَامِي عَلَيْكَ
فَأَنْتَهَى كَلِمَةً مِنْ كَلَامِهِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ وَقَدْ فَرَّغَ
الْأَسَدُ مِنَ الثَّوْرِ ^(٤) * ثُمَّ فَكَّرَ فِي قَتْلِهِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ وَذَهَبَ عَنْهُ
الْغَضَبُ وَقَالَ لَقَدْ فَجَعَنِي ^(٥) شَرُّهُ بِنَفْسِهِ وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَرَأْيٍ
وَخُلُقٍ كَرِيمٍ . وَلَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَانَ بَرِيئًا أَوْ مَكْدُوبًا عَلَيْهِ .

١ نعمته ٢ عطا ٣ ينفعها ٤ أي فرغ من قتله ٥ رزائي

واصنافي

فَحَزَنَ وَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ. وَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَبَصُرِهِ
 دِمْنُهُ فَتَرَكَ مُحَاوَرَةَ كَلِيلَةَ وَتَقَدَّمَ إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ لَهُ لِيَهْنِكَ
 الظَّفَرُ. إِذَا أَهْلَكَ اللَّهُ أَعْدَاءَكَ فَمَاذَا يَحْزِنُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ*
 قَالَ أَنَا حَزِينٌ عَلَى عَقْلِ شَرِّبَةٍ وَرَأْيِهِ وَأَدَبِهِ* قَالَ لَهُ دِمْنُهُ
 لَا تَرْحَمُهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَرْحَمُ مَنْ يَخَافُهُ. وَإِنَّ
 الرَّجُلَ الْحَازِمَ رُبَّمَا أَبْغَضَ الرَّجُلَ وَكَرِهَهُ ثُمَّ قَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ لِمَا
 يَمْلِكُ عِنْدَهُ مِنَ الْغَنَاءِ^(١) وَالْكَفَافَةِ^(٢). فَعِلَ الرَّجُلُ الْمَتَكَارِهِ
 عَلَى الدَّوَاءِ الشَّيْغِ^(٣) رَجَاءَ مَنْفَعَتِهِ. وَرُبَّمَا أَحَبَّ الرَّجُلُ وَعَزَّ
 عَلَيْهِ فَأَفْصَاهُ^(٤) وَأَهْلَكَهُ خِيفَةُ ضَرَرِهِ كَالَّذِي تَلْدَغُهُ الْحَيَّةُ فِي
 إِصْبَعِهِ فَيَقْطَعُهَا وَيَتَبَرَّأُ مِنْهَا خِيفَةَ أَنْ يَسْرِى سُمُّهَا إِلَى بَدَنِهِ.
 فَفَرَضِيَ الْأَسَدُ يَقُولُ دِمْنُهُ* ثُمَّ عَلِمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِكَيْدِهِ وَفُجُورِهِ
 فَقَتَلَهُ شَرِّ قَتْلَةٍ

١ المنفعة ٢ مصدر فلان كفو لكذا أي اهل له جذر
 ٣ الشايبه كرها ٤ ابعد



باب

الفحص عن امر دمنة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد حدثني عن
الواشي^(١) الماهر المحتال كيف يفسد بالنميمة المودة الثابتة
بين المتعاضدين. فحدثني ان رأيت بما كان من حال دمنة
والام آل ماله^(٢) بعد قتل شترية وما كان من معاذيره عند
الأسد وأصحابه حين راجع الأسد رأيه في الثور وأدخل
النميمة على دمنة وما كانت حجة التي أخرج بها

قال الفيلسوف اني وجدت في حديث دمنة أن الأسد
حين قتل شترية ندم على قتله وذكر قديم صحبتة وجسيم^(٣)
خدمته وإنه كان أكرم أصحابه عليه وأخصم منزلة لديه
وأقربهم وأدناهم إليه وكان يواصل المشورة دون خواصه*
وكان من أخص أصحابه عنده بعد الثور النمر. فاتفق أنه
أمنى النمر ذات ليلة^(٤) عند الأسد فخرج من عنده جوف
الليل^(٥) يريد منزله. فأجتاز^(٦) على منزل كليله ودمنته. فلما

١ المفسد ٢ رجع مرجعة ٣ عظيم ٤ احدى اللالي ٥ اي وسطه ٦ مر

أَنْتَهَى إِلَى الْبَابِ سَمِعَ كَلِيلَةَ يُعَاتِبُ دِمْنَةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ وَيُلُومُهُ
 فِي النَّسِيمَةِ وَأَسْتَعْمَالِهَا مَعَ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ ^(١) فِي حَقِّ الْخَاصَّةِ ^(٢) .
 وَعَرَفَ النَّبِيرُ عَصِيَانَ دِمْنَةَ وَتَرَكَ الْقَبُولَ مِنْهُ فَوَقَفَ يَسْتَمِعُ مَا
 يَجْرِي بَيْنَهُمَا . فَكَانَ فِيهَا قَالَ كَلِيلَةُ لِدِمْنَةَ لَقَدْ أُرْتُكَبْتَ مَرْكَبًا
 صَعْبًا وَدَخَلْتَ مَذْخَلًا ضَيِّقًا وَجَنَيْتَ ^(٣) عَلَى نَفْسِكَ جُنَايَةً ^(٤)
 مُؤَبَّةً ^(٥) وَعَاقِبَتُهَا وَخِيمَةٌ ^(٦) وَسَوْفَ يَكُونُ مَصْرَعُكَ ^(٧) شَدِيدًا إِذَا
 أَنْكَشَفَ لِلْأَسَدِ أَمْرُكَ وَأَطْلَعَ عَلَيْهِ وَعَرَفَ غَدْرَكَ وَمَحَالَكَ ^(٨)
 وَبَقِيَتْ لَا نَاصِرَ لَكَ . فَيَجْتَمِعُ عَلَيْكَ الْهَوَانُ وَالْقَتْلُ مَخَافَةَ شَرِّكَ
 وَحَذَرًا مِنْ غَوَائِلِكَ ^(٩) فَلَسْتُ بِمُتَخَذِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ خَلِيلًا وَلَا
 مُفْشٍ لَكَ سِرًّا . لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا تَبَاعَدُ مِنْ لَا رَغْبَةَ لَكَ
 فِيهِ . وَأَنَا جَدِيدٌ بِمُبَاعَدَتِكَ ^(١٠) وَالْتِمَاسِ الْخُلَاصِ لِي مِمَّا وَقَعَ فِي
 نَفْسِ الْأَسَدِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ * فَلَمَّا سَمِعَ النَّبِيرُ هَذَا مِنْ كَلَامِهَا
 قَفَلَ ^(١١) رَاجِعًا فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ الْأَسَدِ فَأَخَذَ عَلَيْهَا الْهُودُ وَالْمَوَائِقَ ^(١٢)
 أَنَّهَا لَا تَبُوحُ بِمَا يُسَرُّ إِلَيْهَا فَعَاهَدَتْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَأَخْبَرَهَا بِمَا
 سَمِعَ مِنْ كَلَامِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ دَخَلَتْ عَلَى الْأَسَدِ

١ القول على الناس ما لم يفعلوه وقد مر ٢ خلاف العامة ٣ جنى الذنب
 على وجهه اليو ٤ ذنبا ٥ مهلكة ٦ اي سيفة ٧ اي مقتلك
 ٨ كيدك ومكرك ٩ اي شرورك ١٠ اهل لها ١١ بمعنى رجع ١٢ اي عاهدما

فَوَجَدْتُهُ كَيْبًا^(١) حَزِينًا مَهْمُومًا لِمَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ شَرَبَةٍ *
فَقَالَتْ لَهُ مَا هَذَا أَلَمْ^(٢) الَّذِي أَخَذَ مِنْكَ^(٣) وَغَلَبَ عَلَيْكَ * قَالَ
يُحْزِنُنِي قَتْلُ شَرَبَةٍ إِذَا تَذَكَّرْتُ صُحْبَتَهُ وَمُواظَبَتَهُ مَعِيَ وَمَا كُنْتُ
أَسْمَعُ مِنْ مُؤَامَرَتِهِ^(٤) وَأَسْكُنُ^(٥) إِلَيْهِ فِي مُشَاوَرَتِهِ وَأَقْبِلُ مِنْ
مُنَاصَحَتِهِ * قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ إِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّ لَكَ فِي
قَتْلِهِ فَرْجًا فَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَحْزَنَ . وَإِلَّا فَقَلْبُكَ يَشْهَدُ أَنَّ
عَمَلَكَ الَّذِي عَمِلْتَهُ لَمْ يَكُنْ صَوَابًا وَلَا عَدْلًا . لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ
قَدْ قَالُوا إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ عَدُوَّكَ مِنْ صَدِيقِكَ فَفَكِّرْ فِي
نَفْسِكَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَلْبُكَ لَهُ سَلِيمًا فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَكَ كَذَلِكُ
فَانْظُرِ الْآنَ وَابْحَثْ فِي ذَاتِ نَفْسِكَ^(٦) هَلْ تَرَى ضَمِيرَكَ
يَشْهَدُ لَكَ أَنَّ الَّذِي فَعَلْتَهُ بِالْثَّوْرِ كَانَ عَدْلًا أَمْ ظُلْمًا * فَقَالَ
الْأَسَدُ إِنْ صَحَّ مَا تَقُولِينَ فَإِنِّي لَمْ أَقْتُلِ الثَّوْرَ إِلَّا ظُلْمًا لِأَنِّي
قَدْ بَحَثْتُ فِي نَفْسِي كَمَا تَقُولِينَ فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا مَا يَدُلُّ عَلَى
بِرَاءَةِ شَرَبَةٍ وَقَتْلِهِ ظُلْمًا وَبَغْيًا^(٧) مَكْذُوبًا عَلَيْهِ مِنَ الْأَشْرَارِ .
وَإِنْ كَثُرَ النَّجْثُ عَنِ الْأُمُورِ تَحَقُّ الْحَقِّ وَتُبْطِلُ الْبَاطِلَ .

١ مغموماً ٢ أي اشتد عليك ٣ بمعنى مشاورته ٤ أي اركن واطمن
٥ أي نصحو ٦ سريرتك المضرة ٧ بمعنى ظلماً

وَإِنْ حَدِيثُكَ لِيَدُلُّ عَلَى مَكْنُونٍ ^(١) أَمْرٍ أَفْبَلَّغَكَ شَيْءٌ عَنْ هَذَا
 الْأَمْرِ * فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ إِنَّ أَشَدَّ مَا شَهِدَ أَمْرُوهُ عَلَى نَفْسِهِ .
 وَهَذَا خَطَاةٌ عَظِيمَةٌ كَيْفَ أَقْدَمْتَ عَلَى قَتْلِ الثَّوْرِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا
 يَقِينٍ . وَلَوْلَا مَا قَالَتِ الْعُلَمَاءُ مِنْ إِذَاعَةِ الْأَسْرَارِ وَمَا فِيهَا
 مِنَ الْإِثْمِ وَالسَّنَائِرِ ^(٢) لَذَكَرْتُ لَكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِهَا عَلِمْتُ . فَإِنَّ
 الْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا إِنَّ أَحْمَدَ النَّاسِ عَاقِبَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 أَكْتَمَهُمُ لِلسِّرِّ * قَالَ الْأَسَدُ إِنَّ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ لَهَا وَجُوهٌ
 كَثِيرَةٌ وَمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٌ . فَإِنَّهُمْ قَدْ قَالُوا أَيْضًا مِنْ أُطْلِعَ عَلَى ذُنُوبِ
 الْمَذْنُبِينَ فَكَتَمَهَا عَنْ السُّلْطَانِ فَلَمْ يُعَاقِبُوا عَلَى ذُنُوبِهِمْ عَوْقِبَ
 هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَإِنَّ الَّذِي أَطْلَعَكَ عَلَى هَذَا السِّرِّ الْعَظِيمِ لَمْ
 يُطْلَعِكَ عَلَيْهِ إِلَّا لِتُعْلِمَنِي بِهِ فَأُطْلِعَنِي عَلَى مَا أَسَرَّ إِلَيْكَ مِنْ
 ذَلِكَ وَأَخْبِرَنِي بِهِ وَلَا تَطْوِيهِ عَنِّي * فَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا أَلْقَاهُ
 إِلَيْهَا النَّمِرُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَهُ بِأَسْمِهِ وَقَالَتْ إِنِّي لَمْ أَجْهَلْ قَوْلَ
 الْعُلَمَاءِ فِي تَعْظِيمِ الْعُقُوبَةِ وَتَشْدِيدِهَا وَمَا يَدْخُلُ عَلَى الرَّجُلِ
 مِنَ الْعَارِ فِي إِذَاعَةِ الْأَسْرَارِ . وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أُخْبِرَكَ
 بِمَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ ^(٣) لَكَ . فَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ فُسَادَ عَامَةٍ

الْأَشْيَاءُ يَكُونُ مِنْ حَالَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا إِفْشَاءُ السِّرِّ وَالْأُخْرَى
 تَرْكُ عُقُوبَةٍ مَنْ يَسْتَوْجِبُ الْعُقُوبَةَ . وَلَا إِفْشَاءُ السِّرِّ خَيْرٌ مِنْ
 أَنْ يَبْقَى عَلَى هَذَا الْخَائِنِ ^(١) دِمْنَةُ الَّذِي أَدْخَلَ الْفَسَادَ بَيْنَكَ
 وَبَيْنَ الثَّوَرِ بِمَكْرِهِ وَفُجُورِهِ . فَلَوْ كُتِمَ أَمْرُهُ لَنَجَا مِنَ الْعِقَابِ
 عَلَى فِعْلِهِ وَلَخِيفَ مِنْهُ أَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ الْفَعْلَةِ مِنْ عَمَلِهِ . وَقَدْ
 أَمَرَ الْعُلَمَاءُ بِالْعَفْوِ عَنِ الْجَانِي ^(٢) وَالصَّحْحُ عَنِ الْمَذْنِبِ وَلَكِنَّهُمْ
 قَدْ نَهَوْا عَنِ اغْتِفَارِ الْجُرْمِ ^(٣) الْعَظِيمِ وَالذَّنْبِ الْكَبِيرِ
 فَلَمَّا قُضِيَ أَمُّ الْأَسَدِ هَذَا الْكَلَامَ صَحَّ ^(٤) عِنْدَ الْأَسَدِ
 مَا فَعَلَ دِمْنَةُ فَأَسْتَدْعَى أَصْحَابَهُ وَجَنَدَهُ فَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ . ثُمَّ أَمَرَ
 أَنْ يُؤْتَى بِدِمْنَةٍ . فَلَمَّا حَضَرَ دِمْنَةُ نَكَسَ الْأَسَدُ رَأْسَهُ ^(٥)
 إِلَى الْأَرْضِ مَلِيًّا ^(٦) * فَالْتَفَتَ دِمْنَةُ إِلَى بَعْضِ الْحَاضِرِينَ فَقَالَ مَا
 الَّذِي حَدَّثَ وَعَلَامَ اجْتَمَعْتُمْ وَمَا الَّذِي أَحْزَنَ الْمَلِكَ * فَالْتَفَتَتْ
 أُمُّ الْأَسَدِ إِلَيْهِ وَقَالَتْ لَهُ أَحْزَنَ الْمَلِكَ بِقَاؤِكَ وَلَوْ طَرَفَةً
 عَيْنٍ وَلَنْ يَدْعَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ حَيًّا * قَالَ دِمْنَةُ وَمَا حَدَّثَ مِنْ أَمْرِي
 حَتَّى وَجِبَ بِهِ قَتْلِي * قَالَتْ إِنَّهُ قَدْ بَانَ لِلْمَلِكِ كَذِبُكَ وَفُجُورُكَ ^(٧)

١. أي يبقى في الحياة ٢. المذنب ٣. بمعنى الذنب ٤. ثبت ٥. أي اطرق

٦. طويلاً ٧. بمعنى الكس والشر

وَحَدَيْعَتِكَ فِي قَتْلِ الثَّوْرِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ كَانَ مِنْهُ فَلَسْتَ حَقِيقًا^(١)
 أَنْ تُتْرَكَ بِالْحَيَاةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَالَ دِمْنَةُ مَا تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ
 شَيْئًا لِأَنَّهُ يُقَالُ أَشَدُّ النَّاسِ فِي تَوَقِّي الشَّرِّ يُصِيبُهُ الشَّرُّ قَبْلَ
 الْمُسْتَسْلِمِ^(٢) لَهُ فَلَا يَكُونَنَّ الْمَلِكُ وَخَاصَّتُهُ وَجُنُودُهُ الْمَثَلُ السَّوْءُ .
 وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ كُلَّمَا أَزْدَادَ الْإِنْسَانُ فِي الْخَيْرِ اجْتِهَادًا
 كَانَ الشَّرُّ إِلَيْهِ أَسْرَعَ . وَقَدْ قِيلَ مَنْ صَحِبَ الْأَشْرَارَ وَهُوَ
 يَعْلَمُ حَالَهُمْ كَانَ أَذَاهُ مِنْ نَفْسِهِ . وَلِذَلِكَ أُنْقَطَعَتْ^(٣) النَّسَاكُ
 بَأَنْفُسِهَا عَنْ الْخَلْقِ وَأَخْتَارَتِ الْوَحْدَةَ عَلَى التَّخَالُطِ وَحُبَّ
 الْعَمَلِ لِلَّهِ عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا . وَمَنْ يَجْزِي بِالْخَيْرِ خَيْرًا
 وَبِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا إِلَّا اللَّهُ . وَمَنْ طَلَبَ الْجَزَاءَ عَلَى الْخَيْرِ
 مِنَ النَّاسِ كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَخْطَى بِالْجُرْمَانِ إِذْ يَخْطِئُ الصَّوَابَ^(٤) فِي
 خُلُوصِ الْعَمَلِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَطَلَبِ الْجَزَاءِ مِنَ النَّاسِ . وَلَكِنَّ عَاقِبَةَ
 مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَاقَبَ بِهِ الْفَجَّارُ يُصَابُ بِهِ الْأَخْيَارُ . وَهَذَا الْأَمْرُ
 شَبِيهٌ بِشَأْنِي لِأَنِّي حَمَلْتَنِي حُبُّ الْمَلِكِ وَنُصْحِي لَهُ وَإِشْفَاقِي^(٥) عَلَيْهِ
 أَنْ أُطْلِعَهُ عَلَى سِرِّ عَدُوِّهِ الْخَائِنِ . وَإِنَّ الْمَلِكَ قَدْ شَاهَدَ مِنْهُ
 ذَلِكَ عِيَانًا وَظَهَرَتْ لَهُ مِنْهُ الْعَلَامَاتُ الَّتِي ذَكَرْتُهَا لَهُ . أَفْهَذَا

جَزَائِي مِنْهُ أَنْ أُقْتَلَ

فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ دِمْنَةٍ أَمَرَ أَنْ يُخْرَجَ
مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى يَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ لِيَجْتَهِدَ فِي الْفَحْصِ عَنْهُ لئَلَّا
يَعُودَ إِلَى الْهَجْلَةِ وَالنَّدَامَةِ * فَعِنْدَ ذَلِكَ سَجَدَ دِمْنَةُ لِلْأَسَدِ شُكْرًا
لَهُ وَدَعَا لَهُ وَقَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَعْجَلْ فِي قَتْلِي وَلَا تَسْمَعْ فِي
كَلَامِ الْأَشْرَارِ وَلِيُنَجِّثِ الْمَلِكُ عَنْ أَمْرِي حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ صِدْقِي .
وَقَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ إِنَّ النَّارَ أَخْفَيْتُ فِي الْحِجَارِ فَلَا
تُسْتَخْرَجُ مِنْهَا إِلَّا بِالْمُعَالَجَةِ وَالْقَدْحِ . وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ لِنَفْسِي
ذَنْبًا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَلِكِ لَمْ أَقُمْ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَأَنَا أَرْغَبُ^(١)
إِلَى الْمَلِكِ إِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِي أَنْ يَأْمُرَ بِالنَّظَرِ فِيهِ
وَيَكُونَ مَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ لَا تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا ئِمَّ^(٢) وَإِلَّا
فَلَا مَلْجَأَ لِي فِي ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ سَرَائِرَ الْعِبَادِ وَمَا
تَكُنُّ^(٣) صُدُورُهُمْ . وَإِنْ أَحَقَّ مَا رَغِبْتُ فِيهِ رَعِيَّةُ الْمَلِكِ هُوَ
مَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ وَمَوَاقِعُ الصَّوَابِ وَجَمِيلُ السَّيْرِ^(٤) . وَإِنْ
الْبَاطِلُ قَدْ يَتَلَبَّسُ^(٥) بِالْحَقِّ حَتَّى يَتَشَابَهَا كَمَا أَصَابَ الْخَازِنُ

١ ابتهل وانصرع ٢ اي لا يخاف فيه اللوم ٣ تضمر ونحني ٤ جمع سيرة
الانسان وهي طريقته التي يسير عليها بين الناس ٥ يختلط

الَّذِي فَضَحَ سِرَّهُ بِالتَّلْيِيسِ^(١) عَلَيْهِ . قَالَ الْأَسَدُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ
 قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْمَدَنِ تَاجِرٌ وَكَانَ
 لَهُ خَازِنٌ لَيْتَ مَالِهِ . وَإِنَّ الْخَازِنَ أَرَادَ اخْتِلَاسَ شَيْءٍ
 مِنَ الْمَالِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِأَنَّ التَّاجِرَ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْخَازِنُ
 بَيْتَ الْمَالِ أَقْفَلَ عَلَيْهِ الْبَابَ . فَإِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ أَتَى فَتَفَحَّ
 لَهُ وَقَشَهُ قَبْلَ أَنْ يُخْرَجَ . وَكَانَ إِلَى جَنْبِ التَّاجِرِ رَجُلٌ
 مُصَوِّرٌ مَاهِرٌ وَكَانَ هُوَ لِلْخَازِنِ صَدِيقًا . فَقَالَ لَهُ الْخَازِنُ يَوْمًا
 هَلْ لَكَ^(٢) أَنْ تُوَاطِنَنِي^(٣) عَلَى الْإِخْتِلَاسِ مِنْ هَذَا الْمَالِ . قَالَ
 نَعَمْ . قَالَ وَمَا الْحِيلَةُ وَلَا سَبِيلٌ لِي إِلَى الْخُرُوجِ إِلَيْكَ وَلَا
 سَبِيلٌ لَكَ إِلَى الدُّخُولِ إِلَيَّ وَذَكَرَ لَهُ حَالَهُ مَعَ التَّاجِرِ .
 قَالَ الْمُصَوِّرُ^(٤) أَوْ مَا لَيْتَ الْمَالِ كُوفَةً إِلَى الْخَارِجِ تَنَاوَلْنِي
 مِنْهَا شَيْئًا فِي الظَّلَامِ . قَالَ بَلَى وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ يَرَانَا أَحَدٌ .
 قَالَ فَأَنَا أَمْرٌ قَرِيبٌ مِنَ الْكُوفَةِ إِذَا أَبْتَدَأَ الظَّلَامُ فَأَصْفِرُ
 لَكَ أَوْ أَوْمِي^(٥) إِلَيْكَ فَتَزِمْنِي لِي بِصُرَّةٍ فَآخُذْهَا وَلَا تُشْعِرْ بِنَا .
 فَرَضِيَ الْخَازِنُ بِذَلِكَ وَاعْجَبَهُ وَأَقَامَا عَلَيْهِ حِينًا ثُمَّ إِنَّ
 الْخَازِنَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِلْمُصَوِّرِ إِنْ أُسْتَطَعْتُ أَنْ تَحْتَالَ بِحِيلَةٍ

أَعْلَمُ بِهَا مَجِيئَكَ مِنْ غَيْرِ صَفَرٍ وَلَا إِيْمَاءٍ وَلَا مَا يُرْتَابُ بِهِ مِنْ
فِعْلِكَ وَفَعَلِي فَإِنِّي قَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ يُحْسِبَ بِنَا أَحَدٌ . قَالَ الْمُصَوِّرُ
عِنْدِي مِنَ الْحِيلَةِ مَا سَأَلْتُ . إِنْ عِنْدِي مَلَأَةٌ ^(١) فِيهَا مِنْ
تَهَاوِيلِ الصُّورِ ^(٢) وَتَمَاثِيلِ الصَّنْعَةِ فَإِنِّي أَلْبَسُهَا حِينَ مَجِيئِي
وَأَتَرَأَى لَكَ فِيهَا * ثُمَّ إِنَّ الْمُصَوِّرَ لَبَسَ الْمَلَأَةَ وَتَرَأَى
لَهُ فَرَمَى لَهُ بِالْصَّرَّةِ فَتَنَاوَلَهَا . وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَصُرَ
بِهِمَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ جَارًّا لِلْمُصَوِّرِ . وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَادِمِ
لِلْمُصَوِّرِ صَدَاقَةٌ . فَطَلَبَ الْمَلَأَةَ مِنْهُ وَقَالَ أُرِيدُ أَنْ أُرِيَهَا
صَدِيقًا لِي لِأَسْرَهُ بِذَلِكَ وَأُسْرِعُ الْكُرَّةَ ^(٣) بِرَدِّهَا قَبْلَ أَنْ
يَعْلَمَ بِذَلِكَ مَوْلَاكَ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا . وَلَمَّا أَتَى اللَّيْلُ أُسْرِعَ فَلَبَسَهَا
وَمَرَّ مِنْ حَيْثُ كَانَ يَمُرُّ الْمُصَوِّرُ فَلَمَّا رَأَاهُ الْخَازِنُ لَمْ يَشْكُ
فِي مَجِيئِهِ فَرَمَى لَهُ بِالْصَّرَّةِ فَتَنَاوَلَهَا وَأَنْطَلَقَ فَرَجَعَ بِالْمَلَأَةِ
إِلَى خَادِمِ الْمُصَوِّرِ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَوَضَعَهَا مَوْضِعَهَا وَكَانَ الْمُصَوِّرُ
عَنْ بَيْنِهِ غَائِبًا * فَلَمَّا عَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ لَبَسَ الْمَلَأَةَ عَلَى عَادَتِهِ
وَتَرَأَى لِلْخَازِنِ فَعَجَبَ مِنْ رُجُوعِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَا يَرْمِي
لَهُ بِهِ وَأَنْصَرَفَ الْمُصَوِّرُ بِلَا شَيْءٍ . ثُمَّ تَلَاقِيَا بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ

الْمُصَوِّرُ لَمْ يَلَمْ تَرَمْ لِي بِالصَّرَّةِ . قَالَ أَوْ لَمْ تَمُرَّقِيلَ
 حُرُورِكَ وَدَمَيْتُ لَكَ بِهَا . فَرَجَعَ الْمُصَوِّرُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَدَعَا خَادِمَهُ
 وَتَوَعَّدَهُ ^(٤) بِالْقَتْلِ أَوْ يُخْبِرُهُ بِالْحَقِيقَةِ فَأَخْبَرَهُ بِالْقِصَّةِ فَأَخَذَ
 الْمَلَأَةَ فَأَحْرَقَهَا

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ إِرَادَةً أَنْ لَا يَجْعَلَ الْمَلِكُ
 فِي أَمْرِي بِشْبَهَةً . وَلَسْتُ أَقُولُ هَذَا كِرَاهَةً لِلْمَوْتِ فَإِنَّهُ وَإِنْ
 كَانَ كَرِيهًا لَا مَنَجَى مِنْهُ وَكُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ . وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ
 قَدْ قَالُوا مَنْ أَقْتَرَفَ ^(١) خَطِيئَةً أَوْ إِنْثَامًا ثُمَّ أَسْلَمَ نَفْسَهُ إِلَى
 الْقَتْلِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ تَدْعُوهُ إِلَى ذَلِكَ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَأَنْجَاهُ
 فِي الْآخِرَةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ . وَلَوْ كَانَتْ لِي مِثَّةُ نَفْسٍ وَأَعْلَمُ
 أَنَّ هَوَى الْمَلِكِ فِي إِتْلَافِهِنَّ طِبْتُ لَهُ بِذَلِكَ نَفْسًا * فَقَالَ بَعْضُ
 الْجُنْدِ لَمْ يَنْطِقْ بِهَذَا لِحُبِّهِ الْمَلِكَ وَلَكِنْ لِخُلَاصِ نَفْسِهِ وَالتَّمَاسِ
 الْعُذْرِ لَهَا . فَقَالَ لَهُ دِمْنَةُ وَيْلَكَ وَهَلْ عَلَيَّ فِي التَّمَاسِ الْعُذْرِ
 لِنَفْسِي عَيْبٌ وَهَلْ أَحَدٌ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ نَفْسِهِ . وَإِذَا لَمْ
 يَلْتَمِسْ لَهَا الْعُذْرَ فَمَنْ يَلْتَمِسُهُ . لَقَدْ ظَهَرَ مِنْكَ مَا لَمْ تَكُنْ
 تَمْتَلِكُ كِتْمَانَهُ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ . وَلَقَدْ عَرَفَ مَنْ سَمِعَ

مِنْكَ أَنْكَ لَا تُحِبُّ لِأَحَدٍ خَيْرًا وَأَنْكَ عَدُوٌّ نَفْسِكَ فَمَنْ سِوَاهَا
 بِالْأَوَّلَى . فَمِنْكَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْبَهَائِمِ فَضْلًا عَنْ
 أَنْ يَكُونَ مَعَ الْمَلِكِ وَأَنْ يَكُونَ بِبَابِهِ * فَلَمَّا أَجَابَهُ دِمْنَةُ
 بِذَلِكَ خَرَجَ مُكْتَسِبًا ^(١) حَزِينًا مُسْتَحِيًّا . فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ لِدِمْنَةَ
 لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْكَ أَيُّهَا الْمُحْتَالُ فِي قَلَّةِ حَيَاتِكَ وَكَثْرَةِ قَحْنِكَ ^(٢)
 وَسُرْعَةِ جَوَابِكَ لِمَنْ كَلَمَكَ . قَالَ دِمْنَةُ لِأَنْكَ تَنْظُرِينَ إِلَيَّ بِعَيْنٍ
 وَاحِدَةٍ وَتَسْمَعِينَ بِأُذُنٍ وَاحِدَةٍ مَعَ أَنَّ شَقَاوَةَ جَدِّي قَدْ زَوَتْ ^(٣)
 عَنِّي كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى لَقَدْ سَعَوْا إِلَى الْمَلِكِ بِالنَّمِيمَةِ عَلَيَّ
 وَإِنِّي أَرَى كُلَّ شَيْءٍ قَدْ تَنَكَّرَ ^(٤) حَتَّى صَارَ النَّاسُ لَا
 يَنْطِقُونَ بِالْحَقِّ وَصَارَ مَنْ بِبَابِ الْمَلِكِ لَا سِتْخَافِيهِمْ بِهِ وَطُولُ
 كَرَامَتِهِ إِيَّاهُمْ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ وَالنَّعْمَةِ ^(٥) لَا يَذَرُونَ
 فِي أَيِّ وَقْتٍ يَنْبَغِي لَهُمُ الْكَلَامُ وَلَا مَتَى يَجِبُ عَلَيْهِمُ
 السَّكُوتُ * قَالَتْ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْخَيْثِ مَعَ عِظَمِ ذَنْبِهِ
 كَيْفَ يَجْعَلُ نَفْسَهُ بَرِيئًا كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ * قَالَ دِمْنَةُ إِنَّ
 الَّذِينَ يَعْمَلُونَ غَيْرَ أَعْمَالِهِمْ لَيَسُؤُوا عَلَى شَيْءٍ كَالَّذِي يَضَعُ
 الرَّمَادَ مَوْضِعًا يَنْبَغِي أَنْ يَضَعَ فِيهِ الرَّمْلَ وَيَسْتَعْمِلُ فِيهِ

السَّرجين^(١) . وَالرَّجُلِ الَّذِي يَلْبَسُ لِبَاسَ الْمَرْأَةِ . وَالْمَرْأَةِ الَّتِي
تَلْبَسُ لِبَاسَ الرَّجُلِ . وَالضَّيْفِ الَّذِي يَقُولُ أَنَا رَبُّ الْيَتِيمِ .
وَالَّذِي يَنْطِقُ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ بِمَا لَا يُسْأَلُ عَنْهُ . وَإِنَّمَا الْخَيْثُ
مَنْ لَا يَعْرِفُ الْأُمُورَ وَلَا أَحْوَالَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ
الشَّرِّ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ * قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ أَتَظُنُّ
أَيُّهَا الْغَادِرُ الْمُحْتَالُ بِقَوْلِكَ هَذَا أَنَّكَ تَخْدَعُ الْمَلِكَ وَلَا يَسْجُنُكَ *
قَالَ دِمْنَةُ الْغَادِرُ هُوَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ عَدُوُّهُ مَكْرَهُ وَإِذَا اسْتَمَكَ
مِنْ عَدُوِّهِ قَتَلَهُ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ * قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ أَيُّهَا الْغَادِرُ
الْكُذُوبُ أَتَظُنُّ أَنَّكَ نَاجٍ مِنْ عَاقِبَةِ كَذِبِكَ وَأَنْ مَحَالَكَ^(٢)
هَذَا يَنْفَعُكَ مَعَ عِظَمِ جُرْمِكَ^(٣) * قَالَ دِمْنَةُ الْكُذُوبُ هُوَ
الَّذِي يَقُولُ مَا لَمْ يَكُنْ وَيَأْتِي بِمَا لَمْ يَقُلْ وَلَمْ يَفْعَلْ . وَأَمَّا
أَنَا فَكَلَامِي حَقٌّ وَالْمَلِكُ يَعْلَمُ أَنَّي لَوْ كُنْتُ كَاذِبًا لَمْ يَكُنْ
لِي جُرْأَةٌ أَنْ أَتَكَلَّمَ هَذَا الْكَلَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ
لَيْسَ أَشْجَعُ مِنْ بَرِيٍّ وَلَا أَذْلَقُ^(٤) لِسَانًا مِنْ ذِي حَقٍّ * قَالَتْ
أُمُّ الْأَسَدِ الْعُلَمَاءُ مِنْكُمْ هُمُ الَّذِينَ يُوضِحُونَ أَمْرَهُ بِفَضْلِ
الْخِطَابِ^(٥) . ثُمَّ نَهَضَتْ فَخَرَجَتْ * فَدَفَعَ الْأَسَدُ دِمْنَةَ إِلَى

١ الزبل ٢ كيدك ومكرك وقد مر ٣ ذنبك ٤ واحد * الفصل بين الحق والباطل

الْقَاضِي فَأَمَرَ الْقَاضِي بِسَجْنِهِ فَأَتْنِي فِي عُنُقِهِ غُلًّا^(١) وَأَنْطَلَقَ
بِهِ إِلَى السِّجْنِ

فَلَمَّا أَتَيْتُ السِّجْنَ الْبَيْتَ الْبَيْتَ الْأَخْبَرَ كَلِيلَةً أَنَّ دِمْنَةَ فِي السِّجْنِ
فَأَتَاهُ مُسْتَخْفِيًّا فَلَمَّا رَأَاهُ وَهُوَ عَلَيْهِ مِنْ ضَيْقِ الْقَيْدِ وَحَرَجِ^(٢)
الْمَكَانِ بَكَى . وَقَالَ مَا وَصَلْتَ إِلَيَّ مَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ إِلَّا
لِاسْتِعْمَالِكَ الْخَدِيعَةِ وَالْمَكْرِ وَإِضْرَابِكَ^(٣) عَنِ الْعِظَةِ وَالْتِصَحُّ .
وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِي بَدْءٌ فِيهَا مَضَى مِنْ إِنْذَارِكَ وَالْتِصِيحَةِ لَكَ
وَالْمُسَارَعَةِ إِلَيْكَ فِي خُلُوصِ الرَّغْبَةِ فِيكَ . فَإِنَّهُ لِكُلِّ مَقَامٍ
مَقَالٌ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مَجَالٌ . وَلَوْ كُنْتُ قَصَّرْتُ فِي عِظَتِكَ حِينَ
كُنْتُ فِي عَافِيَةٍ لَكُنْتُ الْيَوْمَ شَرِيكَكَ فِي ذَنْبِكَ . غَيْرَ أَنَّ
الْعَجَبَ^(٤) دَخَلَ مِنْكَ مَدْخَلًا قَهَرَ رَأْيَكَ وَغَلَبَ عَلَى عَقْلِكَ .
وَكُنْتُ أَضْرِبُ لَكَ الْأَمْثَالَ كَثِيرًا وَأَذْكُرُكَ قَوْلَ الْعُلَمَاءِ
وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ الْمُحْتَالَ يَمُوتُ قَبْلَ أَجَلِهِ * قَالَ دِمْنَةُ
قَدْ عَرَفْتُ صِدْقَ مَقَالِكَ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ لَا تَجْمَعُ مِنَ
الْعَذَابِ إِذَا وَقَفْتَ مِنْكَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَلَا أَنْ تُعَذَّبَ فِي الدُّنْيَا
بِحُزْمِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُعَذَّبَ فِي الْآخِرَةِ بِجَهَنَّمَ مَعَ الْإِثْمِ *

قَالَ كَلِيلَةُ قَدْ فَهِمْتُ كَلَامَكَ . وَلَكِنْ ذَنْبَكَ عَظِيمٌ وَعِقَابُ
 الْأَسَدِ شَدِيدٌ أَلَيْمٌ * وَكَانَ بِقُرْبِهِمَا فِي السَّجْنِ فَهَذَا مُعْتَقِلٌ ^(١)
 يَسْمَعُ كَلَامَهُمَا وَلَا يَرِيَانَهُ . فَعَرَفَ مُعَاتِبَةَ كَلِيلَةَ لِدِمْنَةِ عَلَى
 سُوءِ فِعْلِهِ وَمَا كَانَ مِنْهُ وَأَنَّ دِمْنَةَ مُقَرَّرٌ بِسُوءِ عَمَلِهِ وَعَظِيمِ
 ذَنْبِهِ فَحَفِظَ الْخَاوِرَةَ بَيْنَهُمَا وَكَتَمَهَا لِشَهْدِهَا بِهَا إِنْ سُئِلَ عَنْهَا *
 ثُمَّ إِنَّ كَلِيلَةَ أَنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَدَخَلَتْ أُمُّ الْأَسَدِ حِينَ
 أَصْبَحَتْ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَتْ لَهُ يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ حُوشِيَتْ ^(٢)
 أَنْ تَنْسِيَ مَا قُلْتَ بِالْأَمْسِ وَأَنْتَ أَمَرْتَ بِهِ لَوْ قَتَلْتَهُ وَأَرْضَيْتَ
 بِهِ رَبَّ الْعِبَادِ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَانَى ^(٣)
 فِي الْجِدِّ لِلتَّقْوَى . بَلْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُدَافِعَ عَنْ ذَنْبِ الْأَثِيمِ *
 فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ كَلَامَ أُمِّهِ أَمَرَ أَنْ يَحْضُرَ النَّمِرُ وَهُوَ صَاحِبُ
 الْقَضَاءِ . فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ وَالْجَوَّاسُ ^(٤) الْعَادِلُ أَجْلَسَا فِي مَوْضِعِ
 الْحُكْمِ . وَنَادِيَا فِي الْجُنْدِ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ أَنْ يَحْضُرُوا
 وَيَنْظُرُوا فِي حَالِ دِمْنَةِ وَيَبْحَثُوا عَنْ شَأْنِهِ وَيَفْهَمُوا عَنْ ذَنْبِهِ
 وَيُثَبِّتُوا ^(٥) قَوْلَهُ وَعِذْرَهُ فِي كُتُبِ الْقَضَاءِ وَأَرْفَعَا إِلَيَّ ذَلِكَ
 يَوْمًا فَيَوْمًا . فَلَمَّا سَمِعَ النَّمِرُ ذَلِكَ وَالْجَوَّاسُ الْعَادِلُ وَكَانَ هَذَا

الْجَوَّاسُ عَمَّ الْأَسَدِ قَالَا سَمِعَا وَطَاعَةً لِمَا أَمَرَ الْمَلِكُ وَخَرَجَا
مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِلَا بِمُقْتَضَى مَا أَمَرَهُمَا بِهِ . حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ
الْيَوْمِ الَّذِي جَلَسُوا فِيهِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ أَمَرَ الْقَاضِي أَنْ يُؤْتَى
بِدِمْنَةَ فَأُتِيَ بِهِ فَوُتِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْجَمَاعَةُ حُضُورٌ

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَكَانُ نَادَى سَيِّدُ الْجَمْعِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ
أَيُّهَا الْجَمْعُ إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَيِّدَ السَّبَاعِ لَمْ يَزَلْ مُنْذُ قَتَلَ
شُرْبَةَ خَاثِرٍ ^(١) النَّفْسِ كَثِيرَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ يَرَى أَنَّهُ قَدْ قَتَلَ
شُرْبَةَ بَغِيرِ ذَنْبٍ وَأَنَّهُ أَخَذَهُ بِكَذِبِ دِمْنَةَ وَنَمِيمَتِهِ . وَهَذَا
الْقَاضِي قَدْ أَمَرَ أَنْ يَجْلِسَ مَجْلِسَ الْقَضَاءِ وَيَبْتَثَ عَنْ شَأْنِ
دِمْنَةَ . فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فِي أَمْرِ دِمْنَةَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ
فَلْيَقُلْ ذَلِكَ وَلْيَتَكَلَّمْ بِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْجَمْعِ وَالْأَشْهَادِ ^(٢)
لِيَكُونَ الْقَضَاءُ فِي أَمْرِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ . فَإِذَا اسْتَوْجَبَ
الْقَتْلَ فَالْتَبَثُ ^(٣) فِي أَمْرِهِ أَوَّلَى وَالْعَجَلَةُ مِنَ الْهَوَى ^(٤)
وَمُتَابَعَةُ الْأَصْحَابِ عَلَى الْبَاطِلِ ذُلٌّ * فَعِنْدَهَا قَالَ
الْقَاضِي أَيُّهَا الْجَمْعُ اسْمَعُوا قَوْلَ سَيِّدِكُمْ وَلَا تَكْتُمُوا مَا
عَرَفْتُمْ مِنْ أَمْرِهِ . وَاعْتَبِرُوا فِي تَجَنُّبِ السُّرِّ عَلَيْهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ :

أَمَّا إِحْدَاهُنَّ وَهِيَ أَهْمُهُنَّ فَلَا ^(١) تَزْدُرُوهُنَّ ^(٢) فِعْلُهُ وَلَا تَعْدُوهُ يَسِيرًا
فَإِنَّهُ مِنْ أَكْثَرِ الْخَطَايَا قَتْلُ الْبَرِيِّ الَّذِي لَا ذَنْبَ لَهُ بِالْكَذِبِ
وَالنَّمِيمَةِ . وَمَنْ عَلِمَ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْكَذَابِ الَّذِي أَتَاهُ الْبَرِيُّ
بِكُذِبِهِ وَنَمِيمَتِهِ شَيْئًا فَسَتَرَ عَلَيْهِ فَهُوَ شَرِيكُهُ فِي الْإِثْمِ
وَالْعُقُوبَةِ * وَالثَّانِيَةُ أَنَّهُ إِذَا اعْتَرَفَ الْمُذْنِبُ بِذَنْبِهِ كَانَ أَسْلَمَ
لَهُ . وَالْآخَرَى ^(٣) بِالْمَلِكِ وَجُنْدِهِ أَنْ يَغْفُوا عَنْهُ وَيَصْفَحُوا *
وَالثَّالِثَةُ تَرْكُ مُرَاعَاةِ أَهْلِ الذَّمِّ وَالْفُجُورِ وَقَطْعُ أَسْبَابِ
مُوَاسَلَتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ عَنِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ * فَمَنْ عَلِمَ مِنْ أَمْرِ
هَذَا الْمُحْتَالِ شَيْئًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ مِمَّنْ حَضَرَ
لِيَكُونَ ذَلِكَ حُجَّةً ^(٤) عَلَيْهِ . وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ مَنْ كَتَمَ شَهَادَةَ مَيِّتٍ
الْجَمْعَ بِإِلْجَامٍ مِنْ نَا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَلْيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا
عَلِمَ * فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ الْجَمْعُ كَلَامَهُ أَمْسَكُوا عَنِ الْقَوْلِ .
فَقَالَ دِمْنَةُ مَا يُسْكِتُكُمْ تَكَلُّمُ بَا عِلْمِمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ
كَلِمَةٍ جَوَابًا . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ مَنْ يَشْهَدُ بِمَا لَمْ يَرَوْهُ يَقُلْ
مَا لَا يَعْلَمُ يُصِيبُهُ مَا أَصَابَ الطَّيِّبَ الَّذِي قَالَ لِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِنِّي
أَعْلَمُهُ . قَالَتِ الْجَمَاعَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْمُدُنِ طَيْبٌ لَهُ رِفْقٌ ^(١)
 وَعِلْمٌ. وَكَانَ ذَا فِطْنَةٍ فِيمَا يَجْرِي عَلَى يَدِهِ مِنَ الْمُعَالَجَاتِ. فَكَبَّرَ
 ذَلِكَ الطَّيِّبُ وَضَعَفَ بَصَرُهُ. وَكَانَ لِمَلِكٍ تِلْكَ الْمَدِينَةُ ابْنٌ
 وَحِيدٌ. فَأَصَابَهُ مَرَضٌ فَجِيءَ بِهِذَا الطَّيِّبُ. فَلَمَّا حَضَرَ سَأَلَ
 أَلْفَتِي عَنْ وَجْعِهِ وَمَا يَجِدُ فَأَخْبَرَهُ فَعَرَفَ دَاءَهُ وَدَوَاءَهُ وَقَالَ
 لَوْ كُنْتُ أَبْصِرُ لَجَمَعْتُ الْأَخْلَاطَ ^(٢) عَلَى مَعْرِفَتِي بِأَجْنَاسِهَا وَلَا
 أَتَّقِي فِي ذَلِكَ بِأَحَدٍ غَيْرِي. وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ جَاهِلٌ
 قَبْلَهُ الْخَبْرُ فَأَتَاهُمْ وَأَدَّعَى عِلْمَ الطِّبِّ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ خَيْرٌ بِمَعْرِفَةِ
 أَخْلَاطِ الْأَدْوِيَةِ وَالْعَقَاقِيرِ ^(٣) عَارِفٌ بِطَبَائِعِ الْأَدْوِيَةِ الْمُرَكَّبَةِ
 وَالْمُفْرَدَةِ. فَأَمَرَهُ الْمَلِكُ أَنْ يَدْخُلَ خِزَانَةَ الْأَدْوِيَةِ فَيَأْخُذَ
 مِنْ أَخْلَاطِ الدَّوَاءِ حَاجَتَهُ. فَلَمَّا دَخَلَ الْجَاهِلُ الْخِزَانَةَ وَعَرِضَتْ
 عَلَيْهِ الْأَدْوِيَةُ وَلَا يَذَرِي مَا هِيَ وَلَا لَهُ بِهَا مَعْرِفَةٌ أَخَذَ
 فِي جُمْلَةٍ مَا أَخَذَ مِنْهَا صُرَّةً فِيهَا سَمٌّ قَاتِلٌ لَوْقَتِهِ وَدَافَهُ ^(٤)
 بِالْأَدْوِيَةِ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهِ وَلَا مَعْرِفَةَ عِنْدَهُ بِجِنْسِهِ. فَلَمَّا تَمَّتْ
 أَخْلَاطُ الْأَدْوِيَةِ سَقَى أَلْفَتِي مِنْهُ فَمَاتَ لَوْقَتِهِ. فَلَمَّا عَرَفَ الْمَلِكُ
 ذَلِكَ دَعَا بِالْجَاهِلِ فَسَقَاهُ مِنْ ذَلِكَ الدَّوَاءِ فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ

١ أى خدق ومهارة ٢ يريد الادوية المختلطة ٣ النباتات التي يتداوى بها ٤ خلطوه

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكُمْ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمُوا مَا يَدْخُلُ عَلَى
الْقَائِلِ وَالْعَامِلِ مِنَ الدَّلَالَةِ بِالشَّبْهِ فِي الْخُرُوجِ عَنِ الْحَدِّ . فَمِنْ
خَرَجَ مِنْكُمْ عَنْ حَدِّهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ذَلِكَ الْجَاهِلَ وَنَفْسُهُ
الْمَلُومَةُ * وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ رُبَّمَا جُزِيَ الْمُتَكَلِّمُ بِقَوْلِهِ .
وَالْكَلَامُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَانْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ * فَتَكَلَّمُ سَيِّدُ الْخَنَازِيرِ
لِلدَّلَالَةِ ^(١) وَتِيهِ ^(٢) بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ الْأَسَدِ . فَقَالَ يَا أَهْلَ الشَّرَفِ
مِنَ الْعُلَمَاءِ أَسْمِعُوا مَقَالَتِي وَعُوا ^(٣) بِأَحْلَامِكُمْ ^(٤) كَلَامِي . فَالْعُلَمَاءُ
قَابَلُوا فِي شَأْنِ الصَّالِحِينَ إِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ بِسِيَمَاهُمْ ^(٥) . وَأَنْتُمْ
مَعَاشِرَ ذَوِي الْأَقْتِدَارِ يَحْسُنُ صَنْعُ اللَّهِ لَكُمْ وَتَمَامُ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ
تَعْرِفُونَ الصَّالِحِينَ بِسِيَمَاهُمْ وَصُورِهِمْ وَتَخْبُرُونَ ^(٦) الشَّيْءَ الْكَبِيرَ
بِالشَّيْءِ الصَّغِيرِ . وَهُنَا أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْخَبِيثِ
دِمْنَةٍ وَتَخْبُرُ عَنْ شَرِّهِ فَاطْلُبُوهَا عَلَى ظَاهِرِ جِسْمِهِ لِتَسْتَبْقِنُوا
وَتَسْكُنُوا ^(٧) إِلَى ذَلِكَ . قَالَ الْقَاضِي لِسَيِّدِ الْخَنَازِيرِ قَدْ عَلِمْتُ
وَعَلِمَ الْجَمَاعَةُ الْحَاضِرُونَ أَنَّكَ عَارِفٌ بِمَا فِي الصُّورِ مِنْ
عَلَامَاتِ السُّوءِ فَفَسِّرْ لَنَا مَا تَقُولُ وَأَطْلِعْنَا عَلَى مَا تَرَى فِي صُورَةِ

١ أي جرائه ودالته ٢ كبريائه ٣ احتفظوا ٤ جمع حلم بمعنى
الأناة والناني ٥ هيئتهم ٦ تتحققون وتعرفون ٧ نطمئنون

هَذَا الْحَيْثُ . فَأَخَذَ سَيِّدُ الْخَنَازِيرِ دِمْنَهُ وَقَالَ إِنَّ الْعُلَمَاءَ
 قَدْ كَتَبُوا وَأَخْبَرُوا أَنَّهُ مَنْ كَانَتْ عَيْنُهُ الْبَسْرَى أَصْغَرَ مِنْ
 عَيْنِهِ الْيُمْنَى وَهِيَ لَا تَزَالُ تَخْتَلِجُ^(١) وَكَانَ أَنَّهُ مَاثِلًا إِلَى
 جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ فَهُوَ حَيْثُ جَامِعٌ لِلْخَبِّ^(٢) وَالْفُجُورِ . وَكَانَ دِمْنُهُ
 عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ * فَلَمَّا سَمِعَ دِمْنَهُ ذَلِكَ قَالَ مِنْ هَهُنَا تَقِيسُونَ
 الْكَلَامَ وَتَتَرَكُونَ الْعِلْمَ فَاسْمَعُوا مِنِّي مَا أَقُولُهُ لَكُمْ وَتَدَبَّرُوا^(٣)
 بِعُقُولِكُمْ فَقَدْ وَعَيْتُمْ^(٤) مَا قَالَ هَذَا . فَإِنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّ مَا فِي
 جِسْمِي مِنْ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى صِدْقِ مَا رُمِيتُ بِهِ^(٥)
 فَإِنِّي إِذْنًا أَكُونُ قَدْ دُوسِمْتُ^(٦) بِسِمَاتِ^(٧) وَعَلَامَاتِ اضْطَرَّتْنِي^(٨)
 إِلَى الْأَثْمِ فَعَمِلْتُ بِهَا مَا عَمِلْتُ . فَفِي ذَلِكَ بَرَاءَةٌ لِي وَعَذْرٌ مِمَّا
 عَمِلْتُهُ . ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى سَيِّدِ الْخَنَازِيرِ وَقَالَ فَقَدْ بَانَ لِمَنْ حَضَرَ
 قَلَّةُ عَقْلِكَ وَمَا مَثْلُكَ فِي ذَلِكَ إِلَّا مَثَلُ رَجُلٍ قَالَ لِامْرَأَتِهِ
 أَنْظِرِي إِلَى عُرْيِكَ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَنْظِرِي إِلَى عُرْيِ غَيْرِكَ . قِيلَ
 لَهُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ دِمْنُهُ رَعَمُوا أَنَّ مَدِينَةً أَغَارَ عَلَيْهَا الْعَدُوُّ فَقَتَلَ

١ تضطرب ٢ المكر والخداع ٣ تأملوا واعتبروا ٤ أي فهمم
 ٥ أي انتهت ٦ علمت ٧ معنى العلامات ٨ دفعنني جبراً

وَسَيِّ^(١) وَغَنِمَ وَأَنْطَلَقَ إِلَى بِلَادِهِ . فَأَتَقَّقَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ جُنْدِيٍّ
 مِمَّا وَقَعَ فِي قِسْمَتِهِ رَجُلٌ حَرَّاثٌ وَمَعَهُ أَمْرَأَتَانِ لَهُ . وَكَانَ هَذَا
 الْجُنْدِيُّ يُسَيِّئُ إِلَيْهِمْ فِي الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ . فَذَهَبَ الْحَرَّاثُ
 ذَاتَ يَوْمٍ وَمَعَهُ أَمْرَأَتَاهُ يَحْتَطِبُونَ^(٢) لِلْجُنْدِيِّ وَهُمُ عُرَاةٌ .
 فَأَصَابَتْ^(٣) إِحْدَى الْمَرْأَتَيْنِ فِي طَرِيقِهَا خِرْقَةً بَالِيَةً فَاسْتَرَتْ
 بِهَا . ثُمَّ قَالَتْ لِرَوْجِهَا أَلَا تَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ الْقَيْصَةِ كَيْفَ لَا تَسْتَعِي
 وَتَسْتَرُ . قَالَ لَهَا رَوْجُهَا لَوْ بَدَأْتَ بِالنَّظَرِ إِلَى نَفْسِكَ وَأَنَّ
 جِسْمَكَ كُلَّهُ عَارٍ لِمَا عَيَّرَتْ صَاحِبَتَكَ بِمَا هُوَ بَعِيْنُهُ فِيكَ
 وَشَأْنُكَ عَجَبٌ أَيُّهَا الْقَدِرُ ذُو الْعَلَامَاتِ الْفَاضِحَةِ الْقَيْصَةِ .
 ثُمَّ أَلْجَبُ مِنْ جُرْأَتِكَ عَلَى طَعَامِ الْمَلِكِ وَقِيَامِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعَ
 مَا بِجِسْمِكَ مِنَ الْقَدْرِ وَالْقُبْحِ وَمَعَ مَا تَعْرِفُهُ أَنْتَ وَيَعْرِفُهُ
 غَيْرُكَ مِنْ عُيُوبِ نَفْسِكَ . أَفَتَتَكَلَّمُ فِي النَّقِيِّ الْجِسْمِ الَّذِي
 لَا عَيْبَ فِيهِ . وَلَسْتُ أَنَا وَحْدِي أَطْلُعُ عَلَى عَيْبِكَ لَكِنَّ جَمِيعَ
 مَنْ حَضَرَ قَدْ عَرَفَ ذَلِكَ . وَقَدْ كَانَ يَخْجِزُنِي عَنْ إِظْهَارِهِ مَا
 بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الصَّدَاقَةِ . فَأَمَّا إِذْ قَدْ كَذَبْتَ عَلَيَّ وَبَهْتَنِي^(٤)
 فِي وَجْهِ وَثُمْتَ بَعْدَاوَتِي فَقُلْتَ مَا قُلْتَ فِيَّ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَعَلَى

رُؤُوسِ الْحَاضِرِينَ فَإِنِّي أَقْصِرُ عَلَى إِظْهَارِ مَا أَعْرِفُ مِنْ عِيُوبِكَ
وَتَعْرِفُهُ الْجَمَاعَةُ . وَحَقٌّ عَلَى مَنْ عَرَفَكَ حَقَّ مَعْرِفِكَ أَنْ يَمْنَعَ
الْمَلِكَ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ إِيَّاكَ عَلَى طَعَامِهِ . فَلَوْ كُفِّتَ أَنْ
تَعْمَلَ الزَّرَاعَةَ لَكُنْتَ جَدِيرًا بِالْخِذْلَانِ^(١) فِيهَا . فَلَا حَرَى
بِكَ أَنْ لَا تَدْنُو إِلَى عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ وَأَنْ لَا تَكُونَ دَبَاغًا
وَلَا حِجَامًا لِعَامِي فَضْلًا عَنْ خَاصِّ خِدْمَةِ الْمَلِكِ * قَالَ سَيِّدُ
الْخَنَازِيرِ أَوْ لِي تَقُولْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ وَتَلْقَانِي بِهَذَا الْمَلْقَى . قَالَ
دِمْنَةُ نَعَمْ وَحَقًّا قُلْتَ فِيكَ وَإِيَّاكَ أَغْنِي أَيُّهَا الْأَعْرَجُ الْمَكْسُورُ
الَّذِي فِي وَرِكَهِ النَّاسُورُ الْأَفْدَعُ^(٢) الرَّجُلِ الْمَنْفُوخُ الْبَطْنِ
الْأَفْلَحُ^(٣) الشَّفَتَيْنِ السَّيِّئِ الْمَنْظَرِ وَالْمَغْبَرِ * فَلَمَّا قَالَ دِمْنَةُ ذَلِكَ
تَغَيَّرَ وَجْهُ سَيِّدِ الْخَنَازِيرِ وَاسْتَعْبَرَ^(٤) وَاسْتَحَى^(٥) وَتَلَجَّجَ^(٦) لِسَانَهُ
وَاسْتَكَانَ^(٧) وَفَتَرَ نَشَاطَهُ . فَقَالَ دِمْنَةُ حِينَ رَأَى أَنْكِسَارَهُ
وَبُكَاءَهُ إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَطُولَ بُكَاءُكَ إِذَا أُطْلِعَ الْمَلِكُ عَلَى
قَذْرِكَ وَعِيُوبِكَ فَعَزَلَكَ عَنْ طَعَامِهِ وَحَالَ^(٨) بَيْنَكَ وَبَيْنَ
خِدْمَتِهِ وَأَبْعَدَكَ عَنْ حَضْرَتِهِ * ثُمَّ إِنَّ شَعْرًا كَانَ الْأَسَدُ

١ الخيبة ٢ الذي يميل عند المشي الى الجانب الانسي من قدمه ٣ المشقوق

٤ اي الذات ٥ جرت عبرته اي دمعته ٦ تردد في الكلام

٧ ذل ٨ اعترض

قَدْ جَرَّبَهُ فَوَجَدَ فِيهِ أَمَانَةً وَصِدْقًا فَرَبَّهٗ فِي خِدْمَتِهِ أَمْرَهُ
 أَنْ يَحْفَظَ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ وَيُطْلِعَهُ عَلَيْهِ . فَقَامَ الشَّعْهَرُ فَدَخَلَ
 عَلَى الْأَسَدِ فَحَدَّثَهُ بِالْحَدِيثِ كُلِّهِ عَلَى جَلِيَّتِهِ . فَأَمَرَ الْأَسَدُ بِعِزْلِ
 سَيِّدِ الْخَنَازِيرِ عَنْ عَمَلِهِ وَأَمَرَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِ وَلَا يَرَى
 وَجْهَهُ . وَأَمَرَ بِدِمْنَةٍ أَنْ يُرَدَّ إِلَى السِّجْنِ وَقَدْ مَضَى مِنَ النَّهَارِ
 أَكْثَرُهُ وَجَمِيعُ مَا جَرَى وَقَالُوا وَقَالَ كُتِبَ وَخُتِمَ عَلَيْهِ
 بِخَاتَمِ النَّيْرِ وَرَجَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ

ثُمَّ إِنَّ شَعْرًا يُقَالُ لَهُ رَوْزَبَةٌ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلِيلَةِ إِخْوَانِهِ^(١)
 وَمَوَدَّةٍ وَكَانَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَجِيهًا وَعَلَيْهِ كَرِيمًا . وَاتَّفَقَ أَنَّ
 كَلِيلَةَ أَخَذَهُ الْوَجْدَ^(٢) إِشْفَاقًا^(٣) مِنْ أَنْ يَلْتَطِخَ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ
 أَخِيهِ وَحَذَرَ عَلَيْهِ وَكَانَ بِهِ مَرَضٌ فَهَاجَ بِهِ مَرَضُهُ^(٤) وَمَاتَ . فَأَنْطَلَقَ
 هَذَا الشَّعْرُ إِلَى دِمْنَةٍ فَأَخْبَرَهُ بِمَوْتِ كَلِيلَةِ فَبَكَى وَحَزَنَ وَقَالَ مَا
 أَصْنَعُ بِالْذُّنْيَا بَعْدَ مَفَارِقَةِ الْأَخِ الصَّفِيِّ^(٥) . وَاحْرَقَ قَلْبَهُ^(٦) إِنَّ الْإِنْسَانَ
 إِذَا أَبْطَلَ بَيْلِيَّةً أَتَاهُ الشَّرُّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَكَتَفَهُ^(٧) أَلَمٌ وَالْحَزَنُ
 مِنْ كُلِّ مَكَانٍ . وَلَكِنْ أَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى إِذْ لَمْ يَمُتْ كَلِيلَةُ حَتَّى

١ صداقة ٢ أي ألم الشديد ٣ خوفًا ٤ أي اشتد عليه ٥ أي
 الصادق البردة ٦ كلمة تشك ٧ احاط به

أَبَقِيَ لِي مِنْ ذَوِي قَرَابَتِي ^(١) أَخًا مِثْلَكَ . فَإِنِّي قَدْ وَثِقْتُ بِنِعْمَةِ
 اللَّهُ تَعَالَى وَإِحْسَانِهِ إِلَيَّ فِيمَا رَأَيْتُ مِنْ أَهْتِمَامِكَ بِي
 وَمُرَاعَاةِكَ لِي وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجَاءِي وَرُكْنِي ^(٢) فِيمَا أَنَا فِيهِ .
 فَأُرِيدُ مِنْ إِنْعَامِكَ أَنْ تَنْطَلِقَ إِلَى مَكَانٍ كَذَا فَتَنْظُرَ إِلَى مَا
 جَمَعْتُهُ أَنَا وَأَخِي بِحِيلَتِنَا وَسَعِينَا وَمَشِيتِهِ اللَّهُ تَعَالَى فَتَأْتِيَنِي
 بِهِ . فَفَعَلَ الشَّعْرُ مَا أَمَرَهُ بِهِ دِمْنُهُ فَلَمَّا وَضَعَ الْمَالَ بَيْنَ
 يَدَيْهِ أَعْطَاهُ شَطْرَهُ ^(٣) وَقَالَ لَهُ إِنَّكَ عَلَى الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ
 عَلَى الْأَسَدِ أَقْدَرُ مِنْ غَيْرِكَ . فَتَفَرَّغَ لِسَانِي ^(٤) وَأَصْرِفِ أَهْتِمَامَكَ
 إِلَيَّ وَأَسْمَعْ مَا أَذْكَرُ بِهِ عِنْدَ الْأَسَدِ إِذَا رُفِعَ إِلَيْهِ مَا يَجْرِي
 بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُصُومِ . وَمَا يَدُو مِنْ أُمِّ الْأَسَدِ فِي حَقِّي وَمَا تَرَى
 مِنْ مُتَابَعَةِ الْأَسَدِ لَهَا وَمَخَالَفَتِهِ إِيَّاهَا فِي أَمْرِي وَاحْفَظْ ذَلِكَ
 كُلَّهُ . فَأَخَذَ الشَّعْرُ مَا أَعْطَاهُ دِمْنُهُ وَأَنْصَرَفَ عَنْهُ عَلَى هَذَا

الْعَهْدِ فَأَنْطَلَقَ إِلَى مَنَزِلِهِ فَوَضَعَ الْمَالَ فِيهِ

ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ بَكَرَ مِنَ الْغَدِ فَجَلَسَ . حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ
 النَّهَارِ سَاعَتَانِ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فِي الدُّخُولِ فَأَذِنَ لَهُمْ
 فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَوَضَعُوا الْكِتَابَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا عَرَفَ قَوْلَهُمْ

وَقَوْلَ دِمْنَةَ دَعَا بِأُمِّهِ فَقَرَأَ عَلَيْهَا ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَتْ مَا فِي الْكِتَابِ
 نَادَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا إِنَّ أَنَا أَغْلَظْتُ فِي الْقَوْلِ فَلَا تَلْمَنِي فَإِنَّكَ
 لَسْتَ تَعْرِفُ ضَرْكَ مِنْ نَفْعِكَ . أَلَيْسَ هَذَا مِمَّا كُنْتُ أَنهَكَ عَنْ
 سَمَاعِهِ لِأَنَّهُ كَلَامُ هَذَا الْمُجْرِمِ الْمُسِيءِ إِلَيْنَا الْغَادِرِ بِذِمَّتِنَا .
 ثُمَّ إِنَّهَا خَرَجَتْ مُغْضَبَةً وَذَلِكَ بَعَيْنِ الشَّعْهَرِ الَّذِي آخَاهُ دِمْنَةُ
 وَبَسْمِعِهِ فَخَرَجَ فِي إِثْرِهَا ^(١) مُسْرِعًا حَتَّى أَتَى دِمْنَةَ فَحَدَّثَهُ بِالْحَدِيثِ .
 فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهُ إِذْ جَاءَ فَيْحٌ ^(٢) الْأَسَدِ فَأَنْطَلَقَ بِدِمْنَةَ إِلَى الْجَمْعِ
 عِنْدَ الْقَاضِي .

فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي اسْتَفْتَحَ سَيِّدُ الْجُلُوسِ فَقَالَ
 يَا دِمْنَةُ قَدْ أَنْبَأَنِي عَنْ خَبْرِكَ الْأَمِينُ الصَّادِقُ وَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا
 أَنْ نَفْخَصَ عَنْ شَأْنِكَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا . لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ قَالُوا إِنَّ
 اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا سَبَبًا ^(٣) إِلَى الْآخِرَةِ وَمِصْدَاقًا ^(٤) لَهَا لِأَنَّهَا
 دَارُ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ الدَّالِّينَ عَلَى الْخَيْرِ الْهَادِينَ إِلَى الْجَنَّةِ
 الدَّاعِينَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَقَدْ ثَبَتَ شَأْنُكَ عِنْدَنَا وَأَخْبَرْنَا
 عَنْكَ مَنْ وَثَقْنَا بِقَوْلِهِ . إِلَّا أَنْ سَيِّدَنَا أَمَرَنَا بِالْعُودِ إِلَى أَمْرِكَ
 وَالْفَحْصِ عَنْ شَأْنِكَ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ ظَاهِرًا بَيْنًا . قَالَ دِمْنَةُ

أَرَاكَ أَيُّهَا الْقَاضِي لَمْ تَعْمُدِ الْعَدْلَ فِي الْقَضَاءِ . وَلَيْسَ فِي
 عَدْلِ الْمُلُوكِ دَفْعُ الْمَظْلُومِينَ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ إِلَى قَاضٍ غَيْرِ
 عَادِلٍ بَلِ الْخَاصَّةُ لَهُمْ وَالذُّودُ^(١) عَنْ حُقُوقِهِمْ . فَكَيْفَ تَرَى أَنْ
 أَقْتَلَ وَلَمْ أَخَاصِمْ وَتَعَجَّلَ ذَلِكَ مُوَافَقَةً لِهَوَاكَ وَلَمْ تَمْضِ بَعْدَ
 ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . وَلَكِنْ صَدَقَ الَّذِي قَالَ إِنَّ الَّذِي تَعَوَّدَ عَمَلَ
 الْبَرِّ هَيَّئَ عَلَيْهِ عَمَلَهُ وَإِنْ أَضَرَّ بِهِ * قَالَ الْقَاضِي إِنَّا نَجِدُ فِي
 كُتُبِ الْأَوَّلِينَ أَنَّ الْقَاضِيَ الْعَدْلَ^(٢) يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْرِفَ
 عَمَلَ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ لِيَجَازِيَ الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ
 بِإِسَاءَتِهِ . فَإِذَا ذَهَبَ إِلَى هَذَا أَزْدَادَ الْمُحْسِنُونَ حِرْصًا عَلَى
 الْأَحْسَانِ وَالْمُسِيئُونَ اجْتِنَابًا لِلذُّنُوبِ . وَالرَّأْيُ إِلَيْكَ^(٣) يَا دِمْنَةُ
 أَنْ تَنْظُرَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ وَتَعْتَرِفَ بِذَنْبِكَ وَتَقَرَّ بِهِ وَتُثَوِّبَ .
 فَلَأَنْ يُعَاقِبَ الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا خَيْرٌ مِنْ عِقَابِ الْآخِرَةِ . فَأَجَابَهُ
 دِمْنَةُ إِنَّ صَالِحِي الْقَضَاءِ لَا يَقْطَعُونَ^(٤) بِالظَّنِّ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ لَا
 فِي الْخَاصَّةِ وَلَا فِي الْعَامَّةِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ^(٥)
 شَيْئًا . وَأَنْتُمْ إِنْ ظَنَنْتُمْ أَنِّي مُجْرِمٌ فِيمَا فَعَلْتُ فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي

١ الدفاع ٢ العادل ٣ أي منوص إليك ٤ أي ببناءكون

٥ أي لا يؤثر فيه ولا يدفعه

مِنْكُمْ وَعَلَيَّ بِنَفْسِي يَقِينُ لَا شَكَّ فِيهِ وَعَلِمْتُكُمْ بِي غَايَةَ الشُّكِّ *
 وَإِنَّمَا فُتِحَ أَمْرِي عِنْدَكُمْ أَنِّي سَعَيْتُ بِغَيْرِي ^(١) فَمَا عَذْرِي
 عِنْدَكُمْ إِذَا سَعَيْتُ بِنَفْسِي كَاذِبًا عَلَيْهَا فَأَسَلَمْتُهَا إِلَى الْقَتْلِ
 وَالْعَطَبِ عَلَى مَعْرِفَةِ مِنِّي بِرَأْيِي وَسَلَامَتِي مِمَّا قُرِفَتْ ^(٢) بِهِ
 وَنَفْسِي أَعْظَمُ الْأَنْفُسِ عَلَيَّ حُرْمَةً ^(٣) وَأَوْجِبُهَا حَقًّا . فَلَوْ فَعَلْتُ
 هَذَا بِأَقْصَاكُمْ ^(٤) وَأَدْنَاكُمْ ^(٥) لَمَا وَسَعَيْتُ ^(٦) فِي دِينِي وَلَا حَسَنَ
 بِي فِي مَرُوءَتِي وَلَا حَقَّ لِي ^(٧) أَنْ أَفْعَلُهُ فَكَيْفَ أَفْعَلُهُ بِنَفْسِي .
 فَأَكْفُفُ أَيُّهَا الْقَاضِي عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ
 نَصِيحَةً فَقَدْ أَخْطَأْتَ مَوْضِعَهَا ^(٨) . وَإِنْ كَانَتْ خَدِيعَةً فَإِنَّ أَقْبَحَ
 الْخَدِيعِ مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ . مَعَ أَنَّ الْخَدِيعَ وَالْمَكْرَ لَيْسَا
 مِنْ أَعْمَالِ صَالِحِي الْقَضَاةِ وَلَا ثِقَاتِ ^(٩) الْوَلَاةِ * وَأَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَكَ
 مِمَّا يَتَّخِذُهُ الْجَهْلَالُ وَالْأَشْرَارُ سُنَّةً ^(١٠) يَقْتَدُونَ بِهَا لِأَنَّ أُمُورَ
 الْقَضَاةِ يَأْخُذُ بِصَوَابِهَا أَهْلُ الصَّوَابِ وَبِخَطَايَاهَا أَهْلُ الْخَطَاةِ
 وَالْبَاطِلِ وَالْقَلِيلُ الْوَرَعِ ^(١١) . وَأَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْقَاضِي مِنْ
 مَقَالَتِكَ هَذِهِ أَعْظَمَ الرِّزَايَا وَالْبَلَايَا . وَلَيْسَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمُصِيبَةِ

١ بلغت عنه بالفساد ٢ اتهمت ٣ عهدًا ورعاية ٤ ابعدكم
 ٥ افر بكم ٦ اي لما جازلي ٧ كنت حقيقًا اي اهلًا ٨ لم نصيحة
 ٩ جمع ثقة اي موثوق بزمؤمن ١٠ طريقة ١١ النفوى

أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِ الْمَلِكِ وَالْجُنْدِ وَالْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فَاضِلًا
 فِي رَأْيِكَ مُقْنِعًا فِي عَقْلِكَ مَرْضِيًّا فِي حُكْمِكَ وَعَفَافًا
 وَفَضْلِكَ . وَإِنَّمَا الْبَلَاءُ كَيْفَ أَنْسَيْتَ ذَلِكَ فِي أَمْرِي . أَوْ مَا
 بَلَغَكَ عَنِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا مَنْ أَدْعَى عِلْمَهُ مَا لَا يَعْلَمُ
 وَشَهِدَ عَلَى الْقَيْبِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْبَازِيَّارَ ^(١) . قَالَ الْقَاضِي
 وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْمُدُنِ رَجُلٌ مِنَ
 الْمَرَازِبَةِ ^(٢) مَذْكُورٌ . وَكَانَتْ لَهُ أُمْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ وَعَفَافٍ .
 وَكَانَ لِلرَّجُلِ بَازِيَّارٌ مَاهِرٌ خَيْرٌ بِعِلَاجِ الْبُزَاةِ وَسِيَاسَتِهَا . وَكَانَ
 هَذَا الْبَازِيَّارُ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ بِمَكَانٍ خَلِيلٍ بِحَيْثُ أَدْخَلَهُ
 دَارَهُ وَجَعَلَهُ كَوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِهِ . فَاتَّفَقَ أَنَّ وَقَعَتْ كَلِمَةٌ مِنْ
 الْبَازِيَّارِ فَتَسَخَّطَتْ لَهَا زَوْجَةُ مَوْلَاهُ وَنَفَرَتْ فَغَضِبَ وَعَمِلَ عَلَى ^(٣)
 أَنْ يَكِيدَهَا بِمَكِيدَةٍ . فَخَرَجَ يَوْمًا إِلَى الصَّيْدِ عَلَى عَادَتِهِ فَأَصَابَ
 فَرَخِيَّ بَنَغَاءً فَأَخَذَهَا وَجَاءَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَرَبَّاهَا . فَلَمَّا كَبُرَا
 فَرَّقَ بَيْنَهُمَا وَجَعَلَهُمَا فِي قَفَصَيْنِ وَعَلَّمَ أَحَدَهُمَا أَنْ يَقُولَ رَأَيْتُ رِيَّةً
 فِي بَيْتِ مَوْلَايَ وَعَلَّمَ الْآخَرَ أَنْ يَقُولَ أَمَّا أَنَا فَلَا أَقُولُ شَيْئًا .

ثُمَّ أَدْبَهُمَا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَتَقْنَاهُ وَحَدَقَاهُ ^(١) فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ .
فَلَمَّا بَلَغَ الَّذِي أَرَادَ مِنْهُمَا حَمَلَهَا إِلَى مَوْلَاهُ فَلَمَّا رَأَاهَا أُعْجِبَاهُ
وَنَطَقَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَطْرَبَاهُ . إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ مَا يَقُولَانِ لِأَنَّ
الْبَارِبَارَ كَانَ قَدْ عَلَّمَهُمَا بِلُغَةِ الْبَلْخِيِّينَ . وَإِنَّ الْمَرْزُبَانَ أُعْجِبَ
بِهِمَا إِعْجَابًا شَدِيدًا وَحَظِيَ الْبَارِبَارُ عِنْدَهُ بِذَلِكَ حُظْوَةً ^(٢) كَرِيمَةً
فَأَمَرَ أَمْرَأَتَهُ بِالْإِحْتِيَاظِ عَلَيْهِمَا وَالْإِحْتِفَاطِ بِهِمَا فَفَعَلَتِ الْمَرْأَةُ
ذَلِكَ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ بَعْدَ مَدَّةٍ قَدِيمٍ عَلَى الرَّجُلِ قَوْمٌ مِنْ عُظَمَاءِ
بَلْخٍ فَتَأْتَقُّ لَهُمْ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَجَمَعَ مِنْ أَصْنَافِ الْفَوَاكِهِ
وَالثَّخَفِ شَيْئًا كَثِيرًا وَحَضَرَ الْقَوْمُ . فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنَ الطَّعَامِ
وَشَرَعُوا فِي الْحَدِيثِ أَشَارَ الْمَرْزُبَانُ إِلَى الْبَارِبَارِ أَنْ يَأْتِيَ
بِالْبَيْغَاءَيْنِ فَأَحْضَرَهُمَا . فَلَمَّا وَضَعَتَا بَيْنَ يَدَيْهِ صَاحَتَا بِمَا
كَانَتَا عُلِمَتَاهُ . فَعَرَفَ أُولَئِكَ الْعُظَمَاءُ مَا قَالَتَا فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ
إِلَى بَعْضٍ وَنَكَسُوا رُؤُوسَهُمْ حَيَاءً وَخَجَلًا وَجَعَلَ يَغْمِزُ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا * فَقَالَ الرَّجُلُ مَا أَعْلَمُ مَا تَقُولَانِ وَلَكِنِّي يُعْجِبُنِي ذَلِكَ
مِنْهُمَا وَسَأَلَهُنَّ عَمَّا تَقُولَانِ فَأَمْتَمَتَا أَنْ يَقُولُوا مَا قَالَتَا فَأَلْحَ
عَلَيْهِمْ وَأَكْثَرَ السُّؤَالَ عَمَّا قَالَتَا . فَقَالُوا إِنَّمَا تَقُولَانِ كَذَا

وَكَذَا وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا إِنْ نَأْكُلُ مِنْ بَيْتٍ يَعْمَلُ فِيهِ الْفُجُورُ
فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ سَأَلَهُمُ الرَّجُلُ أَنْ يَكَلِّمُوهَا بِلِسَانِ الْبَلْحِيَّةِ
بِغَيْرِ مَا نَطَقْنَا بِهِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ فَلَمْ يَجِدُوهَا تَعْرِفَانِ غَيْرَ مَا
تَكَلَّمْنَا بِهِ وَبَانَ لَهُمْ وَلِلْجَمَاعَةِ بَرَاءَةُ الْبَيْتِ مِمَّا رُمِيَ بِهِ وَوَضَحَ
كَذِبُ الْبَازِيَارِ . فَأَمَرَ بِالْبَازِيَارِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ وَكَانَ عَلَى يَدِهِ
بَازُ أَشْهَبٍ ^(١) فَصَاحَتْ بِهِ أَمْرَأَةُ الْمَرْزُبَانِ مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ
أَيُّهَا الْعَدُوُّ لِنَفْسِهِ أَنْتَ رَأَيْتَ فِي الْبَيْتِ مَا ذَكَرْتَ وَعَلَّمْتَ بِهِ
الْبَيْغَاءَيْنِ . قَالَ نَعَمْ أَنَا رَأَيْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا تَقُولَانِ . فَوَثَبَ
الْبَازِي إِلَى وَجْهِهِ فَفَقَأَ عَيْنَهُ بِخَالِهِ ^(٢) . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ بِحَقِّ
أَصَابِكَ هَذَا إِنَّهُ لِحِزَائِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِشَهَادَتِكَ بِمَا لَمْ تَرَهُ عَيْنُكَ
وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمِثْلَ أَيُّهَا الْقَاضِي لِتَزِدَادَ عِلْمًا
بِوُخَامَةٍ ^(٣) عَاقِبَةِ الشَّهَادَةِ بِالْكَذِبِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ * فَلَمَّا
سَمِعَ الْقَاضِي ذَلِكَ مِنْ لَفْظِ دِمْنَةٍ نَهَضَ فَرَفَعَهُ إِلَى الْأَسَدِ
عَلَى وَجْهِهِ ^(٤) فَظَرَّ فِيهِ الْأَسَدُ فَدَعَا أُمَّهُ فَعَرَضَهُ عَلَيْهَا .
فَقَالَتْ حِينَ تَدَبَّرْتُ ^(٥) كَلَامَ دِمْنَةٍ لَقَدْ صَارَ أَهْتِمَامِي بِمَا اتَّخَوْفُ

١ ايض في سواد ٢ اظافوه ٣ اي سؤ ٤ اي على حكمه

٥ اي اعتبرت وتاملت

مِنْ اَحْتِيَالِ دِمْنَةٍ لَكَ بِمَكْرِهِ وَدَهَائِهِ ^(١) حَتَّى يَقْتَلَكَ أَوْ يَفْسِدَ
 عَلَيْكَ أَمْرُكَ أَعْظَمَ مِنْ أَهْتِمَامِي بِمَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ إِلَيْكَ فِي
 الْفِشِّ وَالسَّيَاةِ ^(٢) حَتَّى قَتَلْتَ صَدِيقَكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ . فَوَقَعَ قَوْلُهَا
 فِي نَفْسِهِ ^(٣) فَقَالَ لَهَا أَخْبِرِي عَنِ الَّذِي أَخْبَرَكَ عَنْ دِمْنَةٍ
 بِمَا أَخْبَرَكَ فَيَكُونُ حُجَّةً لِي فِي قَتْلِي دِمْنَةً . فَقَالَتْ لَا كَرُهُ
 إِفْشَاءَ سِرٍّ مِنْ أَسْتَكْتَمْنِيهِ ^(٤) . فَلَا يَهْنِئُنِي سُورِي ^(٥) بِقَتْلِ دِمْنَةٍ إِذَا
 تَذَكَّرْتُ أَنِّي اسْتَظْهَرْتُ ^(٦) عَلَيْهِ بِرُكُوبٍ ^(٧) مَانَهَتْ عَنْهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ
 كَشْفِ السِّرِّ . وَلَكِنِّي أَطَالِبُ الَّذِي اسْتَوْدَعْنِيهِ أَنْ يَحْلِيَنِي مِنْ ذِكْرِهِ ^(٨)
 وَيَقُومَ هُوَ بِعِلْمِهِ وَمَا سَمِعَ مِنْهُ . ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ وَأَرْسَلَتْ إِلَى
 النَّمْرِ وَذَكَرَتْ لَهُ مَا يَحِقُّ عَلَيْهِ مِنَ التَّزْيِينِ لِلْأَسَدِ وَحُسْنِ
 مُعَاوَنَتِهِ عَلَى الْحَقِّ وَإِخْرَاجِ نَفْسِهِ مِنَ الشَّهَادَةِ الَّتِي لَا يَكْتُمُهَا
 مِثْلُهُ مَعَ مَا يَحِقُّ عَلَيْهِ مِنْ نَصْرِ الْمَظْلُومِينَ وَتَثْبِيتِ حُجَّةِ الْحَقِّ
 فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ . فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ قَالَتْ مَنْ كَتَمَ حُجَّةً
 مَيَّتَ أَخْطَأَ حُجَّتَهُ ^(٩) يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى قَامَ فَدَخَلَ
 عَلَى الْأَسَدِ فَشَهِدَ عِنْدَهُ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِ دِمْنَةٍ

١ اي احتيال ٢ النجاسة والافساد ٣ اي اثر فيها ٤ سألني كمنة

٥ اهانته ٦ استعنت ٧ ارتكاب ٨ من حل القيد اي بعيني

٩ لم يصبها

فَلَمَّا شَهِدَ النَّمِرُ بِذَلِكَ أَرْسَلَ الْفَهْدُ الْمَسْجُونُ الَّذِي سَمِعَ
إِقْرَارَ دِمْنَةَ وَحَفَظَهُ إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي شَهَادَةً فَأَخْرِجُوهُ
فَشَهِدَ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِهِ. فَقَالَ لَهُمَا الْأَسَدُ مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تَقُومَا
بِشَهَادَتِكُمَا وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَمْرَنَا وَاهْتِمَامَنَا بِالْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ.
فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ شَهَادَةَ الْوَاحِدِ لَا تُوجِبُ
حُكْمًا فَكَرِهْتُ التَّعَرُّضَ لِغَيْرِ مَا يَمْضِي بِهِ الْحُكْمُ. حَتَّى إِذَا
شَهِدَ أَحَدُنَا قَامَ الْآخَرُ. فَقَبِلَ الْأَسَدُ قَوْلَهُمَا وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ
يُقْتَلَ وَيُصْلَبَ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ. وَنَادَى الْمُنَادِي هَذَا جَزَاءُ
مَنْ يَسْعَى بَيْنَ الْمُلُوكِ وَبَيْنَ أَجْنَادِهِمْ وَبِطَانَتِهِمْ ^(١) بِالْكَذِبِ
وَالْبُهْتَانِ

فَمَنْ نَظَرَ فِي هَذَا فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَرَادَ مَنَفْعَةَ نَفْسِهِ بِضَرِّ
غَيْرِهِ بِالْخِلَابَةِ ^(٢) وَالْمَكْرِ فَإِنَّهُ سَيَجْزَى عَلَى خِلَابَتِهِ وَمَكْرِهِ

١ حاشيتهم واتباعهم ٢ الخديعة



باب

الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ
الْمُتَحَابِّينَ كَيْفَ قَطَعَ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ وَإِلَى مَا ذَا صَارَ ^(١) عَاقِبَةُ
أَمْرِهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَحَدَّثَنِي إِنْ رَأَيْتَ عَنْ إِخْوَانِ الصِّفَاءِ
كَيْفَ يَتَنَدَّى تَوَاصُلُهُمْ وَيَسْتَمْتِعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ قَالَ الْفَيْلَسُوفُ
إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَعْدِلُ بِالْإِخْوَانِ شَيْئًا. فَالْإِخْوَانُ هُمُ الْأَعْوَانُ
عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْمَوَاسُونَ ^(٢) عِنْدَ مَا يَنْوِبُ ^(٣) مِنَ الْمَكْرُوهِ.
وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ وَالْجُرَذِ وَالظَّبْيِ ^(٤)
وَالْغُرَابِ. قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ يَبْدَا زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ سَكَاوَنْدَجِينَ عِنْدَ
مَدِينَةِ دَاهَرٍ مَكَانٌ كَثِيرُ الصَّيْدِ يَتَنَابَهُ ^(٥) الصَّيَّادُونَ. وَكَانَ فِي
ذَلِكَ الْمَكَانِ شَجَرَةٌ كَثِيرَةُ الْأَغْصَانِ مُلْتَفَّةُ الْوَرَقِ فِيهَا وَكُرُ
غُرَابٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ سَاقِطٌ فِي وَكْرِهِ إِذْ بَصُرَ بِصَيَّادٍ
قَبِيحِ الْمَنْظَرِ سَيِّءِ الْخَلْقِ وَقَبِيحِ الْمَنْظَرِ يَدُلُّ عَلَى سُوءِ مَخْبَرِهِ ^(٦)

١ انتهى ٢ أي المعينون ٣ يصيب ٤ الغزال ٥ يتردد عليه ٦ ما يخبر منه أي ذاهو

عَلَى عَاتِقِهِ ^(١) شَبَكَةٌ وَفِي يَدِهِ عَصًا مُقْبِلًا نَحْوَ الشَّجَرَةِ . فذُعِرَ ^(٢)
 مِنْهُ الْغُرَابُ وَقَالَ لَقَدْ سَاقَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ إِمَامًا
 حِينِي ^(٣) وَإِمَامًا حِينَ غَيْرِي فَلَا تُبَيِّنْ مَكَانِي حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا
 يَصْنَعُ * ثُمَّ إِنَّ الصَّيَّادَ نَصَبَ شَبَكَتَهُ وَنَثَرَ عَلَيْهَا الْحَبَّ وَكَمَنَ
 قَرِيبًا مِنْهَا فَلَمَّ يَلْبِثُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَرَّتْ بِهِ حَمَامَةٌ يُقَالُ لَهَا
 الْمَطُوقَةُ وَكَانَتْ سَيِّدَةَ الْحَمَامِ وَمَعَهَا حَمَامٌ كَثِيرٌ . فَعَبِثَتْ
 هِيَ وَصَاحِبَاتُهَا عَنِ الشَّرِكِ ^(٤) فَوَقَعْنَ عَلَى الْحَبِّ يَلْتَقِظْنَهُ فَعَلَقْنَ
 فِي الشَّبَكَةِ كُلُّهُنَّ وَأَقْبَلَ الصَّيَّادُ فَرِحًا مَسْرُورًا . فَجَعَلَتْ كُلُّ
 حَمَامَةٍ تَنْلَجُجُ ^(٥) فِي حَبَائِلِهَا ^(٦) وَتَلْتَمِسُ الْخَلَاصَ لِنَفْسِهَا * قَالَتْ
 الْمَطُوقَةُ لَا تَخَازِلْنِ ^(٧) فِي الْمُعَالَجَةِ ^(٨) وَلَا تَكُنْ نَفْسُ إِحْدَاكُنْ
 أَمَّ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِ صَاحِبَتِهَا . وَلَكِنْ تَعَاوُنْ جَمِيعُنَا وَنَظِيرُ
 كَطَائِرٍ وَاحِدٍ فَيَنْجُو بَعْضُنَا بِبَعْضٍ . فَجَمَعْنَ أَنْفُسَهُنَّ وَوَثِنَ وَثْنَةً
 وَاحِدَةً فَعَلَقْنَ الشَّبَكَةَ جَمِيعَهُنَّ تَعَاوُنَهُنَّ وَعَلَوْنَ بِهَا فِي الْجَوِّ .
 وَلَمْ يَقْطَعْ الصَّيَّادُ رَجَاءَهُ مِنْهُنَّ وَظَنَّ أَنَّهُنَّ لَا يَجَاوِزْنَ ^(٩) إِلَّا قَرِيبًا
 حَتَّى يَقَعْنَ . فَقَالَ الْغُرَابُ لَا تَبْعِهِنَّ وَأَنْظُرْ مَا يَكُونُ مِنْهُنَّ .

١ ما بين الكنف والعنق ٢ خاف ٣ هلاكي ٤ الفخ ٥ ترتبك
 ٦ اشراكها ٧ لا تترك التعاون ٨ ابي المحاولة ٩ يقطن

فَالْتَفَتَتِ الْمَطُوقَةُ فَرَأَتْ الصَّيَّادَ يَتَّبِعُهُنَّ فَقَالَتْ لِلْحَمَامِ هَذَا
 الصَّيَّادُ جَادٌّ فِي طَلَبِكُنَّ فَإِنْ نَحْنُ أَخَذْنَا فِي الْفَضَاءِ لَمْ
 يَخَفْ عَلَيْهِ أَمْرُنَا وَلَمْ يَزَلْ يَتَّبِعُنَا . وَإِنْ نَحْنُ تَوَجَّهْنَا إِلَى
 الْعُمُرَانِ ^(١) خَفِيَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا وَأَنْصَرَفَ . وَبِمَكَانٍ كَذَا جَرَّدَهُ
 لِي أَخٍ فَلَوْ أَنْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَطَعَ عَنَّا هَذَا الشَّرْكَ . فَفَعَلْنَا ذَلِكَ
 وَأَيْسَ ^(٢) الصَّيَّادُ مِنْهُمْ وَأَنْصَرَفَ . وَتَبِعْنِ الْغُرَابُ لِيَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ
 لَعَلَّهُ يَتَعَلَّمُ مِنْهُنَّ حِيلَةً تَكُونُ لَهُ عِدَّةٌ ^(٣) عِنْدَ الْحَاجَةِ . فَلَمَّا أَنْتَهتِ
 الْحَمَامَةُ الْمَطُوقَةُ إِلَى الْجُرْدِ أَمَرَتْ الْحَمَامَ أَنْ يَقَعْنَ فَوْقَهُنَّ
 وَكَانَ لِلْجُرْدِ مِثْلُ جُجْرٍ أَعَدَّهَا لِلْمَخَافِ . فَنَادَتْهُ الْمَطُوقَةُ
 بِأَسْمِهِ وَكَانَ أَسْمُهُ زَيْرُكَ فَأَجَابَهَا الْجُرْدُ مِنْ جُجْرِهِ مَنْ أَنْتِ
 قَالَتْ أَنَا خَلِيلَتُكَ الْمَطُوقَةُ . فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا الْجُرْدُ يَسْعَى فَقَالَ لَهَا
 مَا أَوقَعَكَ فِي هَذِهِ الْوَرْظَةِ . قَالَتْ لَهُ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ
 الْخَيْرِ وَالشَّرِّ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ مُقَدَّرٌ عَلَيَّ مِنْ تَصْيِيهِ الْمَقَادِيرُ وَهِيَ
 الَّتِي أَوْقَعَتْنِي فِي هَذِهِ الْوَرْظَةِ . فَقَدْ لَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْقَدَرِ مَنْ
 هُوَ أَقْوَى مِنِّي وَأَعْظَمُ أَمْرًا . وَقَدْ تَنَكَّسَ الشَّمْسُ وَيَخْصِفُ
 الْقَمَرُ إِذَا قُضِيَ ذَلِكَ عَلَيْهِمَا * ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ أَخَذَ فِي قَرْضِ

١ الأماكن المعبورة ٢ يش ٣ عدة الشيء ما يحتاج إليه فيه وقد مر

الْعِقْدُ^(١) الَّذِي فِيهِ الْمُطَوَّقَةُ . فَقَالَتْ لَهُ الْمُطَوَّقَةُ أَبَدًا بِقَطْعِ
عِقْدٍ سَائِرِ الْحَمَامِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ أَقْبَلَ عَلَى عِقْدِي . فَأَعَادَتْ عَلَيْهِ
ذَلِكَ مَرَارًا وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ
الْقَوْلَ وَكَرَّرَتْ قَالَ لَهَا لَقَدْ كَرَّرْتَ الْقَوْلَ عَلَيَّ كَأَنَّكَ لَيْسَ
لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ وَلَا لَكَ عَلَيْهَا شَفَقَةٌ وَلَا تَرَعِينَ لَهَا حَقًّا .
قَالَتْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ بِقَطْعِ عِقْدِي أَنْ تَمْلَأَ
وَتَكْسَلَ عَنْ قَطْعِ مَا بَقِيَ . وَعَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْ بَدَأْتَ بِهِنَّ
قَبْلِي وَكُنْتُ أَنَا الْأَخِيرَةَ لَمْ تَرْضَ وَإِنْ أَدْرَكَكَ الْفُتُورُ
أَنْ أَبْقَى فِي الشَّرِكِ . قَالَ الْجُرْدُ هَذَا مِمَّا يَزِيدُ الرِّغْبَةَ
فِيكَ وَالْمُودَةَ لَكَ . ثُمَّ إِنْ الْجُرْدُ أَخَذَ فِي قَرْضِ الشَّبَكَةِ
حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا . فَأَنْظَلَّتِ الْمُطَوَّقَةُ وَحَمَامُهَا مَعَهَا

فَلَمَّا رَأَى الْغُرَابُ صُنْعَ الْجُرْدِ رَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ فَجَاءَ
وَنَادَاهُ بِاسْمِهِ فَأَخْرَجَ الْجُرْدُ رَأْسَهُ فَقَالَ لَهُ مَا حَاجَتُكَ .
قَالَ إِنِّي أُرِيدُ مُصَادَقَتَكَ . قَالَ الْجُرْدُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
تَوَاصُلٌ وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْتَمِسَ مَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا
وَيَتْرَكَ التَّمَسَّ مَا لَيْسَ لَهُ إِلَيْهِ سَبِيلٌ . كَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَجْرِيَ

السُّفْنُ فِي الْبَرِّ وَالْعَجَلُ^(١) فِي الْبَحْرِ فَإِنَّ^(٢) أَنْتَ إِلَّا آكَلَ
وَأَنَا طَعَامُ لَكَ. قَالَ الْغُرَابُ إِنَّ أَكْلِي إِيَّاكَ وَإِنْ كُنْتُ
لِي طَعَامًا مِمَّا لَا يُغْنِي عَنِّي^(٣) شَيْئًا. وَإِنَّ مَوَدَّتَكَ آتَسُ^(٤) لِي
مِمَّا ذَكَرْتَ. وَلَسْتَ بِمُحَقِّقِي إِذَا جِئْتُ أَطْلُبُ مَوَدَّتَكَ أَنْ
تَرُدَّنِي خَائِبًا. فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لِي مِنْكَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ مَا
رَغَبْنِي فِيكَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَلْتَمِسُ إِظْهَارَ ذَلِكَ. فَإِنَّ الْعَاقِلَ
لَا يَخْفَى فَضْلُهُ وَإِنْ هُوَ أَخْفَاهُ كَالْمِسْكِ الَّذِي يُكْتَمُ ثُمَّ لَا
يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنَ النَّشْرِ^(٥) الطَّيِّبِ وَالْأَرْجِ^(٦) الْفَاحِشِ قَالَ الْجُرُذُ
إِنَّ أَشَدَّ الْعَدَاوَةِ عَدَاوَةُ الْجَوْهَرِ وَهِيَ عَدَاوَتَانِ مِنْهَا مَا هُوَ مُتَكَافِي^(٧)
كَعَدَاوَةِ الْفِيلِ وَالْأَسَدِ. فَإِنَّهُ رُبَّمَا قَتَلَ الْأَسَدُ الْفِيلَ أَوْ
الْفِيلُ الْأَسَدَ. وَمِنْهَا مَا قُوَّتُهُ مِنْ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ عَلَى الْآخَرِ
كَأَلَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَ السَّنُورِ^(٨) وَبَيْنَكَ وَبَيْنِي. فَإِنَّ الْعَدَاوَةَ الَّتِي
بَيْنَنَا لَيْسَتْ تَضُرُّكَ وَإِنَّمَا ضَرُّهَا عَلَيَّ. فَإِنَّ الْمَاءَ لَوْ أُطِيلَ
إِسْتِخَانُهُ لَمْ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنْ إِطْفَاءِ النَّارِ إِذَا صَبَّ عَلَيْهَا
وَإِنَّمَا مُصَاحِبُ الْعَدُوِّ وَمُصَالِحُهُ كَمُصَاحِبِ الْحَيَّةِ يَحْمِلُهَا فِي

١ الدواب ٢ فما ٣ يفيدني ويدفع عني ٤ تنضيل من الأنس
٥ الرائحة العطرة ٦ ذكاء الرائحة ٧ منائل ٨ الهر

كُمِهِ . وَالْعَاقِلُ لَا يَسْتَأْسِرُ إِلَى الْعَدُوِّ الْأَرِيبِ ^(١) * قَالَ
 الْغُرَابُ قَدْ فَهِمْتُ مَا نَقُولُ وَأَنْتَ خَلِيقٌ ^(٢) أَنْ تَأْخُذَ ^(٣) بِفَضْلِ
 خَلِيقَتِكَ ^(٤) وَتَعْرِفَ صِدْقَ مَقَالِي وَلَا تُصْعَبَ عَلَيَّ الْأَمْرُ بِقَوْلِكَ
 لَيْسَ إِلَى التَّوَاصُلِ بَيْنَنَا سَبِيلٌ . فَإِنَّ الْعُقَلَاءَ الْكِرَامَ لَا يَبْتَغُونَ ^(٥)
 عَلَى مَعْرُوفٍ جَزَاءً . وَالْمُودَّةُ بَيْنَ الصَّالِحِينَ سَرِيعٌ اتِّصَالُهَا
 بِطِيٍّ أَنْقِطَاعُهَا . وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ الْكُوزِ الذَّهَبِ بِطِيٍّ إِلَّا نِكْسَارُ
 سَرِيعُ الْإِعَادَةِ هَيْنَ الْإِصْلَاحِ . إِنْ أَصَابَهُ ثَلَمٌ أَوْ كَسْرٌ .
 وَالْمُودَّةُ بَيْنَ الْأَشْرَارِ سَرِيعٌ أَنْقِطَاعُهَا بِطِيٍّ اتِّصَالُهَا . وَمِثْلُ
 ذَلِكَ مِثْلُ الْكُوزِ الْفَخَّارِ سَرِيعُ الْإِنْكَسَارِ يَنْكَسِرُ مِنْ أَدْنَى شَيْءٍ
 وَلَا وَصْلَ لَهُ أَبَدًا . وَالْكَرِيمُ يُوَدُّ الْكَرِيمَ وَاللَّيِّمُ لَا يُوَدُّ
 أَحَدًا إِلَّا عَنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ ^(٦) . وَأَنَا إِلَى وَدِّكَ وَمَعْرُوفِكَ
 مُحْتَاجٌ لِأَنَّكَ كَرِيمٌ . وَأَنَا مُلَازِمٌ لِبَابِكَ غَيْرُ ذَائِقٍ طَعَامًا حَتَّى
 تُوَاعِظَنِي * وَأَعْلَمُ أَنِّي لَوْ كُنْتُ أَشَاءُ ضَرَّكَ لَفَعَلْتُ حِينَ
 كُنْتُ مُحَلِّقًا ^(٧) فَوْقَ رَأْسِكَ عِنْدَ مَا كُنْتُ تَقْطَعُ حَبَائِلَ الْحَمَامِ
 قَالَ الْجُرْدُ قَدْ قَبِلْتُ إِخَاءَكَ فَإِنِّي لَمْ أَزِدْ أَحَدًا عَنْ

١ العاقل ٢ اهل ٣ اي نعمل ٤ طيعتك ٥ يطلبون
 ٦ خوف ٧ تصادفي ٨ مرتفعاً

حاجة قَطُّ وَإِنَّمَا بَلَوْتُكَ ^(١) بِمَا بَلَوْتُكَ بِهِ إِرَادَةَ التَّوَقُّعِ ^(٢) لِنَفْسِي
فَإِنَّ أَنْتَ غَدَرْتَ بِي لَمْ تَقُلْ إِنِّي وَجَدْتُ الْجُرْدَ ضَعِيفَ
الرَّأْيِ سَرِيعَ الْإِنْخِدَاعِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ حُجْرِهِ فَوَقَفَ عِنْدَ الْبَابِ *
فَقَالَ لَهُ الْغُرَابُ مَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيَّ وَالْإِسْتِنَاسِ بِي
أَوْ فِي نَفْسِكَ بَعْدُ مِنِّي رِيَّةٌ ^(٣) . قَالَ الْجُرْدُ إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا
يَتَعَاطُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ أَمْرَيْنِ وَيَتَوَاصِلُونَ عَلَيْهَا وَهُمَا ذَاتُ النَّفْسِ ^(٤)
وَذَاتُ الْإِدِّ ^(٥) . فَالْمُتَبَادِلُونَ ذَاتَ النَّفْسِ هُمُ الْأَصْفِيَاءُ ^(٦) . وَأَمَّا
الْمُتَبَادِلُونَ ذَاتَ الْإِدِّ فَهُمْ الْمُتَعَاوِنُونَ الَّذِينَ يَلْتَمِسُ بَعْضُهُمْ
الْإِنْتِفَاعَ بِبَعْضٍ . وَمَنْ كَانَ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ لِبَعْضِ مَنَافِعِ الدُّنْيَا
فَإِنَّمَا مِثْلُهُ فِيهَا يَبْذُلُ وَيُعْطِي كَمِثْلِ الصَّيَّادِ وَإِلْقَائِهِ الْحَبَّ لِلطَّيْرِ
لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ نَفْعَ الطَّيْرِ وَإِنَّمَا يُرِيدُ نَفْعَ نَفْسِهِ . فَتَعَاطِي ذَاتِ
النَّفْسِ أَفْضَلُ مِنْ تَعَاطِي ذَاتِ الْإِدِّ . وَإِنِّي وَاثِقٌ مِنْكَ بِذَاتِ نَفْسِكَ
وَمَخْتَكُ مِنْ نَفْسِي مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكَ
سَوْءُ ظَنِّ بكَ . وَلَكِنْ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ لَكَ أَصْحَابًا جَوْهَرُهُمْ كَجَوْهَرِكَ
وَلَيْسَ رَأْيُهُمْ فِي كَرَامَتِكَ * قَالَ الْغُرَابُ إِنَّ مِنْ عَلَامَةِ الصِّدِّيقِ

١ امتحنتك واختبرتكَ ٢. اخذ الوثيقة أي الاحتياط والتحفظ ٣ شك وحذر

٤ السريرة البهرة والعاطفة ٥ المال ٦ الأصفاة

أَنْ يَكُونَ لِصَدِيقٍ صَدِيقِهِ صَدِيقًا وَلِعَدُوٍّ صَدِيقَهُ عَدُوًّا . وَلَيْسَ لِي
بِصَاحِبٍ وَلَا صَدِيقٍ مَنْ لَا يَكُونُ لَكَ مُجِبًّا . وَإِنَّهُ يَهُونُ عَلَيَّ
قُطِيعَةٌ^(١) مَنْ كَانَ كَذَلِكَ . بْنِ جَوْهَرِي . فَإِنْ زَارَعَ الرَّيْحَانُ إِذَا رَأَى
بَيْنَهُ عُشْبًا يَفْسِدُهُ قَلْعَهُ وَرَمَى بِهِ * ثُمَّ إِنَّ الْجُرْذَ خَرَجَ إِلَى الْغُرَابِ
فَتَصَافَحَا^(٢) وَتَصَافَيَا وَأَنَسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ * حَتَّى إِذَا
مَضَتْ لَهُمْ أَيَّامٌ قَالَ الْغُرَابُ لِلْجُرْذِ إِنَّ جَمْرَكَ قَرِيبٌ مِنْ طَرِيقِ
النَّاسِ وَأَخَافُ أَنْ يَرْمِيَكَ بَعْضُ الصَّبْيَانِ بِحَجَرٍ . وَلِي مَكَانٌ
فِي عَزْلَةٍ^(٣) وَلِي فِيهِ صَدِيقٌ مِنَ السَّلَاحِفِ وَهُوَ مُخْضَبٌ مِنْ
السَّمَكِ وَنَحْنُ وَاجِدُونَ هُنَاكَ مَا نَأْكُلُ فَأُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ
بِكَ إِلَى هُنَاكَ لِنَعِيشَ آمِنِينَ . قَالَ الْجُرْذُ وَإِنِّي أَيْضًا كَارِهِ
لِمَكَانِي هَذَا وَلِي أَخْبَارٌ وَقِصَصٌ سَأَقُصُّهَا عَلَيْكَ إِذَا أَنْتَهَيْتُنَا
حَيْثُ تُرِيدُ فَأَفْعَلْ مَا تَشَاءُ . فَأَخَذَ الْغُرَابُ بِذَنْبِ الْجُرْذِ وَطَارَ بِهِ
حَتَّى بَلَغَ حَيْثُ أَرَادَ . فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْعَيْنِ الَّتِي فِيهَا السَّلَاحِفَةُ بَصُرَتْ
السَّلَاحِفَةُ الْغُرَابَ وَمَعَهُ جُرْذٌ فَذُعِرَتْ مِنْهُ وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُهَا . فَناداها
فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَسَأَلَتْهُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ فَأَخْبَرَهَا بِقِصَّتِهِ حِينَ
تَبَعَ الْحَمَامَ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْجُرْذِ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَيْهَا .

فَلَمَّا سَمِعَتْ ألسُّلْحَفَاءُ شَأْنَ الْجُرْذِ عَجِبَتْ مِنْ عَقْلِهِ وَوَفَائِهِ
وَرَحِبَتْ بِهِ وَقَالَتْ لَهُ مَا سَأَلَكَ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ . قَالَ الْغُرَابُ
لِلْجُرْذِ أَقْصِصْ عَلَيَّ الْأَخْبَارَ الَّتِي قُلْتَ إِنَّكَ تُحَدِّثُنِي بِهَا فَأَخْبِرْنِي
بِهَا مَعَ جَوَابٍ مَا سَأَلْتَ ألسُّلْحَفَاءُ فَإِنَّا عِنْدَكَ بِمَنْزِلَتِي . فَبَدَأَ
الْجُرْذُ وَقَالَ

كَانَ مَنْزِلِي أَوَّلَ أَمْرِي بِمَدِينَةِ مَارُوثَ فِي بَيْتِ رَجُلٍ
نَاسِكٍ وَكَانَ خَالِيًّا مِنَ الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ . وَكَانَ يُؤْتِي فِي كُلِّ
يَوْمٍ بِجُودَةٍ ^(١) مِنَ الطَّعَامِ فَيَأْكُلُ مِنْهَا حَاجَتَهُ وَيُعَلِّقُ الْبَاقِي .
وَكُنْتُ أَرُصِدُ ^(٢) النَّاسِكَ حَتَّى يَخْرُجَ وَآثِبُ إِلَى الْجُودَةِ فَلَا
أَدْعُ فِيهَا طَعَامًا إِلَّا أَكَلْتُهُ وَرَمَيْتُ مِنْهُ إِلَى الْجُرْذَانِ .
فَجَهِدَ النَّاسِكُ مِرَارًا أَنْ يُعَلِّقَ الْجُودَةَ فِي مَكَانٍ لَا أَنَالُهُ فَلَمْ
يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى نَزَلَ بِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ضَيْفٌ فَأَكَلَا جَمِيعًا
ثُمَّ أَخَذَا فِي الْحَدِيثِ . فَقَالَ النَّاسِكُ لِلضَّيْفِ مِنْ أَيِّ أَرْضٍ
أَقْبَلْتُمْ وَأَيْنَ تُرِيدُونَ الْآنَ . وَكَانَ الرَّجُلُ قَدْ جَابَ ^(٣) الْأَفَاقَ ^(٤)
وَرَأَى عَجَائِبَ فَأَنْشَأَ ^(٥) يُحَدِّثُ النَّاسِكَ عَمَّا وَطِئَ ^(٦) مِنَ الْبِلَادِ

١ سلة صغيرة مغطاة بجلد ٢ ارقب ٣ قطع ٤ النواحي

٥ شرع ٦ داس

وَرَأَى مِنْ أُلْجَائِبٍ وَجَعَلَ النَّاسِكُ خِلَالَ^(١) هَذَا يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ
لِيُنْفِرَنِي عَنِ الْجَوْنَةِ . فَغَضِبَ الضَّيْفُ وَقَالَ أَنَا أَحَدُكَ وَأَنْتَ
تَهْزَأُ بِحَدِيثِي فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ سَأَلْتَنِي . فَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ النَّاسِكُ
وَقَالَ إِنَّمَا أَصَفَّقُ بِيَدَيَّ لِأُنْفِرَ جُرْدًا قَدْ تَحَيَّرْتُ فِي أَمْرِهِ
وَلَسْتُ أَضَعُ فِي الْبَيْتِ شَيْئًا إِلَّا أَكَلَهُ . فَقَالَ جُرْدٌ وَاحِدٌ
يَفْعَلُ ذَلِكَ أَمْ جِرْدَانُ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ النَّاسِكُ جِرْدَانُ الْبَيْتِ
كَثِيرَةٌ لَكِنَّ فِيهَا جُرْدًا وَاحِدًا هُوَ الَّذِي غَلَبَنِي فَمَا أَسْتَطِيعُ
لَهُ حِيلَةً . قَالَ الضَّيْفُ لَقَدْ ذَكَرْتَنِي قَوْلَ الَّذِي قَالَ لِأَمْرِ مَا
بَاعَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ سَمْسِمًا مَقْشُورًا بِغَيْرِ مَقْشُورٍ . قَالَ النَّاسِكُ
وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الضَّيْفُ نَزَلْتُ مَرَّةً عَلَى رَجُلٍ بِمَكَانٍ كَذَا فَتَعَشَيْنَا ثُمَّ
فَرَشَ لِي وَأَنْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ . فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ
لِأَمْرَاتِهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُو غَدًا رَهْطًا^(٢) لِيَأْكُلُوا عِنْدَنَا
فَأَصْنَعِي لَهُمْ طَعَامًا . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ كَيْفَ تَدْعُو النَّاسَ إِلَى
طَعَامِكَ وَلَيْسَ فِي بَيْتِكَ فَضْلٌ عَنْ عِيَالِكَ وَأَنْتَ رَجُلٌ لَا
تُبْقِي شَيْئًا وَلَا تَدْخِرُهُ^(٣) . قَالَ الرَّجُلُ لَا تَنْدَمِي عَلَى شَيْءٍ

أَطْعَمَنَاهُ وَأَنْفَقْنَاهُ فَإِنَّ الْجَمْعَ وَالْإِدْخَارَ رُبَّمَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ
كَعَاقِبَةِ الذَّئْبِ . قَالَتِ الْمَرْأَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الرَّجُلُ زَعَمُوا أَنَّهُ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ قَانِصٌ ^(١)
وَمَعَهُ قَوْسُهُ وَنُشَابَةٌ . فَلَمْ يُجَاوِزْ غَيْرَ بَعِيدٍ حَتَّى رَمَى ظِيئاً ^(٢)
فَحَمَلَهُ وَرَجَعَ طَالِباً مَنْزِلَهُ . فَأَعْتَرَضَهُ خَنْزِيرٌ بَرِّيٌّ فَرَمَاهُ
بِنُشَابَةٍ نَفَذَتْ فِيهِ فَأَدْرَكَهُ الْخَنْزِيرُ وَضَرَبَهُ بِأَنْيَابِهِ ضَرْبَةً أَطَارَتْ
مِنْ يَدِهِ الْقَوْسُ وَوَقَعَا مَيِّتَيْنِ . فَأَتَى عَلَيْهِمُ ذَيْبٌ فَقَالَ هَذَا
الرَّجُلُ وَالظَّبْيُ وَالْخَنْزِيرُ يَكْفِينِي أَكْلَهُمْ مَدَّةً . وَلَكِنْ أَبْدَأُ
بِهَذَا الْوَتَرِ فَأَكُلُهُ فَيَكُونُ قُوْتُ يَوْمِي وَأَذْخَرُ الْبَاقِيَ إِلَى غَدٍ
فَمَا وَرَاءَهُ . فَعَالَجَ الْوَتَرَ حَتَّى قَطَعَهُ فَلَمَّا انْقَطَعَ طَارَتْ سِيَةٌ ^(٣)
الْقَوْسِ فَضَرَبَتْ حَلْقَهُ فَمَاتَ

وَأَمَّا ضَرَبَتْ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمِي أَنَّ الْجَمْعَ وَالْإِدْخَارَ
وَحِيمُ الْعَاقِبَةِ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ نَعِمًا قُلْتَ وَعِنْدَنَا مِنَ الْأَرْزِ
وَالسَّمْسِمِ مَا يَكْفِي سِتَّةَ نَفَرٍ ^(٤) أَوْ أَكْثَرَ . فَأَنَا غَادِيَةٌ ^(٥) عَلَى
صَنْعِ الطَّعَامِ فَأَدْعُ مَنْ أَحْبَبْتُ . وَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ حِينَ
أَصْبَحَتْ سَمْسِمًا وَقَشَرَتْهُ وَبَسَطَتْهُ فِي الشَّمْسِ لِيَجِفَّ وَقَالَتْ

١ صياد ٢ غزالاً ٣ طرف ٤ النفر من الثلاثة إلى العشرة من الناس ٥ مبكرة

لِغْلَامٍ لَهُمْ أَطْرُدُ عَنْهُ الطَّيْرَ وَالْكِلَابَ وَتَفَرَّغَتْ الْمَرْأَةُ لِصُنْعِهَا.
وَتَقَافَلَ الْغُلَامُ عَنِ السِّمْسِمِ فَجَاءَ كَلْبٌ فَعَاثَ ^(١) فِيهِ فَاسْتَقْدَرْتَهُ
الْمَرْأَةُ وَكَرِهَتْ أَنْ تَصْنَعَ مِنْهُ طَعَامًا . فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى
السُّوقِ فَأَخَذَتْ بِهِ مُقَايِضَةً ^(٢) سِمْسِمًا غَيْرَ مَقْشُورٍ مِثْلًا بِمِثْلِ
وَأَنَا وَاقِفٌ فِي السُّوقِ . فَقَالَ رَجُلٌ لِأَمْرٍ مَا بَاعَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ
سِمْسِمًا مَقْشُورًا بِغَيْرِ مَقْشُورٍ

وَكَذَلِكَ قَوْلِي فِي هَذَا الْجُرْذِ الَّذِي ذَكَرْتَ إِنَّهُ عَلَى
غَيْرِ عِلَّةٍ مَا يَقْدِرُ عَلَى مَا شَكَّوْتَ مِنْهُ . فَالْتَمِسْ لِي فَأَسَا ^(٣)
لَعَلِّي أَحْتَفِرُ جُحْرَهُ فَأَطْلُعَ عَلَى بَعْضِ شَأْنِهِ . فَاسْتَعَارَ النَّاسِكُ
مِنْ بَعْضِ جِيرَانِهِ فَأَسَا فَأَتَى بِهَا الضَّيْفَ وَأَنَا حِمْنِيذٌ فِي جُحْرِ
غَيْرِ جُحْرِي أَسْمَعُ كَلَامَهُمَا وَفِي جُحْرِي كَيْسٌ فِيهِ مِئَةُ دِينَارٍ
لَا أَذْرِي مَنْ وَضَعَهَا . فَأَحْتَفَرَ الضَّيْفُ حَتَّى أَتَى إِلَى الدَّنَانِيرِ
فَأَخَذَهَا وَقَالَ لِلنَّاسِكِ مَا كَانَ هَذَا الْجُرْذُ يَقْوَى عَلَى التُّوْبِ
حَيْثُ كَانَ يَثْبُ إِلَّا بِهَذِهِ الدَّنَانِيرِ فَإِنَّ الْمَالَ جُعِلَ قُوَّةَ وَزِيَادَةً
فِي الرِّأْيِ وَالتَّمَكُّنِ . وَسَتَرَى بَعْدَ هَذَا أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى التُّوْبِ
حَيْثُ كَانَ يَثْبُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَجْتَمَعَتِ الْجُرْذَانُ الَّتِي

كَانَتْ مَعِيَ فَقَالَتْ قَدْ أَصَابَنَا الْجُوعُ وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا. فَأَنْطَلَقْتُ
وَمَعِيَ الْجِرْذَانُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتُ أَتِبُ مِنْهُ إِلَى الْجُوعَةِ
فَحَاوَلْتُ ذَلِكَ مِرَارًا فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ. فَأَسْتَبَانَ لِلْجِرْذَانِ نَقْصُرُ
حَالِي فَسَمِعْتُهُنَّ يَقُلْنَ أَنْصَرِفْنَ عَنْهُ وَلَا تَطْمَعْنَ فِيمَا عِنْدَهُ فَإِنَّا
نَرَى لَهُ حَالًا لَا نَحْسِبُهُ إِلَّا قَدْ أَحْتَاجَ مَعَهَا أَلَى مَنْ يَبُولُهُ ^(١).
فَتَرَكْنِي وَلِحِقْنَ بِأَعْدَائِي وَجَفَوْنِي ^(٢) وَأَخَذَنِي فِي أُغْيَتِي ^(٣)
عِنْدَ مَنْ يُعَادِيَنِي وَيَحْسُدُنِي وَأَصْبَحَنَ كَأَنَّهُنَّ لَمْ يَعْرِفْنِي وَكَأَنِّي
لَمْ أَكُنْ عَلَيْهِنَّ رَيْسًا قَطُّ

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا الْإِخْوَانُ وَلَا الْأَعْوَانُ وَلَا الْأَصْدِقَاءُ
إِلَّا بِالْمَالِ. وَوَجَدْتُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا قَعَدَ بِهِ
الْعَدَمُ ^(٤) عَمَّا يُرِيدُهُ. كَأَلْمَاءِ الَّذِي يَبْقَى فِي الْأَوْدِيَةِ مِنْ مَطَرِ
الشِّتَاءِ لَا يَمُرُّ إِلَى نَهْرٍ وَلَا يَجْرِي إِلَى مَكَانٍ إِلَى أَنْ يَفْسُدَ
وَيَنْشَفَ وَلَا يُتَفَعَّ بِهِ. وَوَجَدْتُ مَنْ لَا إِخْوَانَ لَهُ لَا أَهْلَ لَهُ.
وَمَنْ لَا وَلَدَ لَهُ لَا ذِكْرَ لَهُ. وَمَنْ لَا مَالَ لَهُ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا دُنْيَا
وَلَا آخِرَةَ لَهُ. لِأَنَّ مَنْ نَزَلَ بِهِ الْفَقْرُ لَا يَجِدُ بُدًّا مِنْ تَرْكِ
الْحَيَاءِ. وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ ذَهَبَ سُرُورُهُ. وَمَنْ ذَنَبَ سُرُورُهُ

١ بموته ويكنى ٢ خلاف وصلني اي هجرني ٣ ذم في غيابي ٤ الفقر

مَقَّتْ نَفْسَهُ . وَمَنْ مَقَّتْ نَفْسَهُ كَثُرَ حَزْنُهُ . وَمَنْ كَثُرَ حَزْنُهُ قَلَّ
عَقْلُهُ وَأَزْتَبَكَ فِي أَمْرِهِ . وَمَنْ قَلَّ عَقْلُهُ كَانَ أَكْثَرَ قَوْلِهِ
وَعَمَلِهِ عَلَيْهِ لَالَهُ . وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَحْرَبَهُ ^(١) أَنْ يَكُونَ
أَنْكَدَ النَّاسِ حَظًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ * ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا
أَفْتَقَرَ قَطَعَهُ ^(٢) أَقَارِبُهُ وَإِخْوَانُهُ وَأَهْلُ وَدَّهِ وَمَقْتُوهُ وَرَفْضُوهُ
وَأَهَانُوهُ وَأَضْطَرَّهُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَلْتَمِسَ مِنَ الرِّزْقِ مَا يُغَرِّرُ
فِيهِ بِنَفْسِهِ ^(٣) وَيُفْسِدُ فِيهِ آخِرَتَهُ فَيُخْسِرُ الدَّارَيْنِ جَمِيعًا . وَإِنَّ
الشَّجَرَةَ النَّابِتَةَ فِي السَّبَاخِ ^(٤) الْمَأْكُولَةَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
كَمَالِ الْفَقِيرِ الْمُتَحَنِّجِ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ

وَوَجَدْتُ الْفَقْرَ رَأْسَ كُلِّ بَلَاءٍ وَجَالِبًا إِلَى صَاحِبِهِ كُلِّ
مَقْتٍ وَمَعْدِنِ النَّمِيمَةِ . وَوَجَدْتُ الرَّجُلَ إِذَا أَفْتَقَرَ أَتَمَّهُ مَنْ
كَانَ لَهُ مُؤْتَمِنًا وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنُّ مَنْ كَانَ يَظُنُّ بِهِ حَسَنًا .
فَإِنْ أَذْنَبَ غَيْرُهُ كَانَ هُوَ لِلتَّهْمَةِ مَوْضِعًا . وَلَيْسَ مِنْ خَلَّةٍ ^(٥)
هِيَ لِلْغَنِيِّ مَدْحٌ إِلَّا وَهِيَ لِلْفَقِيرِ دَمٌّ . فَإِنْ كَانَ شَجَاعًا قِيلَ
أَهْوَجُ وَإِنْ كَانَ جَوَادًا ^(٦) سَعِيٌّ مُبْذِرًا وَإِنْ كَانَ حَلِيمًا سَعِيٌّ

١ ما احراه اي ما اجدره واحنه ٢ ضد صلة ٣ يعرضها للهلكة

٤ الاراضي ذات الغزو والحم ٥ خصلة ٦ كرميا

ضَعِيفًا وَإِنْ كَانَ وَقُورًا سُبِّي بَلِيدًا وَإِنْ كَانَ صَمُوتًا ^(١) سُبِّي
 عِيًّا ^(٢) وَإِنْ كَانَ لَسِنًا ^(٣) سُبِّي مَهْذَرًا ^(٤) . فَأَلَمْتُ أَهَوْنُ
 مِنَ الْحَاجَةِ ^(٥) الَّتِي تَحُوجُ صَاحِبَهَا إِلَى الْمَسْأَلَةِ وَلَا سِيَّما مَسْأَلَةَ
 الْأَشْجَاءِ ^(٦) وَاللَّئِامِ . فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ كَلَّفَ أَنْ يَدْخُلَ يَدَهُ
 فِي فَمِ الْأَفْعَى فَيُخْرِجَ مِنْهُ سَمًّا فَيَتَلَعَهُ كَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ
 وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَسْأَلَةِ الْبُحَيْلِ اللَّئِيمِ . حَتَّى لَقَدْ جَاءَ فِي
 قَدِيمِ الْأَقَاوِيلِ إِنْ مَنْ أَبْتُلِيَ بِمَرَضٍ فِي جَسَدِهِ لَا يُفَارِقُهُ
 حَتَّى يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ مِنَ الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ
 وَقَدْ كُنْتُ رَأَيْتُ الضَّيْفَ حِينَ أَخَذَ الدَّنَائِرَ فَقَاسَمَهَا
 النَّاسِكَ جَعَلَ النَّاسِكَ نَصِيبَهُ فِي خَرِيطَةٍ ^(٧) عِنْدَ رَأْسِهِ لَمَّا
 جَنَّ ^(٨) اللَّيْلُ . فَطَمِعْتُ أَنْ أُصِيبَ مِنْهَا شَيْئًا فَأَرَدْتُ إِلَى جُحْرِي
 وَرَجَوْتُ أَنْ يَزِيدَ ذَلِكَ فِي قُوَّتِي أَوْ يُرَاجِعَنِي بِسَبَبِهِ بَعْضُ
 أَصْدِقَائِي * فَأَنْظَلْتُ إِلَى النَّاسِكَ وَهُوَ نَائِمٌ حَتَّى انْتَهَيْتُ عِنْدَ
 رَأْسِهِ فَوَجَدْتُ الضَّيْفَ يَقْظَانَ وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ فَضَرَبَنِي عَلَى
 رَأْسِي ضَرْبَةً مُوحِجَةً فَأَنْقَلَبْتُ رَاجِعًا إِلَى جُحْرِي . فَلَمَّا سَكَنَ

١ كثير الصمت ٢ بليدًا عاجزًا ٣ فصيح اللسان ٤ كثير الكلام
 ٥ في الخطأ والباطل ٦ الفقر ٧ البخل ٨ وعاء من جلد ٨ اظم

عَنِ الْأَلَمِ هِيَجَنِي الْحِرْصُ وَالشَّرُّ فَخَرَجْتُ طَمَعًا كَطَمَعِي الْأَوَّلِ .
وَإِذَا الضَّيْفُ يَرِصْدُنِي فَضَرَبَنِي بِالْقَضِيبِ ضَرْبَةً أَسَالَتْ مِنِّي
الْدَّمَ فَتَحَامَلْتُ عَلَى نَفْسِي ^(١) وَتَقَلَّبْتُ ظَهَرَ الْبَطْنِ إِلَى جَحْرِي
فَخَرَزْتُ ^(٢) مَغْشِيًا عَلَيَّ فَأَصَابَنِي مِنَ الْوَجَعِ مَا بَغَضَ إِلَيَّ أَلْمَالُ
حَتَّى لَا أَسْمَعُ بِذِكْرِهِ إِلَّا تَدْخُلُنِي مِنْ ذِكْرِ أَلْمَالِ رِعْدَةٌ ^(٣)
وَهَيْبَةٌ * ثُمَّ نَذَرْتُ فَوَجَدْتُ أَلْبَاءَ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا يَسُوقُهُ
الْحِرْصُ وَالشَّرُّ لِأَنَّهُمَا لَا يَزَالَانِ يَدْخُلَانِ صَاحِبَهُمَا مِنْ شَيْءٍ
إِلَى شَيْءٍ وَالْأَشْيَاءُ لَا تَنْفَدُ ^(٤) وَلَا تَنْتَهِي وَلَا يَزَالُ صَاحِبُ
الدُّنْيَا فِي بَلِيَّةٍ وَتَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَوَجَدْتُ رُكُوبَ الْأَهْوَالِ
وَتَجَشُّمَ ^(٥) الْأَسْفَارِ الْبَعِيدَةِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ بَسْطِ
الْيَدِ إِلَى السَّخِيِّ بِالْمَالِ فَكَيْفَ بِالشَّحِيحِ بِهِ . وَلَمْ أَرَ كَالرَّضَى
شَيْئًا . وَوَجَدْتُ الْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا لَا عَقْلَ كَالْتَذِيرِ وَلَا وَرَعَ
كَكَفِ الْأَذَى وَلَا حَسَبَ ^(٦) كَحُسْنِ الْخُلُقِ وَلَا غِنَى كَالرَّضَى .
وَأَحَقُّ مَا صَبَرَ الْإِنْسَانُ عَلَى الشَّيْءِ نَفْسُهُ ^(٧) . وَأَفْضَلُ الْبِرِّ الرَّحْمَةُ .
وَرَأْسُ الْمَوَدَّةِ الْإِسْتِرْسَالُ ^(٨) . وَرَأْسُ الْعَقْلِ مَعْرِفَةُ مَا يَكُونُ مِمَّا

١ تكلفت على مشقة ٢ أي سقطت ٣ الاسم من الارتعاد من الخوف
٤ تفرغ ٥ بمعنى نصب ٦ تكلف ٧ ما ينشئه الرجل لنفسه من
الفاخر ٨ صبر نفسه على الشيء حبسها عليه واقنعها به ٩ حسن النقة بالصدق
ولا طمئنان اليو والدلالة عليه

لَا يَكُونُ . وَقَالُوا الْخَرَسُ خَيْرٌ مِنَ اللِّسَانِ الْكَذُوبِ وَالضَّرُّ^(١)
وَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنَ النِّعْمَةِ^(٢) وَالسَّعَةِ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ فَصَارَ
أَمْرِي إِلَى أَنْ رَضِيتُ وَقَبِلْتُ وَانْتَقَلْتُ مِنْ بَيْتِ النَّاسِكِ إِلَى
الْبَرِيَّةِ . وَكَانَ لِي صَدِيقٌ مِنَ الْحَمَامِ فَسَقِيتُ^(٣) إِلَيْهِ بِصَدَاقَتِهِ
صَدَاقَةُ الْغُرَابِ . وَالتَّفْتُ إِلَى السُّلْحَفَةِ فَقَالَ نَحْنُ ذَكَرَ لِي
الْغُرَابُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُرِيدُ إِثْنَانِكَ
فَأَحْبَبْتُ أَنْ آتِيكَ مَعَهُ . وَكَرِهْتُ الْوَحْدَةَ فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ مِنْ
سُرُورِ الدُّنْيَا يَعْدِلُ صُحْبَةَ الْإِخْوَانِ وَلَا غَمٌّ فِيهَا يَعْدِلُ الْبُعْدَ
عَنْهُمْ . وَجَرَّبْتُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُلْتَمِسِ^(٤) مِنَ الدُّنْيَا غَيْرُ
الْكَفَافِ^(٥) الَّذِي يَدْفَعُ بِهِ الْأَذَى عَنْ نَفْسِهِ وَهُوَ يَسِيرُ مِنَ
الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ إِذَا أُعِينَ بِصِحَّةٍ وَسَعَةٍ . وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا وَهَبَتْ
لَهُ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا لَمْ يَكُنْ يَنْتَفِعُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْقَلِيلِ
الَّذِي يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ الْحَاجَةَ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَلَيْسَ لَهُ مِنْهُ
إِلَّا مَا لِغَيْرِهِ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ حَسَبُ^(٦)

فَلَمَّا فَرَّغَ الْجُرْدُ مِنْ كَلَامِهِ أَجَابَتْهُ السُّلْحَفَةُ بِكَلَامٍ

١ بمعنى الفقر ٢ النعم ٣ مجهول ساقى إلي كذا أي وجهه ٤ الطالب
٥ مقدار الحاجة فقط ٦ فقط

رَقِيقِي وَقَالَتْ قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكَ وَمَا أَحْسَنَ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ .
 إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُكَ تَذْكُرُ بَقَايَا أُمُورٍ هِيَ فِي نَفْسِكَ مِنْ حَيْثُ قَلَّةُ
 مَا لَكَ وَسَوْءُ حَالِكَ وَأَغْتَرَابُكَ عَنْ مَوْطِنِكَ . فَأَطْرَحَ ذَلِكَ عَنْ
 قَلْبِكَ وَأَعْلَمَ أَنَّ حُسْنَ الْكَلَامِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحُسْنِ الْعَمَلِ
 وَأَنَّ الْمَرِيضَ الَّذِي قَدْ عَلِمَ دَوَاءَ مَرَضِهِ إِنْ لَمْ يَتَدَاوِ بِهِ لَمْ
 يُغْنِ عِلْمُهُ بِهِ شَيْئًا وَلَمْ يَجِدْ لِدَاءِهِ رَاحَةً وَلَا خِفَةً . فَاسْتَعْمَلَ
 رَأْيَكَ وَلَا تَحْزَنْ لِقَلَّةِ أَلْمَالِ فَإِنَّ الرَّجُلَ ذَا الْمُرُوءَةِ قَدْ يُكْرَمُ
 عَلَى غَيْرِ مَالٍ كَالْأَسَدِ الَّذِي يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضًا ^(١) .
 وَالْغَنِيُّ الَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يُهَانُ وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ أَلْمَالِ
 كَالْكَذِّبِ لَا يُحْفَلُ بِهِ ^(٢) وَإِنْ طُوقَ وَخُلِّلَ بِالذَّهَبِ .
 فَلَا تَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ غُرْبَتُكَ فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا غُرْبَةَ لَهُ كَالْأَسَدِ
 الَّذِي لَا يَنْقَلِبُ ^(٣) إِلَّا مَعَهُ قُوَّتُهُ * فَاتَّحَسَّنْ تَعَهُدَكَ ^(٤) لِنَفْسِكَ
 فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ جَاءَكَ الْخَيْرُ يَطْلُبُكَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ
 كَمَا يَطْلُبُ الْمَاءُ انْحِدَارَهُ . وَإِنَّمَا جُعِلَ الْفَضْلُ لِلْحَازِمِ الْبَصِيرِ
 وَأَمَّا الْكِسْلَانُ الْمُتَرَدِّدُ فَإِنَّ الْفَضْلَ لَا يَصْغَبُهُ * وَقَدْ قِيلَ
 فِي أَشْيَاءَ لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ وَلَا بَقَاءٌ . ظَلَّ النِّعَمَةُ ^(٥) فِي الصِّيفِ .

وَحَلَّةٌ ^(١) الْأَشْرَارِ . وَعَشْقُ النِّسَاءِ . وَالنَّبَأُ ^(٢) الْكَاذِبِ .
وَالْمَالُ الْكَثِيرُ * فَالْعَاقِلُ لَا يَحْزَنُ لِقَلَّتِهِ وَلَكِنَّ مَالَهُ عَقْلُهُ وَمَا
قَدَّمَ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ . فَهُوَ وَاثِقٌ أَنَّهُ لَا يُسَلَبُ مَا عَمِلَ وَلَا
يُؤَاخِذُ بِشَيْءٍ لَمْ يَعْمَلْهُ . وَهُوَ خَالِقٌ أَنْ لَا يَفْعَلَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ
فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَأْتِي إِلَّا بَفْتَةٍ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ أَجَلٌ ^(٣)
مَعْلُومٌ . وَأَنْتَ عَنْ مَوْعِظَتِي غَنِيٌّ بِمَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ .
وَلَكِنْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْضِيَ مِنْ حَقِّكَ فَأَنْتَ أَخُونَا وَمَا قَبِلْنَا ^(٤)
مَبْذُولٌ لَكَ

فَلَمَّا سَمِعَ الْغُرَابُ كَلَامَ السُّلْحَفَةِ لِلْجُرَذِ وَمَرَدُّودَهَا عَلَيْهِ
وَالطَّافِئَةَ إِلَيْهَا ^(٥) فَرِحَ بِذَلِكَ وَقَالَ لَقَدْ سَرَرْتَنِي وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وَأَنْتَ جَدِيرٌ أَنْ تُسَرِّيَ نَفْسَكَ بِمِثْلِ مَا سَرَرْتَنِي . وَإِنْ
أَوَّلَى أَهْلُ الدُّنْيَا بِشِدَّةِ السُّرُورِ مِنْ لَا يَزَالُ رُبْعُهُ ^(٦) مِنْ
إِخْوَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ مَعْمُورًا وَلَا يَزَالُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ
جَمَاعَةٌ يَسُرُّهُمْ وَيَسُرُّونَهُ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ أُمُورِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ
بِالْمُرْصَادِ ^(٧) . فَإِنَّ حُسْنَ الثَّنَاءِ لَا يَزَالُ صَاحِبُهُ فِي عَاقِبَتِهِ

١ مصادقة ٢ الخبر ٣ ميعاد ٤ أي عندنا ٥ أي برها
٦ أي مثله ٧ أي مراقبا لها

حَيْثُمَا تَوَجَّهَ . فَإِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا عَثَرَ لَا يُقِيلُ عَثْرَتَهُ ^(١) وَيَأْخُذُ
بِيَدِهِ إِلَّا الْكَرَامُ كَالْفِيلِ إِذَا وَحَلَ لَا تُخْرِجُهُ إِلَّا الْفِيلَةُ *
فَيْنَمَا الْغُرَابُ فِي كَلَامِهِ وَالثَّلَاثَةُ مُسْتَأْنِسُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ
إِذَا أَقْبَلَ نَحْوَهُمْ ظَنُّوا يَسْقَى مَذْعُورًا ^(٢) . فَذَعَرَتْ مِنْهُ السُّلْحَفَةُ
فَغَاصَتْ فِي الْمَاءِ وَدَخَلَ الْجُرْدُ بَعْضَ الْأَجْحَارِ وَطَارَ الْغُرَابُ
فَوَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ وَأَنْتَهَى الظُّبْيُ إِلَى الْمَاءِ فَشَرِبَ مِنْهُ يَسِيرًا ثُمَّ
وَقَفَ خَائِفًا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا * ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ حَلَقَ فِي
السَّمَاءِ لِيَنْظُرَ هَلْ لِلظُّبْيِ طَالِبٌ . فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَنَادَى
الْجُرْدَ وَالسُّلْحَفَةَ فَخَرَجَا . فَقَالَتِ السُّلْحَفَةُ لِلظُّبْيِ حِينَ رَأَتْهُ
يَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ وَلَا يَقْرُبُهُ أَشْرَبَ إِنْ كَانَ بِكَ عَطَشٌ وَلَا تَخَفْ
فَإِنَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْكَ . فَدَنَا الظُّبْيُ فَرَحِبَتْ بِهِ السُّلْحَفَةُ وَحَيْثُ
وَقَالَتْ لَهُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ . قَالَ كُنْتُ بِهَذِهِ الصَّحَارَى ^(٣)
رَاتِعًا ^(٤) . فَلَمْ تَزَلِ الْأَسَاوِرَةُ ^(٥) تَطْرُدُنِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ حَتَّى
رَأَيْتُ الْيَوْمَ شَيْئًا ^(٦) فَخِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَانِصًا . قَالَتْ لَا تَخَفْ فَإِنَّا
بِمَنْ نَرَاهُنَا قَانِصًا قَطُّ وَنَحْنُ فِي هَذَا الْمَكَانِ مُجْتَمِعُونَ تَحَدَّثُ

١ ينهض من سقنطو ٢ خائفا ٣ جمع صحراء وفي الفضاء الواسع

٤ أكلا وشاربا في غصب وسعة ٥ جمع أسوار وهو المجد الرمي بالسهم

٦ شخصا

وَنَاسُ وَنَحْنُ نَبْذُلُ لَكَ وَدْنَا وَمَكَانًا وَالْمَرْعَى كَثِيرٌ
عِنْدَنَا فَأَرْغَبْ فِي صُحْبَتِنَا . فَأَقَامَ الظَّيُّ مَعَهُمْ وَكَانَ لَهُمْ
عَرِيشٌ ^(١) يَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيَسَاقُطُونَ ^(٢) الْأَحَادِيثَ وَالْأَخْبَارَ .
فَيْنَمَا الْغُرَابُ وَالْجُرْذُ وَالسُّلْحَفَةُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي الْعَرِيشِ إِذْ
غَابَ الظَّيُّ فَتَوَقَّعُوهُ ^(٣) سَاعَةً فَلَمْ يَأْتِ . فَلَمَّا أَبْطَأَ ^(٤) أَشْفَقُوا ^(٥)
أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَهُ عَنَتٌ ^(٦) . فَقَالَ الْجُرْذُ وَالسُّلْحَفَةُ لِلْغُرَابِ
أَنْظُرْ هَلْ تَرَى مِمَّا يَلِينَا ^(٧) شَيْئًا . فَحَلَّقَ الْغُرَابُ فِي السَّمَاءِ
فَنَظَرَ فَإِذَا الظَّيُّ فِي الْحَبَائِلِ مُقْتَنَصًا ^(٨) . فَأَنْقَضَ ^(٩) مُسْرِعًا
فَأَخْبَرَهُمَا بِذَلِكَ . فَقَالَتِ السُّلْحَفَةُ وَالْغُرَابُ لِلْجُرْذِ هَذَا أَمْرٌ لَا
يُرْجَى فِيهِ غَيْرُكَ فَأَغِثْ ^(١١) أَخَاكَ . فَسَعَى الْجُرْذُ مُسْرِعًا فَأَتَى
الظَّيَّ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي هَذِهِ الْوُرْطَةِ وَأَنْتَ مِنْ
الْأَكْيَاسِ ^(١٢) . قَالَ الظَّيُّ مَا يُغْنِي ^(١٣) حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ ^(١٤) وَلَا
يُجِدِّي ^(١٥) الْكَيْسُ مَعَ الْمَقَادِيرِ شَيْئًا

فَيْنَمَا هُمَا فِي الْحَدِيثِ إِذْ وَافَتَهُمَا السُّلْحَفَةُ فَقَالَ لَهَا

١ مكان يستظل به ٢ يبادلون ويتناوبون ٣ اي انتظروا بحجة
٤ تاخر ٥ خاف ٦ وقوع في امر شاق ٧ اي مما حولنا ٨ الاشراك
٩ مصطادا ١٠ وقع بسرعة ١١ أعن ١٢ جمع كيس وهي الظرف النطن
١٣ اي يدفع ويمنع ١٤ قضاء من الله ١٥ ينفع

الظبي ما أصبت بجيئك إلينا فإن القايص لو انتهى إلينا
وقد قطع الجرد الحبال سبته عدوا^(١) . ولجرد أجار كثيرة
والغراب يطير . وأنت ثقيلة لا سعي لك ولا حركة وأخاف
عليك القايص . قالت لا عيش بعد فراق الأحبة . وإذا فارق
الأليف أليفه فقد سلب فؤاده وحرم سروره وغشي على بصره .
فلم يشته كلامها حتى وافى^(٢) القايص ووافق ذلك فراغ الجرد
من قطع الشراك . فنجأ الظبي بنفسه وطار الغراب محلقا ودخل
الجرد بعض الأجار ولم يبق غير السلحفاة ودنا الصياد فوجد
حباله مقطعة . فنظر يميناً وشمالاً فلم يجد غير السلحفاة
تدب فأخذها وربطها . فلم يلبث^(٣) الغراب والجرد والظبي
أن اجتمعوا فنظروا القايص قد ربط السلحفاة فأشد حزنهم
وقال الجرد ما أرانا^(٤) نجاوز عقبة^(٥) من البلاء إلا صرنا إلى
أشد منها . ولقد صدق الذي قال لا يزال الإنسان مستميراً
في إقباله ما لم يعثر فإذا عثر^(٦) به العثار وإن مشى في
جدد^(٧) الأرض . وحذري على السلحفاة خير الأصدياء

١ ركضاً ٢ جاء ٣ يبطئ ٤ ارى انفسنا ٥ الاصل فيها الطريق الصعبة
في الجبل والمراد بها هنا الورطة ٦ نادى ٧ الغليظ المستوي من الارض

الَّتِي خَلَّتْهَا لَيْسَتْ لِلْجُجَازَةِ وَلَا لِالْتِمَاسِ مُكَافَأَةٌ وَلَكِنَّهَا خِلَّةُ
الْكُرَمِ وَالشَّرَفِ. خِلَّةٌ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ خِلَّةِ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ .
خِلَّةٌ لَا يُزِيلُهَا إِلَّا الْمَوْتُ . وَيَجْزِي^(١) لِهَذَا الْجَسَدِ الْمَوَكَّلِ^(٢) بِهِ
الْبَلَاءُ الَّذِي لَا يَزَالُ فِي تَصَرُّفٍ وَتَقَلُّبٍ وَلَا يَدُومُ لَهُ شَيْءٌ
وَلَا يَلْبَثُ مَعَهُ أَمْرٌ كَمَا لَا يَدُومُ لِلطَّالِعِ مِنَ النُّجُومِ طُلُوعُ
وَلَا لِلْأَفَلِ^(٣) مِنْهَا أَفُولٌ لَكِنْ لَا يَزَالُ الظَّالِعُ مِنْهَا أَفِلًا
وَالْأَفِلُ طَالِعًا . وَكَمَا تَكُونُ أَلَامُ الْكُلُومِ^(٤) وَأَتَتَقَاضُ^(٥) الْجِرَاحَاتِ
كَذَلِكَ حَالِي أَنَا الَّذِي ذَكَرَنِي هَذَا الْبَلَاءُ سَابِقَ أَحْوَالِي .
كَالْجُرْحِ الْمُنْدَمِلِ^(٦) تُصِيبُهُ الضَّرْبَةُ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَلَمَانِ أَلَمُ
الضَّرْبَةِ وَأَلَمُ الْجُرْحِ . وَأَخْلَقَ بَيْنَ^(٧) فَقَدَّ إِخْوَانَهُ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ
بِهِمْ أَنْ لَا يَزَالُ مُنْقَصِمًا^(٨) الظَّهْرِ حَزِينَ النَّفْسِ
فَقَالَ الظُّبِّيُّ وَالْغَرَابُ لِلْجُرْذِ إِنَّ حَذَرَنَا وَحَذَرَكَ وَكَلَامَكَ
وَإِنْ كَانَ بَلِغًا لَا يُغْنِي عَنِ السُّلْحَفَةِ شَيْئًا . وَإِنَّهُ كَمَا يُقَالُ
إِنَّمَا النَّاسُ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَذُوا الْأَمَانَةِ عِنْدَ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ وَالْأَهْلُ
وَالْوَلَدُ عِنْدَ الْفَاقَةِ وَالْإِخْوَانُ عِنْدَ النَّوَابِ^(٩) . قَالَ الْجُرْذُ أَرَى

١ ويل ٢ المنوط والمتعلق ٣ الغراب ٤ الجراح ٥ انتكاس
٦ الذي يرى ٧ ما اخلفه أي ما احقته ٨ منكسر ٩ البصائب

مِنَ الْحِيلَةِ أَنْ تَذْهَبَ أَيُّهَا الظُّبِّي فَتَقَعَ بِمَنْظَرٍ مِنَ الْقَانِصِ ^(١)
 كَأَنَّكَ جَرِيحٌ وَيَقَعُ الْغُرَابُ عَلَيْكَ كَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْكَ.
 وَأَسْعَى أَنَا فَأَكُونُ قَرِيبًا مِنَ الْقَانِصِ مُرَاقِبًا لَهُ لَعَلَّهُ يَرْمِي مَا
 مَعَهُ مِنَ الْأَلَةِ وَيَدْعُو السُّلْحَفَةَ وَيَقْصِدُكَ طَامِعًا فِيكَ رَاجِيًا
 تَحْصِيلَكَ. فَإِذَا دَنَا مِنْكَ فَفَرَّ عَنْهُ رُؤِيدًا بِحَيْثُ لَا يَنْقَطِعُ طَمَعُهُ
 فِيكَ وَأَمْكِنَهُ ^(٢) مِنْ أَخْذِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّى يَبْعِدَ عَنَّا.
 وَأَنْخُ مِنْهُ هَذَا النَّحْوُ ^(٣) مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنِّي أَرْجُو أَلَّا يَنْصَرِفَ
 إِلَّا وَقَدْ قَطَعْتَ الْحَبَائِلَ عَنِ السُّلْحَفَةِ وَأَنْجُو بِهَا. فَفَعَلَ الظُّبِّي
 وَالْغُرَابُ مَا أَمَرَهُمَا بِهِ الْجُرْذُ وَتَبِعَهُمَا الْقَانِصُ فَاسْتَطَرَدَّ لَهُ ^(٤)
 الظُّبِّي حَتَّى أَبْعَدَهُ عَنِ الْجُرْذِ وَالسُّلْحَفَةِ وَالْجُرْذُ مُقْبِلٌ عَلَى قَطْعِ
 الْحَبَائِلِ حَتَّى قَطَعَهَا وَنَجَا بِالسُّلْحَفَةِ. وَعَادَ الْقَانِصُ مَجْهُودًا لَاغِبًا ^(٥)
 فَوَجَدَ حَبَائِلَهُ مَقْطُوعَةً. فَفَكَّرَ فِي أَمْرِهِ مَعَ الظُّبِّي فَظَنَّ أَنَّهُ
 خُولِطَ فِي عَقْلِهِ ^(٦). وَفَكَّرَ فِي الظُّبِّي وَالْغُرَابِ الَّذِي كَانَ كَأَنَّهُ
 يَأْكُلُ مِنْهُ ^(٧) وَتَقَرَّبَ حَبَائِلُهُ. فَاسْتَوْحَشَ مِنَ الْأَرْضِ وَقَالَ
 هَذِهِ أَرْضُ جِنٍّ أَوْ سَحَرَةٍ. فَرَجَعَ مُوَلِّيًا لَا يَلْتَمِسُ شَيْئًا وَلَا

١ بحيث ينظر ٢ اجعله يتمكن ٣ أي اجرعه هذا الجري ٤ اظهر
 له الانهزام مكيدة ٥ نعبًا جدًا ٦ اخنل عقله ٧ الضمير للظبي

يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ: وَاجْتَمَعَ الْغُرَابُ وَالظَّبْيُ وَالْجُرْذُ وَالسُّحْفَةُ إِلَى
 عَرِيشِهِمْ سَالِمِينَ آمِنِينَ كَأَحْسَنِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ
 فَإِذَا كَانَ هَذَا الْخَلْقُ مَعَ صِغَرِهِ وَضَعْفِهِ قَدْ قَدَّرَ عَلَى
 التَّخَلُّصِ مِنْ مَرَابِطِ الْهَلَكَةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى بِمَوَدَّتِهِ وَخُلُوصِهَا
 وَثَبَاتِ قَلْبِهِ عَلَيْهَا وَاسْتِمْتَاعِ^(١) بَعْضِهِ بِبَعْضٍ. قَالَ إِنْسَانُ الَّذِي
 قَدْ أُعْطِيَ الْعَقْلَ وَالْفَهْمَ وَالْهِمَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَمُنْحَ التَّمْيِيزِ وَالْمَعْرِفَةِ
 أَوْلَى وَأَحْرَى بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّعَاوُدِ^(٢)
 فَهَذَا مَثَلُ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ وَاتِّتِلَافِهِمْ فِي الصَّحْبَةِ

١ تنفع ٢ التعاون



بَابُ الْبُومِ وَالْغُرَبَانِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفِيلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ
إِخْوَانِ الصَّفَاءِ وَتَعَاوُنِهِمْ . فَأَضْرِبْ لِي مَثَلَ الْعَدُوِّ الَّذِي لَا
يَنْبَغِي أَنْ يُفْتَرَّ بِهِ وَإِنْ أَظْهَرَ تَضَرُّعًا وَمَلَقًا . وَأَخْبِرْنِي عَنْ
الْعَدُوِّ هَلْ يَصِيرُ صَدِيقًا وَهَلْ يُوثَقُ مِنْ أَمْرِهِ بِشَيْءٍ
وَكَيْفَ الْعَدَاوَةُ وَمَا ضَرَرُهَا وَكَيْفَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَصْنَعَ إِذَا
طَلَبَ عَدُوَّهُ مُصَالَحَتَهُ

قَالَ الْفِيلَسُوفُ مِنْ أَغْتَرَّ بِالْعَدُوِّ الَّذِي لَا يَزَالُ عَدُوًّا
أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْبُومَ مِنَ الْغُرَبَانِ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ
ذَلِكَ

قَالَ بَيْدَبَا زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ شَجَرَةٌ
مِنْ شَجَرِ الدَّوْحِ ^(١) فِيهَا وَكُرُ أَلْفِ غُرَابٍ وَعَلَيْهِنَّ وَالٍ مِنْ
أَنْفُسِهِنَّ . وَكَانَ عِنْدَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ كَهْفٌ فِيهِ أَلْفُ بَوْمَةٍ وَعَلَيْهِنَّ
وَالٍ مِنْهُنَّ . فَخَرَجَ مَلِكُ الْبُومِ لِبَعْضِ غَدَوَاتِهِ ^(٢) وَرَوَّحَاتِهِ ^(٣)

١ جمع دوحه وهي الشجرة العظيمة ٢ خروج صباحا ٣ خروج مساء

وَفِي نَفْسِهِ الْعَدَاوَةُ لِمَلِكِ الْغُرَبَانِ وَفِي نَفْسِ الْغُرَبَانِ وَمَلِكُهَا
 مِثْلُ ذَلِكَ لِلْيَوْمِ . فَأَغَارَ مَلِكُ الْيَوْمِ فِي أَصْحَابِهِ عَلَى الْغُرَبَانِ
 فِي أَوْكَارِهَا فَقَتَلَ وَسَبَى مِنْهَا خَلْقًا كَثِيرًا وَكَانَتْ الْغَارَةُ لَيْلًا .
 فَلَمَّا أَصْبَحَتِ الْغُرَبَانُ اجْتَمَعَتْ إِلَى مَلِكِهَا فَقُلْنَ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ
 مَا لَقِينَا اللَّيْلَةَ مِنْ مَلِكِ الْيَوْمِ وَمَا مِنَّا إِلَّا مَنْ أَصْبَحَ قَتِيلًا أَوْ
 جَرِيحًا أَوْ مَكْسُورَ الْجَنَاحِ أَوْ مُتَوَفَّ الرَّيشِ أَوْ مَهْلُوبٌ ^(١) الذَّنْبِ .
 وَأَشَدُّ مَا أَصَابَنَا ضَرًّا جُرْأَتُهُنَّ عَلَيْنَا وَعَلِمْنَّ بِمَكَانِنَا وَهَنَّ
 عَائِدَاتُ إِلَيْنَا غَيْرُ مُنْقَطِعَاتٍ عَنَّا لِعِلْمِنَّ بِمَكَانِنَا فَإِنَّمَا نَحْنُ لَكَ
 أَيُّهَا الْمَلِكُ فَانْظُرْ لَنَا وَلِنَفْسِكَ * وَكَانَ فِي الْغُرَبَانِ خَمْسَةٌ
 مُعْتَرِفٌ لَهُنَّ بِجِسْنِ الرَّأْيِ يُسْنَدُ إِلَيْهِنَّ ^(٢) فِي الْأُمُورِ وَتُلْقَى
 إِلَيْهِنَّ مَقَالِيدُ ^(٣) الْأَحْوَالِ . وَكَانَ الْمَلِكُ كَثِيرًا مَا يُشَاوِرُهُنَّ
 فِي الْأُمُورِ وَيَأْخُذُ آرَاءَهُنَّ فِي الْحَوَادِثِ وَالنَّوَازِلِ * فَقَالَ
 الْمَلِكُ لِلْأَوَّلِ مِنَ الْخَمْسَةِ مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ . قَالَ رَأَيْ
 قَدْ سَبَقْتَنَا إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ لِلْعَدُوِّ الْحَقِيقِ ^(٤)
 الَّذِي لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ إِلَّا الْهَرَبُ مِنْهُ * قَالَ الْمَلِكُ لِلثَّانِي مَا
 رَأَيْكَ أَنْتَ فِي هَذَا الْأَمْرِ . قَالَ مَا رَأَيْ هَذَا مِنَ الْهَرَبِ *

١ متوفى ٢ أي يعتمد عليهن ٣ مفاتيح ٤ الشدائد ٥ ذي الحنق

قَالَ الْمَلِكُ لَا أَرَى لَكُمْ ذَلِكَ رَأْيًا أَنْ نَرْحَلَ عَنْ أَوْطَانِنَا
وَنُغْلِيهَا لِعَدُوِّنَا مِنْ أَجْلِ نَكْبَةٍ أَصَابَتْنا مِنْهُ وَلَا يَنْبَغِي لَنَا ذَلِكَ
فَنَكُونُ بِهِ لَهُمْ عَوْنًا عَآئِنًا. وَلَكِنْ نَجْمَعُ أَمْرَنَا وَنَسْتَعِذُّ لِعَدُوِّنَا
وَنُذَكِّي^(١) نَارَ الْحَرْبِ فِيهِمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا وَنَحْتَرِسُ مِنَ الْغَرَّةِ^(٢)
إِذَا أَقْبَلَ إِلَيْنَا فَلَنَقَاهُ مُسْتَعِدِّينَ وَنُقَاتِلُهُ قِتَالًا غَيْرَ مُرَاجِعِينَ
فِيهِ وَلَا حَامِينَ مِنْهُ^(٣) وَتَلْقَى أَطْرَافُنَا أَطْرَافَ الْعَدُوِّ وَنَحْتَرِزُ^(٤)
بِحَصُونِنَا وَنُدَافِعُ عَدُوَّنَا بِالْأَنَاقَةِ^(٥) مَرَّةً وَبِالْجِلَادِ^(٦) أُخْرَى حَيْثُ
نُصِيبُ فُرْصَتَنَا وَبُعَيْتَنَا وَقَدْ ثَبَّتْنَا^(٧) عَدُوَّنَا عَنَّا

ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لِلثَّلَاثِ مَا رَأَيْكَ أَنْتَ. قَالَ لَا أَرَى
مَا قَالَا رَأْيًا وَلَكِنْ نَبْتُ^(٨) الْعَيْنُونَ^(٩) وَنَبَعْتُ الْجَوَاسِيسَ وَنُرْسِلُ
الطَّلَاعَ^(١٠) بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا فَتَعْلَمُ هَلْ يُرِيدُ صَلَاحًا أَمْ يُرِيدُ
حَرْبًا أَمْ يُرِيدُ الْفِدْيَةَ. فَإِنْ رَأَيْنَا أَمْرَهُ أَمْرَ طَامِعٍ فِي مَالٍ
أَمْ نَكَرَهُ الصِّلَحَ عَلَى خَرَجٍ نُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ نَدْفَعُ بِهِ
عَنْ أَنْفُسِنَا وَنُطَمِّسُ^(١١) فِي أَوْطَانِنَا. فَإِنْ مِنْ آرَاءِ الْمُلُوكِ إِذَا
أَشَدَّتْ شَوْكُهُ^(١٢) عَدُوَّهُمْ فَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِلَادِهِمْ أَنْ

١ نوقد ٢ الغفلة ٣ آفنين اي منكرهين ٤ اي تحصن ٥ النأي

٦ اي الحرب ٧ ردونا ٨ نفرق ٩ الرقباء ١٠ جماعات من

الجيش ترسل لتجسس احوال العدو ١١ اي قدرة

يَجْعَلُوا الْأَمْوَالَ جَنَّةَ ^(١) الْبِلَادِ وَالْمَلِكِ وَالرَّعِيَّةِ * قَالَ الْمَلِكُ
 لِلرَّابِعِ فَمَا رَأَيْكَ فِي هَذَا الصَّلْحِ . قَالَ لَا أَرَاهُ رَأْيًا بَلْ أَنَّ
 نَفَارِقَ أَوْطَانَنَا وَنَصِيرَ عَلَى الْغُرْبَةِ وَشِدَّةَ الْمَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ
 نُضَيِّعَ أَحْسَابَنَا ^(٢) وَنَخْضَعَ لِلْعَدُوِّ الَّذِي نَحْنُ أَشْرَفُ مِنْهُ . مَعَ
 أَنَّ الْيَوْمَ لَوْ عَرَضْنَا ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَمَارَضِينَ مِنَّا إِلَّا بِالْشَطِطِ ^(٣) .
 وَيُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ قَارِبَ عَدُوِّكَ بَعْضَ الْمُقَارَبَةِ لِتَنَالَ حَاجَتُكَ
 وَلَا تُقَارِبُهُ كُلَّ الْمُقَارَبَةِ فَيَجْتَرِيَّ عَلَيْكَ وَيُضْعِفَ جُنْدَكَ
 وَتَذِلَّ نَفْسُكَ . وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الْحَشَبَةِ الْمَنْصُوبَةِ فِي الشَّمْسِ
 إِذَا أَمَلَتْهَا قَلِيلًا زَادَ ظِلُّهَا وَإِذَا جَاوَزَتْ بِهَا الْخُدِّيَّ أَمَا لَتَكْهَا ^(٤)
 نَقْصَ الظِّلِّ . وَلَيْسَ عَدُوُّنَا رَاضِيًا مِنَّا بِالْذُّونِ فِي الْمُقَارَبَةِ فَالرَّأْيُ
 لَنَا وَلَكَ الْمُحَارَبَةُ * قَالَ الْمَلِكُ لِلْخَامِسِ مَا تَقُولُ أَنْتَ وَمَاذَا
 تَرَى الْقِتَالَ أَمْ الصَّلْحُ أَمْ الْجَلَاءُ ^(٥) عَنِ الْوَطَنِ . قَالَ أَمَّا
 الْقِتَالُ فَلَا سَبِيلَ لِلْمَرْءِ إِلَى قِتَالٍ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ . وَقَدْ يُقَالُ
 إِنَّهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ نَفْسَهُ وَعَدُوَّهُ وَقَاتِلَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ حَمَلَ
 نَفْسَهُ عَلَى حَتْفِهَا ^(٦) . مَعَ أَنَّ الْمَاقِلَ لَا يَسْتَصْغِرُ عَدُوًّا . فَإِنْ مَنْ

١ نرس ٢ اي مفاخرنا ٣ مجاوزة الحد ٤ اما لنك اباما ٥ الرجل ٦ هلاكها

أَسْتَصْغِرَ عَدُوَّهُ أَغْتَرَّ بِهِ وَمَنِ اغْتَرَّ بِعَدُوِّهِ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ . وَأَنَا
لِلْيَوْمِ شَدِيدُ الْهَيْبَةِ وَإِنْ أَضْرَبَنَ عَنْ قِتَالِنَا ^(١) وَقَدْ كُنْتُ أَهَابُهَا
قَبْلَ ذَلِكَ . فَإِنَّ الْحَازِمَ ^(٢) لَا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ . فَإِنْ
كَانَ بَعِيدًا لَمْ يَأْمَنَ سَطْوَتُهُ وَإِنْ كَانَ مُكْشَبًا ^(٣) لَمْ يَأْمَنَ
وَثْبَتُهُ ^(٤) وَإِنْ كَانَ وَحِيدًا لَمْ يَأْمَنَ مَكْرُهُ . وَأَحْزَمُ الْأَقْوَامِ
وَأَكْيَسُهُمْ ^(٥) مَنْ كَرِهَ الْقِتَالَ لِأَجْلِ النَّفَقَةِ فِيهِ . فَإِنَّ مَا
دُونَ الْقِتَالِ النَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ .
وَالْقِتَالُ النَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ الْأَنْفُسِ وَالْأَبْدَانِ وَرَبَّمَا أَكْتَفَيْ عَنْهُ
بِالنَّفَقَةِ الْيَسِيرَةِ وَالْكَلَامِ الْلَيِّنِ . فَلَا يَكُونَنَّ الْقِتَالُ لِلْيَوْمِ مِنْ
رَأْيِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . فَإِنَّ مَنْ قَاتَلَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ فَقَدْ غَرَّرَ
بِنَفْسِهِ . فَإِذَا كَانَ الْمَلِكُ مُحْصِنًا ^(٦) لِلْأَسْرَارِ مُتَخَيِّرًا ^(٧) لِلْوُزَرَاءِ
مَهِيْبًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ بَعِيدًا مِنْ أَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ كَانَ خَلِيقًا
أَنْ لَا يَسْلُبَ صَحِيحَ مَا أُوتِيَ ^(٨) مِنَ الْخَيْرِ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ
كَذَلِكَ وَالْمَلِكُ يَزْدَادُ بَرَأْيَ وَزَرَأَيْهِ بَصِيرَةً كَمَا يَزِيدُ النُّجُورُ
بِمُجَاوَرِهِ مِنَ الْأَنْهَارِ * وَقَدْ اسْتَشَرْتَنِي فِي أَمْرِ جَوَابِكَ مِنِّي
عَنْهُ فِي بَعْضِهِ عَلَيَّ وَقَدْ أَجَبْتُكَ بِهِ وَفِي بَعْضِهِ سِرِّي .

١ اعرض عنه ٢ السديد الراي ٣ قريباً ٤ اي هجمته ٥ من
الكيس بمعنى العقل ٦ الذي ٧ اي كائناً ٨ متنبهاً ٩ اعطى

وَلَا سَرَارٍ مَنَازِلُ مِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّهْطُ^(١) وَمِنْهَا مَا يُسْتَعَانُ فِيهِ بِالْقَوْمِ وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّجُلَانِ. وَلَسْتُ أَرَى لِهَذَا السِّرِّ عَلَى قَدَرِ مَنْزِلَتِهِ أَنْ يُشَارَكَ فِيهِ إِلَّا أَرْبَعَةُ أَذَانٍ وَلِسَانَانِ. فَهَضَّ الْمَلِكُ مِنْ سَاعَتِهِ وَخَلَا بِهِ فَاسْتَشَارَهُ. فَكَانَ أَوَّلُ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ الْمَلِكُ أَنَّهُ قَالَ هَلْ تَعْلَمُ ابْتِدَاءَ الْعُدَاوَةِ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَوْمِ. قَالَ نَعَمْ كَلِمَةً تَكَلَّمَتْ بِهَا غُرَابٌ. قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْغُرَابُ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْكِرَاكِيِّ^(٢) لَمْ يَكُنْ لَهَا مَلِكٌ فَأَجْمَعَتْ أَمْرَهَا^(٣) عَلَى أَنْ تُمَلِّكَ عَلَيْهَا مَلِكَ الْيَوْمِ. فَبَيْنَمَا هِيَ فِي مَجْمَعِهَا إِذْ وَقَعَ لَهَا غُرَابٌ. فَقَالَتْ لَوْ جَاءَنَا هَذَا الْغُرَابُ لَأَسْتَشِرَّاهُ فِي أَمْرِنَا. فَلَمْ يَلْبِثَنَّ دُونَ أَنْ جَاءَهُنَّ الْغُرَابُ فَاسْتَشِرَّتْهُ. فَقَالَ لَوْ أَنَّ الطَّيْرَ بَادَتْ^(٤) مِنَ الْأَقَالِمِ^(٥) وَفُقِدَ الطَّائِفُ وَالْبَطُّ وَالنَّعَامُ وَالْحِمَامُ مِنَ الْعَالَمِ لَمَا اضْطُرَّزْتُ إِلَى أَنْ تُمَلِّكَنِي عَلَيْكَ الْيَوْمَ الَّتِي هِيَ أَفْجُ الطَّيْرِ مَنْظَرًا وَأَسْوَأُهَا خَلْقًا وَأَقْلَبُهَا عَقْلًا وَأَشَدُّهَا غَضَبًا وَأَبْعَدُهَا

١ قوم الرجل وقيلته ٢ جمع كركي وهو ضرب من الطير ٣ اجتمعت

عليه ٤ فنيته وانقطعت ٥ جمع اقليم وهو من البلاد ما اختص باسم وتيزو

فصر اقليم والشام اقليم وقس عليه

مِنْ كُلِّ رَحْمَةٍ مَعَ عَمَاهَا وَمَا بِهَا مِنَ الْعَشَا^(١) فِي النَّهَارِ وَتَنْ
رَأَيْتُهَا حَتَّى لَا يُطِيقُ طَائِرٌ أَنْ يَتَقَرَّبَ مِنْهَا . وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ
وَأَفْجَأُ أُمُورُهَا سَفْهًا^(٢) وَسُوءُ أَخْلَاقِهَا . إِلَّا أَنْ تَرَيْنَ أَنَّ
تُمْلِكُنَهَا وَتَكُنَّ أَنْتِ تَدِيرِينَ الْأُمُورَ دُونَهَا بِرَأْيِكُنَّ وَعُقُولِكُنَّ .
فَإِنَّ وُزَرَاءَ الْمَلِكِ إِذَا كَانُوا صَالِحِينَ وَكَانَ يُطِيعُهُمْ فِي أَرَائِمٍ
لَمْ يَضُرَّ فِي مَلِكِهِ كَوْنُهُ جَاهِلًا وَأَسْتَقَامَ أَمْرُهُ . كَمَا فَعَلَتْ
الْأَرْنَبُ الَّتِي زَعَمَتْ أَنَّ الْقَمَرَ مَلِكُهَا وَعَمِلَتْ بِرَأْيِهَا . قَالَتْ
الطَّيْرُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْغُرَابُ زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرْضِي الْفِيلَةِ^(٣) تَتَابَعَتْ
عَلَيْهَا السَّنُونَ^(٤) وَأَجْدَبَتْ^(٥) وَقَلَّ مَاؤُهَا وَغَارَتْ عَيْنُهَا وَذَوَى^(٦)
نَبْتُهَا وَيَسَّ شَجَرُهَا فَأَصَابَ الْفِيلَةَ عَطَشٌ شَدِيدٌ . فَشَكَّوْنَ
ذَلِكَ إِلَى مَلِكِهِنَّ فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ رُسُلَهُ وَرُؤَادَهُ^(٧) فِي طَلَبِ
الْمَاءِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ . فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّسُلِ فَقَالَ لَهُ إِنِّي
قَدْ وَجَدْتُ بِمَكَانٍ كَذَا عَيْنًا يُقَالُ لَهَا عَيْنُ الْقَمَرِ كَثِيرَةُ الْمَاءِ .
فَتَوَجَّهَ مَلِكُ الْفِيلَةِ بِأَصْحَابِهِ إِلَى تِلْكَ الْعَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْهَا هُوَ

١ ضعف البصر ٢ جهلها وخففتها ٣ جمع فيل ٤ جمع سنة بمعنى الحذب
والحل ٥ اجمعت ٦ ذبل ٧ جمع رائد وهو الرجل يرسله القوم لبتغير
لم مكانا

وَفِيلَتُهُ . وَكَانَتْ أَلَمَيْنِ فِي أَرْضٍ لِلْأَرَانِبِ فَوَطْنُ^(١) الْأَرَانِبِ
 فِي أَجْزَاهِنَ فَأَهْلَكَنَ مِنْهُنَّ كَثِيرًا . فَأَجْتَمَعَتِ الْأَرَانِبُ
 إِلَى مَلِكِهَا فَقُلْنَ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَا أَصَابَنَا مِنَ الْفِيلَةِ . فَقَالَ لِيُخْضِرُ
 مِنْكُمْ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ * فَتَقَدَّمتْ أَرْنَبٌ مِنَ الْأَرَانِبِ
 يُقَالُ لَهَا فَيَرُوزُ وَكَانَ الْمَلِكُ يَعْرِفُهَا بِحُسْنِ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ .
 فَقَالَتْ إِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ يَبْعَثَنِي إِلَى الْفِيلَةِ وَيُرْسِلَ مَعِيَ
 أَمِينًا لِيَسْمَعَ وَيَرَى مَا أَقُولُ وَيَرْفَعَهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهَا
 الْمَلِكُ أَنْتِ أَمِينَةٌ وَنَرْضَى بِقَوْلِكَ فَأَنْطَلِقِي إِلَى الْفِيلَةِ وَبَلِّغِي
 عَنِّي مَا تُرِيدِينَ . وَأَعْلَمِي أَنَّ الرَّسُولَ بِرَأْيِهِ وَعَقْلِهِ
 وَلِينِهِ وَفَضْلِهِ يُخْبِرُ عَنْ عَقْلِ الْمُرْسِلِ . فَعَلَيْكَ بِاللَّيْنِ وَالرَّفَقِ
 وَالْحِلْمِ وَالتَّائِي فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يُلِينُ الصَّدُورَ إِذَا
 رَفَقَ^(٢) وَيُحْشِنُ الصَّدُورَ إِذَا خَرَقَ^(٣) * ثُمَّ إِنَّ الْأَرْنَبَ
 أَنْطَلَقَتْ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ^(٤) حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى الْفِيلَةِ . وَكَرِهَتْ
 أَنْ تَدْنُو مِنْهُنَّ خَافَةً أَنْ يَطَّأَنَهَا بِأَرْجُلِهِنَّ فَيَقْتُلْنَهَا وَإِنْ كُنَّ
 غَيْرَ مُتَعَمِّدَاتٍ^(٥) . فَأَشْرَفَتْ^(٦) عَلَى الْجَبَلِ وَنَادَتْ مَلِكَ الْفِيلَةِ

١ دس ٢ لطف ولان ٣ ضد رفق ٤ مقبرة ٥ فاصدات ٦ اطلت

وَقَالَتْ لَهُ إِنَّ الْقَمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَالرَّسُولُ غَيْرُ مَلُومٍ فِيمَا
يُبْلَغُ وَإِنْ أَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ . قَالَ مَلِكُ الْفِيلَةِ فَمَا الرِّسَالَةُ .
قَالَتْ يَقُولُ لَكَ إِنَّهُ مَنْ عَرَفَ فَضْلَ قُوَّتِهِ عَلَى الضَّعْفَاءِ فَأَغْتَرَّ
فِي ذَلِكَ بِالْأَقْوِيَاءِ قِيَاسًا لَهُمْ عَلَى الضَّعْفَاءِ كَانَتْ قُوَّتُهُ وَبِالْأَ
عْلِيهِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى الدَّوَابِّ فَفَرَّكَ
ذَلِكَ فَعَمِدَتْ ^(٢) إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي تُسَمَّى بِأَسْنِي فَشَرِبَتْ مِنْهَا
وَرَنَّقَتْهَا ^(٣) . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ فَأَنْذِرْكَ أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ .
وَأَنَّهُ إِنَّ فَعَلْتَ يُغْشِي ^(٤) عَلَى بَصْرِكَ وَيَتْلِفُ نَفْسَكَ . وَإِنْ
كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي فَهَلُمَّ إِلَى الْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ فَإِنَّهُ
مُؤَافِيكَ ^(٥) بِهَا . فَجَعَبَ مَلِكُ الْفِيلَةِ مِنْ قَوْلِ الْأَرْنَبِ فَأَنْطَلَقَ
إِلَى الْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزِ الرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا رَأَى ضَوْءَ الْقَمَرِ
فِيهَا فَقَالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ الرَّسُولِ خُذْ خُرْطُومَكَ مِنَ الْمَاءِ فَأَغْسِلْ
بِهِ وَجْهَكَ وَاسْجُدْ لِلْقَمَرِ . فَأَدْخَلَ الْفِيلُ خُرْطُومَهُ فِي الْمَاءِ
فَتَحَرَّكَ فَخَلَّ إِلَى الْفِيلِ ^(٦) أَنَّ الْقَمَرَ أَرْتَعَدَ . فَقَالَ مَا شَأْنُ الْقَمَرِ
أَرْتَعَدَ أَتُرِينَهُ ^(٧) غَضِبَ مِنْ إِدْخَالِي خُرْطُومِي فِي الْمَاءِ . قَالَتْ

١ سورة غفې ٢ قصص ٣ كدرتها ٤ يلقي غشاوة ٥ ملائكة
٦ نوم ٧ انظنينة

فَيُرْوُزُ الْأَرْنَبُ نَعَمْ . فَسَجَدَ الْفِيلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى وَتَابَ إِلَيْهِ
مِمَّا صَنَعَ وَشَرَطَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ
مِنْ فِيلَتِهِ

قَالَ الْغُرَابُ وَمَعَ مَا ذَكَرْتُ مِنْ أَمْرِ الْيَوْمِ فَإِنَّ فِيهَا
الْحَبَّ^(١) وَالْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ وَشَرُّ الْمُلُوكِ الْمُخَادِعُ . وَمِنْ
أَبْتَلِي بِسُلْطَانٍ مُخَادِعٍ وَخَدَمَهُ أَصَابُهُ مَا أَصَابَ الْأَرْنَبَ
وَالصِّفْرَ^(٢) حِينَ أَحْتَكَمَا إِلَى السِّنُورِ . قَالَتِ الْكَرَاكِيُّ
وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْغُرَابُ كَانَ لِي جَارٌ مِنَ الصَّفَارِدَةِ فِي أَصْلِ
شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ وَكْرِي وَكَانَ يَكْثُرُ مُوَاصَلَتِي . ثُمَّ فَقَدْتُهُ فَلَمْ
أَعْلَمْ أَيْنَ غَابَ وَطَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنِّي . فَجَاءَتْ أَرْنَبٌ إِلَى
مَكَانِ الصِّفْرِ فَسَكَّتَهُ . فَكَرِهْتُ أَنْ أَخْصِمَ الْأَرْنَبَ فَلَبِثْتُ
فِيهِ زَمَانًا * ثُمَّ إِنَّ الصِّفْرَ عَادَ بَعْدَ زَمَانٍ فَأَتَى مَنْزِلَهُ فَوَجَدَ
فِيهِ الْأَرْنَبَ فَقَالَ لَهَا هَذَا الْمَكَانُ لِي فَأَنْتَغَلِي مِنْهُ . قَالَتِ
الْأَرْنَبُ الْمَسْكُنُ لِي وَتَحْتَ يَدَيَّ وَأَنْتَ مُدْعٍ لَهُ . فَإِنْ كَانَ
لَكَ حَقٌّ فَأَسْتَعِذْ^(٣) عَلَيَّ . قَالَ الصِّفْرُ الْقَاضِي مِمَّا قَرِيبٌ فَهَلْبِي

١ بمعنى المخداع ٢ ظلم يكتفى اياه الملع ٣ استعن

بِنَا إِلَيْهِ . قَالَتْ الْأَرْنبُ وَمَنْ الْقَاضِي . قَالَ الصِّفْرُ إِنْ
 بِسَاحِلِ الْبَحْرِ سَنُورًا مُتَعَمِّدًا يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ وَلَا
 يُؤْذِي دَابَّةً وَلَا يَهْرِيقُ ^(١) دَمًا . عَيْشُهُ مِنَ الْحَشِيشِ وَمِمَّا يَقْذِفُهُ
 إِلَيْهِ الْبَحْرُ . فَإِنْ أَحْبَبْتَ تَحَاكُمْنَا إِلَيْهِ وَرَضِينَا بِهِ . قَالَتْ الْأَرْنبُ
 مَا ^(٢) أَرْضَانِي بِهِ إِذَا كَانَ كَمَا وَصَفْتَ فَأَنْطَلَقَا إِلَيْهِ . فَتَبِعَتْهُمَا
 لِأَنْظُرَ إِلَى حُكُومَةِ الصَّوَامِ الْقَوَامِ ^(٣) * ثُمَّ إِنَّهُمَا ذَهَبَا إِلَيْهِ فَلَمَّا
 بَصُرَ السَّنُورَ بِالْأَرْنبِ وَالصِّفْرِ مُقْبِلَيْنِ نَحْوَهُ أَنْتَصَبَ قَائِمًا
 يُصَلِّي وَآظَهَرَ الْخُشُوعَ وَالتَّنَسُّكَ . فَعَجِبَا لِمَا رَأَيَا مِنْ حَالِهِ
 وَدَنُوا مِنْهُ هَائِبِينَ لَهُ وَسَلَّمَا عَلَيْهِ وَسَلَّاهُ أَنْ يَقْضِي بَيْنَهُمَا .
 فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقْضَا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ففَعَلَا . فَقَالَ لِهَمَا قَدْ بَلَغَنِي
 الْكِبَرُ وَثَقُلَتْ أَذْنَايَ ^(٤) فَأَدْنُوا مِنِّي فَأَسْمِعَانِي مَا تَقُولَانِ
 فَدَنُوا مِنْهُ وَأَعَادَا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ وَسَلَّاهُ الْحُكْمَ . فَقَالَ قَدْ
 فَهِمْتُ مَا قُلْتُمَا وَأَنَا مُبْتَدِّئُكُمَا بِالنَّصِيحَةِ قَبْلَ الْحُكُومَةِ . فَأَنَا
 أَمْرُكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ . وَأَنْ لَا تَطْلُبَا إِلَّا الْحَقَّ . فَإِنْ طَالَبَ
 الْحَقُّ هُوَ الَّذِي يُفْلِحُ وَإِنْ قُضِيَ عَلَيْهِ وَطَالَبَ الْبَاطِلَ مَخْضُومٌ ^(٥)
 وَإِنْ قُضِيَ لَهُ . وَلَيْسَ لِصَاحِبِ الدُّنْيَا مِنْ دُنْيَاهُ شَيْءٌ لَا مَالٌ

وَلَا صَدِيقٌ سِوَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ يُقَدِّمُهُ. فَذُو الْعَقْلِ حَقِيقٌ أَنْ
يَكُونَ سَعِيهِ فِي طَلَبِ مَا يَبْقَى وَيَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ غَدًا ^(١) وَأَنْ
تَمُتَ بِسَعِيهِ مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا. فَإِنَّ مَنَزِلَةَ الْمَالِ
عِنْدَ الْعَاقِلِ بِمَنَزِلَةِ الْمَدَرِ ^(٢) وَمَنَزِلَةَ النَّاسِ عِنْدَهُ فِيمَا يُحِبُّ لَهُمْ
مِنَ الْخَيْرِ وَيَكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ بِمَنَزِلَةِ نَفْسِهِ * ثُمَّ إِنَّ السِّنُورَ لَمْ
يَزَلْ يَقْصُ عَلَيْهِمَا مِنْ جِنْسِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ حَتَّى أَنْسَا إِلَيْهِ
وَأَقْبَلَا عَلَيْهِ وَدَنُوا مِنْهُ فَوُثِبَ عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا

قَالَ الْغُرَابُ ثُمَّ إِنَّ الْبُومَ تَجَمَّعَ مَعَ مَا وَصَفْتُ لَكُنَّ مِنْ
الشُّؤْمِ ^(٣) سَائِرِ الْعُيُوبِ فَلَا يَكُونَنَّ تَمْلِكُ الْبُومِ مِنْ رَأْيِكُنَّ *
فَلَمَّا سَمِعَ الْكَرَاكِي ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْغُرَابِ أَضْرَبْنَ عَنْ تَمْلِكِ
الْبُومِ * وَكَانَ هُنَاكَ بَوْمٌ حَاضِرٌ قَدْ سَمِعَ مَا قَالُوا فَقَالَ لِلْغُرَابِ
لَقَدْ وَتَرْتَنِي ^(٤) أَعْظَمَ التَّرَةِ ^(٥) وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَلَفَ مِنِّي إِلَيْكَ
سُوءٌ أَوْجَبَ هَذَا * وَبَعْدُ فَأَعْلَمَ أَنَّ الْفَأْسَ يَقْطَعُ بِهَا الشَّجَرُ
فَيَعُودُ يَنْبُتُ وَالسَّيْفُ يَقْطَعُ اللَّحْمَ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَنْدَمِلُ ^(٦) .
وَاللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ وَلَا تُؤْسَى ^(٧) مَقَاطِعُهُ ^(٨) . وَالنَّصْلُ ^(٩)

١ يوم القيامة ٢ الطين اليابس ٣ خلاف البركة ٤ اصتني بمكره
٥ مصدر وتر ٦ بلغم ٧ تداوى ٨ مواضع قطع ٩ حديد السهم ونحوه

مِنَ السَّمِ يَغِيبُ فِي اللَّحْمِ ثُمَّ يُنْزَعُ فَيُخْرَجُ . وَأَشْبَاهُ النَّصْلِ مِنَ
 الْكَلَامِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَى الْقَلْبِ لَمْ تُنْزَعْ وَلَمْ تُسْتَخْرَجْ .
 وَلِكُلِّ حَرِيقٍ مُطْفِئٌ فَلِلنَّارِ الْمَاءُ وَلِلسَّمِّ الدَّوَاءُ وَلِلْحَزَنِ الصَّبْرُ
 وَلِلْعِشْقِ الْفُرْقَةُ . وَنَارُ الْحَقْدِ لَا تَخْبُو ^(١) أَبَدًا . وَقَدْ غَرَسْتُمْ مَعَاشِرَ
 الْغُرَبَانِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ شَجَرَ الْحَقْدِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ * فَلَمَّا قَضَى
 الْيَوْمُ مُقَالَتَهُ وَلَّى مُغْضِبًا فَأَخْبَرَ مَلِكَ الْيَوْمِ بِمَا جَرَى وَبِكُلِّ
 مَا كَانَ مِنْ قَوْلِ الْغُرَابِ * ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ نَدِمَ عَلَى مَا فَرَطَ
 مِنْهُ وَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ خَرِفْتُ ^(٢) فِي قَوْلِي الَّذِي جَلَبْتُ بِهِ
 الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ عَلَى نَفْسِي وَقَوْمِي وَلَيْتَنِي لَمْ أَخْبِرِ الْكَرَّامِي
 بِهَذَا الْحَالِ وَلَمْ أُعْلِمِهَا بِهَذَا الْأَمْرِ . وَلَعَلَّ أَكْثَرَ الطَّيْرِ قَدْ
 رَأَى أَكْثَرَ مِمَّا رَأَيْتُ وَعَلِمَ أَضْعَافَ مَا عَلِمْتُ فَمَنْعَهَا مِنْ
 الْكَلَامِ بِمِثْلِ مَا تَكَلَّمْتُ اتِّقَاءً ^(٣) مَا لَمْ أَتَقِ وَالنَّظَرُ فِيمَا
 لَمْ أَنْظُرْ فِيهِ مِنْ حِذَابِ الْعَوَاقِبِ . وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ
 أَفْطَحَ كَلَامَ يَلْقَى مِنْهُ سَامِعُهُ وَقَائِلُهُ الْمَكْرُوهَ مِمَّا يُورِثُ الْحَقْدَ
 وَالضَّغِينَةَ . فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تُسَمَّى أَشْيَاءُ هَذَا الْكَلَامِ كَلَامًا
 وَلَكِنْ سِهَامًا . وَإِنَّ الْكَلَامَ الرَّدِيَّ هُوَ الَّذِي يَزِمِي صَاحِبَهُ

فِي الْحَقْدِ وَالْعَدَاوَةِ . وَالْعَاقِلُ إِنْ كَانَ وَاثِقًا بِقُوَّتِهِ وَقَضِيلُهُ لَا يَنْبَغِي
 أَنْ يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَجْلِبَ الْعَدَاوَةَ عَلَى نَفْسِهِ أُنْكَالًا عَلَى
 مَا عِنْدَهُ مِنَ الرَّأْيِ وَالْقُوَّةِ . كَمَا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ
 الْتَزْيَاقُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْرَبَ السَّمَّ أُنْكَالًا عَلَى مَا عِنْدَهُ .
 وَصَاحِبُ الْعَمَلِ وَإِنْ قَصَرَ بِهِ الْقَوْلُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ كَانَ
 فَضْلُهُ بَيْنًا وَاضِحًا فِي الْعَاقِبَةِ وَالْإِخْتِبَارِ . وَصَاحِبُ حُسْنِ الْقَوْلِ
 وَإِنْ أَعْجَبَ النَّاسَ مِنْهُ حُسْنُ صِفَتِهِ لِلْأُمُورِ لَمْ تُحْمَدْ مَخْبَأَتُهُ ^(١)
 أَمْرُهُ . وَأَنَا صَاحِبُ الْقَوْلِ الَّذِي لَا عَاقِبَةَ لَهُ مَحْمُودَةٌ .
 أَوَّلَيْسَ مِنْ سَفَهِي ^(٢) أَجْتَرَأُ عَلَى التَّكَلُّمِ فِي الْأَمْرِ لَمْ أَسْتَشِرْ فِيهِ
 أَحَدًا وَلَمْ أَعْمَلْ فِيهِ رَأْيًا . وَمَنْ لَمْ يَسْتَشِرِ الشُّصَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ ^(٣)
 وَعَمِلَ بِرَأْيِهِ مِنْ غَيْرِ تَكَرُّارِ النَّظَرِ وَالرَّوْيَةِ ^(٤) لَمْ يَنْتَبِطْ ^(٥) بِمَوَاقِعِ
 رَأْيِهِ . فَمَا كَانَ أَغْنَانِي عَمَّا كَسَبْتُ يَوْمِي هَذَا وَمَا وَقَعْتُ فِيهِ
 مِنَ الْهَمِّ * وَعَاتَبَ الْغُرَابُ نَفْسَهُ بِهَذَا الْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ وَذَهَبَ
 هَذَا مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنْ أِبْتِدَاءِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
 الْيَوْمِ . وَأَمَّا الْقِتَالُ فَقَدْ عَلِمْتَ رَأْيِي فِيهِ وَكَرَاهَتِي لَهُ . وَلَكِنْ
 عِنْدِي مِنَ الرَّأْيِ وَالْحِيلَةِ غَيْرُ الْقِتَالِ مَا يَكُونُ فِيهِ الْفَرْجُ إِنْ

١ عاقبة ٢ جهلي ٣ الاصدقاء ٤ اطالة النكرة ٥ لم يجد نفسه سعيدا

شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَإِنَّهُ رَبُّ قَوْمٍ قَدِ احْتَالُوا بِأَرَائِهِمْ حَتَّى
ظَفَرُوا بِمَا أَرَادُوا . وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ ظَفَرُوا
بِالنَّاسِكِ وَأَخَذُوا عَرِيضَهُ ^(١) . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ
قَالَ الْغُرَابُ زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا اشْتَرَى عَرِيضًا ضَخْمًا
لِيَجْعَلَهُ قُرْبَانًا . فَأَنْطَلَقَ بِهِ يَقُودُهُ فَبَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ الْمَكْرَةِ
فَأَتَمُّرُوا ^(٢) بَيْنَهُمْ أَنَّ يَأْخُذُوهُ مِنَ النَّاسِكِ . فَعَرَضَ لَهُ أَحَدُهُمْ
فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا النَّاسِكُ مَا هَذَا الْكَلْبُ الَّذِي مَعَكَ . ثُمَّ عَرَضَ
لَهُ الْآخَرُ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ مَا هَذَا نَاسِكًا لِأَنَّ النَّاسِكَ لَا يَقُودُ
كَلْبًا . فَلَمْ يَزَالُوا مَعَ النَّاسِكِ عَلَى هَذَا وَمِثْلِهِ حَتَّى لَمْ يَشْكُ
أَنَّ الَّذِي يَقُودُهُ كَلْبٌ وَأَنَّ الَّذِي بَاعَهُ إِيَّاهُ سَحَرَ عَيْنَيْهِ .
فَأَاطَلَقَهُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ الْجَمَاعَةُ ائْتَمَّتُوا لَهُ وَمَضُوا بِهِ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِمَا أَرْجُو أَنَّ نُصِيبَ ^(٣)
مِنْ حَاجَتِنَا بِالرَّفَقِ وَالْحِيلَةِ . وَإِنِّي أُرِيدُ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يَنْقُرَنِي
عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ وَيَتَيْفَ رِيشِي وَذَنَبِي ثُمَّ يَطْرَحَنِي فِي
أَصْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَيَرْتَحِلَ الْمَلِكُ وَجُنُودُهُ إِلَى مَكَانٍ كَذَا .
فَإِنِّي أَرْجُو أَنِّي أَصْبِرُ وَأَطْلُعُ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَمَوَاضِعِ تَحْصِينِهِمْ

وَأَبْوَابِهِمْ فَأَخَادِعُهُمْ وَآتِي إِلَيْكُمْ لَنَهْجَمَ عَلَيْهِمْ وَنَنَالَ مِنْهُمْ
غَرَضَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . قَالَ الْمَلِكُ أَتَطِيبُ نَفْسُكَ لِذَلِكَ .
قَالَ نَعَمْ وَكَيْفَ لَا تَطِيبُ نَفْسِي لِذَلِكَ وَفِيهِ أَعْظَمُ الرِّاحَاتِ
لِلْمَلِكِ وَجُنُودِهِ . فَفَعَلَ الْمَلِكُ بِالْغُرَابِ مَا ذَكَرَ ثُمَّ ارْتَحَلَ
عَنْهُ فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ أَقْبَلَ مَلِكُ الْبُومِ وَجُنْدُهُ لِبُوقِ^(١) بِالْغُرَابِ
فَلَمْ يَجِدْهُمْ وَهُمْ بِالْإِنْصِرَافِ . فَعَجَلَ الْغُرَابُ يَتَنَبَّهًا وَيَهْمِسُ^(٢)
حَتَّى سَمِعَتْهُ الْبُومُ وَرَأَيْنَهُ يَتَنَبَّهًا فَخَبَرْنَ مَلِكَهُنَّ بِذَلِكَ .
فَقَصَدَ نَحْوَهُ لِيَسْأَلَهُ عَنِ الْغُرَابِ . فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَمَرَ بَوْمًا أَنْ
يَسْأَلَهُ . فَقَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ وَأَيْنَ الْغُرَابُ . فَقَالَ أَمَّا أَسْمِي
فَقُلَانُ . وَأَمَّا مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ فَإِنِّي أَحْسَبُكَ تَرَى أَنَّ حَالِي
حَالُ مَنْ لَا يَعْلَمُ الْأَسْرَارَ . فَقِيلَ لِمَلِكِ الْبُومِ هَذَا وَزِيرُ
مَلِكِ الْغُرَابِ وَصَاحِبُ رَأْيِهِ فَسَأَلَهُ بِأَيِّ ذَنْبٍ صَنَعَ بِهِ مَا صَنَعَ .
فَسُئِلَ الْغُرَابُ عَنْ أَمْرِهِ . فَقَالَ إِنْ مَلِكُنَا أَسْتَشَارَ جَمَاعَتَنَا
فَيَكُنْ وَكَنْتُ يَوْمَئِذٍ بِحَضْرٍ مِنَ الْأَمْرِ^(٣) . فَقَالَ أَيُّهَا الْغُرَابُ مَا
تَرُونَ فِي ذَلِكَ . فَقُلْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا طَاقَةَ لَنَا بِقِتَالِ الْبُومِ
لَأَنَّهُمْ أَشَدُّ بَطْشًا وَأَحَدٌ قَلْبًا مِنَّا وَلَكِنْ أَرَى أَنَّ نَلْتَمِسَ

الصِّلْحُ ثُمَّ نَبَذَ الْفِدْيَةَ فِي ذَلِكَ فَإِنْ قَبِلَ الْيَوْمُ ذَلِكَ مِنَّا
وَالْأَهْرَبْنَا فِي الْبِلَادِ . وَإِذَا كَانَ الْقِتَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَوْمِ .
كَانَ خَيْرًا لَّهُنَّ وَشَرًّا لَنَا . فَالصِّلْحُ أَفْضَلُ مِنَ الْخُصُومَةِ .
وَأَمَرْنَهُنَّ بِالرَّجُوعِ . عَنِ الْحَرْبِ وَضَرَبْتُ لَّهُنَّ الْأَمْثَالَ فِي
ذَلِكَ وَقُلْتُ لَّهُنَّ إِنَّ الْعَدُوَّ الشَّدِيدَ لَا يَرُدُّ بَأْسَهُ مِثْلُ الْخُصُوعِ .
لَهُ . أَلَا تَرَيْنَ إِلَى الْحَشِيشِ كَيْفَ يَسْلَمُ مِنْ عَاصِفِ الرِّيحِ
لِلْيَمِّهِ وَمِثْلِهِ مَعَهَا حَيْثُ مَالَتْ وَالشَّجَرُ الْعَاطِي ^(١) يُكْسَرُ بِهَا وَيُحْطَمُ .
فَعَصَيْنِي فِي ذَلِكَ وَزَعَمْنَ أَنَّهُنَّ يُرِدْنَ الْقِتَالَ وَاتَّهَمْنِي فِيمَا
قُلْتُ وَقُلْنَ إِنَّكَ قَدْ مَالَتْ الْيَوْمُ ^(٢) عَلَيْنَا . وَرَدَدْتَ قَوْلِي
وَتَصِحَّتِي وَعَذَّبْنِي بِهَذَا الْعَذَابِ وَتَرَكَنِي الْمَلِكُ وَجَنُودُهُ
وَأَزْتَحَلَّ وَلَا عِلْمَ لِي بِهِنَ بَعْدَ ذَلِكَ

فَلَمَّا سَمِعَ مَلِكُ الْيَوْمِ مَقَالَ الْغُرَابِ قَالَ لِبَعْضِ وُزَرَائِهِ
مَا تَقُولُ فِي الْغُرَابِ وَمَا تَرَى فِيهِ . قَالَ مَا أَرَى إِلَّا الْمُعَاجَلَةَ
لَهُ بِالْقَتْلِ فَإِنَّ هَذَا أَفْضَلُ عِنْدَ الْغُرَبَانِ ^(٣) وَفِي قَتْلِهِ لَنَا رَاحَةٌ
مِنْ مَكْرِهِ وَفَقْدُهُ عَلَى الْغُرَبَانِ شَدِيدٌ . فَإِذَا قُتِلَ ثَلَاثُ ^(٤) مُلُوكٍ
وَتَقَوَّضَ ^(٥) . وَمَا أَرَاهُ إِلَّا فَتْحًا ^(٦) قَدْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ . وَيُقَالُ

١ المتكبر ٢ اعتصبت معهن ٣ أي ما يعتمدون عليه ٤ هدم ٥ نقض وانهد

٦ أي نصرًا وظفرًا

مَنْ ظَفَرَ بِالسَّاعَةِ الَّتِي فِيهَا يَنْجَحُ الْعَمَلُ ثُمَّ لَا يُعَاجِلُهُ بِالَّذِي
 يَنْبَغِي لَهُ فَلَيْسَ بِحَكِيمٍ فَإِنَّ الْأُمُورَ مَرَهُونَةٌ بِأَوْقَاتِهَا . وَمَنْ
 طَلَبَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ فَأَمْكَنَهُ ذَلِكَ فَأَغْفَلَهُ ^(١) فَاتَهُ الْأَمْرُ . وَهُوَ
 خَلِيقٌ أَنْ لَا تَعُودَ الْفُرْصَةُ ثَانِيَةً . وَمَنْ وَجَدَ عَدُوَّهُ ضَعِيفًا وَلَمْ
 يُنْجِزْ ^(٢) قَتْلَهُ نَدِمَ إِذَا اسْتَقْوَى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ * قَالَ الْمَلِكُ
 لَوَزِيرٍ آخَرَ مَا تَرَى أَنْتَ فِي هَذَا الْغُرَابِ . قَالَ أَرَى أَنْ
 لَا تَقْتُلَهُ لِأَنَّهُ قَدْ لَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَا تَرَاهُ فَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ يَكُونَ
 دَلِيلًا لَكَ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ ^(٣) وَمُعِينًا لَكَ عَلَى مَا فِيهِ هَلَاكُكُمْ .
 وَإِنَّ الْعَدُوَّ الْذَلِيلَ الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ أَهْلٌ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ وَلَا سِيَمَا
 الْمُسْتَجِيرِ الْخَائِفِ . وَالْعَدُوُّ إِذَا صَدَرَتْ مِنْهُ الْمَنْفَعَةُ وَلَوْ كَانَ
 غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ لَهَا أَهْلٌ لِأَنَّهُ يُصْغَحُ عَنْهُ بِسَبَبِهَا . كَالتَّاجِرِ الَّذِي
 عَطَفَ عَلَى سَارِقٍ لِاصْطِلَاحِهِ مَعَ أَمْرَاتِهِ بِسَبَبِهِ . قَالَ الْمَلِكُ
 وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْوَزِيرُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ تَاجِرٌ كَثِيرُ الْمَالِ وَالْمَتَاعِ
 وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَمْرَاتِهِ وَخَشَةً ^(٤) . وَإِنَّ سَارِقًا تَسَوَّرَ
 بَيْتَ التَّاجِرِ ^(٥) فَدَخَلَ فَوَجَدَهُ نَائِمًا وَوَجَدَ أَمْرَاتَهُ مُسْتَقِظَةً

١ تركه ٢ اي يعجل ٣ مواضع الخلل منهم ٤ نثار ومقاطعة ٥ وثب عن سور

فَدُعِرَتْ^(١) مِنَ السَّارِقِ وَوُثِبَتْ إِلَى التَّاجِرِ فَالْتَزَمَتْهُ^(٢) وَأَيَقُظَتْهُ وَلَمْ
يَكُنْ يَجْزِي بَيْنَهُمَا كَلَامٌ فَاسْتَيْقِظَ التَّاجِرُ وَتَكَالَمَا وَانْحَلَّتِ
الْوَحْشَةُ مِنْ بَيْنِهِمَا . ثُمَّ بَصُرَ بِالسَّارِقِ فَقَالَ أَيُّهَا السَّارِقُ أَنْتَ
فِي حُلٍّ مِمَّا أَخَذْتَ^(٣) مِنْ مَالِي وَمَتَاعِي وَلَكَ الْفَضْلُ بِمَا أَصْلَحْتَ
بَيْنَنَا * قَالَ مَلِكُ الْيَوْمِ لَوَزِيرِ آخَرَ مِنْ وُزَرَائِهِ مَا تَقُولُ
فِي أَمْرِ الْغُرَابِ . قَالَ أَرَى أَنْ تَسْتَبْقِيَهُ^(٤) وَتُحْسِنَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ
خَلِقَ أَنْ يَنْصَحَكَ . وَالْعَاقِلُ يَرَى مُعَادَاةَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بَعْضًا
ظَفَرًا حَسَنًا . وَيَرَى اشْتِغَالَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بِبَعْضٍ خِلَاصًا لِنَفْسِهِ
مِنْهُمْ وَنَجَاةَ كَنَجَاةِ النَّاسِكِ مِنَ اللَّصِّ وَالشَّيْطَانِ حِينَ اخْتَلَفَا
عَلَيْهِ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْوَزِيرُ رَزَعُمُوا أَنَّ نَاسِكًا أَصَابَ مِنْ رَجُلٍ بَقْرَةً
حَلُوبَةً فَأَنْطَلَقَ بِهَا يَقُودُهَا إِلَى مَنْزِلِهِ . فَعَرَضَ لَهُ لِصٌّ أَرَادَ
سَرَقَتَهَا وَتَبِعَهُ شَيْطَانٌ يُرِيدُ اخْتِطَافَهُ وَقَدْ تَزَيَّا لَهُ بِرِيِّ إِنْسَانٍ .
فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلِّصِّ مَنْ أَنْتَ . قَالَ أَنَا اللَّصُّ أُرِيدُ أَنْ أَسْرِقَ
هَذِهِ الْبَقْرَةَ مِنَ النَّاسِكِ إِذَا نَامَ فَمَنْ أَنْتَ . قَالَ أَنَا الشَّيْطَانُ
أُرِيدُ اخْتِطَافَهُ إِذَا نَامَ وَأَذْهَبَ بِهِ . فَأَتَتْهُمَا عَلَى هَذَا إِلَى الْمَنْزِلِ

فَدَخَلَ النَّاسِكُ مَنْزِلَهُ وَدَخَلَ خَلْفَهُ وَأَدْخَلَ الْبَقْرَةَ فَرَبَطَهَا
 فِي زَاوِيَةِ الْمَنْزِلِ وَتَعَشَّى وَنَامَ . فَأَقْبَلَ اللَّصُّ وَالشَّيْطَانُ يَأْتِمِرَانِ
 فِيهِ وَاخْتَلَفَا عَلَى مَنْ يَبْدَأُ بِشَغْلِهِ أَوَّلًا . فَقَالَ الشَّيْطَانُ إِنَّ
 أَنْتَ بَدَأْتَ بِأَخْذِ الْبَقْرَةِ رَبِّمَا اسْتَيْقِظْ وَصَاحَ وَاجْتَمَعَ
 النَّاسُ فَلَا أَقْدِرُ عَلَى أَخْذِهِ فَأَنْتَظِرْنِي رَيْثَمَا^(١) آخُذُهُ وَشَأْنُكَ
 وَمَا تُرِيدُ . فَأَشْفَقَ^(٢) اللَّصُّ إِنْ بَدَأَ الشَّيْطَانُ بِأَخْطَافِهِ أَنْ
 يَسْتَيْقِظَ فَلَا يَقْدِرَ عَلَى أَخْذِ الْبَقْرَةِ . فَقَالَ لَا يَلْ أَنْظِرْنِي^(٣)
 أَنْتَ حَتَّى آخُذَ الْبَقْرَةَ وَشَأْنُكَ وَمَا تُرِيدُ . قَالَ الشَّيْطَانُ
 رُويَدَا^(٤) حَتَّى يَسْتَفْرِقَ النَّاسُ فِي النَّوْمِ فَنَظْفَرَ بِهِمَا جَمِيعًا .
 فَلَمْ يَزَلَا فِي الْمُجَادَلَةِ هَكَذَا حَتَّى نَادَى اللَّصُّ أَيُّهَا النَّاسِكُ
 أَنْتَبِهْ فَهَذَا الشَّيْطَانُ يُرِيدُ أَخْطَافَكَ وَنَادَاهُ الشَّيْطَانُ أَيُّهَا
 النَّاسِكُ أَنْتَبِهْ فَهَذَا اللَّصُّ يُرِيدُ أَنْ يَسْرِقَ بَقْرَتَكَ . فَانْتَبَهَ
 النَّاسِكُ وَجِيرَانُهُ بِأَصَوَاتِهِمَا وَهَرَبَ الْحَيِثَانِ

فَقَالَ الْوَزِيرُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِ الْغُرَابِ أَظُنُّ
 أَنَّ الْغُرَابَ قَدْ خَدَعَكُنْ وَوَقَعَ كَلَامُهُ فِي نَفْسِ الْغَيِّ مِنْكُمْ
 مَوْقِعُهُ فَتُرَدَّنَ أَنْ تَضَعْنَ الرَّأْيَ غَيْرَ مَوْضِعِهِ . فَمَهَلًا مَهَلًا

أَيُّهَا الْمَلِكُ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ وَلَا تَكُونَنَّ لِمَا تَسْمَعُ أَشَدَّ تَصَدِّيقًا
مِنْكَ لِمَا تَرَى كَكَ الرَّجُلِ الَّذِي كَذَّبَ بِمَا رَأَى وَصَدَّقَ بِمَا
سَمِعَ وَأَخَذَ بِالْهَمَالِ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْوَزِيرُ رَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ رَجُلٌ نَائِمًا وَحَدَهُ إِحْدَى
الَّيَالِي فِي بَيْتِهِ وَإِذَا لُصُوصٌ قَدْ دَخَلُوا عَلَيْهِ الْبَيْتَ وَأَخَذُوا
فِي جَمْعٍ مَا فِيهِ مِنَ الْمَتَاعِ حَتَّى أَفْضَوْا ^(١) إِلَى حَيْثُ هُوَ
نَائِمٌ . فَأَنْتَبَهَ عَلَيْهِمْ وَخَافَ أَنْ يَقُومَ إِلَيْهِمْ حِذَارًا أَنْ يَبْطِشُوا

بِهِ . وَكَانَ لِلْحَجَرَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا بَابٌ آخَرٌ إِلَى الطَّرِيقِ .
فَقَالَ فِي نَفْسِهِ الرَّأْيُ أَنْ لَا أَشْعِرَهُمْ بِأَنْتِبَاهِي وَلَا أَذْعِرَهُمْ
حَتَّى يَفْرَغُوا مِنِّي أَوْ يَرِيدُونَ أَخْذَهُ وَيَخْرِجُوهُ إِلَى حَيْثُ يَرِيدُونَ
أَحْتِمَالَهُ فَأَخْرَجُ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ وَأَدْعُو الْخَيْرَانَ فَتَنْجَاهُمْ ^(٢)

وَنُوقِعُ ^(٣) بِهِمْ . فَلَبِثَ عَلَى فِرَاشِهِ مُتَنَاوِمًا ^(٤) حَتَّى فَرَّغَ اللَّصُوصُ
مِمَّا أَرَادُوا جَمْعَهُ وَخَرَجُوا يَرِيدُونَ حِمْلَهُ . فَهَمَّ الرَّجُلُ بِالْقِيَامِ
فَشَعَرُوا بِمَحْرَكَةٍ مِنْهُ فَهَمَسَ إِلَيْهِمْ رَئِيسُهُمْ ^(٥) أَنْ قِفُوا وَلَا
تَرْتَاعُوا وَتَعَالَوْا نَحْتَلْ لَهُ بِحِمْلَةٍ نَخْذَعُهُ بِهَا وَلَا يَذْهَبُ تَعَبُنَا
ضِيَاعًا . وَأَنَا الْآنَ رَافِعٌ صَوْتِي وَمُخَاطِبُكُمْ بِشَيْءٍ فَصَوِّبُوا

١ انتهوا ٢ نبغهم ٣ ببطش ٤ مظهرًا أنه نائم ٥ كلمهم بصوت خفيف

فِيهِ رَأْيِي وَأَجِيبُونِي إِلَيْهِ . قَالُوا نَعَمْ . فَرَفَعَ اللَّصُّ صَوْتَهُ
بِحَيْثُ يَسْمَعُ الرَّجُلُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنِّي أَرَى هَذِهِ الْأَحْمَالَ
فَقِيلَ شَاقَّةٌ^(١) وَمَا أَرَى قِيمَتَهَا تَفِي بِحِمْلِهَا^(٢) وَالْخَاطِرَةُ فِيهَا .
وَقَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ سَيِّئُ الْحَالِ وَقَدْ أَخَذْتَنِي عَلَيْهِ
السَّفَقَةُ وَالرَّأْفَةُ وَرَاجَعْتُ رَأْيِي فِيهِ فَرَأَيْتُ أَنْ نَدَعَ لَهُ مَتَاعَهُ
فَإِنَّهُ يُحْسِبُ عَلَيْنَا سَرِقَةً وَمَا هُوَ بِشَيْءٍ يَسْتَحِقُّ الْعَنَاءَ وَلَا لَنَا
فِيهِ كَبِيرُ فَائِدَةٍ . وَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ بَعْضِ مَشَاهِيرِ
اللُّصُوصِ يَقُولُ مَنْ عَفَّ عَنْ مَتَاعٍ فَقِيرٍ فَلَمْ يَمْرِقْهُ وَهُوَ
قَادِرٌ عَلَيْهِ خَفَرَ لَهُ ذَلِكَ سَرِقَةً مِثَّةً غَنِيٍّ * وَإِنْ أَوَّلَى السَّرِقَةَ
وَأَحْلَاهَا سَرِقَةُ الْأَغْنِيَاءِ وَلَا سِيمًا ذَوِي الْبُخْلِ وَالْجِرْصِ مِنْهُمْ
الَّذِينَ مَا يُيُوتُهُمْ وَخَزَائِنُهُمْ إِلَّا مَدَافِنُ لِأَمْوَالٍ حَبَسُوهَا
فَلَا أَنْتَفَعُوا بِهَا وَلَا تَرَكَوْهَا لِلنَّاسِ . فَهَلُمَّ بِنَا إِلَى أَحَدِهِمْ هُوَ لَا
وَدَعُوا هَذَا الْحُطَّامَ^(٣) الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ وَاعْتَنِمُوا أَجْرَ هَذَا
الرَّجُلِ الْمِسْكِينِ . فَقَالُوا كُلُّهُمْ صَدَقْتَ وَأَحْسَنْتَ وَتَظَاهَرُوا
أَنَّهُمْ يَفْضَحُونَ الْأَمْضَالَ وَخَرَجُوا وَكَمَنُوا يَنْتَظِرُونَ نَوْمَ
الرَّجُلِ . وَإِنَّ الرَّجُلَ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُمْ وَتَقَى بِهِ وَأَطْمَأَنَّ

إِلَيْهِ وَاعْتَقَدَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا فَسَكَنَ وَنَامَ . وَلَبِثَ اللَّصُوصُ حَتَّى
أَيَقُنُوا أَنَّهُ قَدْ نَامَ فَتَارُوا ^(١) إِلَى الْأَحْمَالِ فَأَحْتَمَلُوهَا وَفَارَزُوا بِهَا
وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ إِرَادَةً أَنْ لَا تَكُونَ كَذَلِكَ
الرَّجُلُ الَّذِي كَذَّبَ بِمَا رَأَى وَصَدَّقَ بِمَا سَمِعَ * فَلَمْ يَلْتَفِتْ
الْمَلِكُ إِلَى قَوْلِهِ وَأَمَرَ بِالْغُرَابِ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى مَنَازِلِ الْبُومِ
وَيُكْرَمَ وَبُسْتَوْصَى بِهِ خَيْرًا * ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ قَالَ لِلْمَلِكِ يَوْمًا
وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبُومِ وَفِيهِنَّ الْوَزِيرُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ
أَيُّهَا الْمَلِكُ قَدْ عَلِمْتَ مَا جَرَى عَلَيَّ مِنَ الْغُرَبَانِ وَإِنَّهُ لَا
يَسْتَرِيحُ قَلْبِي دُونَ الْأَخْذِ بِثَأْرِي مِنْهُنَّ . وَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي
ذَلِكَ فَأَذا بِي لَا أَقْدِرُ عَلَى مَا رُمْتُ لِأَنِّي غُرَابٌ . وَقَدْ رُويَ
عَنِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا مَنْ طَلَبَتْ نَفْسُهُ بَأْنَ يَحْرِقَهَا فَقَدْ قَرَّبَ
لِلَّهِ أَعْظَمَ الْقُرْبَانِ لَا يَدْعُو عِنْدَ ذَلِكَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجِيبَ
لَهُ . فَإِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ يَأْمُرُنِي فَأُحْرِقَ نَفْسِي وَأَدْعُو رَبِّي
أَنْ يَحُولَنِي بَوْمًا فَأَكُونَ أَشَدَّ عَدَاوَةً لِلْغُرَبَانِ وَأَقْوَى بَأْسًا
عَلَيْهِنَّ لَعَلِّي أَتَنَقِمُ مِنْهُنَّ . فَقَالَ الْوَزِيرُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ مَا
أَشْبَهَكَ فِي خَيْرٍ مَا تُظْهَرُ وَشَرٍّ مَا تُضْمَرُ بِالْخَمْرَةِ الطَّيِّبَةِ الطَّعْمِ

وَالرَّيْحَ الْمُنْفَعَ^(١) فِيهَا السَّمُ. أَرَأَيْتَ لَوْ أَحْرَقْنَا جِسْمَكَ بِالنَّارِ
أَنْ جَوْهَرَكَ وَطَبَعَكَ مُتَغَيِّرًا. أَوْ لَيْسَتْ أَخْلَاقُكَ تَدُورُ مَعَكَ
حَيْثُ دُرْتُ وَتَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَصْلِكَ وَطِينَتِكَ. كَالْفَارَةِ
الَّتِي خَبِرْتُ فِي الْأَزْوَاجِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالرَّيْحِ وَالسَّحَابِ
وَالْجِبِلِّ فَلَمْ تَزَلْ تَخَيِّرُهُمْ^(٢) حَتَّى رَجَعْتَ إِلَى أَصْلِهَا وَتَزَوَّجْتَ
الْجُرَذَ. قِيلَ لَهُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ نَاسِكًا مُسْتَجَابًا الدَّعْوَةَ. فَيَنْبَغِي أَنْ
ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ مَرَّتْ بِهِ حِدَاةٌ^(٣) فِي رِجْلِهَا
دِرْصُ^(٤) فَارَةٍ. فَوَقَعَتْ مِنْهَا عِنْدَ النَّاسِكِ وَأَدْرَكَتُهَا رَحْمَةً
فَأَخَذَهَا وَلَفَّهَا فِي وَرْقَةٍ وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ. ثُمَّ خَافَ أَنْ
تَشُقَّ^(٥) عَلَى أَهْلِهِ تَرْبِيتُهَا فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَهَا جَارِيَةً فَتَحَوَّلَتْ
جَارِيَةً حَسَنَاءً. فَأَنْطَلَقَ بِهَا إِلَى أُمِّهَا فَقَالَ لَهَا هَذِهِ ابْنَتِي
فَأَصْنَعِي مَعَهَا صَنِيعَكَ بَوْلَدِي * فَلَمَّا كَبُرَتْ قَالَ لَهَا النَّاسِكُ
يَا بِنْتِي أَخْتَارِي مِنْ أَحَبِّتِ حَتَّى أَزُوجَكَ إِيَّاهُ. فَقَالَتْ
أَمَّا إِذَا خَيَّرْتَنِي فَأَنِّي أَخْتَارُ زَوْجًا يَكُونُ أَقْوَى الْأَشْيَاءِ.
فَقَالَ النَّاسِكُ لَعَلَّكَ تُرِيدِينَ الشَّمْسَ. ثُمَّ أَنْطَلَقَ إِلَى الشَّمْسِ

فَقَالَ أَيُّهَا الْخَلْقُ الْعَظِيمُ لِي جَارِيَةٌ وَقَدْ طَلَبْتُ زَوْجًا يَكُونُ
أَقْوَى الْأَشْيَاءِ فَهَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجُهَا. فَقَالَتِ الشَّمْسُ أَنَا أَذْكَ
عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي. السَّحَابُ الَّذِي يُغَطِّيَنِي وَيَرُدُّ حَرْمَ
شُعَائِي وَيَكْسِفُ أَشِعَّةَ أَنْوَارِي. فَذَهَبَ النَّاسِكُ إِلَى السَّحَابِ
فَقَالَ لَهُ مَا قَالَ لِلشَّمْسِ. فَقَالَ السَّحَابُ وَأَنَا أَذْكَ عَلَى مَنْ
هُوَ أَقْوَى مِنِّي فَاذْهَبْ إِلَى الرِّيحِ الَّتِي تُقْبِلُ بِي وَتُذَبِّرُ^(١)
وَتَذَهَبُ بِي شَرْقًا وَغَرْبًا. فَجَاءَ النَّاسِكُ إِلَى الرِّيحِ فَقَالَ لَهَا
كَقَوْلِهِ لِلسَّحَابِ. فَقَالَتْ وَأَنَا أَذْكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي
وَهُوَ الْجِبَلُ الَّذِي لَا أَقْدِرُ عَلَى تَحْرِيكِهِ. فَخَضَى إِلَى الْجِبَلِ فَقَالَ
لَهُ الْقَوْلَ فَأَجَابَهُ الْجِبَلُ وَقَالَ لَهُ أَنَا أَذْكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى
مِنِّي. الْجُرْدُ الَّذِي لَا اسْتَطِيعُ الْإِمْتِنَاعَ مِنْهُ إِذَا خَرَقَنِي وَاتَّخَذَنِي
مَسْكِنًا. فَانْطَلَقَ النَّاسِكُ إِلَى الْجُرْدِ فَقَالَ لَهُ هَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجٌ
هَذِهِ الْجَارِيَةِ. فَقَالَ وَكَيْفَ أَتَزَوِّجُهَا وَمَسْكِنِي ضَيِّقٌ. وَإِنَّمَا
يَتَزَوَّجُ الْجُرْدُ الْفَأْرَةَ. فَدَعَا النَّاسِكُ رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَهَا فَأَرَاهُ كَمَا
كَانَتْ وَذَلِكَ بِرِضَى الْجَارِيَةِ. فَأَعَادَهَا اللَّهُ إِلَى عُنْصُرِهَا^(٢)
الْأَوَّلِ فَانْطَلَقَتْ مَعَ الْجُرْدِ

فَهَذَا مَثَلُكَ أَيُّهَا الْخَادِعُ . فَلَمْ يَلْتَفِتْ مَلِكُ الْيَوْمِ إِلَى ذَلِكَ الْقَوْلِ وَدَفَقَ بِالْغُرَابِ وَلَمْ يَزِدْ لَهُ إِلَّا إِكْرَامًا . حَتَّى إِذَا طَابَ عَيْشُهُ وَنَبَتَ رِيشُهُ وَأُطْلِعَ عَلَى مَا أَرَادَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهِ رَاغٌ ^(١) رَوْغَةً فَأَتَى أَصْحَابَهُ بِمَا رَأَى وَسَمِعَ فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ فَرَعْتُ مِمَّا كُنْتُ أُرِيدُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ . قَالَ لَهُ أَنَا وَالْجُنْدُ تَحْتَ أَمْرِكَ فَأَحْتَكِمِ ^(٢) كَيْفَ شِئْتَ . قَالَ الْغُرَابُ إِنَّ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَثَا فِي جَبَلٍ كَثِيرِ الْحَطَبِ . وَفِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ قَطِيعٌ مِنَ الْغَنَمِ مَعَ رَجُلٍ رَاعٍ وَنَحْنُ مُصِيبُونَ ^(٣) هُنَاكَ نَارًا وَلَنَلْقِيهَا فِي أَثْقَابِ ^(٤) الْيَوْمِ وَنَقْذِفُ عَلَيْهَا مِنْ يَابِسِ الْحَطَبِ وَنَتَرَوُّحُ عَلَيْهَا ^(٥) ضَرْبًا بِأَجْنَحَتِنَا حَتَّى تَضْطَرِمَ النَّارُ فِي الْحَطَبِ فَمَنْ خَرَجَ مِنْهُنَّ أَحْتَرَقَ وَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ مَاتَ بِالْذُّخَانِ مَوْضِعَهُ . فَقَعَلَ الْغُرَابُ ذَلِكَ فَأَهْلَكَنَ الْيَوْمَ قَاطِبَةً ^(٦) وَرَجَعْنَ إِلَى مَنَازِلِهِنَّ سَالِمَاتٍ آمِنَاتٍ

ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ الْغُرَابِ قَالَ لِذَلِكَ الْغُرَابِ كَيْفَ صَبَرْتَ

١ مال بجيلة مكرًا وخديعة ٢ احكم بما تريد ٣ واجلون ٤ جمع
نقب وهو المحرق النافذ ٥ تجلب إليها الرمي ٦ أي جميعاً

عَلَى صُحْبَةِ الْيَوْمِ وَلَا صَبْرَ لِلْأَخْيَارِ عَلَى صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ . قَالَ
 الْغُرَابُ إِنَّ مَا قُلْتُمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَكَذَلِكَ . فَإِنَّهُ يُقَالُ لَذَعُ النَّارِ
 أَيْسَرُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ وَالْإِقَامَةِ مَعَهُمْ . وَلَكِنَّ
 الْعَاقِلَ إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ الْفُطَيْعُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَخَافُ مِنْ عَدَمِ
 تَحْمِلِهِ الْجَائِحَةَ ^(١) عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ لَمْ يَجْزَعْ ^(٢) مِنْ شِدَّةِ الصَّبْرِ
 عَلَيْهِ لِمَا يَرْجُو مِنْ أَنْ يُعْقِبَهُ صَبْرُهُ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ وَكَثِيرَ
 الْخَيْرِ . فَلَمْ يَحْذِلْ لِدَلِيلِ الْمَاءِ وَلَمْ تَكْرَهُ نَفْسُهُ الْخُضُوعَ لِمَنْ هُوَ
 دُونَهُ حَتَّى يَبْلُغَ حَاجَتَهُ فَيَغْتَبِطَ ^(٣) بِخَاتَمَةِ أَمْرِهِ وَعَاقِبَةِ صَبْرِهِ *
 فَقَالَ الْمَلِكُ أَخْبِرْنِي عَنْ عُقُولِ الْيَوْمِ . قَالَ الْغُرَابُ لَمْ
 أَجِدْ فِيهِمْ عَاقِلًا إِلَّا الَّذِي كَانَ يَحْتَمِنُ عَلَى قَتْلِي وَكَانَ حَرَضَهُنَّ
 عَلَى ذَلِكَ مِرَارًا فَكُنَّ أَوْضَعَفَ شَيْءٍ رَأْيًا فَلَمْ يَنْظُرْنَ فِي أَمْرِي
 وَيَذْكُرْنَ أَنِّي قَدْ كُنْتُ ذَا مَنْزِلَةٍ فِي الْغُرَبَانِ وَأَنِّي أُعَدُّ مِنْ
 ذَوِي الرِّأْيِ . وَلَمْ يَتَخَوَّفَنَّ مَكْرِي وَحِيلَتِي وَلَا قَبْلَنَ مِنَ النَّاصِحِ
 الشَّفِيقِ وَلَا أَخْفَيْنَ دُونِي أَسْرَارَهُنَّ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ
 يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُحَصِّنَ أُمُورَهُ مِنْ أَهْلِ التَّمِيمَةِ وَلَا يُطْلَعَ

١ الشدة العظيمة تنجح الناس أي نهلكهم وتتناصلهم ٢ خلاف يصبر

٣ يعد نفسه سعيداً

أَحَدًا مِنْهُمْ عَلَى مَوَاضِعِ سِرِّهِ . وَقَدْ قِيلَ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ
يَحْفَظَ مِنْ عَدُوِّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الْمَاءِ الَّذِي يَشْرَبُهُ
وَيَغْتَسِلُ بِهِ وَالْفِرَاشِ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ وَالْحُلَّةِ ^(١) الَّتِي يَلْبَسُهَا
وَالدَّابَّةِ الَّتِي يَرْكَبُهَا . وَلَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا الْثِقَّةُ ^(٢) الْأَمِينُ
السَّالِمُ الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى حَذَرٍ مِنْهُ .
لِأَنَّ عَدُوَّهُ لَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ ثِقَاتِهِ فَرُبَّمَا كَانَ
أَحَدُهُمْ لِعَدُوِّهِ صَدِيقًا فَيَصِلُ الْعَدُوُّ إِلَى مُرَادِهِ مِنْهُ * فَقَالَ
الْمَلِكُ مَا أَهْلَكَ الْيَوْمَ فِي نَفْسِي ^(٣) إِلَّا الْبَغْيُ ^(٤) وَضَعْفُ رَأْيِي
الْمَلِكِ وَمُوَافَقَتُهُ وَزَرَاءُ السُّوءِ . فَقَالَ الْغُرَابُ صَدَقْتَ أَيُّهَا
الْمَلِكُ إِنَّهُ قَلَّمَا ظَفِرَ أَحَدٌ بِغْيِي وَلَمْ يَطْغُ ^(٥) . وَقَلَّمَا حَرَصَ الرَّجُلُ
عَلَى النِّسَاءِ وَلَمْ يَفْتَضَحْ . وَقَلَّ مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الطَّعَامِ وَلَمْ
يَمْرُضْ . وَقَلَّ مَنْ وَثِقَ بِوُزَرَاءِ السُّوءِ وَسَلِمَ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي
أَلْمَالِكِ . وَكَانَ يُقَالُ لَا يَطْمَعَنَّ ذُو الْكِبَرِ ^(٦) فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ .
وَلَا الْخُبُّ ^(٧) فِي حُسْنِ الصَّدِيقِ . وَلَا السَّيِّئُ الْآدَابِ فِي
الشَّرَفِ . وَلَا الشَّحِيحُ فِي الْبَرِّ . وَلَا الْحَرِيصُ فِي قِلَّةِ الذُّنُوبِ .

١ النوب ٢ الموثوق به ٣ أي رأبي ٤ الظلم ٥ أي يبطر ٦ الكبرياء

٧ الخداع

وَلَا الْمَلِكُ الْفَخْخَالُ^(١) الْمَتَّهَوْنُ بِالْأُمُورِ الضَّعِيفُ الْوُزَرَاءُ
فِي ثَبَاتِ مُلْكِهِ وَصَلَاحِ رَعِيَّتِهِ * قَالَ الْمَلِكُ لَقَدْ أَحْتَمَلْتَ
مَشَقَّةً شَدِيدَةً فِي تَصْنَعِكَ^(٢) لِلْيَوْمِ وَتَضَرُّعِكَ إِلَيْهِنَّ . قَالَ
الْغُرَابُ إِنَّهُ مَنْ أَحْتَمَلَ مَشَقَّةً يَرْجُو نَفْعَهَا وَنَحَى^(٣) عَنْ نَفْسِهِ
الْإِنْفَةَ^(٤) وَالْحَمِيَّةَ^(٥) وَوَطَّنَهَا^(٦) عَلَى الصَّبْرِ حَمْدَ غَيْبِ^(٧) رَأْيِهِ .
وَإِنَّهُ يُقَالُ لَوْ أَنَّ رَجُلًا حَمَلَ عَدُوَّهُ عَلَى عُنُقِهِ وَهُوَ يَرْجُو
هَلَاكَهُ وَرَاحَتَهُ مِنْهُ لَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُ خَفِيفًا هِينًا . كَمَا صَبَرَ
الْأَسْوَدُ^(٨) عَلَى حَمْلِ مَلِكِ الضَّفَادِعِ عَلَى ظَهْرِهِ وَشَبَعَ بِذَلِكَ
وَعَاشَ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْغُرَابُ زَعَمُوا أَنَّ أَسْوَدَ مِنَ الْحَيَاتِ كَبَرَ وَضَعُفَ
بَصَرُهُ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا وَلَمْ يَقْلِزْ عَلَى طَعَامٍ .
وَإِنَّهُ أُنْسَابُ^(٩) يَلْتَمِسُ شَيْئًا يَعِيشُ بِهِ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى عَيْنِ
كَثِيرَةٍ الضَّفَادِعِ قَدْ كَانَ يَأْتِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ فَيُصِيبُ مِنْ
ضَفَادِعِهَا رِزْقَهُ . فَرَمَى نَفْسَهُ قَرِيبًا مِنْهُنَّ مُظْهِرًا لِلْكَآبَةِ
وَالْحُزْنِ . فَقَالَ لَهُ أَحَدُهَا مَا لِي أَرَاكَ أَيُّهَا الْأَسْوَدُ كَثِيبًا

١ المتكبر ٢ تكلفك حسن الظاهر ٣ أبعد ٤ غرة النفس ٥ بمعنى الانفة

٦ أي ثبتهما ٧ عاقبة ٨ الحمية العظيمة ٩ الانسياق سير الرحمة

حَزِينًا . قَالَ وَمَنْ أُحَرِّى^(١) بِطُولِ الْحَزَنِ مِنِّي . وَإِنَّمَا كَانَ أَكْثَرُ مَعِيشَتِي مِمَّا كُنْتُ أُصِيبُ مِنَ الضَّفَادِعِ . فَأَبْتُلَيْتُ بِلَاءَ حُرْمَتِ عَلِيٍّ الضَّفَادِعُ مِنْ أَجْلِهِ حَتَّى إِنِّي إِذَا التَّقَيْتُ بَعْضُهَا لَا أَقْدِرُ عَلَى امْسَاكِهِ * فَأَنْطَلَقَ الضَّفِيعُ إِلَى مَلِكِ الضَّفَادِعِ فَبَشَّرَهُ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْأَسْوَدِ . فَأَتَى مَلِكُ الضَّفَادِعِ إِلَى الْأَسْوَدِ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ كَانَ أَمْرُكَ . قَالَ سَعَيْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ فِي طَلَبِ ضَفِيعٍ . وَذَلِكَ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَأَظْطَرَّرْتُهُ إِلَى بَيْتِ نَاسِكٍ وَدَخَلْتُ فِي أَثَرِهِ فِي الظُّلْمَةِ وَفِي الْبَيْتِ ابْنٌ لِلنَّاسِكِ فَأَصَبْتُ أَصْبَعَهُ فَظَنَنْتُ أَنَّهَا الضَّفِيعُ فَلَدَغَتْهُ فَمَاتَ . فَخَرَجْتُ هَارِبًا فَتَبِعَنِي النَّاسِكُ فِي أَثَرِي وَدَعَا عَلِيٍّ وَلَعَنَنِي وَقَالَ كَمَا قَتَلْتُ ابْنَ الْبَرِيِّ ظُلْمًا وَتَعَدِيًّا أَذْعُو عَلَيْكَ أَنْ تَذِلَّ وَتَصِيرَ مَرْكَبًا لِمَلِكِ الضَّفَادِعِ . فَلَا تَسْتَطِيعَ أَخْذَهَا وَلَا أَكُلَ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْكَ مَلِكُهَا . فَأَتَيْتُ إِلَيْكَ لَتَرْكَبَنِي مُقَرًّا بِذَلِكَ رَاضِيًا بِهِ * فَرَغِبَ مَلِكُ الضَّفَادِعِ فِي رُكُوبِ الْأَسْوَدِ وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ فَخْرٌ لَهُ وَشَرَفٌ وَرِفْعَةٌ فَرَكِبَهُ وَاسْتَطَابَ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ الْأَسْوَدُ قَدْ

عَلِمْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنِّي مُحْرَمٌ فَأَجْعَلْ لِي رِزْقًا أَعِيشُ بِهِ .
 قَالَ مَلِكُ الصَّفَادِعِ لَعَمْرِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ رِزْقٍ يَقُومُ بِكَ
 إِذَا كُنْتَ مَرَكَبِي فَأَمَرَ لَهُ بِضِفْدَعَيْنِ يُؤْخَذَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ
 وَيُدْفَعَانِ إِلَيْهِ . فَعَاشَ بِذَلِكَ وَلَمْ يَضُرَّهُ خُضُوعُهُ لِلْعَدُوِّ
 الدَّلِيلُ بَلِ أَنْتَفَعَ بِذَلِكَ وَصَارَ لَهُ رِزْقًا وَمَعِيشَةً

وَكَذَلِكَ كَانَ صَبْرِي عَلَى مَا صَبَرْتُ عَلَيْهِ الْتِمَاسًا لِهَذَا
 النِّفْعِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَجْتَمَعَ لَنَا فِيهِ الْأَمْنُ وَالظَّفَرُ وَهَلَاكُ الْعَدُوِّ
 وَالرَّاحَةُ مِنْهُ . وَوَجَدْتُ صَرْعَةَ^(١) اللَّيْنِ وَالرِّفْقَ أَسْرَعَ وَأَشَدَّ
 اسْتِثْصَالًا لِلْعَدُوِّ مِنْ صَرْعَةِ الْمُكَابَرَةِ وَالْعِنَادِ . فَإِنَّ النَّارَ لَا
 تَزِيدُ بِحِدَّتِهَا وَحَرِّهَا إِذَا أَصَابَتْ الشَّجَرَةَ عَلَى أَنْ تَحْرَقَ مَا
 فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْهَا . وَالْمَاءُ بِلِينِهِ وَبَرْدِهِ يَسْتَأْصِلُ مَا تَحْتَ
 الْأَرْضِ مِنْهَا . وَيُقَالُ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ لَا يُسْتَقَلُّ قَلِيلُهَا النَّارُ
 وَالْمَرَضُ وَالْعَدُوُّ وَالِدَيْنُ * قَالَ الْغُرَابُ وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ
 رَأْيِ الْمَلِكِ^(٢) وَأَدَبِهِ وَسَعَادَةِ جَدِّهِ^(٣) . وَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ إِذَا
 طَلَبَ اثْنَانِ أَمْرًا ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمَا أَفْضَلُهُمَا مَرْوَةً . فَإِنْ
 اعْتَدَلَا فِي الْمَرْوَةِ فَأَشَدُّهُمَا عِزًّا . فَإِنْ اسْتَوَيَا فِي الْعِزِّ

فَأَسْعَدُهُمَا جَدًّا * وَكَانَ يُقَالُ مَنْ حَارَبَ الْمَلِكَ الْحَازِمَ
 الْأَرِيبَ ^(١) الْمَتَضَرِّعَ ^(٢) الَّذِي لَا تُبْطِرُهُ السَّرَّاءُ وَلَا تُدْهِشُهُ
 الْفُرَّاءُ كَانَ هُوَ دَاعِي الْحَتَفِ ^(٣) إِلَى نَفْسِهِ . وَلَا سِيَّمَا إِذَا
 كَانَ مِثْلَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَالِمُ بِفُرُوضِ الْأَعْمَالِ وَمَوَاضِعِ
 الشَّدَّةِ وَاللَّيْنِ وَالْغَضَبِ وَالرِّضَى وَالْمُعَاجَلَةِ وَالْأَنَانَةِ ^(٤) النَّاطِرُ
 فِي أَمْرِ يَوْمِهِ وَعَدِيدِهِ وَعَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ . قَالَ الْمَلِكُ لِلْغُرَابِ
 بَلْ بَرَأَيْكَ وَعَقَلْتُكَ وَتَصَيَّحْتُكَ وَيُمْنِ ^(٥) طَالِعِكَ ^(٦) كَانَ ذَلِكَ .
 فَإِنَّ رَأْيَ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ الْعَاقِلِ الْحَازِمِ أَبْلَغُ فِي هَلَاكِ
 الْعَدُوِّ مِنَ الْجُنُودِ الْكَثِيرَةِ مِنْ ذَوِي الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ ^(٧) وَالْعَدَدِ
 وَالْعُدَّةِ ^(٨) * وَإِنَّ مِنْ عَجِيبِ أَمْرِكَ عِنْدِي طُولَ لُبِّكَ ^(٩)
 بَيْنَ ظَهْرَانِي ^(١٠) الْيَوْمَ تَسْمَعُ الْكَلَامَ الْفَلِيطَ ثُمَّ لَمْ تَسْقُطْ
 بَيْنَهُنَّ بِكَلِمَةٍ . قَالَ الْغُرَابُ لَمْ أَزَلْ مُتَمَسِّكًا بِأَدَبِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ
 أَصْحَبُ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ بِالرَّفْقِ وَاللَّيْنِ وَالْمُبَالَغَةِ وَالْمَوَاتَةِ ^(١١)
 قَالَ الْمَلِكُ أَصْبَحْتُ وَقَدْ وَجَدْتُكَ صَاحِبَ الْعَمَلِ

١ العاقل ٢ أي الحسن الاحتيال ٣ الهلاك ٤ الثاني ٥ بركة

٦ من اصطلاحات النجيبين والمراد ما يتعلق بالسعد والنحس ٧ الشدة والبطش

٨ المراد عدة الحرب وهي ادواتها ٩ أفامنتك ١٠ في وسط ومعظم

١١ الملاينة والموافقة

وَوَجَدْتُ خَيْرَكَ مِنَ الْوُزَرَاءِ أَصْحَابِ أَقَاوِيلَ لَيْسَ لَهَا عَاقِبَةٌ
 حَمِيدَةٌ . فَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِكَ مِنْهُ عَظِيمَةٌ لَمْ نَكُنْ قَبْلَهَا
 نَجِدُ لَذَّةَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَا النَّوْمِ وَلَا الْقَرَارِ . وَكَانَ
 يُقَالُ لَا يَجِدُ الْمَرِيضُ لَذَّةَ الطَّعَامِ وَالنَّوْمِ حَتَّى يَبْرَأَ . وَلَا
 الرَّجُلُ الشَّرَّ الَّذِي قَدْ أَطْمَعَهُ سُلْطَانُهُ فِي مَالٍ وَعَمَلٍ فِي
 يَدِهِ حَتَّى يُنْجِزَهُ لَهُ . وَلَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ أَلْحَ^(١) عَلَيْهِ عَدُوُّهُ
 وَهُوَ يَخَافُهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً حَتَّى يَسْتَرْجِعَ مِنْهُ قَلْبُهُ . وَمَنْ وَضَعَ
 الْحِمْلَ الثَّقِيلَ عَنْ يَدِهِ أَرَاخَ نَفْسَهُ وَمَنْ أَمِنَ عَدُوَّهُ نَجَحَ^(٢)
 صَدْرُهُ * قَالَ الْغُرَابُ أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَهْلَكَ عَدُوَّكَ أَنْ
 يُنْتَعِكَ بِسُلْطَانِكَ وَأَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ صَلاَحَ رَعِيَّتِكَ وَيُشْرِكَهُمْ
 فِي قُرَّةِ الْعَيْنِ^(٣) بِمُلْكِكَ . فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مُلْكِهِ
 قُرَّةُ عَيْونِ رَعِيَّتِهِ فَمَثَلُهُ مِثْلُ زَنْمَةٍ^(٤) الْعَنْزِ الَّتِي يَمْصُهَا الْجَدْيُ
 وَهُوَ يَحْسِبُهَا حَلْمَةً الضَّرْعِ^(٥) . فَلَا يُصَادِفُ فِيهَا خَيْرًا
 قَالَ الْمَلِكُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ الصَّالِحُ كَيْفَ كَانَتْ سِيرَةُ الْيَوْمِ
 وَمَلِكُهَا فِي حُرُوبِهَا وَفِيمَا كَانَتْ فِيهِ مِنْ أُمُورِهَا * قَالَ الْغُرَابُ

١ اي شدد ٢ اطمان وحقيقته برد ٣ اي السرور ٤ قطعة لحم
 طويلة تندلى من عنق العنز ٥ الضرع لذات الظلف كاللدي للمرأة

كَانَتْ سِيرَتُهُ سِيرَةَ بَطْرِ وَأَشْرَ^(١) وَخِيَلَاءَ^(٢) وَعَجَزَ وَفَقِرَ مَعَ
 مَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ . وَكُلُّ أَصْحَابِهِ وَوُزَرَائِهِ شَبِيهُ
 بِهِ إِلَّا الْوَزِيرَ الَّذِي كَانَ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِقَتْلِي فَإِنَّهُ كَانَ حَكِيمًا
 أَرِييَا فَيَلْسُوفًا حَازِمًا قَلَمًا يَرَى مِثْلَهُ فِي عُلُوِّ الْهَمَّةِ وَكَمَالِ
 الْقَلْلِ وَجُودَةِ الرَّأْيِ * قَالَ الْمَلِكُ وَأَيُّ خَصْلَةٍ كَانَتْ أَدَلَّ
 عَلَى عَقْلِهِ * قَالَ خَلْتَانِ إِحْدَاهُمَا رَأَيْتُهُ فِي قَتْلِي وَالْأُخْرَى
 أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكْتُمُ صَاحِبَهُ نَصِيحَتَهُ وَإِنْ اسْتَقْلَاهَا . وَلَمْ يَكُنْ
 كَلَامُهُ كَلَامَ عُنْفٍ^(٣) وَقَسْوَةٍ وَلَكِنَّهُ كَلَامٌ رَفِيقٌ وَلِينٌ حَتَّى
 إِنَّهُ رَبَّمَا أَخْبَرَهُ بِبَعْضِ عِيُوبِهِ وَلَا يَصْرَحُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ بَلْ
 يَضْرِبُ لَهُ الْأَمْثَالَ وَيُحَدِّثُهُ بِعَيْبِ غَيْرِهِ فَيَعْرِفُ عَيْبَهُ فَلَا
 يَجِدُ مَلِكُهُ إِلَى الْغَضَبِ عَلَيْهِ سَبِيلًا . وَكَانَ مِمَّا سَمِعْتَهُ يَقُولُ
 لِمَلِكِهِ أَنَّهُ قَالَ لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَفْعَلَ عَنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ
 جَسِيمٌ لَا يَظْفَرُ بِهِ مِنَ النَّاسِ إِلَّا قَلِيلٌ وَلَا يَذْرُكُ إِلَّا بِالْحَزْمِ .
 فَإِنَّ الْمَلِكَ عَزِيزٌ فَمَنْ ظَفَرَ بِهِ فَلْيُحْسِنْ حِفْظَهُ وَتَحْصِينَهُ . فَإِنَّهُ قَدْ
 قِيلَ إِنَّهُ فِي قَلَّةِ بَقَائِهِ بِمَنْزِلَةِ قَلَّةِ بَقَاءِ الظِّلِّ عَنْ وَرَقِ النِّلُوفِ^(٤)
 وَهُوَ فِي خِفَةِ زَوَالِهِ وَسُرْعَةِ إِقْبَالِهِ وَإِذَا بَارَهُ كَالرَّيْحِ وَفِي

قَلَّةً ثَبَاتِهِ كَاللَّيْبِ^(١) مَعَ اللَّثَامِ وَفِي سُرْعَةِ اضْئِمْلَالِهِ كَجَبَابِ^(٢)
 الْمَاءِ مِنْ وَقَعِ الْمَطَرِ
 فَهَذَا مَثَلُ أَهْلِ الْعِدَاوَةِ الَّذِينَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرَّ بِهِمْ
 وَإِنْ هُمْ أَظْهَرُوا تَوَدُّدًا وَتَضَرُّعًا



بَابُ

الْقِرْدِ وَالْفَيْلِمِ^(٣)

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
 الْمَثَلَ فَأَضْرِبْ لِي مَثَلَ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ
 بِهَا أَضَاعَهَا

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ إِنَّ طَلَبَ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنَ الْإِحْتِفَازِ
 بِهَا . وَمَنْ ظَفِرَ بِالْحَاجَةِ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ الْقِيَامَ بِهَا أَصَابَهُ مَا أَصَابَ
 الْفَيْلِمَ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ بَيْدَبَا زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا كَانَ مَلِكَ الْقِرَدَةِ يُقَالُ لَهُ

مَاهِرٌ وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَهَرِمَ . فَوَثَبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ
 الْمَمْلَكَةِ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَكَانَهُ فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ
 حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى السَّاحِلِ فَوَجَدَ شَجَرَةً مِنْ شَجَرِ الْتَيْنِ فَأَزْتَقَى
 إِلَيْهَا وَجَعَلَهَا مَقَامَهُ^(١) . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ
 الْتَيْنِ إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تِينَةٌ فِي الْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا
 وَإِيقَاعًا^(٢) فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي الْمَاءِ فَأَطْرَبَهُ ذَلِكَ فَأَكْثَرَ
 مِنْ تَطْرِيجِ الْتَيْنِ فِي الْمَاءِ . وَثُمَّ^(٣) غَلِمَ كُلَّمَا وَقَعَتْ تِينَةٌ
 أَكَلَهَا . فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ
 لِأَجْلِهِ فَرَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنْسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ وَأَلْفَ كُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغَيْلِمِ عَنْ زَوْجَتِهِ فَخَبِرَتْ عَلَيْهِ^(٤)
 وَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ
 عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ سَوْءٌ فَأَغْنَاهُ^(٥) . فَقَالَتْ لَهَا إِنْ زَوَّجَكَ فِي
 السَّاحِلِ قَدْ أَلْفَ قِرْدًا وَأَلْفَهُ الْقِرْدُ فَهُوَ مُؤَاكِلُهُ وَمُشَارِبُهُ^(٦)
 وَهُوَ الَّذِي قَطَعَهُ عَنْكَ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَكَ حَتَّى تَحْتَالِي
 لِهَلَاكِ الْقِرْدِ . قَالَتْ وَكَيْفَ أَصْنَعُ . قَالَتْ جَارَتُهَا إِذَا وَصَلَ

١ مكان اقامته ٢ من ايقاع الاصوات في الغناء وهو اتناقها ٣ هناك
 ٤ اي فلفت ٥ اهلكه ٦ اكل وشارب معه

إِلَيْكَ فَتَمَارِضِي^(١) فَإِذَا سَأَلَكَ عَنْ حَالِكَ فَقُولِي إِنَّ الْأَطِبَّاءَ
وَصَفَّوْا لِي قَلْبَ قِرْدٍ * ثُمَّ إِنَّ الْغِيلَمَ انْطَلَقَ بَعْدَ مَدَّةٍ إِلَى
مَنْزِلِهِ فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةً الْحَالِ مَهْمُومَةً فَقَالَ لَهَا مَا لِي
أَرَاكِ هَكَذَا . فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا وَقَالَتْ إِنَّ زَوْجَتَكَ مَرِيضَةٌ
مِسْكِينَةٌ . وَقَدْ وَصَفَ لَهَا الْأَطِبَّاءُ قَلْبَ قِرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ
سِوَاهُ . قَالَ الْغِيلَمُ هَذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ
وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ وَبَقِي مُتَحِيرًا . ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ مَا لِي قُدْرَةٌ
عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنْ أَغْدُرَ بِخَلِيلِي وَصَاحِبِي وَإِنَّهُ^(٢) عِنْدِي شَدِيدٌ
وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ هَلَاكُ زَوْجَتِي لِأَنَّ الزَّوْجَةَ الصَّالِحَةَ لَا يَبْعِدُهَا
شَيْءٌ لِأَنَّهَا عَوْنٌ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

ثُمَّ عَادَ إِلَى السَّاحِلِ حَزِينًا كَثِيرًا مُفَكِّرًا فِي نَفْسِهِ
كَيْفَ يَصْنَعُ . فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ عَنِّي . قَالَ
لَهُ الْغِيلَمُ مَا حَبَسَنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَاتِي فَلَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ
أُكَافِئُكَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيَّ . وَأُرِيدُ أَنْ تُتِمَّ إِحْسَانُكَ إِلَيَّ
بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي فَإِنِّي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ الْفَاكِهَةِ .
فَارْكَبْ ظَهْرِي لِأَسْبَحَ بِكَ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا يَلْتَمِسُهُ الْمَرْءُ مِنْ

أَخْلَاهُ أَنْ يَفْشَوْا^(١) مَنَزَلَهُ وَيَنَالُوا مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَيَعْرِفَهُمْ
 أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ وَجِيرَانُهُ . وَأَنْتَ لَمْ تَطَأْ^(٢) مَنَزِلِي وَلَمْ تَذُقْ
 لِي طَعَامًا وَلَا شَرَابًا وَذَلِكَ مَنَقَصَةٌ وَعَارٌ عَلَيَّ . قَالَ لَهُ الْقِرْدُ وَمَا
 يُرِيدُ الْمَرْءُ مِنْ خَلِيلِهِ إِلَّا أَنْ يَبْذُلَ لَهُ وَدَّهُ وَيُصْنِيَ لَهُ قَلْبَهُ
 وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَفُضُولٌ^(٣) . قَالَ الْغَيْلُ نَعَمْ غَيْرَ أَنَّ الْإِجْتِمَاعَ
 عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ أَكْثَرُ^(٤) لِلْمَوَدَّةِ وَالْأُنْسِ . لِأَنَّا نَرَى
 الدَّوَابَّ إِذَا اُعْتَلَفَتْ مَعًا أَلْفَ بَعْضُهَا بَعْضًا . وَكَانَ يُقَالُ لَا
 يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَلْجَأَ عَلَى إِخْوَانِهِ فِي الْمَسْئَلَةِ فَإِنَّ الْعَجَلَ
 إِذَا أَكْثَرَ مَصَّ ضَرَعَ^(٥) أُمَّهُ نَطَحَتْهُ . فَرَغِبَ الْقِرْدُ فِي الذَّهَابِ
 مَعَهُ فَقَالَ حُبًّا وَكَرَامَةً وَنَزَلَ فَرَكِبَ ظَهَرَ الْغَيْلِ فَسَجَّ بِهِ . حَتَّى
 إِذَا تَجَاوَزَ قَلِيلًا عَرَضَ لَهُ قُبْحُ مَا أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْغَدْرِ فَتَنَكَّسَ
 رَأْسُهُ وَوَقَّفَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ كَيْفَ أَغْدُرُ بِخَلِيلِي لِكَلِمَةٍ قَاتَلَهَا
 أَمْرَأَةٌ مِنَ الْجَاهِلَاتِ . وَمَا أَدْرِي لَعَلَّ جَارَتِي قَدْ خَدَعَتْنِي
 وَكَذَبَتْ بِمَا رَوَتْ عَنِ الْأَطِبَّاءِ . فَإِنَّ الذَّهَبَ يُجْرَبُ بِالنَّارِ
 وَالرِّجَالُ بِالْأَخْذِ وَالْعَطَاءُ وَالْدَّوَابُّ بِالْحَمْلِ وَالْجَرِي وَلَا يَقْدِرُ

١ اي يزوروا ٢ قدس ٣ زيادة بلا فائدة ٤ تفضيل من
 أكده بمعنى اوثقه اي اشد تاكيدا ٥ الضرع مر تفسيره قريباً

أَحَدًا أَنْ يَجْرِبَ مَكْرَ النِّسَاءِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى كَيْدِهِنَّ وَكَثْرَةِ حِيلِهِنَّ
فَقَالَ لَهُ الْفَرْدُ مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا . قَالَ الْغَيْلُ
إِنَّمَا هِيَ لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ زَوْجَتِي شَدِيدَةُ الْمَرَضِ وَذَلِكَ يَمْنَعُنِي
مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ وَمُلَاطَفَتِكَ . قَالَ
الْفَرْدُ إِنَّ الَّذِي أَعْرِفُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى كَرَامَتِي نَكْفِيكَ
مَوْوَنَةَ التَّكَلُّفِ . قَالَ الْغَيْلُ أَجَلٌ^(١) . وَمَضَى بِالْفَرْدِ سَاعَةً ثُمَّ
تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَسَاءَ ظَنُّ الْفَرْدِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ مَا أُحْتَسِبُ
الْغَيْلُ وَإِبْطَآؤُهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . وَلَسْتُ أَمِنًا أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ
لِي وَحَالٌ^(٢) عَنْ مَوَدَّتِي فَأَرَادَ يِي سَوْءًا . فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخَفُّ
وَأَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقَلْبِ . وَقَدْ يُقَالُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْفَلَ
عَنِ التَّمَاسِ مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ
كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَعَلَى
كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَشْهَدُ عَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ . وَقَدْ
قَالَتِ الْعُلَمَاءُ إِذَا دَخَلَ قَلْبُ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيْبَةً
فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ فِي التَّحْفِظِ مِنْهُ وَلْيَتَفَقَّدْ ذَلِكَ فِي لَحْظَاتِهِ
وَحَالَاتِهِ فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَفَرَ بِالسَّلَامَةِ وَإِنْ كَانَ

بِاطِلًا ظَفَرَ بِالْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ
ثُمَّ قَالَ لِلْغَلِيمِ مَا يَحْبِسُكَ وَمَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا كَأَنَّكَ
تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى. قَالَ يُهِنُّنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا
تَحْدُ أَمْرِي كَمَا أَحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي مَرِيضَةٌ. قَالَ الْفَرْدُ لَا
تَقْتُمْ فَإِنَّ الْغَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. وَلَكِنْ اتِّمِسْ مَا يُصْلِحُ
زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ. فَإِنَّهُ يُقَالُ لِيَبْذُلَ ذَوُو الْأَمَالِ
مَالَهُمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ. فِي الصَّدَقَةِ وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ
وَعَلَى الْبَنِينَ وَعَلَى الْأَزْوَاجِ. وَلَا سِيَّمَا إِذَا كُنَّ صَالِحَاتٍ.
قَالَ الْغَلِيمُ صَدَقْتَ. وَقَدْ قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ إِنَّهُ لَا دَوَاءَ لَهَا
إِلَّا قَلْبُ فَرْدٍ. فَقَالَ الْفَرْدُ فِي نَفْسِهِ وَأَسْوَأُ تَأَنٍّ^(١) لَقَدْ أَدْرَكَنِي
الْحِرْصُ وَالشَّرُّ عَلَى كِبَرِ سِنِّي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ وَرْطَةٍ.
وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي قَالَ يَعِيشُ الْقَانِعُ الرَّاظِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا
وَذُو الْحِرْصِ وَالشَّرِّ يَعِيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ^(٢). وَإِنِّي
قَدْ أَحْتَجْتُ الْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي التَّمَسُّكِ الْمَخْرُجِ مِمَّا وَقَعْتُ
فِيهِ * ثُمَّ قَالَ لِلْغَلِيمِ أَوْ مَا مَنَعَكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَنْ تُعْلِنِي
عِنْدَ مَنْزِلِي حَتَّى كُنْتُ أَحْمِلُ قَلْبِي مَعِيَ. فَإِنَّ هَذِهِ سَنَةٌ^(٣)

فِينَا مَعَاشِرَ الْقَرَدَةِ ^(١) إِذَا خَرَجَ أَحَدُنَا لِرِيَابَةِ صَدِيقٍ لَهُ
خَلْفَ ^(٢) قَلْبِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ لِنَنْظُرَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى
حُرْمٍ ^(٣) الْمَزُورِ وَلَيْسَ قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ الْغَلِيمُ وَأَيْنَ قَلْبُكَ
الآنَ قَالَ خَلْفَتُهُ فِي الشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَأَرْجِعْ بِي إِلَى
الشَّجَرَةِ حَتَّى آتِيكَ بِهِ . فَفَرِحَ الْغَلِيمُ بِذَلِكَ وَقَالَ لَقَدْ وَافَقَنِي
صَاحِبِي بِدُونِ أَنْ أَغْدُرَ بِهِ . ثُمَّ رَجَعَ بِالْقَرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا
قَارَبَ السَّاحِلَ وَثَبَ عَنْ ظَهْرِهِ فَأَرْتَقَى الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ
عَلَى الْغَلِيمِ نَادَاهُ يَا خَلِيلِي أَحْمِلْ قَلْبَكَ وَأَنْزِلْ فَقَدْ حَبَسْتَنِي .
فَقَالَ الْقَرْدُ هِيَاتِ أَنْتَ أَنْتَ كَالْحِمَارِ الَّذِي زَعَمَ ابْنُ
آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلَا أُذُنَانِ . قَالَ الْغَلِيمُ وَكَيْفَ
كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْقَرْدُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ أَسَدٌ فِي أَجْمَةٍ ^(٤) وَكَانَ مَعَهُ
ابْنُ آوَى يَأْكُلُ مِنْ فَضَلَاتِ طَعَامِهِ . فَأَصَابَ الْأَسَدَ جَرَبٌ
وَضَعُفٌ شَدِيدًا وَجْهَهُ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الصَّيْدَ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ آوَى
مَا بَالُكَ يَا سَيِّدَ السَّبَاعِ قَدْ تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُكَ . قَالَ هَذَا الْجَرَبُ
الَّذِي قَدْ جَهَدَنِي وَلَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ إِلَّا قَلْبُ حِمَارٍ وَأُذُنَاهُ .

قَالَ ابْنُ آوَى مَا أَيْسَرُ هَذَا. وَقَدْ عَرَفْتُ بِمَكَانٍ كَذَا حِمَارًا
 مَعَ قَصَّارٍ^(١) يَحْمِلُ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ وَأَنَا آتِيكَ بِهِ. ثُمَّ دَلَفَ^(٢) إِلَى
 الْحِمَارِ فَأَتَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ مَا لِي أَرَاكَ مَهْزُولًا. قَالَ
 لِسَوْءِ تَذْيِيرِ صَاحِبِي فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يُجِيعُ بَطْنِي وَيَثْقِلُ ظَهْرِي.
 وَمَا تَجْتَمِعُ هَاتَانِ الْحَالَتَانِ عَلَى جِسْمٍ إِلَّا أَنْحَلَّتَاهُ^(٣) وَأَسْقَمَتَاهُ.
 فَقَالَ لَهُ كَيْفَ تَرْضَى الْمَقَامَ مَعَهُ عَلَى هَذَا. قَالَ مَا لِي حِيلَةٌ
 لِلْهَرَبِ مِنْهُ فَلَسْتُ أَتَوَجَّهُ إِلَى جِهَةٍ إِلَّا أَضَرَّ بِي إِنْسَانٌ
 فَكَدَّنِي وَأَجَاعَنِي. قَالَ ابْنُ آوَى فَأَنَا أَذُكَ عَلَى مَكَانٍ مَعْزُولٍ
 عَنِ النَّاسِ لَا يَمُرُّ بِهِ إِنْسَانٌ خَصِيبُ الْمَرْعَى فِيهِ عَانَةٌ^(٤)
 مِنَ الْحُمْرِ^(٥) تَرْضَى آمِنَةً مَطْمَئِنَّةً. قَالَ الْحِمَارُ وَمَا يَجْبِسُنَا عَنْهَا
 فَاَنْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهَا. فَاَنْطَلَقَ بِهِ نَحْوُ الْأَسَدِ وَتَقَدَّمَ ابْنُ آوَى
 وَدَخَلَ الْغَابَةَ عَلَى الْأَسَدِ فَأَخْبَرَهُ بِمَكَانِ الْحِمَارِ. فَخَرَجَ
 إِلَيْهِ وَارَادَ أَنْ يَتَبَّ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لضعفه وَتَخَلَّصَ الْحِمَارُ
 مِنْهُ فَأَفْلَتَ هَلِمًا^(٦) عَلَى وَجْهِهِ. فَلَمَّا رَأَى ابْنُ آوَى أَنَّ
 الْأَسَدَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحِمَارِ قَالَ لَهُ يَا سَيِّدَ السَّبَاعِ أَعْجَزَتْ

١ حمير الثياب ٢ تقدم ٣ مهزله ٤ جماعة من الحمير ٥ الحمير
 ٦ خائفًا جدًا

إِلَى هَذِهِ أَلْفَايَةِ . فَقَالَ لَهُ إِنْ جِئْتَنِي بِهِ مَرَّةً أُخْرَى فَلَنْ يَنْجُو مِنِّي أَبَدًا * فَمَضَى ابْنُ آوَى إِلَى الْحِمَارِ فَقَالَ لَهُ مَا الَّذِي جَرَى عَلَيْكَ . إِنْ أَحَدَ الْحُمُرِ رَاكَ غَرِيبًا فَخَرَجَ يَتَلَقَّاكَ مُرَحِبًا بِكَ وَلَوْ ثَبَتَ لَأَتَسَكَ وَمَضَى بِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْحِمَارُ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ رَأَى أَسَدًا قَطُّ صَدَّقَ مَا قَالَهُ ابْنُ آوَى وَأَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَى الْأَسَدِ . فَسَبَقَهُ ابْنُ آوَى إِلَى الْأَسَدِ وَعَلِمَهُ بِمَكَانِهِ وَقَالَ لَهُ أَسْتَعِذُّ لَكَ فَقَدْ خَدَعْتَهُ لَكَ فَلَا يُدْرِكُكَ الضَّعْفُ فِي هَذِهِ النُّوبَةِ ^(١) فَإِنَّهُ إِنْ أَفَلَتَ لَنْ يَعُودَ مَعِيَ أَبَدًا وَالْفُرْصُ لَا تُصَابُ فِي كُلِّ وَقْتٍ . فَجَاشَ جَاشُ الْأَسَدِ ^(٢) لِتَحْرِيطِ ابْنِ آوَى لَهُ وَخَرَجَ إِلَى مَوْضِعِ الْحِمَارِ فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ عَاجَلَهُ بِوَثْبَةٍ أَفْتَرَسَهُ بِهَا . ثُمَّ قَالَ قَدْ ذَكَرْتَ الْأَطِبَّاءَ أَنَّهُ لَا يُؤْكَلُ إِلَّا بَعْدَ الْإِغْتِسَالِ وَالظُّهُورِ . فَاحْتَفِظْ بِهِ حَتَّى أَعُودَ فَأَكُلُ قَلْبَهُ وَأُذْنَيْهِ وَأَتْرُكُ مَا سِوَى ذَلِكَ قُوْتًا لَكَ . فَلَمَّا ذَهَبَ الْأَسَدُ لِيَفْتَسِلَ عَمَدَ ابْنِ آوَى إِلَى الْحِمَارِ فَأَكَلَ قَلْبَهُ وَأُذْنَيْهِ رَجَاءً أَنْ يَطْيِرَ ^(٣) الْأَسَدُ مِنْهُ فَلَا يَأْكُلُ مِنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ فَقَالَ لِابْنِ آوَى أَيْنَ قَلْبُ الْحِمَارِ وَأُذُنَاهُ .

قَالَ ابْنُ آوَى أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ يَعْقِلُ بِهِ وَأُذُنَانِ
 يَسْمَعُ بِهِمَا لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكَ بَعْدَ مَا أَفْلَتْ وَنَجَّامِنِ الْهَلَكَةِ
 وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لَتَعْلَمَ أَنِّي لَسْتُ كَذَلِكَ
 الْحِمَارِ الَّذِي زَعَمَ ابْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلَا أُذُنَانِ
 وَلَكِنَّكَ أَحْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ
 وَأَسْتَدْرَكْتُ^(١) فَارِطُ أَمْرِي^(٢) . وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الَّذِي يُفْسِدُهُ
 الْحِلْمُ لَا بُصْلَحَهُ إِلَّا الْعِلْمُ . قَالَ الْغَيْلَمُ صَدَقْتَ إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ
 الصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ وَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُؤَدِّبَ
 لِمَصْدَقِهِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمَكَّنَهُ التَّخَلُّصُ
 مِنْهَا بِحِيلَتِهِ وَعَقْلِهِ كَالرَّجُلِ الَّذِي يَعْتُرُّ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَيْهَا
 يَعْتَمِدُ فِي نَهْوِضِهِ

فَهَذَا مِثْلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفَرَ بِهَا أَضَاعَهَا

١ تلافيت ٢ أي ما زالت به



بَابُ

النَّاسِكِ وَابْنِ عَرِمٍ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَدِّبَا الْفِيلَسُوفَ قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
الْمَثَلَ فَأَضْرِبْ لِي مَثَلَ الرَّجُلِ الْفَجْلَانِ^(١) فِي أَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ
رُيُوءٍ^(٢) وَلَا نَظَرٍ فِي الْعَوَاقِبِ

قَالَ الْفِيلَسُوفُ إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ مُتَثَبًا لَمْ يَزَلْ
نَادِمًا وَيَصِيرُ أَمْرُهُ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ النَّاسِكُ مِنْ قَتْلِ ابْنِ
عَرِمٍ وَقَدْ كَانَ لَهُ وَدُودًا. قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْفِيلَسُوفُ رَعِمُوا أَنَّ نَاسِكًا مِنَ النَّاسِكِ كَانَ
بِأَرْضِ جَرْجَانٍ وَكَانَتْ لَهُ أَمْرَاءٌ صَالِحَةٌ لَهَا مَعَهُ صَحْبَةٌ.

فَمَكَثَا زَمَانًا لَمْ يَرْزُقَا وَلَدًا. ثُمَّ حَمَلَتْ بَعْدَ الْإِيَّامِ^(٣) فَسَرَتْ
الْمَرْأَةُ وَسَرَّ النَّاسِكُ بِذَلِكَ وَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَسَأَلَهُ أَنْ
يَكُونَ الْحَمْلُ ذَكَرًا. وَقَالَ لِرُؤُوسِهِ أَبْشِرِي فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ
يَكُونَ غُلَامًا فِيهِ لَنَا مَنَافِعُ وَقُرَّةُ عَيْنٍ أَخْتَارُ لَهُ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ
وَأَحْضَرُ لَهُ جَمِيعَ الْمُؤَدِّينَ. فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ مَا يَحْمِلُكَ أَيُّهَا

الرَّجُلُ عَلَى أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهَا لَا تَذَرِي أَيْكُونُ أَمْ لَا .
وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ النَّاسِكَ الَّذِي أَهْرَقَ عَلَى
رَأْسِهِ السَّمْنَ وَالْعَسْلَ . قَالَ لَهَا وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَتْ زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا كَانَ يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ يَتِّ رَجُلٍ
تَاجِرٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ رِزْقٌ مِنَ السَّمَنِ وَالْعَسْلِ وَكَانَ بِأَكْلِ
مِنْهُ قُوَّتُهُ وَحَاجَتُهُ وَيَرْفَعُ الْبَاقِي وَيَجْعَلُهُ فِي جَرَّةٍ فَيُعَلِّقُهَا فِي
وَتِدٍ فِي نَاحِيَةِ الْيَتِّ حَتَّى أَمْتَلَأَتْ . فَيَيْنِمُ النَّاسِكُ ذَاتَ يَوْمٍ
مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ وَالْعُكَّازُ فِي يَدِهِ وَالْجَرَّةُ مُطْلَقَةٌ فَوْقَ رَأْسِهِ
تَفَكَّرَ فِي غَلَاءِ السَّمَنِ وَالْعَسْلِ . فَقَالَ سَأَبِيعُ مَا فِي هَذِهِ الْجَرَّةِ
بِدِينَارٍ وَأَشْتَرِي بِهِ عَشْرَ أَعْنَزٍ^(١) فَيَجْلَنُ وَيَلْدَنُ فِي كُلِّ خَمْسَةِ
أَشْهُرٍ مَرَّةً . وَلَا تَلْبُثُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَصِيرَ مَعَزَا كَثِيرًا إِذَا
وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا . ثُمَّ حَرَّرَ^(٢) عَلَى هَذَا التَّحْوِ بَسِينٍ فَوَجَدَ ذَلِكَ
أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِيئِهِ عَنَزٍ . فَقَالَ أَنَا أَشْتَرِي بِهَا مِئَةً مِنَ الْبَقَرِ
بِكُلِّ أَرْبَعَةِ أَعْنَزٍ ثَوْرًا أَوْ بَقْرَةً وَأَشْتَرِي أَرْضًا وَبَذْرًا^(٣)
وَأَسْتَأْجِرُ أَكْرَةً^(٤) وَأَزْرَعُ عَلَى الشَّيْرَانِ وَأَتَنَفَّعُ بِالْبَانِ
الْإِنَاثِ وَتَتَأَجَّجُهَا فَلَا تَأْتِي عَلَيَّ خَمْسُ سِنِينَ إِلَّا وَقَدْ أَصْبَتْ

١ جمع عنزوي الاثنى من الماعز ٢ هفق وضبط ٣ حيا بيلتر ٤ حواين

مِنَ الزَّرْعِ مَالًا كَثِيرًا فَأَبْنِي يَتِيمًا فَاخِرًا وَاشْتَرِي إِمَاءً ^(١) وَعَبِيدًا
وَاتَزَوَّجْ أُمْرَأَةً صَالِحَةً جَمِيلَةً فَتَحْمِلْ ثُمَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ
سَرِيِّ ^(٢) تَجِيبُ ^(٣) فَأَخْتَارُ لَهُ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ . فَإِذَا تَرَعَرَعَ ^(٤)
أَدَبْتُهُ وَأَحْسَنْتُ تَأْدِيبَهُ وَأَشَدُّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ فَإِنْ قَبِلَ مِنِّي
وَالَا ضَرَبْتُهُ بِهِذِهِ الْعُكَّازَةِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْحِجْرَةِ فَكَسَرَهَا
فَسَالَ مَا فِيهَا عَلَى وَجْهِهِ

وَأِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِكَيْ لَا تَجْعَلَ بِذِكْرِ مَا لَا يَنْبَغِي
ذِكْرُهُ وَمَا لَا تَدْرِي أَيْصَحُّ أَمْ لَا يَصَحُّ . وَلَكِنْ أَدْعُ رَبَّكَ وَتَوَسَّلْ
إِلَيْهِ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ . فَإِنَّ التَّصَاوِيرَ فِي الْحَائِطِ إِنَّمَا هِيَ مَا دَامَ
بِنَاؤُهُ قَائِمًا فَإِذَا وَقَعَ وَتَهَدَّمَ لَمْ يُقَدَّرْ عَلَيْهَا . فَاتَّقِظْ النَّاسِكَ
بِمَا حَكَتْ زَوْجَتُهُ * ثُمَّ إِنَّ الْمَرْأَةَ وَلَدَتْ غُلَامًا جَمِيلًا فَفَرَحَ
بِهِ أَبُوهُ وَبَعْدَ أَيَّامٍ حَانَ لَهَا أَنْ تَقْتَسِلَ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ
لِلنَّاسِكَ أَقْعُدْ عِنْدَ ابْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى الْحَمَّامِ فَأَغْتَسِلَ
وَأَعُودَ . ثُمَّ إِنَّهَا انْطَلَقَتْ إِلَى الْحَمَّامِ وَخَلَفَتْ زَوْجَهَا وَالْغُلَامَ .
فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ رَسُولُ الْمَلِكِ يَسْتَدْعِيهِ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّفُهُ
عِنْدَ ابْنِهِ غَيْرَ ابْنِ عَرَسٍ دَاجِنٍ ^(٥) عِنْدَهُ كَانَ قَدْ رَبَّاهُ صَغِيرًا

١ جميع أمه وهي الجارية بالسوداء ٢ شريف ٣ كريم ٤ نهض ونشأ ٥ البف

فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلٌ وَلَدِهِ . فَتَرَكَهُ النَّاسِكُ عِنْدَ الصَّيِّ وَأَغْلَقَ
عَلَيْهِمَا أَلَيْتَ وَذَهَبَ مَعَ الرَّسُولِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ أَجْجَارِ
أَلَيْتَ حَيَّةً سَوْدَاءَ فَدَنَتْ مِنَ الْغُلَامِ فَضَرَبَهَا ابْنُ عَرِسٍ
فَوَثَبَتْ عَلَيْهِ فَفَتَلَهَا ثُمَّ قَطَعَهَا وَأَمْتَلَأَ فِيهِ مِنْ دَمِهَا ثُمَّ جَاءَ
النَّاسِكُ وَفَتَحَ الْبَابَ فَالْتَقَاهُ ابْنُ عَرِسٍ كَالْمُشِيرِ لَهُ بِمَا صَنَعَ
مَنْ قَتَلَ الْحَيَّةَ . فَلَمَّا رَأَاهُ مَلُوثًا بِالدَّمِ وَهُوَ مَذْعُورٌ ^(١) طَارَ عَقْلُهُ
وَوَظَنَ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ وَلَمْ يَتَشَبَّثْ ^(٢) فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَتَرَوْ ^(٣) فِيهِ
حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ الْحَالِ وَيَعْمَلَ بِغَيْرِ مَا ظَنَّ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ
عَجَلَ عَلَى ابْنِ عَرِسٍ وَضَرَبَهُ بِعُكَّازَةٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ عَلَى أَمْرِ
رَأْسِهِ ^(٤) فَمَاتَ . وَدَخَلَ النَّاسِكُ فَرَأَى الْغُلَامَ سَلِيمًا حَيًّا وَعِنْدَهُ
أَسْوَدٌ ^(٥) مُقَطَّعٌ . فَلَمَّا عَرَفَ الْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ فِي
الْعَجَلَةِ لَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ لَيْتَنِي لَمْ أُزْرَقْ هَذَا الْوَلَدَ وَلَمْ
أَغْدُرْ هَذَا الْغَدْرُ* وَدَخَلَتْ أُمُّرَاتُهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ
فَقَالَتْ لَهُ مَا شَأْنُكَ . فَأَخْبَرَهَا بِالْخَبَرِ مِنْ حُسْنِ فِعْلِ ابْنِ
عَرِسٍ وَسُوءِ مَكْفَاتِهِ لَهُ . فَقَالَتْ هَذِهِ ثَمَرَةُ الْعَجَلَةِ لِأَنَّ الْأَمْرَ
إِذَا قَرِطَ ^(٦) مِثْلُ الْكَلَامِ إِذَا خَرَجَ وَالسَّهْمُ إِذَا مَرَقَ ^(٧)

١ خائف ٢ يتأن ٣ يفكر ٤ دماغه ٥ حبة كبيرة وقد مر

٦ أي جرى ٧ نزل في الرمية

لَا مَرَدَّ لَهُ

فَهَذَا مِثْلُ مَنْ لَا يَتَثَبَّتُ فِي أَمْرِهِ بَلْ يَفْعَلُ أَغْرَاضَهُ
بِالسَّرْعَةِ



بَابُ

الْجُرْدِ وَالسِّنُورِ ^(١)

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
الْمَثَلَ فَأَضْرِبْ لِي مِثْلَ رَجُلٍ كَثُرَ أَعْدَاؤُهُ وَأَحَذَقُوا ^(٢) بِهِ مِنْ
كُلِّ جَانِبٍ فَأَشْرَفَ مَعَهُمْ عَلَى الْهَلَاكِ فَالْتَمَسَ النِّجَاةَ وَالنَّجْرَ
بِمَوَالِيهِ ^(٣) بَعْضُ أَعْدَائِهِ وَمُصَالَحَتِهِ فَسَلِمَ مِنَ الْخَوْفِ وَأَمِنَ
ثُمَّ وَفَى لِمَنْ صَالَحَهُ مِنْهُمْ . وَأَخْبَرَنِي عَنْ مَوْضِعِ الصُّلْحِ
وَكَيْفَ يَنْجُو أَنْ يَكُونَ

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ إِنَّ الْمَوَدَّةَ وَالْعَدَاوَةَ لَا تَتَبَيَّنَانِ عَلَى حَالِهِ
أَبَدًا . وَرُبَّمَا حَالَتْ ^(٤) الْمَوَدَّةُ إِلَى الْعَدَاوَةِ وَصَارَتِ الْعَدَاوَةُ
وَلَايَةً ^(٥) وَصَدَاقَةً . وَلِهَذَا حَوَادِثُ وَعِلَلٌ وَتَجَارِبُ . وَذَوُ الرِّأْيِ

يَحْدِثُ لِكُلِّ مَا يَحْدُثُ مِنْ ذَلِكَ رَأْيًا جَدِيدًا . أَمَّا مِنْ قِبَلِ
الْمَدْوِ فَيَأْتِي بِأَسْ (١) . وَأَمَّا مِنْ قِبَلِ الصَّادِقِ فَيَأْتِي لِاسْتِثْنَائِهِ . وَلَا
تَمْنَعُ ذَا الْعَقْلِ عَدَاوَةٌ كَانَتْ فِي نَفْسِهِ لِمَدْوِهِ مِنْ مُقَارَبَتِهِ
وَالْإِسْتِجَادِ (٢) بِهِ عَلَى دَفْعِ مَرْهُوبٍ أَوْ جَرِّ مَرْغُوبٍ . وَمَنْ
عَمِلَ فِي ذَلِكَ بِالْحَزْمِ ظَفَرَ بِحَاجَتِهِ . وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الْمَجْرُذِ
وَالسَّنُورِ حِينَ وَقَعَا فِي الْوَرُظَةِ فَتَجَوَّأَا بِاصْطِلَاحِيهِمَا جَمِيعًا مِنْ
الْوَرُظَةِ وَالشَّدَةِ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ يَذْبَازِعُمَا أَنَّ شَجَرَةً عَظِيمَةً كَانَتْ فِي أَصْلِهَا جُحْرٌ
سَنُورٌ يُقَالُ لَهُ رُومِيٌّ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ جُحْرٌ جُرْذٌ يُقَالُ لَهُ
فَرِيدُونُ . وَكَانَ الصَّيَّادُونَ كَثِيرًا مَا يَتَدَاوُلُونَ (٣) ذَلِكَ الْمَكَانَ
يَصِيدُونَ فِيهِ الْوَحْشَ وَالطَّيْرَ . فَأَتَتْ ذَاتَ يَوْمٍ صَيَّادٌ فَتَنَصَّبَ
حِبَالَتَهُ (٤) قَرِيبًا مِنْ مَوْضِعِ رُومِيٍّ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَقَعَ فِيهَا .
فَخَرَجَ الْمَجْرُذُ يَدَبُ وَيَطْلُبُ مَا يَأْكُلُ وَهُوَ حَدِيزٌ مِنْ رُومِيٍّ .
فَإِنَّمَا هُوَ يَسْعَى إِذْ بَصُرَ بِهِ فِي الشَّرْكِ فَسَرَّ وَاسْتَبَشَرَ . ثُمَّ
الْتَفَتَ فَرَأَى خَلْفَهُ ابْنَ عَرَسٍ يُرِيدُ أَخْذَهُ وَفِي الشَّجَرَةِ بَوْمٌ
يُرِيدُ اخْتِطَافَهُ . فَتَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ وَخَافَ إِنْ رَجَعَ وَرَأَاهُ

أَخَذَهُ ابْنُ عَرِسٍ وَإِنْ ذَهَبَ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا أَخْطَفَهُ
 الْبُومُ وَإِنْ تَقَدَّمَ أَمَامَهُ أَفْتَرَسَهُ السِّنُورُ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ
 هَذَا بَلَاءٌ قَدْ أَكْتَفَنِي ^(١) وَشُرُورٌ تَظَاهَرَتْ ^(٢) عَلَيَّ وَمِنْ قَدْ
 أَحَاطَتْ بِي * وَبَعْدَ ذَلِكَ فَمَعِيَ عَقْلِي فَلَا يُفْزِعُنِي أَمْرِي وَلَا
 يَهُولُنِي ^(٣) شَأْنِي وَلَا يَلْعَنُنِي الدَّهْشُ ^(٤) وَلَا يَذْهَبُ قَلْبِي شُعَاعًا ^(٥) .
 فَالْعَاقِلُ لَا يَفْرُقُ ^(٦) عِنْدَ سَدَادٍ ^(٧) رَأْيِهِ وَلَا يَعْزُبُ ^(٨) عَنْهُ ذِهْنُهُ
 عَلَى حَالٍ . وَإِنَّمَا الْعَقْلُ شَبِيهُهُ بِالْبَحْرِ الَّذِي لَا يُدْرِكُ غَوْرَهُ ^(٩) .
 وَلَا يَبْلُغُ الْبَلَاءُ مِنْ ذِي الرَّأْيِ مَجْهُودَهُ ^(١٠) فَيَهْلِكُهُ . وَتَحَقُّقُ
 الرَّجَاءِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ مَبْلَغًا يُبْطِرُهُ وَيُسْكِرُهُ فَيَمُوتُ ^(١١)
 عَلَيْهِ أَمْرُهُ . وَلَسْتُ أَرَى لِي مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ مَخْلَصًا إِلَّا
 مُصَالِحَةَ السِّنُورِ فَإِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ مِثْلُ مَا قَدْ نَزَلَ بِي
 أَوْ بَعْضُهُ . وَلَعَلَّنَا إِنْ سَمِعَ كَلَامِي الَّذِي أَكَلِيهِ بِهِ وَوَعَى ^(١٢)
 عَنِّي صَحِيحَ خَطَائِي وَصَحَّصَ ^(١٣) صِدْقِي الَّذِي لَا خِلَافَ فِيهِ
 وَلَا خِدَاعَ مَعَهُ فَفَهِّمَهُ وَطَمِّعْ فِي مَعُونَتِي إِيَّاهُ فَتَخْلُصُ جَمِيعًا
 ثُمَّ إِنَّ الْجَرْدَ دَنَا مِنَ السِّنُورِ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ

١ احاطت بي ٢ تعاونت ٣ بمعنى يفزعني ٤ الحيرة ٥ متفرقا
 و قد مر ٦ بخلاف ٧ إصابة ٨ يبعد ٩ قعره ١٠ أي غايته
 ١١ يلتبس ١٢ حفظ أي فهم ١٣ خالص

حالك . قَالَ لَهُ السِّنُورُ كَمَا تُحِبُّ فِي ضَنْكِ^(١) وَضَيْقٍ . قَالَ
وَأَنَا الْيَوْمَ شَرِيكَكَ فِي الْبَلَاءِ . وَلَسْتُ أَرْجُو لِنَفْسِي خَلَاصًا
إِلَّا بِالَّذِي أَرْجُو لَكَ فِيهِ الْخَلَاصَ وَكَلَامِي هَذَا لَيْسَ فِيهِ
كَذِبٌ وَلَا خَدِيعَةٌ . وَأَبْنُ عَرَسٍ هُوَ كَامِنٌ لِي وَالْيَوْمُ
يَرْصُدُنِي وَكِلَاهُمَا لِي وَلَكَ عَدُوٌّ . وَإِنِّي وَإِيَّاكَ وَإِنْ كُنَّا
مُخْتَلَفِي الطَّبَاعِ لَكِنَّا مُتَّفِقَا الْحَالَةِ . وَالَّذِينَ حَالَتُهُمْ وَاحِدَةٌ
وَطِبَاعُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ تَجْمَعُهُمُ الْحَالَةُ وَإِنْ فَرَّقَتْهُمُ الطَّبَاعُ . فَإِنْ
أَنْتَ جَعَلْتَ لِي الْأَمَانَ قَطَعْتَ حَبَائِلَكَ وَخَلَّصْتُكَ مِنْ هَذِهِ
الْوَرُظَةِ . فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ تَخَلَّصَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّْا بِسَبَبِ
صَاحِبِهِ كَالسَّفِينَةِ وَالرُّكَّابِ فِي الْبَحْرِ فَبِالسَّفِينَةِ يَنْجُونَ
وَبِهِمْ تَنْجُو السَّفِينَةُ

فَلَمَّا سَمِعَ السِّنُورُ كَلَامَ الْجُرْذِ وَعَرَفَ أَنَّهُ صَادِقٌ قَالَ لَهُ
إِنَّ قَوْلَكَ هَذَا شَبِيهُ بِالْحَقِّ وَأَنَا أَيْضًا رَاغِبٌ فِيمَا أَرْجُو لَكَ
وَلِنَفْسِي بِهِ الْخَلَاصَ . ثُمَّ إِنِّي إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ سَأَشْكُرَكَ مَا
بَقِيْتُ . قَالَ الْجُرْذُ فَإِنِّي سَادُّوْ مِنْكَ فَأَقْطَعُ الْحَبَائِلَ كُلَّهَا إِلَّا
حَبْلًا وَاحِدًا أَبْقِيهِ لِأَسْتَوْتِقَ لِنَفْسِي مِنْكَ وَأَخَذَ فِي تَقْرِيطِ

حَبَائِلِهِ * ثُمَّ إِنَّ الْبُومَ وَأَبْنَ عَرَسٍ لَمَّا رَأَيَا دُنُو الْجُرْدِ مِنَ
 السَّنُورِ أَيْسَا^(١) مِنْهُ وَأَنْصَرَفَا * ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ أَبْطَأَ عَلَى رُومِي فِي
 قَطْعِ الْحَبَائِلِ . فَقَالَ لَهُ مَا لِي لَا أُرَاكَ جَادًّا فِي قَطْعِ حَبَائِلِي .
 فَإِنْ كُنْتَ قَدْ ظَفَرْتَ بِحَاجَتِكَ فَتَغَيَّرْتَ عَمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ
 وَتَوَانَيْتَ^(٢) فِي حَاجَتِي فَمَا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الصَّالِحِينَ فَإِنَّ
 الْكَرِيمَ لَا يَتَوَانَى فِي حَقِّ صَاحِبِهِ . وَقَدْ كَانَ لَكَ فِي سَابِقِ
 مَوَدَّتِي مِنْ الْفَائِدَةِ وَالنَّفْعِ مَا قَدْ رَأَيْتَ وَأَنْتَ حَقِيقٌ^(٣) أَنْ
 تُكَافِئَنِي بِذَلِكَ وَلَا تَذْكُرَ الْعَدَاةَ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ . فَالَّذِي
 بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الصِّلَحِ حَقِيقٌ أَنْ يُنْسِيكَ ذَلِكَ مَعَ مَا فِي الْوَفَاءِ
 مِنَ الْفَضْلِ وَالْأَجْرِ وَمَا فِي الْقَدْرِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ . فَإِنَّ الْكَرِيمَ
 لَا يَكُونُ إِلَّا شُكُورًا غَيْرَ حَقُودٍ تُنْسِيهِ الْخَلَّةُ^(٤) الْوَاحِدَةُ مِنْ
 الْإِحْسَانِ الْخِلَالِ الْكَثِيرَةِ مِنَ الْإِسَاءَةِ . وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ
 أَجَلَ الْعُقُوبَةِ عَقُوبَةُ الْقَدْرِ . وَمَنْ إِذَا تَضَرَّعَ إِلَيْهِ وَسَّئَلَ
 الْغُفْلَةَ يَرْحَمُ وَلَمْ يَغْفُ فَقَدْ غَدَرَ * قَالَ الْجُرْدُ إِنَّ الصَّدِيقَ
 صَدِيقَانِ طَائِعٌ وَمُضْطَرٌّ وَكِلَاهُمَا يَلْتَمِسَانِ الْمَنْفَعَةَ وَيَحْتَرِسَانِ
 مِنَ الْمَضَرَّةِ . فَأَمَّا الطَّائِعُ فَيُسْتَرْسَلُ^(٥) إِلَيْهِ وَيُؤْمَنُ فِي

١ قطما الامل ٢ فترت وبهاوت ٣ امل ٤ الخصلة ٥ بطان

جَمِيعِ الْأَحْوَالِ . وَأَمَّا الْمُضْطَرُّ فَنِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ يُسْتَرْسَلُ
 إِلَيْهِ وَفِي بَعْضِهَا يُتَحَذَرُ مِنْهُ . وَلَا يَزَالُ الْعَاقِلُ يَرْتَهِنُ مِنْهُ
 بَعْضَ حَاجَاتِهِ ^(١) لِبَعْضِ مَا يَتَّقِي وَيَخَافُ . وَلَيْسَ غَايَةُ التَّوَاصُلِ
 مِنْ كُلِّ مَنْ التَّوَاصِلِينَ إِلَّا طَلَبَ عَاجِلِ النِّفْعِ . وَبُلُوغِ
 مَأْمُولِهِ . وَأَنَا وَافٍ لَكَ بِمَا وَعَدْتُكَ وَمُحْتَرِسٌ مِنْكَ مَعَ ذَلِكَ
 مِنْ حَيْثُ أَخَافُكَ تَخَوُّفَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْكَ مَا أَلْجَأَنِي خَوْفُهُ
 إِلَى مُصَالَحَتِكَ وَالْجَأَكَ إِلَى قَبُولِ ذَلِكَ مِنِّي فَإِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ
 حِينًا . فَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ فِي حِينِهِ فَلَا حُسْنَ لِعَاقِبَتِهِ . وَأَنَا
 قَاطِعُ حَبَائِلِكَ كُلِّهَا غَيْرَ أَنِّي تَارِكٌ عَقْدَةَ أَرْتَهِنُكَ بِهَا وَلَا أَقْطَعُهَا
 إِلَّا فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَعْلَمُ أَنَّكَ فِيهَا عَنِّي مَشْغُولٌ وَذَلِكَ عِنْدَ
 مُعَايِنَتِي الصِّيَادِ * ثُمَّ إِنَّ الْجُرْذَ أَخَذَ فِي قِطْعِ حَبَائِلِ السِّنُورِ .
 فَمِنْهَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ وَافَى الصِّيَادَ . فَقَالَ لَهُ السِّنُورُ الْآنَ
 جَاءَ وَقْتُ الْجَدِّ فِي قِطْعِ حَبَائِلِي فَجَهَدَ الْجُرْذُ نَفْسَهُ فِي الْقَرْضِ
 حَتَّى إِذَا فَرَّغَ وَثَبَ السِّنُورُ إِلَى الشَّجَرَةِ عَلَى دَهَشٍ ^(٢) مِنَ
 الصِّيَادِ وَدَخَلَ الْجُرْذُ بَعْضَ الْأَجْحَارِ وَجَاءَ الصِّيَادُ فَأَخَذَ
 حَبَائِلَهُ مُقْطَعَةً ثُمَّ أَنْصَرَفَ خَائِبًا

ثُمَّ إِنَّ الْجُرْذَ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ وَكَرِهَ أَنْ يَدْنُو مِنَ السَّنُورِ .
 فَناداهُ السَّنُورُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ النَّاصِحُ ذُو الْبَلَاءِ^(١) الْحَسَنُ عِنْدِي
 مَا مَنَعَكَ مِنَ الدُّنُوِّ إِلَيَّ لِأَجَازِيكَ بِأَحْسَنِ مَا أَسَدَيْتَ^(٢) إِلَيَّ .
 هَلُمَّ إِلَيَّ وَلَا تَقْطَعْ إِخَائِي^(٣) فَإِنَّهُ مِنْ أَتَّخَذَ صَدِيقًا وَقَطَعَ
 إِخَاءَهُ وَأَضَاعَ صَدَاقَتَهُ حُرِمَ ثَمَرَةُ إِخَائِهِ وَأَيْسَ مِنْ نَفْعِهِ
 الْإِخْوَانُ وَالْأَصْدِقَاءُ . وَإِنْ يَدُكَ^(٤) عِنْدِي لَا تُنْسَى وَأَنْتَ
 حَقِيقٌ أَنْ تَلْتَمِسَ مَكْفَأَةً ذَلِكَ مِنِّي وَمِنْ إِخْوَانِي وَأَصْدِقَائِي
 وَلَا تَخَافَ مِنِّي شَيْئًا وَعَلِمَ أَنَّ مَا قَبْلِي^(٥) لَكَ مَبْذُولٌ . ثُمَّ
 حَلَفَ وَاجْتَهَدَ عَلَى صَدِيقِهِ فِيمَا قَالَ * فَناداهُ الْجُرْذُ رَبُّ
 صَدَاقَةٍ ظَاهِرَةٍ بَاطِنُهَا عَدَاوَةٌ كَامِنَةٌ وَهِيَ أَشَدُّ مِنَ الْعَدَاوَةِ
 الظَّاهِرَةِ . وَمَنْ لَمْ يَحْتَرَسْ مِنْهَا وَقَعَ مَوْقِعَ الرَّجُلِ الَّذِي
 يَرْكَبُ نَابَ الْفِيلِ الْهَائِجِ ثُمَّ يَغْلِبُهُ النَّعَاسُ فَيَسْتَيْقِظُ تَحْتَ
 فِرَاسِنِ^(٦) الْفِيلِ فَيَدُوسُهُ وَيَقْتُلُهُ . وَإِنَّمَا سَيِّ الصَّدِيقُ صَدِيقًا
 لِمَا يُرْجَى مِنْ صِدْقِهِ وَنَفْعِهِ وَسَيِّ الْعَدُوِّ عَدُوًّا لِمَا يُخَافُ مِنْ
 اعْتِدَائِهِ وَضَرَرِهِ . وَالْعَاقِلُ إِذَا رَجَا نَفْعَ الْعَدُوِّ أَظْهَرَ لَهُ الصَّدَاقَةَ

١ الاختيار والامتنان ٢ احسنت ٣ صداقي ٤ نعمتك

٥ أي عني ٦ جمع فرس وهو للميل والفيل كالقدم للانسان

وإذا خافَ ضرَّ الصَّدِيقِ أَظْهَرَ لَهُ الْعَدَاوَةَ . أَلَا تَرَى تَتَّبِعُ
 الْبَهَائِمَ أَمَانَتَهَا رَجَاءً أَلْبَانِهَا فَإِذَا انْقَطَعَ ذَلِكَ انْصَرَفَتْ عَنْهَا .
 وَرُبَّمَا قَطَعَ الصَّدِيقُ عَنْ صَدِيقِهِ بَعْضَ مَا كَانَ يَصِلُهُ مِنْهُ
 فَلَمْ يَخَفْ شَرَّهُ لِأَنَّهُ أَصْلُ أَمْرِهِ لَمْ يَكُنْ عَدَاوَةً . فَأَمَّا مَنْ
 كَانَ أَصْلُ أَمْرِهِ عَدَاوَةً جَوْهَرِيَّةً ثُمَّ أَحْدَثَ صَدَاقَةً
 لِحَاجَةٍ حَمَلَتْهُ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ إِذَا زَالَتِ الْحَاجَةُ الَّتِي حَمَلَتْهُ
 عَلَى ذَلِكَ زَالَتْ صَدَاقَتُهُ فَتَحَوَّلَتْ وَصَارَتْ إِلَى أَصْلِ
 أَمْرِهِ . كَالْمَاءِ الَّذِي يَسْخُنُ بِالنَّارِ فَإِذَا رُفِعَ عَنْهَا عَادَ بَارِدًا .
 وَلَيْسَ مِنْ أَعْدَائِي عَدُوٌّ أَضُرُّ لِي مِنْكَ . وَقَدْ أَضْطَرَّنِي وَإِيَّاكَ
 حَاجَةٌ إِلَى مَا أَحْدَثْنَا مِنَ الْمُصَالَحَةِ وَقَدْ ذَهَبَ الْأَمْرُ الَّذِي
 أَحْتَجُّ إِلَيْهِ وَأَحْتَجُّ إِلَيْكَ فِيهِ . وَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَعَ
 ذِمَّتِهِ عَوْدُ الْعَدَاوَةِ . وَلَا خَيْرَ لِلضَّعِيفِ فِي قُرْبِ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ
 وَلَا لِلذَّلِيلِ فِي قُرْبِ الْعَدُوِّ الْعَزِيزِ . وَلَا أَعْلَمُ لَكَ قَبْلِي حَاجَةٌ
 إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَرِيدُ أَكْلِي . وَلَا أَعْلَمُ لِي قَبْلَكَ حَاجَةٌ
 وَلَيْسَ عِنْدِي بِكَ نَفَقَةٌ . فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الضَّعِيفَ الْمُتَحَرِّصَ
 مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ إِذَا

أَعْتَزُّ بِأَضْعِيفٍ وَأَسْتَرْسِلُ إِلَيْهِ . وَالْعَاقِلُ يُصَالِحُ عَدُوَّهُ إِذَا
 أَضْطُرَّ إِلَيْهِ وَيُصَانِعُهُ ^(١) وَيُظْهِرُ لَهُ وَدَّهَ وَيُرِيهِ مِنْ نَفْسِهِ
 الْأَسْتِرْسَالَ إِلَيْهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مِنْ ذَلِكَ بَدَأْتُمْ بِجَعْلٍ إِلَّا نَصِرَافَ
 عَنْهُ حِينَ يَجِدُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا

وَأَعْلَمُ أَنَّ سَرِيحَ الْأَسْتِرْسَالِ لَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ ^(٢) . وَالْعَاقِلُ
 يَفِي لِمَنْ صَالَحَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا يَثِقُ
 بِهِ كُلَّ الثِّقَةِ وَلَا يَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ الْقُرْبِ مِنْهُ وَيَنْبَغِي
 أَنْ يُبْعَدَ عَنْهُ مَا اسْتَطَاعَ . وَأَنَا أَوَدُّكَ مِنْ بَعِيدٍ وَأَحِبُّ لَكَ
 مِنَ الْبَقَاءِ وَالسَّلَامَةِ مَا لَمْ أَكُنْ أَحِبُّهُ لَكَ مِنْ قَبْلُ وَلَيْسَ
 عَلَيْكَ أَنْ تَجَازِيَنِي عَلَى صَنِيعِي إِلَّا بِمِثْلِ ذَلِكَ إِذَا لَا سَبِيلَ
 إِلَيَّ أَجْتَمَاعِنَا وَالسَّلَامُ

١ مجامعة وديار ٢ لا يهضم منها

ب

الْمَلِكِ وَالطَّائِرِ فَنَزَ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَا الْفِيلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
الْمَثَلَ فَأَضْرِبْ لِي مَثَلَ أَهْلِ التِّرَاتِ^(١) الَّذِينَ لَا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ
مِنْ اتِّقَاءِ بَعْضٍ

قَالَ بَيْدَا زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ كَانَ يُقَالُ لَهُ
بَرِيدُونُ وَكَانَ لَهُ طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ فَنَزَةٌ وَكَانَ لَهُ فَرْخٌ . وَكَانَ
هَذَا الطَّائِرُ وَفَرْخُهُ يَنْطِقَانِ بِأَحْسَنِ مَنْطِقٍ وَكَانَ الْمَلِكُ بِهِمَا
مُعْجِبًا فَأَمَرَ بِهِمَا أَنْ يُجْعَلَا عِنْدَ أُمْرَأَتِهِ وَأَمَرَهَا بِالْحِفَافَةِ
عَلَيْهِمَا . وَاتَّفَقَ أَنَّ أُمْرَأَةَ الْمَلِكِ كَانَتْ حَامِلًا فَوَلَدَتْ غُلَامًا
فَالَفَ الْفَرْخُ الْغُلَامَ وَكِلَاهُمَا طِفْلَانِ يَلْعَبَانِ جَمِيعًا . وَكَانَ
فَنَزَةٌ يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْجَبَلِ فَيَأْتِي بِفَاكِهَةٍ لَا تُعْرَفُ
فَيُطْعِمُ ابْنَ الْمَلِكِ شَطْرَهَا^(٢) وَيُطْعِمُ فَرْخَهُ شَطْرَهَا . فَأَسْرَعَ
ذَلِكَ فِي نَشَأَتِهِمَا وَشَبَابِهِمَا وَبَانَ عَلَيْهِمَا أَثَرُهُ عِنْدَ الْمَلِكِ

١ التارات والنداوات ٢ نصفها

فَأَزْدَادَ لِفَيْزَةٍ إِكْرَامًا وَتَعْظِيمًا وَمَحَبَّةً . حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ مِنَ
 الْأَيَّامِ وَفَيْزَةٌ غَائِبَةٌ فِي أَجْتِنَاءِ الثَّمَرَةِ وَفَرْخُهُ فِي حَجَرٍ^(١)
 الْغُلَامِ حَدَّثَ مِنَ الْفَرْخِ مَا أَغْضَبَ الْغُلَامَ فَأَخَذَهُ فَضْرَبَ
 بِهِ الْأَرْضَ فَمَاتَ * ثُمَّ إِنَّ فَيْزَةً أَقْبَلَ فَوَجَدَ فَرْخَهُ مَقْتُولًا
 فَصَاحَ وَحَزِنَ وَقَالَ قُبْحًا لِلْمُلُوكِ الَّذِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا وِفَاءَ .
 وَيَلْ لِمَنِ أَتَيْتُ بِصُحْبَةِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ لَا ذِمَّةَ لَهُمْ وَلَا حُرْمَةَ^(٢)
 وَلَا يُحِبُّونَ أَحَدًا وَلَا يَكْرُمُ عَلَيْهِمْ إِلَّا إِذَا طَمِعُوا فِيمَا عِنْدَهُ
 مِنْ غَنَاءٍ^(٣) وَأَحْتَاجُوا إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ فَيَكْرِهُونَهُ لِذَلِكَ .
 فَإِذَا ظَفَرُوا بِحَاجَتِهِمْ مِنْهُ فَلَا وَدَّ وَلَا إِخَاءَ وَلَا إِحْسَانَ وَلَا
 غُفْرَانَ ذَنْبٍ وَلَا مَعْرِفَةَ حَقِّ . هُمُ الَّذِينَ أَمْرُهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَى
 الرِّيَاءِ وَالْفُجُورِ وَهُمْ يَسْتَصْغِرُونَ مَا يَرْتَكِبُونَهُ مِنْ عَظِيمِ
 الذُّنُوبِ وَيَسْتَعْظَمُونَ الْيُسِيرَ إِذَا خُولِفَتْ فِيهِ أَهْوَاؤُهُمْ .
 وَمِنْهُمْ هَذَا الْكَفُورُ^(٤) الَّذِي لَا رَحْمَةَ لَهُ الْغَادِرُ بِإِلْفِهِ وَأَخِيهِ *
 ثُمَّ وَثَبَ فِي شِدَّةِ حَنَقِهِ عَلَى وَجْهِ الْغُلَامِ فَقَفَا عَيْنَيْهِ . ثُمَّ
 طَارَ فَوَقَفَ عَلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ

وَبَلَغَ الْمَلِكُ ذَلِكَ فَجَزَعَ^(٥) أَشَدَّ الْجَزَعِ . ثُمَّ طَمِعَ أَنْ

يَحْتَالَ لَهُ فِيهِلِكَهُ. فَرَكِبَ مِنْ سَاعَتِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى نَاحِيَةِ الطَّائِرِ
 حَتَّى وَقَفَ قَرِيبًا مِنْهُ وَنَادَاهُ وَقَالَ لَهُ إِنَّكَ آمِنٌ فَأَنْزِلْ يَا فَنَزَةً
 فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ الْغَادِرَ مَا خُوذْ بَعْدَهُ وَإِنَّهُ إِنْ
 أَخْطَأَهُ ^(١) عَاجِلُ الْعُقُوبَةِ لَمْ يَخْطِئْهُ إِلَّا جِلٌ ^(٢) حَتَّى إِنَّهُ يُدْرِكُ
 الْأَعْقَابَ ^(٣) وَأَعْقَابَ الْأَعْقَابِ. وَإِنَّ أَبْنَكَ غَدَرَ بِأَبْنِي
 فَجَعَلْتُ لَهُ الْعُقُوبَةَ * قَالَ الْمَلِكُ قَدْ لَمَرِي ^(٤) غَدَرَ ابْنِي بِأَبْنِكَ
 وَقَدْ تَنَاصَفْنَا ^(٥) جَمِيعًا فَلَيْسَ لَكَ قَبْلُنَا ^(٦) وَلَيْسَ لَنَا قَبْلَكَ وَتُرْ ^(٧)
 مَطْلُوبٌ فَارْجِعْ إِلَيْنَا آمِنًا وَلَا تَخَفْ * قَالَ فَنَزَةً لَسْتُ بِرَاجِعٍ
 إِلَيْكَ أَبَدًا فَإِنَّ ذَوِي الرَّأْيِ قَدْ نَهَوْا عَنْ قُرْبِ الْمُؤْتُورِ ^(٨).
 فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُكَ لُظْفُ الْحُقُودِ وَلِينُهُ وَتَكْرِمَتُهُ إِيَّاكَ إِلَّا وَحْشَةً
 مِنْهُ وَسَوْءُ ظَنٍّ بِهِ. فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ لِلْحُقُودِ الْمُؤْتُورِ أَمَانًا هُوَ أَوْثَقُ
 لَكَ مِنَ الذُّعْرِ ^(٩) مِنْهُ وَلَا أَجُودُ مِنَ الْبُعْدِ عَنْهُ وَالْإِتِّقَاءَ ^(١٠) لَهُ
 أَوْلَى. وَقَدْ كَانَ يُقَالُ إِنَّ الْعَاقِلَ يَعُدُّ أَبَوَيْهِ أَصْدِقَاءَ وَالْإِخْوَةَ
 رُفَقَاءَ وَالْأَزْوَاجَ أُلَفَاءَ ^(١١) وَالْبَنِينَ ذِكْرًا وَالْبَنَاتِ خُصَمَاءَ
 وَالْأَقَارِبَ غُرَمَاءَ ^(١٢) وَيَعُدُّ نَفْسَهُ فَرِيدًا وَحِيدًا. وَأَنَا الْفَرِيدُ

١ لم يصبه ٢ خلاف العاجل ٣ الخلفاء ٤ قسمًا بعصري ٥ انصف كل
 منا الآخر من نفسه ٦ أي عندنا ٧ ثار ٨ من قتل له قتيلا ولم يؤخذ بثأره
 ٩ الخوف ١٠ التوقي ١١ جمع البف أي خليط وعشير ١٢ نحو خصماء

الْوَحِيدُ الْغَرِيبُ الطَّرِيدُ ^(١) قَدْ تَزَوَّدْتُ مِنْ عِنْدِكُمْ عِبَاءً ^(٢)
 ثَقِيلًا لَا يَحْمِلُهُ مَعِيَ أَحَدٌ وَأَنَا ذَاهِبٌ فَعَلَيْكَ مِنِّي السَّلَامُ * قَالِ
 لَهُ الْمَلِكُ إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ اجْتَرَيْتَ ^(٣) مِنَّا فِيمَا صَنَعْنَاهُ
 بِكَ أَوْ كَانَ صَنِيعُكَ بِنَا مِنْ غَيْرِ ابْتِدَاءٍ مِنَّا بِالْفَدْرِ كَانَ
 الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ . وَأَمَّا إِذْ كُنَّا نَحْنُ قَدْ بَدَأْنَاكَ فَمَا
 ذَنْبُكَ وَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنَ الثِّقَةِ بِنَا . هَلُمَّ فَأَرْجِعْ فَإِنَّكَ
 آمِنٌ * قَالَ فَنَزَعُ أَعْلَمُ أَنَّ الْأَحْقَادَ لَهَا فِي الْقُلُوبِ مَوَاضِعُ
 مُمَكِّنَةٌ مُوجِعَةٌ . فَالْأَلْسُنُ لَا تَصْدُقُ فِي خَبَرِهَا عَنِ الْقُلُوبِ
 وَالْقَلْبُ أَعْدَلُ شَهَادَةً عَلَى اللِّسَانِ مِنَ اللِّسَانِ عَلَى الْقَلْبِ .
 وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ قَلْبِي لَا يَشْهَدُ لِللِّسَانِ بِصِدْقِهِ وَلَا قَلْبُكَ لِلِّسَانِ
 قَالَ الْمَلِكُ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ الضَّغَائِنَ ^(٤) وَالْأَحْقَادَ تَكُونُ بَيْنَ
 كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ . فَمَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ كَانَ عَلَى إِمَاتَةِ الْحَقْدِ
 أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى تَرْبِيَّتِهِ * قَالَ فَنَزَعُ إِنَّ ذَلِكَ لَكَمَا ذَكَرْتَ .
 وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي لِلَّذِي الرَّأْيُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ الْمَوْتُورُ
 الْحَقُودَ نَاسٍ مَا وَتَرَبَّهُ أَوْ مَصْرُوفٌ عَنْهُ . وَذُو الرَّأْيِ يَخْشَوْ
 الْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ وَالْحِيلَ وَيَعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَدُوِّ لَا يُسْتَطَاعُ

بِالشَّدَّةِ وَالْمُكَابَرَةِ^(١) حَتَّى يُصَادَ بِالرَّفِقِ وَالْمَلَايِنَةِ كَمَا يُصْطَادُ
الْفِيلُ الْوَحْشِيُّ بِالْفِيلِ الدَّاجِنِ^(٢) * قَالَ الْمَلِكُ إِنَّ الْعَاقِلَ الْكَرِيمَ
لَا يَتْرُكُ إِلَهَهُ وَلَا يَقْطَعُ إِخْوَانَهُ وَلَا يُضَيِّعُ الْحِفَاطَ^(٣) وَإِنْ هُوَ
خَافَ عَلَى نَفْسِهِ . حَتَّى إِنَّ هَذَا الْخَلْقَ يَكُونُ فِي أَوْصَعِ الدَّوَابِّ
مَنْزِلَةً . فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّعَّابِينَ يَلْعَبُونَ بِالْكِلَابِ ثُمَّ يَذْبَحُونَهَا
وَيَأْكُلُونَهَا وَيَرَى الْكَلْبُ الَّذِي قَدْ أَفْهَمَ ذَلِكَ فِيمَنْعُهُ مِنْ
مُفَارَقَتِهِمُ الْفَتْنَةَ إِيَّاهُمْ

قَالَ فِتْرَةٌ إِنَّ الْأَحْقَادَ مَخُوفَةٌ حَيْثُ كُنْتَ وَأَخَوْفُهَا
وَأَشَدُّهَا مَا كَانَ فِي أَنْفُسِ الْمُلُوكِ . فَإِنَّ الْمُلُوكَ يَدِينُونَ^(٤)
بِالْإِنْتِقَامِ وَيَرَوْنَ الدَّرَكَ^(٥) وَالطَّلَبَ بِالْوَتْرِ مَكْرُمَةً وَفَخْرًا .
وَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَفْتَرُ بِسُكُونِ الْحَقْدِ إِذَا سَكَنَ . فَإِنَّمَا مَثَلُ الْحَقْدِ
فِي الْقَلْبِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَحَرًّا مَثَلُ الْجَمْرِ الْمَكْنُونِ مَا لَمْ يَجِدْ
حَطَبًا . فَلَيْسَ يَنْفَكُ الْحَقْدُ مُطْلَعًا^(٦) إِلَى الْعِلَلِ^(٧) كَمَا تَبْتَغِي
النَّارُ الْحَطَبَ . فَإِذَا وَجَدَ عِلَّةً اسْتَمَرَ^(٨) اسْتِعَارَ النَّارُ فَلَا يُطْفِئُهُ
حُسْنُ كَلَامٍ وَلَا لِينٌ وَلَا رِفْقٌ وَلَا خُضُوعٌ وَلَا تَضَرُّعٌ وَلَا

١ المعتادة والمغايلة ٢ الأليف ٣ المحافظة ٤ من الدين أي يحملون
دينهم الانتقام ٥ الإدراك ٦ أي منجها ٧ الأسباب ٨ اضطر

مُصَانَعَةً^(١) وَلَا شَيْءَ دُونَ تَلَفِ الْأَنْفُسِ وَذَهَابِ الْأَزْوَاجِ .
 مَعَ أَنَّهُ رُبٌّ وَاتِرٌ يَطْمَعُ فِي مُرَاجَعَةِ الْمَوْتُورِ لِمَا يَرْجُو أَنَّ
 يَقْدِرَ عَلَيْهِ مِنَ النِّفْعِ لَهُ وَالِدَفْعِ عَنْهُ . وَلَكِنِّي أَنَا أَضْعَفُ مِنْ
 أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ يَذْهَبُ بِهِ مَا فِي نَفْسِكَ * وَبَعْدُ فَلَوْ كَانَتْ
 نَفْسُكَ لِي عَلَى مَا تَقُولُ مَا كَانَ ذَلِكَ عَنِّي مُغْنِيًا^(٢) أَيْضًا
 وَلَا أَزَالُ فِي خَوْفٍ وَوَحْشَةٍ وَسَوْءِ ظَنٍّ مَا أَصْطَحَبْنَا^(٣) .
 فَلَيْسَ الرَّأْيُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِلَّا الْفِرَاقَ وَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْكَ
 السَّلَامَ^(٤)

قَالَ الْمَلِكُ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ لِأَحَدٍ
 ضَرًّا وَلَا نَفْعًا . وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ مِنَ الْأَشْيَاءِ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا
 يُصِيبُ أَحَدًا إِلَّا بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ مَعْلُومٍ . كَمَا أَنَّ خَلْقَ مَا
 يُخْلَقُ وَوِلَادَةَ مَا يُوَلَدُ وَبَقَاءَ مَا يَبْقَى لَيْسَ لِلْجَلَالِ مِنْهُ شَيْءٌ .
 كَذَلِكَ فَنَاءَ مَا يَفْنَى وَهَلَاكُ مَا يَهْلِكُ . وَلَيْسَ لَكَ فِي الَّذِي
 فَعَلْتُ بِأَبْنِي ذَنْبٌ وَلَا لِأَبْنِي خِيَمًا ضَنَّعَ بِأَبْنِكَ ذَنْبٌ . إِنَّمَا
 كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ قَدَرًا مَقْدُورًا وَكِلَانًا لَهُ عِلَّةٌ وَسَبَبٌ فَلَا
 تُؤَاخِذُ بِمَا أَتَانَا بِهِ الْقَدَرُ * قَالَ فَتَرَى أَنَّ الْقَدَرَ لَكُمْ ذِكْرَتٌ .

لَكِنْ لَا يَمْنَعُ ذَلِكَ الْحَازِمَ مِنْ تَوَقِّي الْبَخَاوِفِ وَالْإِحْتِرَاسِ
 مِنَ الْمَكَارِهِ . وَإِلَّا كَانَ الْمَرِيضُ غَيْرَ مُصِيبٍ فِي طَلَبِهِ الطَّيِّبِ
 وَكَانَ أَهْلُ الْمَصَائِبِ يَتْرُكُونَ النَّظَرَ فِيمَا فِيهِ الْفَرَجُ لَهُمْ .
 وَلَا يَنْفَعُ الْحَذَرُ وَالْإِحْتِرَاسُ مَعَ الْقَضَاءِ لَكِنَّ الْعَاقِلَ يَجْمَعُ مَعَ
 التَّصَدِيقِ بِالْقَدَرِ الْأَخْذَ بِالْحَزْمِ وَالْقُوَّةَ لَعَلَّ مَا يَسْتَسْلِمُ ^(١)
 إِلَيْهِ لَا يَكُونُ مَقْدُورًا عَلَيْهِ . وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تُكَلِّمُنِي بِغَيْرِ
 مَا فِي نَفْسِكَ . وَالْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ صَغِيرٍ لِأَنَّ أَبْنَكَ
 قَتَلَ ابْنِي وَأَنَا فَقَاتُ عَيْنَ ابْنِكَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَشْفِي
 بَقِيَّتِي وَتُخْتَلِنِي ^(٢) عَنْ نَفْسِي وَالنَّفْسُ تَأْتِي الْمَوْتَ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ
 الْفَاقَةُ ^(٣) بِلَاءٌ وَالْحُزْنُ بِلَاءٌ وَقُرْبُ الْعُدُوِّ بِلَاءٌ وَفِرَاقُ الْأَحِبَّةِ
 بِلَاءٌ وَالسُّقْمُ بِلَاءٌ وَالْهَرَمُ ^(٤) بِلَاءٌ وَرَأْسُ الْبَلَايَا كُلِّهَا الْمَوْتُ .
 وَلَيْسَ أَحَدٌ بِأَعْلَمَ بِي فِي نَفْسِ الْمَوْجِعِ الْحَزِينِ مِنْ ذَاكَ
 مِثْلَ مَا بِهِ . فَأَنَا مِمَّا فِي نَفْسِي عَالِمٌ بِمَا فِي نَفْسِكَ لِلْمِثْلِ الَّذِي
 عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا خَيْرَ لِي فِي صَحْبَتِكَ . فَإِنَّكَ لَنْ تَتَذَكَّرَ
 صَنِيعِي بِأَبْنِكَ وَلَنْ أَتَذَكَّرَ صَنِيعَ ابْنِكَ بِابْنِي إِلَّا أَحْدَثَ
 ذَلِكَ لِقُلُوبِنَا تَغْيِيرًا * قَالَ الْمَلِكُ لَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ

الْأِعْرَاضَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَلَا يَنْسَاهُ وَيَهْمُهُ بِحَيْثُ لَا يَذْكُرُ
 مِنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكُونُ لَهُ فِي نَفْسِهِ مَوْجِعٌ * قَالَ فَتَرَزُّهُ إِنَّ الرَّجُلَ
 الَّذِي فِي بَاطِنِ قَدَمِهِ قُرْحَةٌ إِنْ هُوَ حَرَصَ عَلَى الْمَشْيِ لَا بُدَّ
 أَنْ تُنْكَأَ^(١) قُرْحَتُهُ . وَالرَّجُلُ الْأَزْمَدُ الْعَيْنِ إِذَا أُسْتَقْبِلَ بِهَا
 الرِّيحُ تَعْرِضُ لِأَنْ تَزْدَادَ رَمْدًا . وَكَذَلِكَ الْوَاتِرُ إِذَا دَنَا
 مِنَ الْمُوتُورِ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَاكِ . وَلَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ
 الدُّنْيَا إِلَّا تَوْقِي الْمَهَالِكِ وَالْمَتَالِفِ^(٢) وَتَقْدِيرِ^(٣) الْأُمُورِ وَقِلَّةِ
 الْأَتِّكَالِ عَلَى الْحَوْلِ^(٤) وَالْقُوَّةِ وَقِلَّةِ الْإِغْتِرَابِ بَيْنَ لَا يَأْمُنُ .
 فَإِنَّهُ مَنْ اتَّكَلَ عَلَى قُوَّتِهِ فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَسْلُكَ الطَّرِيقَ
 الْخَوْفَ فَقَدْ سَعَى فِي حَتْفِ^(٥) نَفْسِهِ . وَمَنْ لَا يَقْدِرُ لِبَاطِنِهِ
 طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَحَمَلَ نَفْسَهُ مَا لَا تُطِيقُ وَلَا تَحْمِلُ فَقَدْ قَتَلَ
 نَفْسَهُ . وَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ لِقَمَّتِهِ وَعَظْمَتِهَا فَوْقَ مَا يَسْعَ فُؤُهُ
 فَرُبَّمَا غَصَّ بِهَا فَمَاتَ . وَمَنْ أَغْتَرَّ بِكَلَامِ عَدُوِّهِ وَأَخْذَعَ
 لَهُ وَضَعَ الْحَزْمَ فَهُوَ أَعْدَى^(٦) لِنَفْسِهِ مِنْ عَدُوِّهِ . وَلَيْسَ لِأَحَدٍ
 النَّظَرُ فِي الْقَدْرِ الَّذِي لَا يَدْرِي مَا يَأْتِيهِ مِنْهُ وَلَا مَا يُصْرَفُ
 عَنْهُ . وَلَكِنْ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِالْحَزْمِ وَالْأَخْذُ بِالْقُوَّةِ وَمَحَاسِبَةُ

١ تفسر ٢ بمعنى المهالك ٣ قياس ٤ القدرة ٥ ملاك ٦ تفضيل من العداوة

نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ . وَالْعَاقِلُ لَا يَتَّقُ بِأَحَدٍ مَا اسْتَطَاعَ وَلَا يُقِيمُ
 عَلَى خَوْفٍ يَجِدُ عَنْهُ مَذْهَبًا . وَأَنَا كَثِيرُ الْمَذَاهِبِ وَأَرْجُو
 أَنْ لَا أَذْهَبَ وَجْهًا إِلَّا أَصَبْتُ فِيهِ مَا يُغْنِينِي . فَإِنْ خِلَا^(١)
 خَمْسًا مِنْ تَزَوُّدَهُنَّ كَفَيْنَهُ فِي كُلِّ وَجْهِ وَأَتَسَّنَهُ فِي كُلِّ
 غُرْبَةٍ وَقَرَّبَنَ لَهُ الْبُعِيدَ وَأَكْسَبَنَهُ الْمَعَاشَ وَالْإِخْوَانَ *
 أَوْلَاهُنَّ كَفُّ الْأَذَى * وَالثَّانِيَةُ حُسْنُ الْأَدَبِ * وَالثَّلَاثَةُ
 مُجَانَبَةُ الرِّيبِ^(٢) * وَالرَّابِعَةُ كَرَمُ الْخُلُقِ * وَالْخَامِسَةُ الْتَبَلُّ^(٣)
 فِي الْعَمَلِ * وَإِذَا خَافَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا طَابَتْ
 نَفْسُهُ عَنِ الْمَالِ^(٤) وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْوَطَنِ فَإِنَّهُ يَرْجُو الْخُلْفَ
 مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلَا يَرْجُو عَنِ النَّفْسِ خُلْفًا . وَشَرُّ الْمَالِ مَا
 لَا انْفِقَاقَ مِنْهُ . وَشَرُّ الْأَزْوَاجِ الَّتِي لَا تُؤَاتِي^(٥) بَعْلَهَا . وَشَرُّ الْوَلَدِ
 الْعَاصِي الْعَاقِ لِوَالِدَيْهِ^(٦) وَشَرُّ الْإِخْوَانِ^(٧) الْخَاذِلُ^(٨) لِأَخِيهِ عِنْدَ
 النِّكَبَاتِ وَالْأَشْدَائِدِ وَالَّذِي يُحْصِي^(٩) أَلْسِنَاتٍ وَيَتْرُكُ الْحَسَنَاتِ .
 وَشَرُّ الْمُلُوكِ الَّذِي يَخَافُهُ الْبَرِيُّ وَلَا يُؤَاطِبُ عَلَى حِفْظِ أَهْلِ
 مَمْلَكَتِهِ . وَشَرُّ الْبِلَادِ بِلَادٌ لَا خِصْبَ فِيهَا وَلَا أَمْنٌ * وَإِنَّهُ لَا

١ اي امورا ٢ اي الشكوك ونحوها ٣ الذكاء والعجاجة ٤ اي تخلى
 عنه غير آسف ٥ تطاوع وتلاين ٦ الذي لا يفيها حق الترية ٧ الاصدقاء
 ٨ الغير الناصر ٩ يعد

أَمَنْ لِي عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَلَا طُمَأْنِينَةٌ لِي فِي جَوَارِكَ . ثُمَّ
وَدَعَ الْمَلِكُ وَطَارَ

فَهَذَا مِثْلُ ذَوِي الْأَوْتَارِ الَّذِينَ لَا يَنْبَغِي لِبَعْضِهِمْ أَنْ يَثْقَ

بِبَعْضٍ

بَابُ

الْأَسَدِ وَأَبْنِ آوَى النَّاسِكِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِمَيْدَا الْفِيلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
الْمَثَلَ فَأَضْرِبْ لِي مِثْلَ الْمَلِكِ الَّذِي يُرَاجِعُ مَنْ أَصَابَتْهُ
مِنْهُ عُقُوبَةٌ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ أَوْ جَفَوَةٍ ^(١) مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ

قَالَ الْفِيلَسُوفُ إِنَّ الْمَلِكَ لَوْ لَمْ يُرَاجِعْ مَنْ أَصَابَتْهُ
مِنْهُ جَفَوَةٌ عَنْ ذَنْبٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ظَلِمَ أَوْ لَمْ يُظْلَمْ
لَأَضَرَ ذَلِكَ بِالْأُمُورِ . وَلَكِنَّ الْمَلِكَ حَقِيقٌ أَنْ يَنْظُرَ فِي حَالِ
مَنْ أَتَيْتِلِي بِذَلِكَ وَيَخْبُرَ ^(٢) مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَنَافِعِ فَإِنْ كَانَ
مِمَّنْ يُوثِقُ بِهِ فِي رَأْيِهِ وَأَمَانَتِهِ فَإِنَّ الْمَلِكَ حَقِيقٌ
بِالْحَرَصِ عَلَى مُرَاجَعَتِهِ . فَإِنَّ الْمَلِكَ لَا يُسْتَطَاعُ ضَبْطُهُ إِلَّا

مَعَ ذَوِي الرَّأْيِ وَهُمْ الْوُزَرَاءُ وَالْأَعْوَانُ . وَلَا يَنْتَفِعُ بِالْوُزَرَاءِ
وَالْأَعْوَانِ إِلَّا بِالْمُودَةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَلَا مُودَةٌ وَلَا نَصِيحَةٌ إِلَّا
لِذَوِي الرَّأْيِ وَالْعَفَافِ . وَأَعْمَالُ السُّلْطَانِ كَثِيرَةٌ وَالَّذِينَ
يَحْتَاجُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَمَالِ وَالْأَعْوَانِ كَثِيرُونَ . وَمَنْ يَجْمَعُ مِنْهُمْ
مَا ذَكَرْتُ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْعَفَافِ قَلِيلٌ . فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ
يَخْبِرُ وَزَرَءَهُ وَذَوِي رَأْيِهِ وَيَرَى مَا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
مِنَ الرَّأْيِ وَالتَّنْذِيرِ وَمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ . فَإِذَا اسْتَقَرَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ
جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يَصْلُحُ أَنْ يُفَكَّرَ فِيهِ وَيُدَبَّرَهُ .
وَأَنْ لَا يُوجِّهَ إِلَى الْأَعْمَالِ إِلَّا مَنْ يَثِقُ بِدِينِهِ وَأَمَانَتِهِ
وَعِفَّتِهِ . ثُمَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْفَازُ^(١) مَنْ يَثِقُ بِهِ لِلْكَشْفِ عَنْ
أَعْمَالِهِمْ وَتَفَقُّدِ أُمُورِهِمْ بِالْإِسْرَافِ الْخَفِيِّ حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ . فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ تَهَاوَنَ
الْمُحْسِنُ وَاجْتَرَأَ الْمُسِيءُ . وَفِي غُرُضٍ^(٢) ذَلِكَ تَهْلِكُ الرُّعِيَّةُ
وَيَفْسُدُ الْمُلْكُ . وَالْمَثَلُ فِي ذَلِكَ مَثَلُ الْأَسَدِ وَابْنِ آوَى
النَّاسِكِ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْفِيلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ ابْنَ آوَى كَانَ يَسْكُنُ فِي بَعْضِ

الدِّحَالِ^(١) وَكَانَ مُتَزَهِّدًا مُتَعَفِّفًا مَعَ بَنَاتِ آوَى وَذَنَابٍ
وَتَعَالِبٍ وَلَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُونَ وَلَا يُغَيِّرُ^(٢) كَمَا يُغَيِّرُونَ وَلَا
يُهْرِيقُ^(٣) دَمًا وَلَا يَأْكُلُ لَحْمًا وَلَا يَظْلِمُ طَرْفَةَ عَيْنٍ * فَخَاصَمَهُ
تِلْكَ السَّبَاعُ^(٤) وَقُلْنَا نَحْنُ لَا نَرَى^(٥) سِيرَتَكَ^(٦) وَلَا رَأْيَكَ الَّذِي
أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ تَزَهُّدِكَ مَعَ أَنْ تَزَهَّدَكَ لَا يُغْنِي^(٧) عَنْكَ شَيْئًا .
وَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا كَأَحَدِنَا تَسْعَى مَعَنَا وَتَفْعَلُ
فِعْلَنَا . وَأَيُّ شَيْءٍ يُشَبِّهُكَ كَفَّكَ عَنِ الدِّمَاءِ وَعَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ *
قَالَ ابْنُ آوَى إِنَّ صَحْبَتِي إِيَّا كُنْ لَا تُؤْتِنِي^(٨) إِذَا لَمْ أَؤْتِمَّ
نَفْسِي لِأَنَّ الْأَثَامَ لَيْسَتْ مِنْ قَبْلِ الْأَمَاكِينِ وَالْأَصْحَابِ وَلَكِنَّهَا
مِنْ قَبْلِ الْقُلُوبِ وَالْأَعْمَالِ . وَلَوْ كَانَ صَاحِبُ الْمَكَانِ الصَّالِحِ
يَكُونُ عَمَلُهُ فِيهِ صَالِحًا وَصَاحِبُ الْمَكَانِ السَّيِّئِ يَكُونُ عَمَلُهُ
فِيهِ سَيِّئًا كَانَ حِينِيذٍ مِنْ قَتْلِ النَّاسِكِ فِي مَجْرَاهِ^(٩) لَمْ يَأْتِهِ
وَمَنْ أَسْتَحْيَاهُ^(١٠) فِي مَعْرَكَةِ الْقِتَالِ أَثِمَّ . وَإِنِّي إِنَّمَا صَحْبَتُكَ
بِنَفْسِي وَلَمْ أَصْحَبْكَ بِقَلْبِي وَأَعْمَالِي لِأَنِّي أَعْرِفُ ثَمَرَةَ
الْأَعْمَالِ فَلَزِمْتُ حَالِي . وَإِنَّمَا صَحْبَتُكَ مَوَدَّةً مِنِّي لَكُنْ .

١ جمع دحل وهو ثقب فيه ضيق واسفله متسع ٢ يغيرو ٣ يهريق

٤ الحيوانات المفترسة ٥ من الراي اي لا نستحسن ٦ اي من تصرفك ٧ اي لا يمنع

٨ نجملني ذا اثم ابي ذنب ٩ مقام الامام في المسجد ١٠ ابقاه حيا

فَإِنْ كَانَتْ صُحْبَتِي تَضُرُّكَ فَالَا مَأْكِنُ وَالْمَوَاضِعُ كَثِيرَةٌ
وَبَثَّ ابْنُ أَوْى عَلَى حَالِهِ تِلْكَ وَاشْتَهَرَ بِالنَّسِكِ وَالزَّهْدِ
حَتَّى بَلَغَ ذَلِكَ أَسَدًا كَانَ مَلِكَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ . فَرَغِبَ فِيهِ لِمَا
بَلَغَهُ عَنْهُ مِنَ الْعَفَافِ وَالزَّاهَةِ وَالزَّهْدِ وَالْأَمَانَةِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ
يَسْتَدْعِيهِ . فَلَمَّا حَضَرَ كَلَّمَهُ وَأَنَسَهُ فَوَجَدَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ
عَلَى غَرَضِهِ . ثُمَّ دَعَاهُ بَعْدَ أَيَّامٍ إِلَى صُحْبَتِهِ وَقَالَ لَهُ تَعْلَمُ أَنَّ
عَمَلِي كَثِيرٌ وَأَعُوَانِي جَمْعٌ^(١) غَفِيرٌ^(٢) وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ إِلَى
الْأَعُوَانِ مُحْتَاجٌ . وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ عَفَافٌ وَأَدَبٌ وَعَقْلٌ وَدِينٌ .
وَقَدْ اخْتَبَرْتُكَ فَوَجَدْتُكَ كَذَلِكَ فَازِدْتُ فِيكَ رَغْبَةً . وَأَنَا
مَوْلِيكَ مِنْ عَمَلِي جَسِيمًا^(٣) وَرَافِعُكَ إِلَى مَنْزِلَةٍ شَرِيفَةٍ وَجَاعِلُكَ
مِنْ خَاصَّتِي * قَالَ ابْنُ أَوْى إِنَّ الْمُلُوكَ أَحْقَاءُ^(٤) بِاخْتِيَارِ
الْأَعُوَانِ فِيمَا يَهْتَمُونَ بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ مِمَّنْ لَهُمْ
الْخِبْرَةُ بِذَلِكَ . وَهُمْ أُخْرَى^(٥) أَنْ لَا يَكْرَهُوا^(٦) عَلَى ذَلِكَ أَحَدًا
فَإِنَّ الْمَكْرَةَ لَا يَسْتَطِيعُ الْمُبَالِغَةُ فِي الْعَمَلِ . وَإِنِّي لِعَمَلِ
السُّلْطَانِ كَارِهٌ وَلَيْسَ لِي بِهِ تَجَرُّبَةٌ وَلَا بِالسُّلْطَانِ رِفْقٌ^(٧) . وَأَنْتَ

١ جمع ٢ كبير ٣ عظيم ٤ جمع حقيق بمعنى اهل ٥ اولى
٦ يجبروا ٧ حسن انصرف

مَلِكُ السَّبَاعِ وَعِنْدَكَ مِنْ أَجْناسِ الْوَحُوشِ عَدَدٌ كَثِيرٌ
 فِيهِمْ أَهْلُ نُبْلِ وَقُوَّةٍ وَلَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ حِرْصٌ وَعِنْدَهُمْ بِهِ
 وَالسُّلْطَانِ رِفْقٌ. فَإِنْ اسْتَعْمَلْتَهُمْ أَغْنَوْا عَنْكَ ^(١) وَأَغْتَبَطُوا ^(٢)
 لِنَفْسِهِمْ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ ذَلِكَ * قَالَ الْأَسَدُ دَعِ عَنْكَ هَذَا
 فَإِنِّي غَيْرُ مُعْفِيكَ مِنَ الْعَمَلِ * قَالَ ابْنُ آوَى إِنَّمَا يُقَدِّمُ عَلَى
 خِدْمَةِ السُّلْطَانِ غَيْرُ هَائِبٍ رَجُلَانِ لَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا .
 إِمَّا مُصَانِعٌ ^(٣) يَنَالُ حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ وَيَسْلَمُ بِمُصَانَعَتِهِ . وَإِمَّا
 هَيَّئٌ ^(٤) لَا يَحْسُدُهُ أَحَدٌ . وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْدُمَ السُّلْطَانَ
 بِالْصِّدْقِ وَالْعَفَافِ غَيْرُ خَالِطٍ ذَلِكَ بِمُصَانَعَتِهِ فَقُلْ أَنْ يَسْلَمَ
 عَلَى ذَلِكَ . لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَدُوُّ السُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِالْعَدَاوَةِ
 وَالْحَسَدِ . أَمَّا الصِّدِّيقُ فَيُنَافِسُهُ ^(٥) فِي مَنْزِلَتِهِ وَيَبْغِي عَلَيْهِ ^(٦)
 فِيهَا وَيُعَادِيهِ لِأَجْلِهَا وَيَشِي ^(٧) عَلَيْهِ كَذِبًا . فَإِذَا لَقِيَ الْوَشَايَةَ
 أَذْنًا وَاعِيَةً ^(٨) مِنَ الْمَلِكِ كَانَ فِي ذَلِكَ هَلَاكُهُ . وَأَمَّا عَدُوُّ
 السُّلْطَانِ فَيَضْطَرُّ ^(٩) عَلَيْهِ لِنَصِيحَتِهِ لِسُلْطَانِهِ وَإِغْنَائِهِ عَنْهُ
 فَيَعْمَلُ عَلَى هَلَاكِهِ ^(١٠) وَيَتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبُ الْمُنُونِ ^(١١) . فَإِذَا أَجْتَمَعَ

١ اى نفوك ٢ عدوا انفسهم سعدا ٣ مدا من مدلس ٤ من الموان
 ٥ بغالبه في ان يكون انفس منه ٦ بظلمه ٧ من الوشاية وهي الافساد
 ٨ اى قابله لما تسمع ٩ ينفذ ١٠ يسعى فيه ١١ ينتظر به حوادث الدهر ليتمكن منه

عَلَيْهِ هَذَانِ الصِّنْفَانِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ
 قَالَ الْأَسَدُ لَا يَكُونَنَّ بَنِي أَصْحَابِي عَلَيْكَ وَحَسَدُهُمْ
 إِيَّاكَ وَعَدَاوَةُ أَعْدَائِي لَكَ مِمَّا يَعْزِضُ فِي نَفْسِكَ ^(١) فَأَنْتَ
 مَعِيَ وَأَنَا أَكْفِيكَ ذَلِكَ ^(٢) وَأَبْلُغُ بِكَ مِنْ دَرَجَاتِ الْكِرَامَةِ
 وَالْإِحْسَانِ عَلَى قَدَرِ هِمَّتِكَ * قَالَ ابْنُ آوَى إِنْ كَانَ الْمَلِكُ
 يُرِيدُ الْإِحْسَانَ إِلَيَّ فَلْيَدْعُنِي فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ أَعِشْ أَمِنًا
 قَلِيلَ الْهَمِّ رَاضِيًا بِعَيْشِي مِنَ الْمَاءِ وَالْعُشْبِ . فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ
 أَنَّ صَاحِبَ السُّلْطَانِ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَذَى وَالْخَوْفِ فِي سَاعَةٍ
 وَاحِدَةٍ مَا لَا يَصِلُ إِلَى غَيْرِهِ فِي طُولِ عُمُرِهِ وَأَنَّهُ يَتَّصِلُ
 إِلَيْهِ النَّفْعُ سَاعَةً وَاحِدَةً ثُمَّ هُوَ فِي الْخَوْفِ سَرْمَدًا ^(٣) . وَإِنْ
 قَلِيلًا مِنَ الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَطُمَأْنِينَةٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعَيْشِ فِي
 خَوْفٍ وَنَصَبٍ ^(٤) * قَالَ الْأَسَدُ قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ فَلَا تَخَفْ
 شَيْئًا مِمَّا أَرَاكَ تَخَافُ مِنْهُ . وَلَسْتُ أَجِدُ بَدْءًا مِنَ الْإِسْتِعَانَةِ
 بِكَ فِي أَمْرِي * قَالَ ابْنُ آوَى أَمَّا إِذَا أَبَى ^(٥) الْمَلِكُ إِلَّا
 ذَلِكَ فَلْيَجْعَلِ الْمَلِكُ لِي عَهْدًا إِنْ بَغَى عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ
 مِمَّنْ هُوَ فَوْقِي مَخَافَةً عَلَى مَنَزَلِهِ أَوْ مِمَّنْ هُوَ دُونِي لِيُنَازِعَنِي

١ اي يخطر في بالك ٢ ابعاد فم عنك ٣ ابدًا ٤ تعب ٥ لم يرد

عَلَى مَنْزِلَتِي . فَذَكَرَ عِنْدَ الْمَلِكِ مِنْهُمْ ذَاكِرَ بِلِسَانِهِ أَوْ عَلَى
 لِسَانِ غَيْرِهِ مَا يُرِيدُ بِهِ تَحْرِيشَ^(١) الْمَلِكِ عَلَيَّ . أَنْ لَا يَفْعَلَ فِي
 أَمْرِي وَأَنْ يَثْبُتَ فِيمَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ وَيُذَكَّرُ عِنْدَهُ مِنْ ذَلِكَ
 وَيَقْصَعَ عَنْهُ ثُمَّ لِيَصْنَعَ مَا بَدَأَ لَهُ . فَإِذَا وَثِقْتُ مِنْهُ بِذَلِكَ
 أَعْتَنُ بِنَفْسِي فِيمَا يَجِبُ إِطَاعَةً لَهُ وَعَمِلْتُ لَهُ فِيمَا أَوْلَانِي^(٢)
 بِنَصِيحَةٍ وَاجْتِهَادٍ وَحَرَصْتُ عَلَى أَنْ لَا أَجْعَلَ لَهُ عَلَى نَفْسِي
 سَبِيلًا^(٣) . قَالَ الْأَسَدُ لَكَ عَلَيَّ ذَلِكَ وَزِيَادَةٌ . ثُمَّ وَلَّاهُ خَزَائِنَهُ^(٤)
 وَأَخْصَصَ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ

فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ الْأَسَدِ ذَلِكَ غَاظَهُمْ وَسَاءَ لَهُمْ
 فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ^(٥) وَاتَّفَقُوا كَلِمَةً عَلَى أَنْ يُحْرِشُوا عَلَيْهِ
 الْأَسَدَ * وَكَانَ الْأَسَدُ قَدْ اسْتَطَابَ لَحْمًا فَعَزَلَ^(٦) مِنْهُ مِقْدَارًا
 وَأَمَرَ ابْنَ أَوْى بِالْإِحْتِفَاطِ بِهِ وَأَنْ يَرْفَعَهُ فِي أَحْصَنِ
 مَوْضِعٍ طَعَامِهِ وَأَحْرَزِهِ^(٧) لِيُعَادَ عَلَيْهِ . فَأَخَذُوهُ مِنْ مَوْضِعِهِ
 وَحَمَلُوهُ إِلَى يَتِّ ابْنِ أَوْى فَنَبَّأُوهُ فِيهِ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهِ .
 ثُمَّ حَضَرُوا يَكْذِبُونَهُ إِذَا جَرَتْ فِي ذَلِكَ حَالٌ . فَلَمَّا كَانَ

١ جمع ٢ حولي وإعطاني ٣ أي وجهًا للرم ٤ جعل له عليه
 الولاية والسلطة ٥ اجمعوا عليه ٦ نجي ٧ يعني احصن

مِنْ الْعَدِوَةِ الْأَسَدُ بِفَدَائِهِ فَقَدَّ ذَلِكَ اللَّهُمَّ وَالتَّمَسَّهُ فَلَمْ
 يَجِدْهُ . وَأَبْنُ آوَى لَمْ يَشْعُرْ بِمَا صُنِعَ فِي حَقِّهِ مِنَ الْمَكِيدَةِ
 وَهُوَ غَائِبٌ فِي خِدْمَةِ الْأَسَدِ وَأَشْغَالِهِ . فَخَضَرَ الَّذِينَ عَمِلُوا
 الْمَكِيدَةَ وَقَعَدُوا فِي الْمَجْلِسِ . ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ سَأَلَ عَنِ اللَّهُمَّ
 وَشَدَّ فِيهِ وَفِي السُّؤَالِ عَنْهُ فَظَرَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ . فَقَالَ
 أَحَدُهُمْ قَوْلَ الْخُبَيْرِ النَّاصِحِ إِنَّهُ لَا بُدَّ لَنَا أَنْ نُخْبِرَ الْمَلِكَ بِمَا
 يَضُرُّهُ وَيَنْفَعُهُ وَإِنْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشُقُّ عَلَيْهِ * وَإِنَّهُ
 بَلَّغْنِي أَنَّ ابْنَ آوَى هُوَ الَّذِي ذَهَبَ بِاللَّهِمَّ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَأْكُلَهُ
 دُونَ الْمَلِكِ * قَالَ الْآخَرُ مَا أَرَاهُ يَفْعَلُ هَذَا . وَلَكِنْ أَنْظِرُوا
 وَافْخَصُوا فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْخَلَائِقِ ^(١) شَدِيدَةٌ * فَقَالَ الْآخَرُ
 لِعَمْرِي مَا تَلَيْتُ السَّرَائِرَ أَنْ تُعَرِّفَ . وَأَظُنُّكُمْ إِنْ قُصِّمْتُمْ
 عَنْ هَذَا وَجَدْتُمْ اللَّهُمَّ فِي بَيْتِ ابْنِ آوَى . وَكُلُّ شَيْءٍ يُذَكِّرُ
 مِنْ عِيُوبِهِ وَخِيَانَتِهِ فَهَنْ أَحَقُّ أَنْ نُصَدِّقَهُ ^(٢) * قَالَ الْآخَرُ
 لَيْتَ وَجَدْنَا هَذَا حَقًّا لَمْ نَكُنْ بِالْخِيَانَةِ فَقَطُّ وَلَسَكُنْ مَعَ الْخِيَانَةِ
 كُفْرٌ ^(٣) النِّعْمَةِ وَالْجِرَاءَةُ عَلَى الْمَلِكِ * قَالَ الْآخَرُ أَنْتُمْ

١ خلافتی اللہ ٢ ناتی بما يكون مصداقاً له ای شاهداً علی صدقه ٣ ای
 هذه النعمة ٤ انکار وجمد

أَهْلُ الْفَضْلِ لَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَكْذِبَكُمْ . وَلَكِنْ سَيِّئٌ هَذَا
لَوْ أَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَى بَيْتِهِ مَنْ يَفْتِشُهُ * قَالَ الْآخَرُ إِنْ كَانَ
الْمَلِكُ مُفْتَشًا مَنْزِلَهُ فَلْيَجْعَلْ فَإِنْ عَمِيَنَهُ ^(١) وَجَاسِيسُهُ مَبْثُوتَةٌ ^(٢)
بِكُلِّ مَكَانٍ * وَلَمْ يَزَالُوا فِي هَذَا الْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ حَتَّى
وَقَعَ ^(٣) فِي نَفْسِ الْأَسَدِ ذَلِكَ . فَأَمَرَ بِابْنِ آوَى فَحَضَرَ
فَقَالَ لَهُ أَيْنَ اللَّهُمَّ الَّذِي أَمَرْتُكَ بِالْإِحْفَاطِ بِهِ . قَالَ
دَفَعْتَهُ ^(٤) إِلَى صَاحِبِ الطَّعَامِ لِيُقَرِّبَهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَدَعَا الْأَسَدُ
بِصَاحِبِ الطَّعَامِ وَكَانَ مِنْ شَايِعٍ وَبَايَعٍ ^(٥) مَعَ الْقَوْمِ عَلَى
أَبْنِ آوَى فَقَالَ مَا دَفَعَ إِلَيَّ شَيْئًا . فَأَرْسَلَ الْأَسَدُ أَمِينًا
إِلَى بَيْتِ ابْنِ آوَى لِيَفْتِشَهُ فَوَجَدَ فِيهِ ذَلِكَ اللَّهُمَّ فَأَتَى بِهِ
الْأَسَدُ . فَدَنَا مِنَ الْأَسَدِ ذَنْبٌ لَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ فِي شَيْءٍ
مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ يُظْهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْعَدُولِ ^(٦) الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ
فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ . فَقَالَ بَعْدَ ^(٧) أَنْ أُطْلِعَ
الْمَلِكُ عَلَى خِيَانَةِ ابْنِ آوَى لَا يَعْفُونَ عَنْهُ فَإِنَّهُ إِنْ عَفَا
عَنْهُ لَمْ يَطْلُعِ الْمَلِكُ بَعْدَهَا عَلَى خِيَانَةِ خَائِنٍ وَلَا ذَنْبٍ مُذْنِبٍ .

١ بمعنى الجواسيس ٢ منشورة ٣ اثر ٤ ايعاطيته ٥ اي تعصب

٦ جمع عدل بمعنى عادل ٧ هي وما بعدها مفعول قال

فَأَمَرَ الْأَسَدُ بِأَبْنِ آوَى أَنْ يُخْرَجَ وَإِنْ لَمْ يُحْفَظْ بِهِ^(١).
فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَاءِ الْمَلِكِ إِنِّي لَا عَجَبُ مِنْ رَأْيِ الْمَلِكِ
وَمَعْرِفَتِهِ بِالْأُمُورِ كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ أَمْرُ هَذَا وَلَمْ يَعْرِفْ خَبَهُ^(٢)
وَمُخَادَعَتَهُ. وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنِّي أَرَاهُ سَيَصْغَحُ عَنْهُ بَعْدَ الَّذِي
ظَهَرَ مِنْهُ. فَأَرْسَلَ الْأَسَدُ بَعْضَهُمْ رَسُولًا إِلَى ابْنِ آوَى
يَلْتَمِسُ مِنْهُ الْعُذْرَ عَنْ أَمْرِهِ. فَرَجَعَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ بِرِسَالَةٍ كَاذِبَةٍ
أَخْتَلَقَهَا^(٣). فَغَضِبَ الْأَسَدُ مِنْ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِأَبْنِ آوَى أَنْ
يُقْتَلَ * فَعَلِمَتْ أُمُّ الْأَسَدِ أَنَّهُ قَدْ عَجَلَ فِي أَمْرِهِ فَأَرْسَلَتْ
إِلَى الَّذِينَ أَمَرُوا بِقَتْلِهِ أَنْ يُرْجُوهُ^(٤). وَدَخَلَتْ عَلَى ابْنِهَا فَقَالَتْ
يَا بُنَيَّ يَا بُنَيَّ ذَنْبٌ أَمَرْتُ بِقَتْلِ ابْنِ آوَى فَأَخْبَرَهَا بِالْأَمْرِ.
فَقَالَتْ يَا بُنَيَّ عَجَلْتَ وَإِنَّمَا يَسْلُمُ الْعَاقِلُ مِنَ النَّدَامَةِ بِتَرْكِ
الْعَجَلَةِ وَبِالْتَّئِبَتِ. وَالْعَجَلَةُ لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا يَحْتَنِي ثَمَرَةَ
النَّدَامَةِ بِسَبَبِ ضَعْفِ الرَّأْيِ. وَمَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي أُمُورِهِ
نَظَرَ مُفَكِّرٍ كَانَ نَظَرُهُ كَنَظَرِ الَّذِي يَكُونُ بِعَيْنِهِ سَبَلٌ^(٥)
فَيُخِيلُ لَهُ^(٦) أَنْ أَمَامَهَا كَهَيْئَةِ شَعْرَةٍ. وَكَانَ كَالرَّجُلِ الْجَاهِلِ

١ اي يجمل تحت الحفظ ٢ بمعنى الخداع ٣ صنعها ٤ بوجوه

٥ شبه غشاة تعرض للعين ٦ يتوهم

الَّذِي يَسْمَعُ صَوْتَ الْبُعُوضَةِ فِي اللَّيْلِ فَيَظْنُهَا شِدَّةَ صَوْتِهَا
 شَيْئًا فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ عِلِمٌ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ . وَلَيْسَ أَحَدٌ
 أَحْوَجَ إِلَى التَّوَدَةِ ^(١) وَالتَّثَبُّتِ مِنَ الْمُلُوكِ . فَإِنَّ الْمَرْأَةَ
 بِزَوْجِهَا وَالْوَلَدَ بِوَالِدَيْهِ وَالْمُتَعَلِّمَ بِالْمُعَلِّمِ وَالْجُنْدَ بِالْقَائِدِ
 وَالنَّاسِكَ بِالْدِّينِ وَالْعَامَّةَ بِالْمُلُوكِ وَالْمُلُوكَ بِالتَّقْوَى وَالتَّقْوَى
 بِالْعَقْلِ وَالْعَقْلُ بِالتَّثَبُّتِ وَالْأَنَانَةِ ^(٢) . وَرَأْسُ الْحَزْمِ لِلْمَلِكِ
 مَعْرِفَةُ أَصْحَابِهِ وَإِنْزَالُهُمْ مَنَازِلَهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَإِتِهَامُهُ
 بَعْضُهُمْ ^(٣) عَلَى بَعْضٍ فَإِنَّهُ لَوْ وَجَدَ بَعْضُهُمْ إِلَى هَلَاكِ بَعْضٍ
 سَبِيلًا لَفَعَلَ

وَقَدْ جَرَّبْتُ ابْنَ آوَى وَبَلَوْتُ ^(٤) رَأْيَهُ وَأَمَانَتَهُ
 وَمُرُوءَتَهُ ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مَادِحًا لَهُ رَاضِيًا عَنْهُ . وَقَدْ أَتَمَمْتُهُ بِشَيْءٍ
 لَا صِحَّةَ لَهُ وَلَا تَعْلَمُ صِدْقَهُ مِنْ كُذْبِهِ وَلَعَلَّ ذَلِكَ عَمَلُ أَهْلِ
 الْكُذْبِ وَالْحَسَدِ وَالْخِيَانَةِ مِنْ وُزَرَائِكَ . لِأَنَّ الْمَلِكَ إِذَا
 تَهَاوَنَ فِي أَمْرِ وُزَرَائِهِ وَتَغَافَلَ عَنْهُمْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مَا
 تَكْرَهُ عَاقِبَتُهُ . وَالْمَلِكُ أَخْبَرُ مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ أَنَّ الْأَشْرَارَ
 يَحْسُدُونَ الْأَخْيَارَ وَيَرْقُبُونَهُمْ لِيُوقِعُوا بِهِمْ . وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ

أَنْ يَسْتَحْيِنَهُ بَعْدَ ارْتِضَائِهِ إِيَّاهُ وَائْتِمَانِهِ لَهُ . وَمُنْذُ مَجِيئِهِ إِلَى
 الْآنَ لَمْ يَطْلُعْ لَهُ عَلَى حَيَاتِهِ إِلَّا عَلَى الْعِفَّةِ وَالنَّصِيحَةِ وَمَا
 كَانَ مِنْ رَأْيِ الْمَلِكِ أَنْ يُعْجَلَ عَلَيْهِ لِأَجْلِ طَائِقِ ^(١) لَحْمٍ .
 وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَقِيقٌ أَنْ تَنْظُرَ فِي حَالِ ابْنِ آوَى .
 وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَعَرَّضُ لِللَّحْمِ وَلَا يَأْكُلُهُ فَكَيْفَ لِللَّحْمِ اسْتَوْدَعْتَهُ
 إِيَّاهُ . وَلَعَلَّ الْمَلِكَ إِنْ فَحَصَ عَنْ ذَلِكَ ظَهَرَ لَهُ أَنَّ ابْنَ آوَى
 لَهُ خُصَمَاءَ هُمُ الَّذِينَ اتُّمِرُوا بِهَذَا الْأَمْرِ وَهُمْ الَّذِينَ ذَهَبُوا
 بِاللَّحْمِ إِلَى بَيْتِهِ فَوَضَعُوهُ فِيهِ . فَإِنَّ الْحِدَاةَ إِذَا كَانَتْ فِي
 رِجْلَيْهَا قِطْعَةَ لَحْمٍ أَجْتَمَعَ عَلَيْهَا سَائِرُ الطَّيْرِ . وَالْكَلْبُ إِذَا كَانَ
 مَعَهُ عَظْمٌ أَجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْكِلَابُ . وَابْنُ آوَى مُنْذُ كَانَ
 إِلَى الْيَوْمِ نَافِعٌ وَكَانَ مُعْتَمِلًا لِكُلِّ ضَرَرٍ فِي جَنْبِ مَنْفَعَةٍ
 تَصِلُ إِلَيْكَ وَلِكُلِّ عَنَاءٍ ^(٢) يَكُونُ لَكَ فِيهِ رَاحَةٌ وَلَمْ يَكُنْ
 يَطْوِي دُونَكَ سِرًّا

فَيْنَمَا أُمُّ الْأَسَدِ تَقْصُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَقَالَةَ إِذْ دَخَلَ
 عَلَيْهِ بَعْضُ ثِقَاتِهِ فَأَخْبَرَهُ بِرَأْيِ ابْنِ آوَى . فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ
 إِنَّ الْمَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَطْلَعَ عَلَى بَرَاءَةِ ابْنِ آوَى حَقِيقٌ أَنْ لَا

يَتَسَاهَلُ مَعَ مَنْ سَعَى بِهِ ^(١) لَيْثًا يَجْعَرُ أَوْ عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ
 ذَلِكَ . وَلَكِنْ يُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ لِكَيْ لَا يَعُودُوا إِلَى مِثْلِهِ . وَلَا
 تَحْتَقِرْ مَا فَعَلُوا مَعَكَ فَإِنَّ الْعُشْبَ وَإِنْ كَانَ لَا قُوَّةَ لَهُ يُصْنَعُ
 مِنْهُ الْحَبْلُ الَّذِي يُوثَقُ بِهِ ^(٢) الْفِيلُ . فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ
 يُرَاجِعَ ^(٣) فِي أَمْرِ الْكَفُورِ لِلْحَسَنِيِّ وَالْجَرِيِّ عَلَى الْغَدْرِ وَالزَّاهِدِ
 فِي الْخَيْرِ وَالَّذِي لَا يُوقِنُ بِالْآخِرَةِ وَيَنْبَغِي أَنَّهُ يَجْزَى بِمِثْلِهِ .
 وَقَدْ عَرَفْتَ سُرْعَةَ الْغَضَبِ وَفَرْطَ ^(٤) الْهَفْوَةِ وَمِنْ سَخَطٍ بِالْيُسْرِ
 لَمْ يَبْلُغْ رِضَاهُ بِالْكَثِيرِ . وَالْأَوَّلَى لَكَ أَنْ تُرَاجِعَ ابْنَ آوَى
 وَتَعْظِفَ عَلَيْهِ وَلَا يُؤَسِّنَكَ ^(٥) مِنْ مُنَاصَحَتِهِ مَا فَرَطَ مِنْكَ إِلَيْهِ
 مِنَ الْإِسَاءَةِ . فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ عَلَى حَالٍ
 مِنَ الْأَحْوَالِ وَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِالصَّلَاحِ وَالْكَرَمِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ
 وَالشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ وَالْحُبَّةِ لِلنَّاسِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبُعْدِ
 مِنَ الْأَذَى وَالْإِحْتِمَالِ لِلْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ وَإِنْ ثَقُلَتْ
 عَلَيْهِ مِنْهُمْ الْمُؤُونَةُ ^(٦) . وَأَمَّا مَنْ يَنْبَغِي تَرْكُهُ فَهُوَ مَنْ عُرِفَ
 بِالشَّرَاسَةِ وَلُؤْمِ الْعَهْدِ وَقِلَّةِ الشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ وَالْبُعْدِ عَنِ الرَّحْمَةِ

١ اي افسد عليه ٢ بقيد ٣ اى يعاوم ٤ مصدر فرط منه كلام
 مثلاً اى سخط ٥ يقطع املك ٦ اى الكلفة

وَالْوَرَعَ ^(١) وَاتَّصَفَ بِالْجُودِ ^(٢) لِثَوَابِ الْآخِرَةِ وَعِقَابِهَا .
 وَقَدْ عَرَفْتَ ابْنَ آوَى وَجَرَّبْتَهُ وَأَنْتَ حَقِيقٌ بِمُوَاصَلَتِهِ
 فَدَعَا الْأَسَدُ بِابْنِ آوَى وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ مِنْهُ وَوَعَدَهُ
 خَيْرًا وَقَالَ إِنِّي مُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ وَرَادُّكَ إِلَى مَنَزِلَتِكَ . فَقَالَ ابْنُ
 آوَى أَوَلَيْسَ هَذَا الَّذِي خِفْتُ مِنْهُ فِي أَوَّلِ اتِّصَالِي بِكَ وَالَّذِي
 لِأَجْلِهِ أَمْتَنْتُ مِمَّا عَرَضَتْهُ عَلَيَّ مِنْ صُحْبَتِكَ وَتَوَلَّيْتُ خِدْمَتِكَ .
 وَإِنَّ شَرَّ الْأَخْلَاءِ مَنْ أَلْتَمَسَ مَنَفْعَةَ نَفْسِهِ بِضَرِّ أَخِيهِ وَمَنْ
 كَانَ غَيْرَ نَازِلٍ لَهُ كَنَظَرِهِ لِنَفْسِهِ أَوْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُرْضِيَهُ
 بِغَيْرِ الْحَقِّ لِأَجْلِ اتِّبَاعِ هَوَاهُ وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ ذَلِكَ بَيْنَ
 الْأَخْلَاءِ * وَقَدْ كَانَ مِنَ الْمَلِكِ إِلَيَّ مَا عَلِمَ وَلَا يَنْبَغِي
 لِلْمَلِكِ أَنْ يَطْمَئِنَّ إِلَى مَنْ عَاقَبَهُ أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ مِنْ نَزْعِهِ عَنْ
 عَمَلِهِ أَوْ أَخَذَ مَالَهُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ . أَوْ مَنْ كَانَ لِلْكَرَامَةِ
 أَهْلًا فَلَمْ يَعْرِفْ لَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يُعْطِهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ . أَوْ كَانَ
 مَظْلُومًا وَلَمْ يَنْظُرْ فِي أَمْرِهِ . أَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الطَّمَعِ
 فَلَمْ يُصِبْ مَا يَرْجُوهُ . أَوْ كَانَ بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ اجْتَرَمُوا
 جَرِيمَةً ^(٣) هُوَ مِنْهَا بَرِيٌّ فَأَخَذَ هُوَ بِهَا مِنْ بَيْنِهِمْ وَخُلِّيَ

سَبِيلُهُمْ * فَأَمَّا هَؤُلَاءِ لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَصْغَبَهُمْ . وَأَنَا
 أَيُّهَا الْمَلِكُ أَحَدُ هَؤُلَاءِ . فَلَعَلَّ الْمَلِكَ يَقُولُ إِنَّ ابْنَ آوَى لَا
 يَنْسَى الَّذِي لَقِيَهُ مِنَ الْهُوَانِ فَيَقْنَصُ مِنِّي . وَأَنَا يَعْلَمُ اللَّهُ
 أَنَّ لَيْسَ فِي قَلْبِي شَيْءٌ مِنْ قَبْلِ هَذَا وَإِنَّمَا خَوْفِي أَنْ يَفْعَلُوا
 بِي ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى . فَلَا يَفْلُظَنَّ عَلَى نَفْسِ الْمَلِكِ مَا أُخْبِرُهُ
 أَنِّي بِهِ غَيْرُ وَاثِقٍ وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَصْغَبَهُ * وَإِنَّ الْمَلِكَ
 لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْغَبَ مَنْ كَانَ مِثْلِي وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَرْفُضَهُ
 أَصْلًا . فَإِنَّ ذَا السُّلْطَانِ ^(١) إِذَا عَزَلَ كَانَ مُسْتَحَقًّا لِلْكَرَامَةِ
 فِي حَالَةِ إِبْعَادِهِ وَالْإِقْصَاءِ ^(٢) لَهُ * فَلَمَّا يَلْتَفِتِ الْأَسَدُ إِلَى كَلَامِهِ
 ثُمَّ قَالَ لَهُ إِنِّي قَدْ بَلَوْتُ طِبَاعَكَ وَأَخْلَاكَ وَجَرَّبْتُ أَمَانَتَكَ
 وَوَفَاءَكَ وَعَرَفْتُ كَذِبَ مَنْ مَحَلَّ ^(٣) بِكَ وَإِنِّي مُنْزِلُكَ مِنْ نَفْسِي
 مَنْزِلَةَ الْأَخْيَارِ الْكَرُمَاءِ وَالْكَرِيمِ تَنْسِيهِ الْخَلَّةِ ^(٤) الْوَاحِدَةِ
 مِنَ الْإِحْسَانِ الْخِلَالِ الْكَثِيرَةِ مِنَ الْإِسَاءَةِ . وَقَدْ عُدْنَا إِلَى
 الثِّقَةِ بِكَ فَعُدْ إِلَى الثِّقَةِ بِنَا فَإِنَّهُ كَأَنَّ لَنَا وَلَكَ بِذَلِكَ غِبْطَةً
 وَسُرُورًا * فَعَادَ ابْنُ آوَى إِلَى وَلَايَةِ مَا كَانَ بِلِي ^(٥) وَضَاعَفَ لَهُ
 الْأَسَدُ الْكَرَامَةَ وَلَمْ تَزِدْهُ إِلَّا يَوْمًا إِلَّا تَقَرَّبًا مِنْهُ

١ اي السلطنة ٢ بمعنى الابعاد ٣ مكي ومكر ٤ اسم الامر ٥ يقول عليه

باب

اللبوة^(١) والإسوار^(٢) والشعر

قال دبشليم الملك ليدبا الفيلسوف قد سمعت هذا
المثل فأضرب لي مثلاً في شأن من يدع ضره غيره إذا قدر
عليه بما يصيبه من الضر ويكون له مما ينزل به واعظ وزاجر
عن ارتكاب الظلم والعداوة لغيره

قال الفيلسوف إنه لا يقدم على طلب ما يضر بالناس
وما يسوءهم إلا أهل الجهالة والسفه^(٣) وسوء النظر في العواقب
من أمور الدنيا والآخرة وقلة العلم بما يدخل عليهم في
ذلك من حلول النعمة وبما يلزمهم من تبعه^(٤) ما اكتسبوا
مما لا تحيط به العقول. وإن سلم بعضهم من ضرر بعض
باتفاق عرض له قبل أن ينزل به وبال^(٥) ما صنع لم يسلم
في كل مرة فإن من لم يفكر في العواقب لم يأمن
المصائب وكان حقيقاً أن لا يسلم من المعاطب^(٦) ورُبما

١ انثى الاسد ٢ الصياد ٣ بمعنى الجهل والطيش ٤ التبعة العاقبة
السيئة ٥ سوء عاقبة ٦ المهالك

أَتَعَطَّ الْجَاهِلُ وَأَعْتَبَرَ^(١) بِمَا يَصِيبُهُ مِنَ الْمَضَرَّةِ مِنَ الْغَيْرِ فَأَزْدَعَ
عَنْ أَنْ يَغْشَى^(٢) أَحَدًا بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَحَصَلَ
لَهُ نَفْعٌ مَا كَفَّ عَنْهُ مِنْ ضَرَرِهِ لِغَيْرِهِ فِي الْعَاقِبَةِ * وَمِثْلُ ذَلِكَ
حَدِيثُ اللَّبُوءِ وَالْإِسْوَارِ وَالشَّعْرِ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ
كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ لَبُوءَةً كَانَتْ فِي غِيْضَةٍ وَلَهَا
شِبْلَانِ^(٣) . وَإِنَّهَا خَرَجَتْ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ وَخَلَفَتْهُمَا فِي كَهْفِهِمَا .
فَمَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ فَحَمَلَ^(٤) عَلَيْهِمَا وَرَمَاهُمَا فَقَتَلَهُمَا وَسَلَخَ جِلْدَهُمَا
فَأَحْتَقَبَهُمَا^(٥) . وَأَنْصَرَفَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ . ثُمَّ إِنَّهَا رَجَعَتْ فَلَمَّا
رَأَتْ مَا حَلَّ بِهِمَا مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ اضْطَرَبَتْ ظَهَرَ الْبَطْنِ
وَصَاحَتْ وَضَجَّتْ . وَكَانَ إِلَى جَنْبِهَا شَعْرٌ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ
صِيَاحِهَا قَالَ لَهَا مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ وَمَا نَزَلَ بِكِ أَخْبِرِينِي
بِهِ . قَالَتْ اللَّبُوءَةُ شِبْلَايَ مَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ فَقَتَلَهُمَا وَسَلَخَ جِلْدَهُمَا
فَأَحْتَقَبَهُمَا وَنَبَذَهُمَا^(٦) فِي الْعَرَاءِ^(٧) . قَالَ لَهَا الشَّعْرُ لَا تَضْجِي
وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكَ^(٨) وَأَعْلِي أَنِ الدُّنْيَا دَارُ مَكَافَاةٍ

١ من العبرة وهو ما يجذره من امثاله ٢ اية يصيب ٣ الشبل ابن
الاسد ٥ عطف وهم ٥ ربطها خلفه على ركوبه ٦ طرحها ٧ الفضا
٨ خذي حثك منها

فَفَاعِلُ الْخَيْرِ يَحْمَدُهُ وَفَاعِلُ الشَّرِّ يَجْنِي ثَمَرَهُ. وَإِنَّ هَذَا الْإِسْوَارَ
لَمْ يَأْتِ إِلَيْكَ ^(١) شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ كُنْتَ تَفْعَلِينَ بِغَيْرِكَ مِثْلَهُ
وَتَأْتِينَ مِثْلَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِّنْ كَانَ يَجِدُ بِحِمْبِهِ ^(٢) وَمَنْ
يَعِزُّ عَلَيْهِ مِثْلُ مَا تَجِدِينَ بِسَبِيلِكَ. فَأَصْبِرِي مِنْ غَيْرِكَ عَلَى مَا
صَبَرَ غَيْرُكَ عَلَيْهِ مِنْكَ. فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ كَمَا تَدِينُ تَدَانُ وَلِكُلِّ
عَمَلٍ ثَمَرَةٌ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَهُمَا عَلَى قَدَرِهِ فِي الْكَثْرَةِ
وَالْقِلَّةِ كَالزَّرْعِ إِذَا حَضَرَ الْحَصَادُ أُعْطِيَ عَلَى حَسَبِ بَذَرِهِ.

قَالَتِ اللَّبْوَةُ يَبْنَ لِي مَا تَقُولُ وَأَفْصَحْ لِي عَنْ إِشَارَتِهِ.
قَالَ الشَّعْهَرُ كَمَا أَتَى لَكَ مِنَ الْعُمْرِ قَالَتِ اللَّبْوَةُ كَذَا وَكَذَا
سَنَهُ. قَالَ الشَّعْهَرُ مَا كَانَ قُوتُكَ فِيهِ. قَالَتِ اللَّبْوَةُ لَحْمُ
الْوَحْشِ. قَالَ الشَّعْهَرُ وَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ إِيَّاهُ. قَالَتِ اللَّبْوَةُ
كُنْتُ أَصِيدُ الْوَحْشَ وَأَكُلُهُ. قَالَ الشَّعْهَرُ أَرَأَيْتِ الْوَحْشَ
الَّتِي كُنْتَ تَأْكُلِينَ أَمَا كَانَ لَهَا آبَاءٌ وَأُمَمَاتٌ. قَالَتْ بَلَى.
قَالَ الشَّعْهَرُ فَمَا بَالِي لَا أَرَى وَلَا أَسْمَعُ لِأُولَئِكَ الْأَبَاءِ
وَالْأُمَمَاتِ مِنَ الْجَزَعِ مَا أَرَى وَأَسْمَعُ لَكَ. أَمَا ^(٣) إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ
بِكَ مَا نَزَلَ إِلَّا لِسَوْءِ نَظَرِكَ فِي الْعَوَاقِبِ وَقِلَّةِ تَفَكُّرِكَ فِيهَا

وَجَهِائِكَ بِمَا يَرْجِعُ عَلَيْكَ مِنْ ضَرِّهَا * فَلَمَّا سَمِعَتْ اللَّبْوَةُ
 ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الشَّعْهَرِ عَرَفَتْ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا جَنَّتْ عَلَى نَفْسِهَا ^(١)
 وَأَنَّ عَمَلَهَا كَانَ جَوْرًا وَظُلْمًا . فَتَرَكْتَ الصَّيْدَ وَأَنْصَرَفْتَ عَنْ
 أَكْلِ اللَّحْمِ إِلَى أَكْلِ الثِّمَارِ وَالنُّسْكِ وَالْعِبَادَةِ . فَلَمَّا
 رَأَى ذَلِكَ وَرِشَانٌ ^(٢) كَانَ صَاحِبَ تِلْكَ الْغِيْضَةِ وَكَانَ عَيْشُهُ
 مِنَ الثِّمَارِ . قَالَ لَهَا قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الشَّجَرَ عَامِنَا ^(٣) هَذَا لَمْ
 تَحْمِلْ لِقَلَّةِ الْمَاءِ . فَلَمَّا أَبْصَرْتُكَ تَأْكُلِينَهَا وَأَنْتِ آكِلَةُ اللَّحْمِ
 فَتَرَكْتَ رِزْقَكَ وَطَعَامَكَ وَمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ وَتَحَوَّلْتَ إِلَى رِزْقٍ غَيْرِكَ
 فَأَنْقَضْتَهُ ^(٤) وَدَخَلْتَ عَلَيْهِ فِيهِ ^(٥) . عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَ الْعَامَ أَثْمَرَتْ
 كَمَا كَانَتْ تُثْمِرُ قَبْلَ الْيَوْمِ وَإِنَّمَا أَتَتْ قَلَّةُ الثَّمَرِ مِنْ جِهَتِكَ .
 فَوَيْلٌ لِلشَّجَرِ وَوَيْلٌ لِلثِّمَارِ وَوَيْلٌ لِمَنْ عَيْشُهُمْ مِنْهَا مَا أَسْرَعَ
 هَلَاكُهُمْ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَغَلَبَهُمْ عَلَيْهَا مَنْ لَيْسَ
 لَهُ فِيهَا حَظٌّ وَلَمْ يَكُنْ مُعْتَادًا لِأَكْلِهَا * فَلَمَّا سَمِعَتْ اللَّبْوَةُ
 ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْوَرِشَانِ تَرَكْتَ أَكْلَ الثِّمَارِ وَأَقْبَلْتَ عَلَى
 أَكْلِ الْعُشْبِ وَالْعِبَادَةِ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لَتَعْلَمَ أَنَّ الْجَاهِلَ رُبَّمَا

١ جرت إليها من الذنب ٢ طائر ٣ أيس في عامنا ٤ أي اخذت منه
 أيس غالبتو عليه

أَنْصَرَفَ بِضَرٍّ يُصِيبُهُ عَنْ ضَرِّ النَّاسِ كَاللَّبْوَةِ الَّتِي أَنْصَرَفَتْ
لِمَا لَقِيَتْ فِي شَبَلَيْهَا عَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ ثُمَّ عَنْ أَكْلِ الثَّمَارِ
بِقَوْلِ الْوَرْشَانِ وَأَقْبَلَتْ عَلَى النَّسْكِ وَالْعِبَادَةِ
وَالنَّاسُ أَحَقُّ بِحُسْنِ النَّظَرِ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ مَا لَا
تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ لَا تَصْنَعُهُ لِغَيْرِكَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْعَدْلَ وَفِي
الْعَدْلِ رِضَى اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَى النَّاسِ



بَابُ

إِيلَادَ وَبِلَادَ وَإِيرَاخْتَ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
الْمَثَلَ فَأَضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ
يُلْزِمَ بِهَا نَفْسَهُ وَيَحْفَظَ مُلْكَهُ وَيُثَبِّتَ بِهَا سُلْطَانَهُ وَيَكُونَ
ذَلِكَ رَأْسَ أَمْرِهِ وَمِمَّا لَكَ ^(١) الْحِلْمُ أَمْ الْمُرُوءَةُ أَمْ الشَّجَاعَةُ
أَمْ الْجُودُ . قَالَ يَيْدَبَا إِنَّ أَحَقَّ مَا يَحْفَظُ بِهِ الْمَلِكُ مُلْكَهُ
الْحِلْمُ وَبِهِ تَثَبُّتُ السُّلْطَانَةُ . وَالْحِلْمُ رَأْسُ الْأُمُورِ وَمِمَّا لَهَا

وَأَجُودُ مَا كَانَ فِي الْمُلُوكِ

كَالَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ مَلِكٌ يُدْعَى بِلَادَ وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ
يُدْعَى إِبِلَادَ وَكَانَ مُتَعَبِدًا نَاسِكًا . وَإِنَّ الْمَلِكَ نَامَ ذَاتَ لَيْلَةٍ
فَرَأَى فِي مَنَامِهِ ثَمَانِيَةَ أَحْلَامٍ أَفْرَعَتْهُ فَاسْتَيْقَظَ مَرْعُوبًا .
فَدَعَا بِالْبَرَاهِمَةِ وَهُمْ النَّسَاكُ لِيُعْبَرُوا رُؤْيَاهُ . فَلَمَّا حَضَرُوا بَيْنَ
يَدَيْهِ قَصَّ عَلَيْهِمْ مَا رَأَى فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ لَقَدْ رَأَى الْمَلِكُ
عَجَبًا . فَإِنْ أَهْلُنَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ جِئْنَاهُ بِتَأْوِيلِهِ . قَالَ الْمَلِكُ قَدْ
أَهْلَيْتُمْ . فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ اجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلٍ أَحَدِهِمْ
وَأَتَمَّرُوا بَيْنَهُمْ . وَقَالُوا قَدْ وَجَدْتُمْ عَلِمًا وَاسِعًا تُذَكِّرُكُمْ بِهِ
ثَأْرَكُمْ وَتَتَقِيمُونَ مِنْ عَذَابِكُمْ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ قَتَلَ مِنَ الْأَنْسِ
أَثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا . رَهَا هُوَ قَدْ أَطْلَعَنَا عَلَى سِرِّهِ وَسَأَلْنَا تَفْسِيرَ
رُؤْيَاهُ . فَهَلُمُّ نُنْظِرْ لَهُ الْقَوْلَ وَيُخَفِّهِ حَتَّى يَحْمِلَهُ الْفَرْقُ^(١)
وَالْجَزَعُ^(٢) عَلَى أَنْ يَفْعَلَ الَّذِي نُرِيدُ . وَنَأْمُرُهُ فَنَقُولُ أَدْفَعْ
إِلَيْنَا أَحِبَّاءَكَ وَمَنْ يَكْرُمُ عَلَيْكَ حَتَّى نَقْتُلَهُمْ . فَإِنَّا قَدْ نَظَرْنَا
فِي كُتُبِنَا فَلَمْ نَرَ أَنَّ يَدْفَعُ عَنْكَ مَا رَأَيْتَ لِنَفْسِكَ وَمَا وَقَعَتْ
فِيهِ مِنْ هَذَا الشَّرِّ إِلَّا بِقَتْلِ مَنْ نُسَيِّ لَكَ . فَإِنْ قَالَ الْمَلِكُ

وَمَنْ تُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُوا سَمُوهُمْ لِي . قُلْنَا نُرِيدُ الْمَلِكَةَ
 اِبْرَاخْتَ أَمْ جُوَيْرَ الْعَمُودَةِ أَكْرَمَ نَسَائِكَ عَلَيْكَ .
 وَنُرِيدُ جُوَيْرَ أَحَبِّ بَنِكَ إِلَيْكَ وَأَفْضَلُهُمْ عِنْدَكَ . وَنُرِيدُ
 كَالَ الْكَاتِبِ صَاحِبَ سِرِّكَ وَسَيْفَكَ الَّذِي لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ
 وَالْفِيلَ الْأَبْيَضَ الَّذِي لَا تَلْحَقُهُ الْخَيْلُ وَالْفَرَسَ الَّذِي هُوَ مَرْبُوكٌ فِي
 الْقِتَالِ . وَنُرِيدُ الْفِيلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكُونَانِ مَعَ الْفِيلِ
 الذَّكَرِ . وَنُرِيدُ الْبُخْتِيَّ^(١) السَّرِيعَ الْقَوِيَّ . وَنُرِيدُ كَبَارِيُونَ
 الْحَكِيمَ الْفَاضِلَ الْعَالِمَ بِالْأُمُورِ لِنَنْتَقِمَ مِنْهُ بِمَا فَعَلَ بِنَا * ثُمَّ
 نَقُولُ لَهُ إِنَّمَا يَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْ تَقْتُلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
 سَمَيْنَاهُمْ لَكَ ثُمَّ تَجْعَلَ دِمَاءَهُمْ فِي حَوْضٍ تَمْلَأُهُ ثُمَّ تَقْعُدُ فِيهِ .
 فَإِذَا خَرَجْتَ مِنَ الْحَوْضِ اجْتَمَعْنَا نَحْنُ مَعَاشِرَ الْبَرَاهِمَةِ مِنْ
 الْأَفَاقِ الْأَرْبَعَةِ نَجُولُ حَوْلَكَ فَتَرْقِيكَ^(٢) وَتَقْتُلُ عَلَيْكَ وَنَمْسَحُ
 عَنْكَ الدَّمَ وَنَغْسِلُكَ بِالْمَاءِ وَالذَّهْنِ الطَّيِّبِ . ثُمَّ تَقُومُ إِلَى
 مَنْزِلِكَ الْبَهِيِّ فَيَدْفَعُ اللَّهُ بِذَلِكَ الْبَلَاءَ الَّذِي تَتَخَوُّهُ عَلَيْكَ *
 فَإِنْ صَبَرْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَطَابَتْ نَفْسُكَ عَنْ أَحِبَّائِكَ
 الَّذِينَ ذَكَرْنَا لَكَ وَجَعَلْتَهُمْ فِدَاكَ تَخَلَّصْتَ مِنَ الْبَلَاءِ وَأَسْتَقَامَ

لَكَ مُلْكُكَ وَسُلْطَانُكَ وَاسْتَخْلَفْتَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ أَحْبَبْتَ
وَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ تَخَوُّفَنَا عَلَيْكَ أَنْ يُغْضَبَ ^(١) مُلْكُكَ
إَوْ تَهْلِكَ . فَإِنَّهُ هُوَ أَطَاعَنَا غِيماً نَأْمُرُهُ قَتْلَهُ شَرَّ قَتْلِهِ
فَلَمَّا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى مَا اتُّمِرُوا فِيهِ رَجَعُوا إِلَيْهِ
فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ وَقَالُوا لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّا نَنْظُرُكَ فِي كُنْهِنَا
تَفْسِيرَ مَا رَأَيْتَ وَفَحَصْنَا عَنِ الرَّأْيِ فِيهِ بَيْنَنَا . فَلْيَكُنْ لَكَ
أَيُّهَا الْمَلِكُ الظَّاهِرُ الصَّالِحُ وَالْكَرَامَةُ . وَلَسْنَا نَقْدِرُ أَنْ
نُعْلِمَكَ بِمَا رَأَيْنَا إِلَّا أَنْ تَخْلُوَ بِنَا وَتُؤْمِنَنَا . فَأَخْرَجَ الْمَلِكُ مِنْ
كَانَ عِنْدَهُ وَخَلَا بِهِمْ فَحَدَّثُوهُ بِالَّذِي اتُّمِرُوا فِيهِ . فَقَالَ لَهُمْ
الْمَوْتُ خَيْرٌ لِي مِنَ الْحَيَاةِ إِنْ أَنَا قَتَلْتُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ
عَدِيلُ ^(٢) نَفْسِي . وَأَنَا مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ وَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ وَلَسْتُ
سُكَّلَ الدَّهْرِ مَلِكًا . وَإِنَّ الْمَوْتَ عِنْدِي وَفِرَاقَ الْأَحْبَابِ سَوَاءٌ
فَضْلًا عَمَّا أَرْتَكِبُهُ مِنَ الْإِثْمِ . فِي قَتْلِهِمْ * قَالَ لَهُ الْبَرْهَمِيُّونَ
إِنْ أَنْتَ لَمْ تَغْضَبْ أَخْبَرْنَاكَ . فَأَذِنَ لَهُمْ فَقَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ
إِنَّكَ لَمْ تَقُلْ صَوَابًا حِينَ تَجْعَلُ نَفْسَ غَيْرِكَ أَعَزَّ عِنْدَكَ مِنْ
نَفْسِكَ . فَاحْفَظْ بِنَفْسِكَ وَمُلْكِكَ هَذَا الَّذِي فِيهِ لَكَ الرَّجَاءُ

الْعَظِيمُ عَلَى ثِقَةٍ وَبَقِيٍّ وَقَرَّ عَيْنًا بِمُلْكِكَ فِي وُجُوهِ أَهْلِ
 مَمْلَكَتِكَ الَّذِينَ شَرُفَتْ وَكُرِّمَتْ بِهِمْ وَلَا تَدْعُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ
 وَتَأْخُذُ بِالضَّعِيفِ فَتُهْلِكَ نَفْسَكَ إِيثَارًا ^(١) لِمَنْ تُحِبُّ * وَأَعْلَمُ أَيُّهَا
 الْمَلِكُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يُجِبُّ الْحَيَاةَ مُحَبَّةً لِنَفْسِهِ وَأَنَّهُ لَا يُجِبُّ
 مَنْ أَحَبَّ مِنَ الْأَحْبَابِ إِلَّا ائْتَمَعَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ • وَإِنَّمَا قِوَامُ
 نَفْسِكَ بَعْدَ اللَّهِ بِمُلْكِكَ • وَإِنَّكَ لَمْ تَتَلْ مُلْكَكَ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ
 وَالْعَنَاءِ الْكَثِيرِ فِي الشُّهُورِ وَالسِّنِينَ وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَرْفُضَهُ
 وَيَهُونَ عَلَيْكَ • فَاسْتَمِعْ كَلَامَنَا وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ مِنْهَا ^(٢) وَدَعْ مَا
 سِوَاهَا فَإِنَّهُ لَا خَطَرَ لَهُ * فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ الْبَرَاهِمِيِّينَ قَدْ
 أَغْلَظُوا لَهُ فِي الْقَوْلِ وَاسْتَجْرَأُوا عَلَيْهِ فِي الْكَلَامِ أَشَدَّ غَمَّهُ
 وَحُزْنَهُ وَقَامَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانِيهِمْ ^(٣) وَدَخَلَ إِلَى حُجْرَتِهِ فَخَرَّ ^(٤) عَلَى
 وَجْهِهِ يَبْكِي وَيَتَقَلَّبُ كَمَا تَتَقَلَّبُ السَّمَكَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ
 الْمَاءِ • وَجَعَلَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ مَا أَذْرِي أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَعْظَمُ
 فِي نَفْسِي الْهَلَكَةُ أَمْ قَتْلُ أَحِبَّائِي • وَلَنْ أَنَالَ الْفَرَحَ مَا
 عَشْتُ وَلَيْسَ مُلْكِي بِبَاقٍ عَلَيَّ إِلَى الْأَبَدِ وَلَسْتُ بِالْمُصِيبِ
 سَوْلِي فِي مُلْكِي • وَإِنِّي لِزَاهِدٌ فِي الْحَيَاةِ إِذَا لَمْ أَرِ ائِيرَاخْتَ

١ تفضيلاً ٢ ماتمناه ٣ من وسطهم ٤ سقط

وَجَوِيرَ . وَكَيْفَ أَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ بِمُلْكِي إِذَا هَلَكَ وَزِيرِي
 اِيلَاذُ وَكَيْفَ أَضْبِطُ أَمْرِي إِذَا هَلَكَ فِئْلِي الْأَبْيَضُ وَفَرَسِي
 الْجَوَادُ وَكَيْفَ أُدْعَى مَلِكًا وَقَدْ قَتَلْتُ مَنْ أَشَارَ الْبَرَاهِمَةُ بِقَتْلِهِ
 وَمَا أَصْنَعُ بِالْدُّنْيَا بَعْدَهُمْ

ثُمَّ إِنَّ الْحَدِيثَ فَشَا فِي الْأَرْضِ بِحُزْنِ الْمَلِكِ وَهَمِّهِ .
 فَلَمَّا رَأَى اِيلَاذُ مَا نَالَ^(١) الْمَلِكَ مِنَ الِئْمَرِ وَالْحُزْنِ فَكَّرَ فِي
 حِكْمَتِهِ وَنَظَرَ وَقَالَ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْتَقْبَلَ الْمَلِكَ فَأَسْأَلَهُ
 عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ نَالَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعُوَنِي . ثُمَّ
 انْطَلَقَ إِلَى اِئْرَاخْتِ فَقَالَ إِنِّي مِنْذُ خَدَمْتُ الْمَلِكَ إِلَى الْآنَ
 لَمْ يَعْمَلْ عَمَلًا إِلَّا بِمَشُورَتِي وَرَأْيِي . وَأَرَاهُ يَكْتُمُ عَنِّي أَمْرًا
 لَا أَعْلَمُهُ مَا هُوَ وَلَا أَرَاهُ يُظْهِرُ مِنْهُ شَيْئًا . وَإِنِّي رَأَيْتُهُ خَالِيًا
 مَعَ جَمَاعَةِ الْبَرْهَمِيِّينَ مِنْذُ لَيَالٍ وَقَدْ احْتَجَبَ عَنَّا فِيهَا . وَأَنَا
 خَائِفٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِهِ فَلَسْتُ
 آمَنُهُمْ أَنْ يُشِيرُوا عَلَيْهِ بِمَا يَضُرُّهُ وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهُ السُّوءُ .
 فَقَوَّيْتُ وَأَدْخَلِي عَلَيْهِ فَأَسْأَلِيهِ عَنْ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ وَأَخْبِرَ بَنِي بَمَا
 هُوَ عَلَيْهِ وَأَعْلِمِينِي فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الدُّخُولِ عَلَيْهِ .

فَلَعَلَّ الْبَرْهَمِيِّينَ قَدْ زَيَّنُوهُ أَمْرًا وَحَمَلُوهُ عَلَى خِطَّةٍ ^(١) قَبِيحَةٍ .
 وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مِنْ خُلُقِ الْمَلِكِ أَنَّهُ إِذَا غَضِبَ لَا يَسْأَلُ
 أَحَدًا وَسِوَاءَ عِنْدَهُ صَغِيرُ الْأُمُورِ وَكَبِيرُهَا * فَقَالَتْ إِيْرَاخْتُ
 إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَلِكِ بَعْضُ الْعِتَابِ فَلَسْتُ بِدَاخِلَةٍ عَلَيْهِ
 فِي هَذِهِ الْحَالِ . فَقَالَ لَهَا إِيْلَاذُ لَا تَحْمِلِي عَلَيْهِ الْحَقْدَ فِي مِثْلِ
 هَذَا وَلَا يَخْطُرَنَّ ذَلِكَ عَلَى بَالِكَ فَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى الدُّخُولِ عَلَيْهِ
 أَحَدٌ سِوَاكَ . وَقَدْ سَمِعْتَهُ كَثِيرًا يَقُولُ مَا أَشَدَّ غَمِّي وَدَخَاتِ
 عَلَيَّ إِيْرَاخْتُ إِلَّا سُرِّي ^(٢) ذَلِكَ عَنِّي . فَقُومِي إِلَيْهِ وَاصْفَحِي عَنْهُ
 وَكَلِمَتِهِ بِمَا تَعْلَمِينَ أَنَّهُ تَطِيبُ بِهِ نَفْسُهُ وَيَذْهَبُ الَّذِي يَجِدُهُ
 وَأَعْلِمِينِي بِمَا يَكُونُ جَوَابُهُ فَإِنَّ بِذَلِكَ لَنَا وَلِأَهْلِ الْمَمْلَكَةِ
 أَعْظَمَ الرَّاحَةِ .

فَانْطَلَقَتْ إِيْرَاخْتُ فَدَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ فَجَلَسَتْ عِنْدَ
 رَأْسِهِ فَقَالَتْ مَا الَّذِي بِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُحْمَدُ وَمَا الَّذِي
 سَمِعْتَ مِنَ الْبَرْهَامِيَةِ فَإِنِّي أَرَاكَ مُحْزُونًا فَأَعْلِمْنِي مَا بِكَ فَقَدْ
 يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْزَنَ مَعَكَ وَنُؤَاسِيكَ ^(٣) بِأَنْفُسِنَا . فَقَالَ الْمَلِكُ
 أَيُّهَا الْمَرْأَةُ لَا تَسْأَلِينِي عَنْ أَمْرِي فَتَزِيدَنِي غَمًّا وَحُزْنًا . فَإِنَّهُ

أَمْرٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَسْأَلَنِي عَنْهُ قَالَتْ أَوَقَدْ نَزَلْتُ عِنْدَكَ مَنْزِلَةً
 مَنْ يَسْتَحِقُّ هَذَا إِنَّمَا أَحْمَدُ النَّاسِ عَقْلاً مَنْ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ
 النَّازِلَاتُ كَانَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ ضَبْطاً وَأَكْثَرَهُمْ^(١) أَسْتِمَاعاً مِنْ
 أَهْلِ النَّصْحِ حَتَّى يَنْجُو مِنْ تِلْكَ النَّازِلَةِ بِالْحِيلَةِ وَالْعَقْلِ وَالْبَحْثِ
 وَالْمُشَاوَرَةِ فَمَعْظِمُ الذَّنْبِ لَا يَقْنِطُ^(٢) مِنَ الرَّحْمَةِ وَلَا تُدْخِلَنَّ
 عَلَيْكَ شَيْئاً مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ فَإِنَّهُمَا لَا يَرُدَّانِ شَيْئاً مَقْضِياً
 إِلَّا أَنَّهُمَا يُنْجِلَانِ الْجِسْمَ وَيَشْفِيَانِ الْعَدُوَّ وَالصَّبْرُ عِنْدَ نَزُولِ
 الْمُصِيبَةِ عِبَادَةٌ وَسَوْفَ تَحْمَدُ أَمْرَكَ إِنْ أَخْبَرْتَنِي قَالَتْ لَهَا
 الْمَلِكُ لَا تَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ فَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ^(٣) . وَالَّذِي
 تَسْأَلُنِي عَنْهُ لَا خَيْرَ فِيهِ لِأَنْ عَاقِبَتُهُ هَلَاقِي وَهَلَكَ
 وَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي وَمَنْ هُوَ عَدِيلُ نَفْسِي . وَذَلِكَ
 أَنَّ الْبَرَاهِمَةَ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ قَتْلِكَ وَقَتْلِ جُوسِرَ وَكَثِيرٍ
 مِنْ أَهْلِ مَوَدَّتِي وَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَكُمْ وَهَلْ أَحَدٌ يَسْمَعُ
 بِهَذَا إِلَّا أَعْتَرَاهُ الْحُزْنُ

فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ إِيْرَاخْتُ جَزَعَتْ وَمِنَعَهَا عَقْلُهَا أَنْ
 تُظْهِرَ لِلْمَلِكِ جَوْعاً فَقَالَتْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَجْزَعْ فَتَحْنُ لَكَ

الْفِدَاءَ وَلَكَ فِي سِوَايَ وَمِثْلِي مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ . وَلَكِنِّي
 أَطْلُبُ مِنْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَاجَةً يَحْتَمِلُنِي عَلَى طَلِبَتِهَا حَيِّي
 لَكَ وَإِثَارِي إِيَّاكَ وَهِيَ نَصِيحَتِي لَكَ . قَالَ الْمَلِكُ . وَمَا
 هِيَ . قَالَتْ أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ لَا تَتَّقَ بَعْدَهَا بِأَحَدٍ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ
 وَلَا تُشَاوِرَهُمْ فِي أَمْرِ حَتَّى تَثْبِتَ فِي أَمْرِكَ ثُمَّ تُشَاوِرَ فِيهِ
 ثِقَاتِكَ^(١) مِرَارًا . فَإِنَّ الْقَتْلَ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَلَسْتُ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ
 تُخَيِّي مَنْ قَتَلْتَ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْحَدِيثِ إِذَا لَقِيتَ جَوْهَرًا
 لَا خَيْرَ فِيهِ فَلَا تَلْقِهِ مِنْ يَدِكَ حَتَّى تَرِيَهُ مِنْ بَعْرِهِ . وَأَنْتَ
 أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَعْرِفُ أَعْدَاءَكَ . بَوَّأَ عِلْمُ أَنَّ الْبَرَاهِمَةَ لَا يُحِبُّونَكَ
 وَقَدْ قَتَلْتَ مِنْهُمْ بِالْأَمْسِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا . وَلَا تَظُنْ أَنَّ
 هَؤُلَاءِ يَلْسُوا مِنْ أَوْلِيكَ . وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُ جَدِيرًا أَنْ تُخْبِرَهُمْ
 بِرُؤْيَاكَ وَلَا أَنْ تُطْلِعَهُمْ عَلَيْهَا . وَإِنَّمَا قَالُوا لَكَ مَا قَالُوا لِأَجْلِ
 الْحَقْدِ الَّذِي يَبْنِيكَ وَيَنْهَمُ لَعَلَّهُمْ يَهْلِكُونَكَ وَيُهْلِكُونَ أَحِبَّاءَكَ
 وَوَزِيرَكَ فَيَبْلَغُوا قَصْدَهُمْ مِنْكَ . وَأَظُنُّكَ لَوْ قَبِلْتَ مِنْهُمْ
 قَتَلْتَ مَنْ أَشَارُوا بِقَتْلِهِ ظَهْرُوا بِكَ وَغَلَبُوكَ عَلَى مُلْكِكَ
 فَيَعُودُ الْمَلِكُ إِلَيْهِمْ كَمَا كَانَ . فَإِنَّ الشَّجَرَةَ إِذَا أُرِيدَ قَلْعُهَا

عُمِدَ أَوَّلًا إِلَى أَصُولِهَا وَمَا تَثَبَّتْ بِهِ فِي الْأَرْضِ فَقَطَعَتْ
ثُمَّ قَلَعَتْ فَهَانَ قَلْعُهَا . فَأَنْطَلَقَ إِلَى كِبَارِيُونَ الْحَكِيمِ فَهُوَ
فَطْنٌ عَالِمٌ فَأَخْبَرَهُ عَمَّا رَأَيْتَ فِي رُؤْيَاكَ وَأَسْأَلَهُ عَنْ وَجْهِهَا
وَنَائِيلِهَا

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ سُرِّي عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ
الْغَمِّ . فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأُسْرِجَ فَرَكَبَهُ ثُمَّ أَنْطَلَقَ إِلَى كِبَارِيُونَ
الْحَكِيمِ . فَلَمَّا أَتَاهُ انْتَهَى إِلَيْهِ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَسَجَدَ لَهُ وَقَامَ
مُطَاطِّئًا^(١) الرُّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ مَا بَالُكَ
أَيُّهَا الْمَلِكُ وَمَا لِي أَرَاكَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ
إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ ثَمَانِيَةَ أَحْلَامٍ قَصَصْتُهَا عَلَى الْبَرَاهِمَةِ
وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ ذَلِكَ عَظِيمٌ أَمْرٌ مِمَّا سَمِعْتُ
مِنْ تَعْيِيرِهِمْ لِرُؤْيَايَ وَأَخْشَى أَنْ يُغْصَبَ مِنِّي مُلْكِي أَوْ
أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ إِنْ شِئْتَ قَصَصْتُ
عَلَيَّ أَحْلَامَكَ وَإِنْ شِئْتَ قَصَصْتُهَا عَلَيْكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا
رَأَيْتَ جَمِيعَهُ . قَالَ الْمَلِكُ بَلْ مِنْ فَيْكَ^(٢) أَحْسَنُ . قَالَ
الْحَكِيمُ لَا يُخْزِنُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ هَذَا الْأَمْرُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ *

أَمَّا السَّمَكَتَانِ الْحُمْرَاوَانِ اللَّتَانِ رَأَيْتُهُمَا قَائِمَتَيْنِ عَلَى ذَنَبَيْهِمَا
فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ رَسُولٌ مِنْ مَلِكٍ هَيْمُونٍ بَعِثْدَيْنِ مُكَلَّلَيْنِ
بِالدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ فِيمَتُهُمَا أَرْبَعَةُ آلَافٍ رِطْلٍ مِنْ
ذَهَبٍ فَيَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ * وَأَمَّا الْوَزَنَانِ اللَّتَانِ رَأَيْتُهُمَا
طَارَتَا مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِكَ فَوَقَعَتَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ
مِنْ مَلِكٍ بَلَّغَ فَرَسَانِ لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلُهُمَا فَيَقُومَانِ بَيْنَ
يَدَيْكَ * وَأَمَّا الْحَيَّةُ الَّتِي رَأَيْتَهَا تَدْبُ عَلَى رِجْلِكَ الْيُسْرَى
فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ صَنْجِينٍ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَيْفٍ
خَالِصٍ الْحَدِيدِ لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ * وَأَمَّا الدَّمُ الَّذِي رَأَيْتَ
كَأَنَّهُ خُضِبَ بِهِ جَسَدُكَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ كَازِرُونَ
مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِلِبَاسٍ مُعْجَبٍ يُسَمَّى حَلَّةَ أَرْجَوَانَ يُضِيءُ
فِي الظُّلْمَةِ * وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ مِنْ غَسَلِكَ جِسْمَكَ بِالْمَاءِ فَإِنَّهُ
يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ رَهْزِينَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِثِيَابٍ
كَتَّانٍ مِنْ لِبَاسِ الْمُلُوكِ * وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ مِنْ أَنَّكَ عَلَى
جَبَلٍ أَبْيَضَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ كِيدُورٍ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ
يَدَيْكَ بِفِيلٍ أَبْيَضَ لَا تَلْحَقُهُ الْحَيْلُ * وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ عَلَى

رَأْسِكَ شَيْهًا بِالنَّارِ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ الْأَزْزَنِ مَنْ يَقُومُ
 بَيْنَ يَدَيْكَ بِكُلِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِالْذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ *
 وَأَمَّا الطَّائِرُ الَّذِي رَأَيْتَهُ ضَرَبَ رَأْسَكَ بِمِنْقَارِهِ فَلَسْتُ
 مُفْسِرًا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَيْسَ بِضَارِكٍ فَلَا تَوَجَّلَنَّ مِنْهُ وَلَكِنَّ
 فِيهِ بَعْضُ السُّخْطِ وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا تُحِبُّ * فَهَذَا تَفْسِيرُ رُؤْيَاكَ
 أَيُّهَا الْمَلِكُ . وَأَمَّا هَذِهِ الْبُرْدُ^(١) وَالرُّسُلُ فَإِنَّهَا تَأْتِيكَ بَعْدَ
 سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَمِيعًا فَتَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ * فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ
 ذَلِكَ سَجَدَ لِكِبَارِيُونَ وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَاءَتْ الْبَشَائِرُ بِقُدُومِ
 الرُّسُلِ فَخَرَجَ الْمَلِكُ فَجَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ وَأَذِنَ لِلْأَشْرَافِ
 وَجَاءَتْهُ الْهَدَايَا كَمَا أَخْبَرَهُ كِبَارِيُّونَ الْحَكِيمُ . فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ
 ذَلِكَ أَشَدَّ عَجَبَهُ وَفَرَحَهُ مِنْ عِلْمِ كِبَارِيُونَ وَقَالَ مَا وَفَّقْتُ
 حِينَ قَصَصْتُ رُؤْيَايَ عَلَى الْبَرَاهِمَةِ فَأَمْرُوْنِي بِمَا أَمْرُوْنِي بِهِ *
 وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَدَارَكَنِي لَهَلَكْتُ وَأَهْلَكْتُ . وَكَذَلِكَ
 لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْمَعَ إِلَّا مِنْ الْأَخْلَاءِ ذَوِي الْعُقُولِ .
 وَإِنْ إِيْرَاخْتَ أَشَارْتَ بِالْخَيْرِ فَقَبِلْتَهُ وَرَأَيْتُ بِهِ أَنْجَاحَ .

فَضَمُوا الْهَدِيَّةَ بَيْنَ يَدَيْهَا لِتَأْخُذَ مِنْهَا مَا اخْتَارَتْ . ثُمَّ قَالَ
لَا يِلَادَ خُذِ الْإِكْلِيلَ وَالْثِيَابَ وَاحْمِلْهَا وَاتَّبِعْنِي بِهَا . وَدَعَا الْمَلِكُ
إِيرَاخْتَ وَحُورْقَنَاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَا يِلَادَ دَعِ الْكُسُوءَةَ
وَالْإِكْلِيلَ بَيْنَ يَدَيَّ إِيرَاخْتَ لِتَأْخُذَ أَيَّهَا شَاءَتْ . فَوُضِعَتِ
الْهَدَايَا بَيْنَ يَدَيَّ إِيرَاخْتَ فَأَخَذَتْ مِنْهَا الْإِكْلِيلَ وَأَخَذَتْ
حُورْقَنَاهُ كُسُوءَةً مِنْ أَفْخَرِ الثِّيَابِ وَأَحْسَنِهَا * وَإِنَّ إِيرَاخْتَ
صَنَعَتْ لِلْمَلِكِ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْزًا بِجَلَاوَةٍ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ بِالصَّحْفَةِ
وَالْإِكْلِيلِ عَلَى رَأْسِهَا وَاتَّفَقَ أَنَّ حُورْقَنَاهُ لَبَسَتْ تِلْكَ الْكُسُوءَةَ
وَمَرَّتْ بَيْنَ يَدَيَّ الْمَلِكِ فَالْتَفَتَ الْمَلِكُ إِلَى إِيرَاخْتَ فَقَالَ
إِنَّكَ جَاهِلَةٌ حِينَ أَخَذْتَ الْإِكْلِيلَ وَتَرَكْتَ الْكُسُوءَةَ الَّتِي
لَيْسَ فِي خَزَائِنِنَا مِثْلُهَا . فَلَمَّا سَمِعَتْ إِيرَاخْتُ مَدَحَ الْمَلِكِ
لِحُورْقَنَاهُ وَثَنَاءَهُ عَلَيْهَا وَتَجْهِيلَهَا هِيَ وَذَمَّ رَأْيَهَا أَخَذَهَا مِنْ ذَلِكَ
الْغَيْزَةِ وَالْغَيْظُ فَضَرَبَتْ بِالصَّحْفَةِ رَأْسَ الْمَلِكِ فَسَالَ الْأَرْزُ
عَلَى وَجْهِهِ وَكَانَ ذَلِكَ تَمَامَ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا الَّتِي عَبَّرَهَا كَبَارِيُّونَ *
فَقَامَ الْمَلِكُ مِنْ مَكَانِهِ وَدَعَا بِإِيلَادَ وَقَالَ أَلَا تَرَى وَأَنَا
مَلِكُ الْعَالَمِ كَيْفَ حَقَرْتَنِي هَذِهِ الْجَاهِلَةُ وَفَعَلْتَ بِي مَا تَرَى

فَانْطَلَقَ بِهَا وَاقْتُلَهَا وَلَا تَرْحَمَهَا

فَفَرَجَ اِيْلَاذُ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ لَا اقْتُلَهَا حَتَّى يَسْكُنَ
عَنْهُ الْغَضَبُ . فَالْمَرْأَةُ عَاقِلَةٌ سَدِيدَةٌ الرَّأْيِ مِنَ الْمَلِكَةِ الَّتِي
يَمْسَ لَهَا عَدِيلٌ فِي النِّسَاءِ . وَلَيْسَ الْمَلِكُ بِصَابِرٍ عَنْهَا وَقَدْ
خَلَصَتْهُ مِنَ الْمَوْتِ وَعَمِلَتْ أَعْمَالًا صَالِحَةً وَرَجَاؤُنَا فِيهَا
عَظِيمٌ . وَلَسْتُ آمَنُهُ أَنْ يَقُولَ لَمْ لَمْ تُؤَخِّرْ قَتْلَهَا حَتَّى
تُرَاجِعَنِي . فَلَسْتُ قَاتِلَهَا حَتَّى أَنْظُرَ رَأْيَ الْمَلِكِ فِيهَا ثَانِيَةً .
فَإِنْ رَأَيْتُهُ نَادِمًا حَزِينًا عَلَى مَا فَعَلَ جِئْتُ بِهَا حَيَّةً وَكُنْتُ
قَدْ عَمِلْتُ عَمَلًا عَظِيمًا وَأَنْجَيْتُ اِيْرَاخْتَ مِنَ الْقَتْلِ وَحَفِظْتُ
قَلْبَ الْمَلِكِ وَأَتَخَذْتُ عِنْدَ عَامَّةِ النَّاسِ بِذَلِكَ يَدًا^(١) . وَإِنْ
رَأَيْتُهُ فَرَحًا مُسْتَرِيحًا مُصَوِّبًا رَأْيَهُ فِي الَّذِي فَعَلَهُ فَقَتْلَهَا لَا
يَفُوتُ * ثُمَّ اَنْطَلَقَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَوَكَّلَ بِهَا خَادِمًا مِنْ أُمَنَائِهِ
وَأَمَرَهُ بِخِدْمَتِهَا وَحِرَاسَتِهَا حَتَّى يَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ .
ثُمَّ خَضَبَ سَيْفَهُ بِالْدَّمِ وَدَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ كَالْكَيْبِ الْحَزِينِ
فَقَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ أَمْرَكَ فِي اِيْرَاخْتَ . فَلَمْ
يَلْبَثِ الْمَلِكُ أَنْ سَكَنَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَذَكَرَ جَمَالَ اِيْرَاخْتَ

وَفَضَّلَهَا وَأَشْتَدَّ أَسْفَهُ عَلَيْهَا وَجَعَلَ يُعْزِي نَفْسَهُ عَنْهَا وَيَجْلَدُ .
 وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَسْأَلَ إِبْلَازَ أَحَقًّا أَمْضَى أَمْرُهُ فِيهَا
 أَمْ لَا . وَهَاجَا لِمَا عَرَفَ مِنْ عَقْلِ إِبْلَازَ أَنْ لَا يَكُونَ قَدْ فَعَلَ
 ذَلِكَ . وَنَظَرَ إِلَيْهِ إِبْلَازُ بِفَضْلِ عَقْلِهِ فَعَلِمَ الَّذِي بِهِ . فَقَالَ لَهُ
 لَا تَهْتَمْ وَلَا تَحْزَنْ أَيُّهَا الْمَلِكُ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي أَلَمٍ وَالْحُزْنُ مَنْفَعَةٌ
 وَلَكِنَّهَا يُنْعِلَانِ الْجِسْمَ وَيُفْسِدَانِهِ . فَأَصْبَرَ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَلَى مَا
 لَسْتَ بِقَادِرٍ عَلَيْهِ أَبَدًا . وَإِنْ أَحَبَّ الْمَلِكُ أَنْ أُحْدِثَهُ
 بِحَدِيثٍ يُسَلِّيهِ . قَالَ حَدِّثْنِي

قَالَ إِبْلَازُ زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مَلَأَا
 عُشَّهُمَا مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ . فَقَالَ الذَّكَرُ لِلْأُنْثَى إِنَّا إِذَا
 وَجَدْنَا فِي الصَّحَارَى ^(١) مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا نَأْكُلُ مِمَّا هُنَا
 شَيْئًا . فَإِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَارَى شَيْءٌ رَجَعْنَا
 إِلَى مَا فِي عُشِّنَا فَأَكَلْنَاهُ . فَرَضِيَتْ الْأُنْثَى بِذَلِكَ وَقَالَتْ
 لَهُ نَعِمًا رَأَيْتَ . وَكَانَ ذَلِكَ الْحَبُّ نَدِيًّا ^(٢) حِينَ وَضَعَاهُ فِي
 عُشِّهِمَا . فَأَنْطَلَقَ الذَّكَرُ فَنَابَ . فَلَمَّا جَاءَ الصَّيْفُ يَبَسَ الْحَبُّ
 وَتَضَمَّرَ ^(٣) فَلَمَّا رَجَعَ الذَّكَرُ رَأَى الْحَبَّ نَاقِصًا . فَقَالَ لَهَا أَلَيْسَ

كُنَّا جَمْعَنَا رَأَيْنَا عَلَى ابْنِ لَا نَأْكُلُ مِنْهُ شَيْئًا فَلَمَّا أَكَلْتِهِ .
فَجَمَلَتْ تَحَلُّفُ أَنَّهَا مَا أَكَلْتُ مِنْهُ شَيْئًا وَجَمَلَتْ تَتَصَلُّ^(١)
إِلَيْهِ فَلَمْ يُصَدِّقْهَا وَجَعَلَ يَنْقُرُهَا حَتَّى مَاتَتْ . فَلَمَّا جَاءَتْ
الْأَمْطَارُ وَدَخَلَ الشِّتَاءُ تَنَدَّى الْحَبُّ وَامْتَلَأَ النَّشُّ كَمَا
كَانَ . فَلَمَّا رَأَى الذَّكَرُ ذَلِكَ نَدِمَ . ثُمَّ اضْطَجَعَ إِلَى جَانِبِ
حَمَامَتِهِ وَقَالَ . مَا يَنْفَعُنِي الْحَبُّ وَالْعَيْشُ بَعْدَكَ إِذَا طَلَبْتُكَ
فَلَمْ أَجِدْكَ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكَ . وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكَ
وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكَ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى تَدَارُكِ^(٢) مَا فَاتَ . ثُمَّ
اسْتَمَرَ عَلَى حُزْنِهِ فَلَمْ يَطْعَمْ^(٣) طَعَامًا وَلَا شَرَبَا حَتَّى مَاتَ
إِلَى جَانِبِهَا

وَالْعَاقِلُ لَا يَجْعَلُ فِي الْعَذَابِ وَالْعُقُومَةِ وَلَا سَبَابًا مِنْ يَخَافُ
النَّدَامَةَ كَمَا نَدِمَ الْحَمَامُ الذَّكَرُ * وَقَدْ سَمِعْتُ أَيْضًا أَنَّ
رَجُلًا دَخَلَ الْجَبَلَ وَعَلَى رَأْسِهِ طَبَقٌ مِنَ الْعَدَسِ فَوَضَعَ الطَّبَقَ
عَلَى الْأَرْضِ لِيَسْتَرِيحَ . فَنَزَلَ فَرَدَّ مِنْ شَجَرَةٍ فَأَخَذَ مِنْهُ كَفَّهُ
مِنَ الْعَدَسِ وَصَعِدَ إِلَى الشَّجَرَةِ . فَسَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ حَبَّةٌ فَنَزَلَ
فِي طَلَبِهَا فَلَمْ يَجِدْهَا وَأَنْتَرَ مَا كَانَ فِي يَدِهِ مِنَ الْعَدَسِ أَجْمَعُ *

وَأَنْتَ أَيْضًا أَيُّهَا الْمَلِكُ عِنْدَكَ كَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ تَدْعُهُمْ
وَتَطْلُبُ مَا لَا تَجِدُ * فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ خَشِيَ أَنْ تَكُونَ
إِيرَاخْتُ قَدْ هَلَكَتْ فَقَالَ أَيُّهَا^(١) إِيْلَاذُ مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ
فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنْ سَاعَتِكَ وَتَعَلَّقْتَ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ كَانَ
مِنِّي وَلَمْ تَتَّبِعْ فِي الْأَمْرِ * قَالَ إِيْلَاذُ إِنَّ الَّذِي قَوْلُهُ وَاحِدٌ
لَا يَخْتَلِفُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَا اخْتِلَافَ لِقَوْلِهِ *
قَالَ الْمَلِكُ لَقَدْ أَفْسَدْتَ أَمْرِي وَشَدَدْتَ حَزَنِي بِقَتْلِ إِيرَاخْتُ
قَالَ إِيْلَاذُ أَتُنَانٍ يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا * الَّذِي يَعْمَلُ الْإِثْمَ فِي
كُلِّ يَوْمٍ * وَالَّذِي لَا يَعْمَلُ الْخَيْرَ قَطُّ * لِأَنَّ فَرَحَهُمَا فِي
الدُّنْيَا وَنَعِيمَهُمَا قَلِيلٌ وَنَدَامَتُهُمَا إِذَا يُعَايِنَانِ الْجَزَاءَ طَوِيلَةٌ لَا يُسْتَطَاعُ
إِحْصَاؤُهَا * قَالَ الْمَلِكُ لَنْ رَأَيْتُ إِيرَاخْتُ حَيَّةً لَا أَحْزَنُ
عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا * قَالَ إِيْلَاذُ أَتُنَانٍ لَا يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا * أَلْتَجْتَهُدُ
فِي الْبَرِّ كُلِّ يَوْمٍ * وَالَّذِي لَمْ يَأْتِ قَطُّ * قَالَ الْمَلِكُ مَا أَنَا
بِنَظَرٍ إِلَى إِيرَاخْتُ أَكْثَرَ مِمَّا نَظَرْتُ * قَالَ إِيْلَاذُ أَتُنَانٍ لَا
يَنْظُرَانِ * الْأَعْيَى وَالَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ * وَكَمَا أَنَّ الْأَعْيَى لَا
يَنْظُرُ السَّمَاءَ وَنَجْمُومَهَا وَلَا يَنْظُرُ الْبَعْدَ وَالْقُرْبَ كَذَلِكَ الَّذِي

لَا عَقْلَ لَهُ لَا يَعْرِفُ الْحَسَنَ مِنَ الْقَبِيحِ وَلَا الْمُحْسِنَ مِنَ
 الْمُسِيءِ * قَالَ الْمَلِكُ لَوْ رَأَيْتُ إِيرَاخْتَ لَأَشْتَدَّ فَرَجِي . قَالَ
 إِيلَاذُ أَثْنَانٍ هُمَا الْفَرَحَانِ الْبَصِيرُ وَالْعَالِمُ . فَكَمَا أَنَّ الْبَصِيرَ
 يَبْصُرُ أُمُورَ الْعَالَمِ وَمَا فِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ وَالْبُعِيدِ
 وَالْقَرِيبِ . فَكَذَلِكَ الْعَالِمُ يَبْصُرُ الْبِرَّ وَالْإِثْمَ وَيَعْرِفُ أَعْمَالَ
 الْآخِرَةِ وَيَتَبَيَّنُ لَهُ نَجَاتُهُ وَيَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ ^(١) مُسْتَقِيمٍ * قَالَ
 الْمَلِكُ إِنِّي لَمْ أَشْتَفِ مِنَ النَّظَرِ إِلَى إِيرَاخْتَ بَعْدُ . قَالَ
 إِيلَاذُ أَثْنَانٍ لَا يَشْتَفِيَانِ أَبَدًا . مَنْ يَكُونُ هُمُهُ جَمْعَ أَلْمَالِ
 وَأَدْرَاخِهِ . وَمَنْ يَأْمُلُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُ مَا لَا يَجِدُ * قَالَ
 الْمَلِكُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ تَتَبَاعَدَ مِنْكَ يَا إِيلَاذُ وَنَأْخُذَ الْحَذَرَ وَنَلْزِمَ
 الْإِتْقَانَ ^(٢) . قَالَ إِيلَاذُ أَثْنَانٍ يَنْبَغِي أَنْ يَتَبَاعَدَ مِنْهُمَا الَّذِي يَقُولُ
 لَا بَرَ وَلَا إِثْمَ وَلَا عِقَابَ وَلَا ثَوَابَ وَلَا شَيْءَ عَلَيَّ مِمَّا أَنَا فِيهِ .
 وَالَّذِي لَا يَكَادُ يَصْرِفُ بَصَرَهُ عَمَّا لَيْسَ لَهُ بِمَحَلٍّ وَلَا أَذْنَهُ
 عَنْ اسْتِمَاعِ السُّوءِ وَلَا نَفْسَهُ عَنْ خَاصَّةِ غَيْرِهِ وَلَا قَلْبَهُ عَمَّا
 تَمُّ بِهِ ^(٣) نَفْسُهُ مِنَ الْإِثْمِ وَالْخُرْصِ * قَالَ الْمَلِكُ صَارَتْ يَدَيَّ
 مِنْ إِيرَاخْتَ صَفْرًا ^(٤) . قَالَ إِيلَاذُ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ أَصْفَارُ النَّهْرِ

الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ وَالْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَلِكٌ وَالْمَرْأَةُ الَّتِي
لَيْسَ لَهَا بَعْلٌ وَالْجَاهِلُ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ * قَالَ الْمَلِكُ
إِنَّكَ يَا إِيْلَازُ لَتَمْلِكُنِي الْجَوَابُ ^(١) . قَالَ إِيْلَازُ ثَلَاثَةٌ يُلْقُونَ الْجَوَابَ .
الْمَلِكُ الَّذِي يُعْطَى وَيَقْسَمُ مِنْ خَزَائِنِهِ . وَالْمَرْأَةُ الْمُهْدَاةُ ^(٢) إِلَى مَنْ
تَوَدُّ مِنْ ذَوِي الْحَسَبِ ^(٣) . وَالرَّجُلُ الْعَالِمُ الْمُوَفَّقُ لِلْخَيْرِ * قَالَ
الْمَلِكُ أَهْلَكَتَ إِيْرَاخْتَ يَا إِيْلَازُ بِغَيْرِ حَقٍّ . قَالَ إِيْلَازُ
ثَلَاثَةٌ هُمْ الزَّائِعُونَ عَنِ الْحَقِّ . الَّذِي يَلْبَسُ الثِّيَابَ الْبَيْضَ ثُمَّ
يَتَفَحُّ بِالْكَبِيرِ ^(٤) فَيَسْوِدُهَا بِالْذَّخَانِ . وَالْقَصَّارُ ^(٥) الَّذِي يَلْبَسُ
الْجُورَبَيْنِ ^(٦) الْجَدِيدَيْنِ وَرِجْلَاهُ أَبْدَا فِي الْمَاءِ . وَالَّذِي يَقْتَنِي الْفَرَسَ
الْكَرِيمَ لِلرُّكُوبِ ثُمَّ يَلْتَمِي عَنْهُ فَلَا يَرْكَبُهُ فَيَبْطِرُ * قَالَ
الْمَلِكُ لَيْتَنِي أَنْظَرُ إِلَى إِيْرَاخْتَ قَبْلَ فِرَاقِ الدُّنْيَا . قَالَ إِيْلَازُ
الَّذِينَ يَطْلُبُونَ مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ . مَنْ لَا وَرَعَ ^(٧) لَهُ
وَهُوَ يَزْتَجِي ثَوَابَ الْأَبْرَارِ . وَالنَّجِيلُ الَّذِي يَلْتَمِسُ بِخُلْعِهِ أَنْ
يَنَالَ مَنْزِلَةَ السَّخِيِّ . وَالْفَاحِرُ الَّذِي يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَأْمُلُ أَنْ
رُوحَهُ مِنْ أَرْوَاحِ الشُّهَدَاءِ ^(٨) * قَالَ الْمَلِكُ أَنَا الَّذِي جَنَيْتَ ^(٩)

١ تلهمة يريد سرعة جوابه وإصابته ٢ المزفوفة ٣ أي المفاخر ٤ الرق
الذي ينفخ فيه الحداد ٥ الذي يبيض الثياب ٦ المحجور ما يلبس في الرجل
قبل النعل ٧ تقى ٨ الذين يموتون في سبيل الله ٩ جررت عليها الذنب

عَلَى نَفْسِي وَجَرَزْتُ الْبَلَاءَ إِلَيْهَا. قَالَ إِيْلَاذُ أُولَئِكَ فِي النَّاسِ
خَمْسَةٌ. الَّذِي يَتَعَرَّضُ لِلْقِتَالِ وَهُوَ أَعَزُّ^(١). وَالْجَيْلُ يَجْمَعُ
مَالَهُ فِي مَنْزِلِهِ وَلَا أَحَدَ مَعَهُ فَيَقْصِدُهُ اللَّصُوصُ فَيَقْتُلُونَهُ
وَيَأْخُذُونَ مَالَهُ. وَالْكَبِيرُ يَخْطُبُ الصَّغِيرَةَ وَالْقَصِيبُ يَخْطُبُ
الْجَمِيلَةَ. وَالْمَرْأَةُ الَّتِي تَحِبُّ وَلَدَهَا وَهُوَ شَاطِرٌ^(٢) عَارِمٌ^(٣) فِي
تَسْتَرِ أُمُورِهِ وَتُخْفِيهَا ثُمَّ هُوَ يَكُونُ تَعَبًا لَهَا وَوَبَالًا^(٤) عَلَيْهَا *
قَالَ الْمَلِكُ قَدْ وَضَعْتُ الْأَمْرَ غَيْرَ مَوْضِعِهِ فِي قَتْلِي إِيْرَاخْتَ.
قَالَ إِيْلَاذُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَةٌ. وَهُمْ الطَّائِرُ الَّذِي يَرْفَعُ
رِجْلَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ خَوْفًا مِنْ سُقُوطِهَا عَلَيْهِ. وَالْكُرْكِيُّ الَّذِي
يَقُومُ عَلَى رِجْلٍ وَاحِدَةٍ وَلَا يَضَعُ الثَّانِيَةَ عَلَى الْأَرْضِ خَوْفَ
أَنْ يَخْسِفَهَا. وَالْعَنِيُّ الْجَيْلُ إِذَا أَكَلَ لَا يَشْبَعُ يَخَافُ عَلَى
مَالِهِ مِنَ الْفَنَادِ. كَالْفَرَاطِينِ^(٥) الَّتِي طَعَامُهَا الثَّرَابُ تَقْصِدُ الْإِقْلَالَ
مِنْ الْأَكْلِ مِنْهُ لِئَلَّا يَنْفَدَ^(٦) وَيَفْنَى. وَكَالْكَلْبِ الَّذِي يَلْعُ^(٧)
مِنَ النَّهْرِ بِلِسَانِهِ وَلَا يُعْبُ^(٨) مِنْهُ حِذَارَ أَنْ يَجِفَّ. وَالْخَفَّاشُ
الَّذِي يَطِيرُ بِاللَّيْلِ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بِالنَّهَارِ خَافَةَ أَنْ يَصْطَادَهُ

١ بدون سلاح ٢ الشاطر من اعيان اهله خيلاً ٣ شرس ٤ سوء عاقبة
٥ الديدان الحمر التي تكون في الثراب الندي ٦ يفرغ ٧ الولوغ شرب
الكلب ٨ العب شرب الدواب

النَّاسُ لِحُسْنِهِ وَهُوَ أَفْجَحُ الطَّيْرِ * قَالَ الْمَلِكُ لَمْ أَحْزَنْ قَطُّ
حُزْنِي عَلَى إِيْرَاخْتَ . قَالَ إِيْلَاذُ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ إِذَا كُنَّ فِي
الْمَرْأَةِ كَانَتْ أَهْلًا أَنْ يَحْزَنَ عَلَيْهَا . إِذَا كَانَتْ عَفِيفَةً .
كَرِيمَةً الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ . عَاقِلَةً . جَمِيلَةً . مُوَافِقَةً لِرِزْوَجِهَا
مُحِبَّةً لَهُ * قَالَ الْمَلِكُ لَيْسَ تَأْخُذُنِي سِنَةٌ ^(١) وَلَا نَوْمٌ مِنْ حُزْنِي
عَلَى إِيْرَاخْتَ . قَالَ إِيْلَاذُ أَتُنَانِي لَا يَهْجُمَانِ ^(٢) وَلَا يَسْتَرِيحَانِ .
الْكَثِيرُ الْمَالِ وَلَيْسَ لَهُ خَازِنٌ وَلَا أَمِينٌ . وَالشَّدِيدُ الْمَرَضِ
وَلَا طَيِّبَ لَهُ

ثُمَّ إِنَّ إِيْلَاذَ لَمَّا رَأَى الْمَلِكَ قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْأَمْرُ سَكَتَ .
فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا بَالُكَ يَا إِيْلَاذُ سَكَتَ . قَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ
إِنِّي قَدْ تَجَاسَرْتُ عَلَيْكَ فِيمَا أَمْتَحَنُكَ بِهِ إِرَادَةً أَنْ أَعْلَمَ مَا
أَلِ ^(٣) إِلَيْهِ أَمْرُكَ فِي إِيْرَاخْتَ . وَأَرَانِي قَدْ تَجَاوَزْتُ طَوْرِي ^(٤)
فِي ذَلِكَ وَبَانَ لِي مِنْ حِلْمِكَ وَعَقْلِكَ مَا أَذْهَلَنِي إِذْ لَمْ
يَبْدُ مِنْكَ مَعِيَ مَا أَجْتَرَأْتُ بِهِ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنَ الْغَضَبِ وَلَا تَغْيَرَتَ
عَنْ حَالِكَ . وَهَذَا أَنَا شَاكِرٌ لِعَفْوِكَ وَصَفْحِكَ وَتَجَاوُزِكَ ^(٥) عَنِّي
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنِّي إِلَّا نُصْحًا لِلْمَلِكِ وَأَسْطِطَاعًا لِمَرِهِ ^(٦)

١ نَعَسَ ٢ يَنَامَانِ ٣ رَجَعَ ٤ قَدَرِي ٥ بِمَعْنَى صَفْحِكَ ٦ طَلَبًا لِلْإِطْلَاعِ عَلَيْهِ

قَاعَفُ عَنِّي إِنْ شِئْتَ أَوْ فَعَاقِبْنِي بِهَا تَرَاهُ فَإِنَّ إِيرَاخْتَ
 بِالْحَيَاةِ * فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ أَشْتَدَّ فَرَحُهُ وَقَالَ يَا إِيلَادُ
 إِنَّمَا مَنَعَنِي مِنَ الْقَضَبِ مَا أَعْرِفُ مِنْ نَصِيحَتِكَ وَصِدْقِ
 حَدِيثِكَ وَكُنْتُ أَرْجُو لِمَعْرِفَتِي بِعِلْمِكَ أَنْ لَا تَكُونَ قَدْ
 قَتَلْتَ إِيرَاخْتَ . فَإِنَّهَا وَإِنْ تَكُنْ أَتَتْ عَظِيمًا وَأَغْلَظَتْ فِي
 الْقَوْلِ لَمْ تَأْتِهِ عَدَاوَةٌ وَلَا طَلَبَ مَضَرَّةٍ وَلَكِنَّمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ
 لِلْغِيَرَةِ . وَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أُعْرِضَ عَنْ ذَلِكَ وَأَحْتَمِلَهُ .
 وَلَكِنَّكَ يَا إِيلَادُ أَرَدْتَ أَنْ تَحْتَبِرَنِي وَتَتَرَكَّنِي فِي شَكٍّ مِنْ
 أَمْرِهَا . وَقَدْ اتَّخَذْتُ عِنْدِي أَفْضَلَ الْأَيَادِي ^(١) وَأَنَا لَكَ
 شَاكِرٌ فَأَنْطَلِقُ فَأَتِي بِهَا * فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ فَأَتَى
 إِيرَاخْتَ وَأَمَرَهَا أَنْ تَتَزَيَّنَ فَفَعَلَتْ ذَلِكَ وَأَنْطَلَقَ بِهَا . فَلَمَّا
 دَخَلَتْ سَجَدَتْ لِلْمَلِكِ ثُمَّ قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَتْ أَحْمَدُ اللَّهَ
 تَعَالَى ثُمَّ أَحْمَدُ الْمَلِكَ الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيَّ . قَدْ أَذْنَبْتُ الذَّنْبَ
 الْعَظِيمَ الَّذِي لَمْ أَكُنْ لِلْبَقَاءِ أَهْلًا بَعْدَهُ فَوَسَّعَهُ حِلْمُهُ وَكَرَّمَ
 طَبْعَهُ وَرَأْفَتُهُ . ثُمَّ أَحْمَدُ إِيلَادَ الَّذِي آخَرَ أَمْرِي وَأَنْجَانِي
 مِنَ الْهَلَاكِ لِعِلْمِهِ بِرَأْفَةِ الْمَلِكِ وَسَعَةِ حِلْمِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِ

جَوْهَرِهِ وَوَفَاءَ عَهْدِهِ * وَقَالَ الْمَلِكُ لِإِيلَادَ مَا أَعْظَمَ يَدَكَ
عِنْدِي وَعِنْدَ إِيْرَاخْتَ وَعِنْدَ الْعَامَّةِ إِذْ قَدْ أَحْيَيْتَهَا بَعْدَ مَا
أَمَرْتُ بِقَتْلِهَا . فَأَنْتَ الَّذِي وَهَبَهَا لِي الْيَوْمَ فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ
وَاثِقًا بِصَبْرِكَ وَتَذَبُّرِكَ وَقَدْ أَزْدَدْتَ الْيَوْمَ عِنْدِي كَرَامَةً
وَتَعْظِيمًا . وَأَنْتَ مُحْكَمٌ فِي مِلْكِي ^(١) تَعْمَلُ فِيهِ بِمَا تَرَى وَتَحْكُمُ
عَلَيْهِ بِمَا تُرِيدُ فَقَدْ جَعَلْتُ ذَلِكَ إِلَيْكَ وَوَثِّقْتُ بِكَ . قَالَ
إِيلَادُ أَدَامَ اللَّهُ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَلِكُ وَالسُّرُورَ فَلَسْتُ
بِمَحْمُودٍ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ . لَكِنَّ حَاجَتِي أَنْ لَا يَجْعَلَ
الْمَلِكُ فِي الْأَمْرِ الْجَسِيمِ الَّذِي يَنْدَمُ عَلَى فِعْلِهِ وَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ
الْغَمُّ وَالْحُزْنُ وَلَا سِيَّمَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ النَّاصِحَةِ الْمَشْفِقَةِ
الَّتِي لَا يُوْجَدُ فِي الْأَرْضِ مِثْلُهَا . فَقَالَ الْمَلِكُ بِحَقِّ قُلْتَ
يَا إِيلَادُ وَقَدْ قَبِلْتُ قَوْلَكَ وَلَسْتُ عَامِلًا بَعْدَهَا عَمَلًا كَبِيرًا
وَلَا صَغِيرًا فَضْلًا عَنْ مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي سَلِمْتُ
مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ الْمُؤَامَرَةِ ^(٢) وَالنَّظَرِ وَالتَّرَدُّدِ وَمُشَاوَرَةِ أَهْلِ الْمُوَدَّةِ
وَالرَّأْيِ

ثُمَّ أَحْسَنَ الْمَلِكُ جَائِزَةَ إِيلَادَ وَمَكَّنَهُ مِنْ أَوْلِيَّكَ

الْبَرَاهِمَةِ الَّذِينَ أَشَارُوا بِقَتْلِ أَحْبَابِهِ فَأُطْلِقَ فِيهِمُ السِّيفُ .
وَقَرَّتْ عَيْنُ الْمَلِكِ وَعَيُونُ عِظَمَاءِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَحَمِدُوا
اللَّهَ وَاتُّنُوا عَلَى كِبَارِيُونَ لِسَعَةِ عَلَيْهِ وَفَضْلِ حِكْمَتِهِ لِأَنَّ
بِعِلْمِهِ خَلَصَ الْمَلِكُ وَوَزِيرُهُ الصَّالِحُ وَامْرَأَتُهُ الصَّالِحَةُ



بَابُ

النَّاسِكِ وَالضَّيْفِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
الْمَثَلَ فَأَضْرِبْ لِي مَثَلٌ الَّذِي يَدْعُ صُنْعَهُ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ
وَيُشَاكِلُهُ^(١) وَيَطْلُبُ غَيْرَهُ فَلَا يُدْرِكُهُ وَيَرْجِعُ إِلَى الَّذِي كَانَ
عَلَيْهِ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيَبْقَى حَيْرَانَ مُتَرَدِّدًا .

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بَارِضٍ الْكَرْخِ
نَاسِكٌ عَابِدٌ مُجْتَهِدٌ . فَتَزَلَّ بِهِ ضَيْفٌ ذَاتَ يَوْمٍ فَدَعَا النَّاسِكَ
إِضْفِيهِ بِتَمْرِ لِيُطْرِفَهُ^(٢) بِهِ فَأَكَلَا مِنْهُ جَمِيعًا . ثُمَّ قَالَ

١ يكون من شكلو اي بلائمة ويصلح انه ٢ بطفه وبطمة

الْضَيْفُ مَا أَحْلَى هَذَا التَّمْرَ وَأَطْيَبَهُ فَلَيْسَ هُوَ فِي بِلَادِي
الَّتِي أَسْكُنُهَا وَلَيْتَهُ كَانَ فِيهَا . ثُمَّ قَالَ أَرَى أَنْ تُسَاعِدَنِي
عَلَى أَنْ أَخْذَ مِنْهُ مَا أَغْرَسُهُ فِي أَرْضِنَا فَإِنِّي لَسْتُ عَارِفًا
بِثَمَارِ أَرْضِكُمْ هَذِهِ وَلَا بِمَوَاضِعِهَا . قَالَ لَهُ النَّاسِكُ لَيْسَ لَكَ
فِي ذَلِكَ رَاحَةٌ فَإِنَّهُ يُثْقَلُ عَلَيْكَ وَطَعْلُ ذَلِكَ لَا يُوَافِقُ أَرْضَكُمْ .
مَعَ أَنَّ بِلَادَكُمْ كَثِيرَةٌ الْأَثْمَارُ فَمَا حَاجَةٌ مَعَ كَثْرَةِ ثَمَارِهَا
إِلَى التَّمْرِ مَعَ وَخَامَتِهِ ^(١) وَقَلَّةِ مُنَاسَبَتِهِ لِلْجَسَدِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ
النَّاسِكُ إِنَّهُ لَا يُعْدُّ سَعِيدًا مَنْ طَلَبَ مَا لَا يَجِدُ . وَإِنَّكَ سَعِيدٌ
الْجَدِ ^(٢) إِذَا قَنِعْتَ بِالَّذِي تَجِدُ وَتَزْهَدُ فِيْمَا لَا تَجِدُ . وَكَانَ هَذَا
النَّاسِكُ يُحْسِنُ الْعِبْرَانِيَّةَ فَسَمِعَهُ الضَّيْفُ يَتَكَلَّمُ بِهَا مَرَّةً
فَأَسْتَحْسَنَ كَلَامَهُ وَأَعْجِبَهُ فَتَكَلَّفَ أَنْ يَتَلَمَّهُ وَعَالَجَ فِي ذَلِكَ
نَفْسَهُ أَيَّامًا . فَقَالَ النَّاسِكُ لَهُ مَا أَخْلَقَكَ أَنْ تَقَعَ مِمَّا تَرَكْتَ
مِنْ كَلَامِكَ وَتَكَلَّفْتَ مِنْ كَلَامِ الْعِبْرَانِيَّةِ فِي مِثْلِ مَا وَقَعَ فِيهِ
الْغُرَابُ . قَالَ الضَّيْفُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ النَّاسِكُ زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا رَأَى حِمْلَةً تَدْرُجُ وَتَمْشِي
فَأَعْجَبَتْهُ مِشْيَتُهَا وَطَمَعَ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا فَرَأَى ^(٣) عَلَى ذَلِكَ نَفْسَهُ

الْبَرَاهِمَةِ الَّذِينَ أَشَارُوا بِقَتْلِ أَحِبَّائِهِ فَأُطْلِقَ فِيهِمُ السَّيْفُ .
وَقَرَّتْ عَيْنُ الْمَلِكِ وَعُمُودُ عِظَمَاءِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَحَمِدُوا
اللَّهَ وَاتَّخَذُوا عَلَى كِبَارِيُونِ لِسَعَةٍ عَلَيْهِ وَفَضَلَ حِكْمَتِهِ لِأَنَّ
بِعِلْمِهِ خَلَصَ الْمَلِكُ وَوَزِيرُهُ الصَّالِحُ وَأَمْرَأَتُهُ الصَّالِحَةُ



بَابُ النَّاسِكِ وَالضَّيْفِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَنْدَبَا الْفَيْلَسُوفَ قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
الْمَثَلَ فَأَضْرِبْ لِي مَثَلَ الَّذِي يَدْعُ صُنْعَهُ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ
وَيُشَاكِلُهُ^(١) وَيَطْلُبُ غَيْرَهُ فَلَا يُذَرِّكُهُ وَيَرْجِعُ إِلَى الَّذِي كَانَ
عَلَيْهِ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيَبْقَى حَيْرَانٌ مُتَرَدِّدًا .

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ الْكَرْخِ
نَاسِكٌ عَابِدٌ مُجْتَهِدٌ . فَتَزَلَّ بِهِ ضَيْفٌ ذَاتَ يَوْمٍ فَدَعَا النَّاسِكَ
إِضْفِيفَهُ بِتَمْرِ لِيُطْرِفَهُ^(٢) بِهِ فَأَكَلَا مِنْهُ جَمِيعًا . ثُمَّ قَالَ

١ يكون من شكله أي بلائمه ويصلح له ٢ يغمغه ويطمئه

الْضَيْفُ مَا أَحْلَى هَذَا التَّمَرُ وَأَطْيَبُهُ فَلَيْسَ هُوَ فِي بِلَادِي
الَّتِي أَسْكُنُهَا وَلَيْتَهُ كَانَ فِيهَا . ثُمَّ قَالَ أَرَى أَنْ تُسَاعِدَنِي
عَلَى أَنْ أَخْذَ مِنْهُ مَا أَغْرَسُهُ فِي أَرْضِنَا فَإِنِّي لَسْتُ عَارِفًا
بِثَمَارِ أَرْضِكُمْ هَذِهِ وَلَا بِمَوَاضِعِهَا . قَالَ لَهُ النَّاسِكُ لَيْسَ لَكَ
فِي ذَلِكَ رَاحَةٌ فَإِنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيْكَ وَلَعَلَّ ذَلِكَ لَا يُوَافِقُ أَرْضَكُمْ .
مَعَ أَنَّ بِلَادَكُمْ كَثِيرَةٌ الْأَثْمَارُ فَمَا حَاجَةٌ مَعَ كَثَرَةِ ثَمَارِهَا
إِلَى التَّمَرِ مَعَ وَخَامَتِهِ ^(١) وَقَلَّةِ مُنَاسَبَتِهِ لِلْجَسَدِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ
النَّاسِكُ إِنَّهُ لَا يُعَدُّ سَعِيدًا مَنْ طَلَبَ مَا لَا يَجِدُ . وَإِنَّكَ سَعِيدُ
الْجَدِّ ^(٢) إِذَا قَنِعْتَ بِالَّذِي تَجِدُ وَتَزْهَدُ فِيهِمَا لَا تَجِدُ * وَكَانَ هَذَا
النَّاسِكُ يُحْسِنُ الْعِبْرَانِيَّةَ فَسَمِعَهُ الضَّيْفُ يَتَكَلَّمُ بِهَا مَرَّةً
فَأَسْتَحْسَنَ كَلَامَهُ وَأَعْجَبَهُ فَتَكَلَّفَ أَنْ يَتَلَمَّهُ وَعَالَجَ فِي ذَلِكَ
نَفْسَهُ أَيَّامًا . فَقَالَ النَّاسِكُ لَهُ مَا أَخْلَقَكَ أَنْ تَقَعَ مِمَّا تَرَكْتَ
مِنْ كَلَامِكَ وَتَكَلَّفْتَ مِنْ كَلَامِ الْعِبْرَانِيَّةِ فِي مِثْلِ مَا وَقَعَ فِيهِ
الْغُرَابُ . قَالَ الضَّيْفُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ النَّاسِكُ زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا رَأَى حَجَلَةً تَدْرُجُ وَتَمْشِي
فَأَعْجَبَتْهُ مَشْيُهَا وَطَمِعَ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا فَرَأَى ^(٣) عَلَى ذَلِكَ نَفْسَهُ

فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِحْكَامِهَا وَأَيْسَ ^(١) مِنْهَا وَأَرَادَ أَنْ يَعُودَ إِلَى
مِثْلِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا فَإِذَا هُوَ قَدْ أَخْلَطَ مِثْلَهُ وَتَخَلَّعَ فِيهِ
وَصَارَ أَفْجَ الطَّيْرِ مِثْلًا

وَأِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ أَنَّكَ
تَرَكْتَ لِسَانَكَ الَّذِي طُبِعَتْ عَلَيْهِ وَأَقْبَلْتَ عَلَى لِسَانِ الْعِبْرَانِيَّةِ
وَهُوَ لَا يُشَاكِلُكَ ^(٢). وَأَخَافُ أَنْ لَا تُدْرِكُهُ وَتَنْسَى لِسَانَكَ
وَتَرْجِعَ إِلَى أَهْلِكَ وَأَنْتَ شَرُّهُمْ لِسَانًا. فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ
يَعُدُّ جَاهِلًا مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ الْأُمُورِ مَا لَا يُشَاكِلُهُ وَلَيْسَ مِنْ
عَمَلِهِ وَلَمْ يُؤَدِّهِ عَلَيْهِ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَعْرِفْ بِهِ
أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ وَذَوِي قَرَابَتِهِ فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَتَعَدَّى طَوْرَهُ ^(٣)
وَالْوَلَاةُ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَأَزَابُ ^(٤) الْأَمْرِ أَوَّلَى بِالْإِنْتِبَاهِ
إِلَى هَذَا الشَّأْنِ وَمَنْعَ حَدُوثِهِ بَيْنَ النَّاسِ لِأَنَّ فِيهِ مَضَرَّةً
لَهُمْ بِمَا يَجْرِي الْأَنْفُسَ عَلَى مُنَازَعَتِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ وَيُغْرِبُهَا ^(٥)
بِمُقَاوَمَتِهِمْ فِي أَحْكَامِهِمْ لِمَا فِيهِ مِنْ إِطْمَاعِ السُّفْلَةِ ^(٦) فِي
مَرَاتِبِ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ وَمُزَاحِمَةِ اللَّئِيمِ لِلْكَرِيمِ وَالْجَاهِلِ

١ قطع الامل ٢ يشاكه ويناسبك ٣ قدره ٤ اصحاب

٥ بهيها وبرغها ٦ الادنيا

لِلْعَالَمِ وَالْخَامِلِ^(١) لِلنَّسِيبِ وَالْذِّنِيِّ لِلشَّرِيفِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا
يُقْضَى إِلَى تَشْوِشِ الْعَالَمِ وَفَسَادِ الْأُمُورِ وَأَخْطَاطِ الطَّبَقَاتِ
وَضِيَاعِ الْمَرَاتِبِ وَالْأَقْدَارِ . وَالْأُمُورُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ
تَجْرِي عَلَى مِثَالٍ وَاحِدٍ يَنْتَهِي إِلَى الْأَمْرِ الْخَطِيرِ الْجَسِيمِ^(٢) مِنْ
مُزَاحَمَةِ الْمَلِكِ عَلَى مَلِكِهِ وَمُضَادَّتِهِ فِيهِ

بَابُ

السَّائِحِ وَالصَّائِغِ

قَالَ دَنْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَدْبَا الْفِيلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
الْمَثَلَ . فَأَضْرِبْ لِي مَثَلَ الَّذِي يَضَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
وَيَرْجُو الشُّكْرَ عَلَيْهِ

قَالَ الْفِيلَسُوفُ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَيْسَ أَضِيعُ مِنْ جَمِيلٍ يَصْنَعُ
مَعَ غَيْرِ شَاكِرٍ وَلَا أَخْسِرُ مِنْ صَانِعِهِ . كَمَا أَنَّهُ لَا يَذَرُ أَنْثَى مِنْ
بَذْرِ الْجَمِيلِ فِي قُلُوبِ الشَّاكِرِينَ وَلَا تِجَارَةَ أَرْبَحُ مِنْ تِجَارَتِهِ .
وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمَرْءَ جَدِيرٌ أَنْ يَصْنَعَ الْمَعْرُوفَ إِلَى كُلِّ
أَحَدٍ فَإِنَّهُ إِنْ ضَاعَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ النَّاسِ لَا يَضِيعُ عِنْدَ اللَّهِ .

وَلَا سِيَّما إِلَى ذَوِي الشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ كَيْفَ كَانَتْ مَزَلَّتُهُمْ
فَلَعَلَّهُ أَحْتاجُ إِلَيْهِمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَيُكَافِئُوهُ عَلَيْهِ * غَيْرَ أَنَّ
الْمُلُوكَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ إِذَا تَعَمَّدُوا بِمَعْرِفِهِمْ أَحَدًا
يَخْتَصُّونَهُ بِهِ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَضَعُوهُ مَوْضِعَهُ وَلَا يُضَيِّعُوهُ عِنْدَ
مَنْ لَا يَحْتَمِلُهُ ^(١) وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ . فَيَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ أَنْ لَا
يَصْطَفُوا ^(٢) أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ الْخَبَرَةِ بِطَرَائِقِهِ وَالْمَعْرِفَةِ بِوَفَائِهِ
وَمَوَدَّتِهِ وَشُكْرِهِ . فَإِنَّ مَنْ أَقْدَمَ ^(٣) عَلَى الْمَشْهُورِ بِالْإِسْتِقَامَةِ
وَالْعِفَّةِ وَأَسْتَرْسَلَ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ اخْتِبَارٍ وَلَا تَجَرِبَةٍ كَانَ
مُخَاطِرًا فِي ذَلِكَ مُشْرِفًا مِنْهُ عَلَى هَلَاكِهِ وَفَسَادِهِ . أَلَا تَرَى أَنَّ
الطَّيِّبَ الرَّفِيقَ الْعَاقِلَ لَا يَكْتَفِي فِي مُدَاوَاةِ الْمَرِيضِ
بِالْمُعَايَنَةِ فَقَطْ . لَكِنَّهُ لَا يَقْدِمُ عَلَى عِلَاجِهِ إِلَّا بَعْدَ تَعَرُّفِ أَحْوَالِهِ
وَالْحَسَنِ لِعُرُوفِهِ وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهِ وَسَبَبِ عِلَّتِهِ فَإِذَا عَرَفَ ذَلِكَ
كُلَّهُ أَقْدَمَ عَلَى مُعَالَجَتِهِ . وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصُّوا بِذَلِكَ قَرِيبًا
لِقَرَابَتِهِ وَلَا أَحَدًا مِنْ خَاصَّتِهِمْ لِشَرَفِهِ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ
لِلصَّنِيعَةِ ^(٤) فَإِنَّهُ إِنَّمَا شَرَفَ بِتَشْرِيفِهِمْ إِيَّاهُ . وَلَا أَنْ يَمْنَعُوا
مَعْرُوفَهُمْ وَجَمِيلَهُمْ عَنْ بَعِيدٍ لِبُعْدِهِ أَوْ خَامِلٍ لِحُمُولِهِ إِذَا كَانَ

١ بقلده وبشكره ٢ يختاروا ٣ جرو وجرس ٤ المعروف

عَارِفًا بِحَقِّ مَا يُصْطَنَعُ إِلَيْهِ مُؤَدِّيًا لِشُكْرِ مَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ .
 وَقَدْ قِيلَ لَا يَنْبَغِي لِذِي الْعَقْلِ أَنْ يَحْتَقِرَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ حَتَّى
 الْبَهَائِمِ وَلَكِنَّهُ خَلَقَهُ أَنْ يَلُوَّهُهُ ^(١) وَيَخْتَبِرَهُمْ وَيَكُونَ مَا
 يَصْنَعُ إِلَيْهِمْ عَلَى قَدَرٍ مَا يَرَى مِنْهُمْ فَقَدْ يَكُونُ الْخَيْرُ عِنْدَ
 مَنْ يُظَنُّ بِهِ الشَّرُّ وَالشَّرُّ عِنْدَ مَنْ يُظَنُّ بِهِ الْخَيْرُ
 وَإِنَّ طَبَائِعَ الْخَلْقِ أَيْهَا الْمَلِكُ مُخْتَلِفَةٌ وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ
 مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ أَوْ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ أَوْ
 يَسْبَحُ فِي الْمَاءِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ . وَمَعَ ذَلِكَ
 فَرُبَّمَا تَحَذَّرُ الْعَاقِلُ مِنَ النَّاسِ فَلَمْ يَأْمَنْ أَحَدًا مِنْهُمْ وَأَخَذَ
 ابْنَ عَرِسٍ فَأَدْخَلَهُ فِي كَمِّهِ وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْآخِرِ وَأَخَذَ
 الطَّيْرَ الْجَارِحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَإِذَا صَادَ شَيْئًا أَبْقَى لَهُ مِنْهُ
 نَصِيبًا . وَمِنَ النَّاسِ الْبَرُّ ^(٢) وَالْفَاجِرُ ^(٣) وَمِنْ هَؤُلَاءِ كُلِّ كَفُورٍ
 كَنُودٍ ^(٤) حَتَّى لَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ
 مَا هُوَ أَوفَى مِنْهُ ذِمَّةً وَأَشَدُّ مُحَامَاةً عَنْ حُرْمَةٍ ^(٥) وَأَشْكُرُ لِلْمَعْرُوفِ
 وَأَقُومُ بِهِ . وَقَدْ مَضَى فِي ذَلِكَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ .
 قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةَ أَحْفَرُوا رَكِيَّةً ^(١) فَوَقَعَ
 فِيهَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَحِيَّةٌ وَقِرْدٌ وَبَيْرٌ. وَمَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ سَائِغٌ
 فَأَشْرَفَ عَلَى الرُّكِيَّةِ فَبَصُرَ بِالرَّجُلِ وَالْحِيَّةِ وَالْقِرْدِ وَالْبَيْرِ. فَفَكَّرَ
 فِي نَفْسِهِ وَقَالَ لَسْتُ أَعْمَلُ لِأَخِرَتِي عَمَلًا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ
 أَخْلَصَ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ. فَقَدْ قِيلَ لَهُ
 يُؤْجَرُ مَا جُورَ بِأَعْظَمَ مِنْ أَجْرِ مَنْ اسْتَحْيَا نَفْسًا هَالِكَةً وَلَا
 عُقُوبَ مُعَاقِبٍ بِأَشَدَّ مِنْ عِقَابٍ مَنْ كَفَّ عَنْ ذَلِكَ وَهُوَ
 قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَوْ بِمَشَقَّةٍ مِمَّا خَلَا ذَهَابَ نَفْسِهِ * فَأَخَذَ حَبَلًا
 وَأَدْلَاهُ إِلَى الْبَيْرِ فَتَعَلَّقَ بِهِ الْقِرْدُ لِحْفَتِهِ فَخَرَجَ ثُمَّ أَدْلَاهُ ثَانِيَةً
 فَالْتَفَتَ بِهِ الْحِيَّةُ فَخَرَجَتْ ثُمَّ أَدْلَاهُ ثَالِثَةً فَتَعَلَّقَ بِهِ الْبَيْرُ
 فَأَخْرَجَهُ. فَشَكَرَنَ لَهُ صَنِيعَهُ وَقُلْنَ لَهُ لَا تُخْرِجْ هَذَا الرَّجُلَ مِنَ
 الرُّكِيَّةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَقْلَ مِنْ شُكْرِ الْإِنْسَانِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ
 الْقِرْدُ إِنَّ مَنَزِلِي فِي جَبَلٍ قَرِيبٍ مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا
 نُوَادِرْخَتْ. فَقَالَ لَهُ الْبَيْرُ أَنَا أَيْضًا فِي أَجْمَةٍ ^(٢) إِلَى جَانِبِ تِلْكَ
 الْمَدِينَةِ. قَالَتِ الْحِيَّةُ وَأَنَا فِي سُوْرِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ فَإِنْ أَنْتَ
 مَرَرْتَ بِنَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ وَأَحْبَبْتَ إِلَيْنَا فَصَوِّتْ عَلَيْنَا حَتَّى

بَأْتِيكَ فَخَجَزِكَ بِمَا أَسَدَيْتَ^(١) إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ . فَلَمْ يَلْتَفِتِ
السَّائِحُ إِلَى مَا ذَكَرُوا لَهُ مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ الْإِنْسَانِ وَأَدْلَى
الْحَبْلِ فَأَخْرَجَ الصَّائِغَ فَسَجَدَ لَهُ وَقَالَ لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي^(٢) مَعْرُوفًا
فَإِنْ مَرَزْتَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ بِمَدِينَةِ نُوَادِرَخْتَ فَأَسْأَلُ عَنْ
مَنْزِلِي فَأَنَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَأَسِييَ فُلَانٌ لَعَلِّي أَكْفَيْتُكَ بِمَا
صَنَعْتَ إِلَيَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ . فَأَنْطَلَقَ الصَّائِغُ إِلَى مَدِينَتِهِ
وَأَنْطَلَقَ السَّائِحُ إِلَى وَجْهِهِ^(٣) * فَعَرَضَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ السَّائِحَ
اتَّفَقَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ فَأَنْطَلَقَ فَاسْتَقْبَلَهُ الْقِرْدُ
فَسَجَدَ لَهُ وَقَبَّلَ رِجْلَيْهِ وَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ إِنَّ الْقُرُودَ لَا
يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَكِنْ أَقْعُدْ حَتَّى آتِيكَ وَأَنْطَلَقَ الْقِرْدُ وَأَتَاهُ
بِفَاكِهِ طَيِّبَةٍ فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَكَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ

ثُمَّ إِنَّ السَّائِحَ أَنْطَلَقَ حَتَّى دَنَا مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ
فَاسْتَقْبَلَهُ الْبَيْرُ فَخَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَقَالَ لَهُ إِنَّكَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفًا
فَأُطْمِئِنُّ سَاعَةً حَتَّى آتِيكَ . فَأَنْطَلَقَ الْبَيْرُ فَدَخَلَ فِي بَعْضِ
الْحَبِطَانِ إِلَى بِنْتِ الْمَلِكِ فَقَتَلَهَا وَأَخَذَ حَلِيهَا^(٤) فَأَتَاهُ بِهِ مِنْ
غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ السَّائِحُ مِنْ أَيْنَ هُوَ * فَقَالَ فِي نَفْسِهِ هَذِهِ

١ احسنت ٢ اي فلدتني وائلنتني ٣ الوجهة التي يقصدها ٤ ما تزدان يوم من المصنوعات

الْبَهَائِمُ قَدْ أَوْلَتْنِي هَذَا الْجَزَاءَ فَكَيْفَ لَوْ أَتَيْتُ إِلَى الصَّائِغِ
 فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مُعْسِرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا فَسَيَبِيعُ هَذَا الْحَلِيَّ فَيَسْتَوْفِي
 ثَمَنَهُ فَيُعْطِيَنِي بَعْضَهُ وَيَأْخُذُ بَعْضَهُ وَهُوَ أَعْرَفُ بِثَمَنِهِ . فَأَنْطَلِقَ
 السَّائِحُ فَأَتِي إِلَى الصَّائِغِ . فَلَمَّا رَأَاهُ رَحَّبَ بِهِ وَأَدْخَلَهُ إِلَى
 بَيْتِهِ . فَلَمَّا بَصُرَ بِالْحَلِيِّ ^(١) مِمَّهِ عَرَفَهُ وَكَانَ هُوَ الَّذِي صَاغَهُ لِابْنَةِ
 الْمَلِكِ . فَقَالَ الصَّائِغُ أَطْمَئِنُّ ^(٢) حَتَّى آتِيَكَ بِطَعَامٍ فَلَسْتُ أَرْضَى
 لَكَ مَا فِي الْبَيْتِ ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ قَدْ أَصَبْتُ فُرْصَتِي .
 أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى الْمَلِكِ وَأَدْلُهُ عَلَى ذَلِكَ فَتَحَسُنُ مَنَزِلَتِي
 عِنْدَهُ . فَأَنْطَلِقَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ الَّذِي قَتَلَ
 ابْنَتَكَ وَأَخَذَ حَلِيَّهَا عِنْدِي فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ وَأَتَى بِالسَّائِحِ .
 فَلَمَّا نَظَرَ الْحَلِيَّ مَعَهُ لَمْ يَمُهَلِّهِ وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُعَذَّبَ وَيُطَافَ
 بِهِ فِي الْمَدِينَةِ وَيُصَلَّبَ * فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ جَعَلَ السَّائِحُ
 يَبْكِي وَيَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ لَوْ أَنِّي أَطَعْتُ الْقِرَدَ وَالْحَيَّةَ وَالْبَيْرَ
 فِيمَا أَمَرْتَنِي بِهِ وَأَخْبَرْتَنِي مِنْ قَلَّةِ شُكْرِ الْإِنْسَانِ لَمْ يَصِرْ
 أَمْرِي إِلَى هَذَا الْبَلَاءِ وَجَعَلَ يُكْرِرُ هَذَا الْقَوْلَ . فَسَمِعَتْ
 مَقَالَتُهُ تِلْكَ الْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا فَعَرَفَتْهُ فَأَشْتَدَّ عَلَيْهَا

أَمْرُهُ فَجَعَلَتْ تَحْتَالُ فِي خَلَاصِهِ . فَأَنْطَلَقَتْ حَتَّى لَدَغَتْ ابْنَ
الْمَلِكِ فَدَعَا الْمَلِكُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَرَقَوْهُ ^(١) لِيَشْفُوهُ فَلَمْ يَنْفُوا
عَنْهُ شَيْئًا

ثُمَّ مَضَتْ الْحَيَّةُ إِلَى أُخْتِ ^(٢) لَهَا مِنَ الْحِجْرِ فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا
صَنَعَ السَّائِحُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَمَا وَقَعَ فِيهِ فَرَقَتْ لَهُ وَأَنْطَلَقَتْ
إِلَى ابْنِ الْمَلِكِ وَتَرَأَتْ ^(٣) لَهُ وَقَالَتْ إِنَّكَ لَا تَبْرَأُ حَتَّى يَرْقِيَكَ هَذَا
الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ عَاقَبْتُمُوهُ ظُلْمًا . وَأَنْطَلَقَتْ الْحَيَّةُ إِلَى السَّائِحِ
فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ السِّجْنَ وَقَالَتْ لَهُ هَذَا الَّذِي كُنْتُ نَهَيْتُكَ عَنْهُ
مِنْ أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ إِلَى هَذَا الْإِنْسَانِ وَلَمْ تُطِيعْنِي وَأَتَيْتُهُ
بِوَرَقٍ يَنْفَعُ مِنْ سُمِّهَا وَقَالَتْ لَهُ إِذَا جَاءَ وَابِكَ لِتَرْقِيَ ابْنَ
الْمَلِكِ فَاسْقِهِ مِنْ مَاءِ هَذَا الْوَرَقِ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ وَإِذَا سَأَلَكَ
الْمَلِكُ عَنْ حَالِكَ فَأَصْدُقْهُ فَإِنَّكَ تَنْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى *
وَإِنَّ ابْنَ الْمَلِكِ أَخْبَرَ أَبَاهُ أَنَّهُ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ إِنَّكَ لَنْ
تَبْرَأَ حَتَّى يَرْقِيَكَ السَّائِحُ الَّذِي حُبَسَ ظُلْمًا . فَدَعَا الْمَلِكُ
بِالسَّائِحِ وَأَمْرُهُ أَنْ يَرْقِيَ وَلَدَهُ فَقَالَ لَا أَحْسِنُ الرَّقْيَ وَلَكِنْ
أَسْقِيهِ مِنْ مَاءِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى فَسَقَاهُ

ظُلْمًا

فَبَرَى الْقَلَامُ . فَفَرَحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ فَأَخْبَرَهُ
 فَشَكَرَهُ الْمَلِكُ وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً حَسَنَةً وَأَمَرَ بِالصَّائِغِ أَنْ
 يُصَلِّبَ فَصَلَّبُوهُ لِكَذِبِهِ وَانْحِرَافِهِ عَنِ الشُّكْرِ وَمَجَازَاتِهِ الْفِعْلِ
 الْجَمِيلِ بِالْقَيْحِ .

ثُمَّ قَالَ الْفِيلَسُوفُ لِلْمَلِكِ فِي صَنِيعِ الصَّائِغِ بِالسَّائِغِ
 وَكُفْرِهِ ^(١) لَهُ بَعْدَ اسْتِنْفَادِهِ إِيَّاهُ وَشُكْرِ الْبُهَائِمِ لَهُ وَتَخْلِيصِ
 بَعْضِهَا إِيَّاهُ عِزَّةً لِمَنْ أُعْتَبِرَ وَفِكْرَةً لِمَنْ أَفْتَكَرَ وَأَدَبٌ
 فِي وَضْعِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ عِنْدَ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ
 قَرُّوْا أَوْ بَعُدُوا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ صَوَابِ الرَّأْيِ وَجَلَبِ
 الْخَيْرِ وَصَرَفِ ^(٢) الْمَكْرُوهِ

بَابُ

أَبْنِ الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَا الْفِيلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
 الْمَثَلَ . فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَا يُصِيبُ الْخَيْرَ إِلَّا بِسُقْلِهِ وَرَأْيِهِ وَثَبَّتِهِ

فِي الْأُمُورِ كَمَا يَزْعُمُونَ فَمَا بَالُ الرَّجُلِ الْجَاهِلِ يُصِيبُ الرِّفْعَةَ
وَالْخَيْرَ وَالرَّجُلِ الْحَكِيمِ الْعَاقِلِ قَدْ يُصِيبُ الْبَلَاءُ وَالضَّرُّ * قَالَ
يَذْأَبَا كَمَا أَنَّ الْأَعْمَى لَا يُبْصِرُ إِلَّا بِقَلْبِهِ وَلَا يَمْشِي إِلَّا بِحِسِّهِ
مَعَ الْمُهَلَّةِ وَالتَّائِي. كَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْلُكَ فِي
الْأُمُورِ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالْبَصِيرَةِ وَالْعِلْمِ وَبِأَيِّ ثَبَتٍ وَالْأَنَاءَةِ فَقَلَّ
أَنْ يَعْتَرُ عَلَى هَذَا غَيْرُ أَنْ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ قَدْ يَغْلِبَانِ عَلَى ذَلِكَ
كَمَا قَدْ يَعْتَرُ الْبَصِيرُ وَيَسْلُمُ الضَّرِيرُ. وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ ابْنِ
الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ. قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ ^(١) اصْطَحَبُوا فِي
طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ أَحَدَهُمْ ابْنُ مَلِكٍ وَالتَّائِي ابْنُ تَاجِرٍ وَالثَّلَاثُ
ابْنُ شَرِيفٍ ذُو جَمَالٍ وَالرَّابِعُ ابْنُ أَكَّارٍ ^(٢). وَكَانُوا جَمِيعًا
مُتَحَاجِينَ وَقَدْ أَصَابَهُمْ ضَرَرٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ فِي مَوْضِعٍ غُرْبَةٍ لَا
يَمْلِكُونَ إِلَّا مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الثِّيَابِ. فَيَنْمَاشُونَ فِيهِمْ يَمْشُونَ إِذْ
فَكَّرُوا فِي أَمْرِهِمْ وَكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ رَاجِعًا إِلَى طِبَاعِهِ
وَمَا كَانَ يَأْتِيهِ مِنْهُ الْخَيْرُ. فَقَالَ ابْنُ الْمَلِكِ إِنَّ أَمْرَ الدُّنْيَا
كُلُّهُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ. وَالَّذِي قَدَرَ عَلَى الْإِنْسَانِ يَأْتِيهِ عَلَى

كُلِّ حَالٍ وَالصَّبْرُ لِلْقَضَاءِ وَالْقَدْرُ وَانْتِظَارُهُمَا أَفْضَلُ الْأُمُورِ *
 وَقَالَ ابْنُ التَّاجِرِ الْعَقْلُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ * وَقَالَ ابْنُ
 الشَّرِيفِ الْجَمَالُ أَفْضَلُ مِمَّا ذُكِرَ * ثُمَّ قَالَ الْأَكَارُ لَيْسَ
 فِي الدُّنْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْإِجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ * فَلَمَّا قَرَّبُوا مِنْ
 مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا مِطْرُونُ جَلَسُوا فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا يَتَشَاوَرُونَ .
 فَقَالُوا لِابْنِ الْأَكَارِ أَنْطَلِقْ فَأَكْتَسِبَ لَنَا بِإِجْتِهَادِكَ
 طَعَامًا لِيَوْمِنَا هَذَا . فَأَنْطَلَقَ ابْنُ الْأَكَارِ وَسَأَلَ عَنْ عَمَلٍ
 إِذَا عَمِلَهُ الْإِنْسَانُ يَكْتَسِبُ فِيهِ طَعَامَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ . فَعَرَفُوهُ أَنَّ
 لَيْسَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ شَيْءٌ * أَعَزَّ^(١) مِنَ الْحَطَبِ وَكَانَ
 الْحَطَبُ مِنْهَا عَلَى فَرْسَخٍ^(٢) . فَأَنْطَلَقَ ابْنُ الْأَكَارِ فَأَحْطَبَ^(٣)
 طَنَا^(٤) مِنَ الْحَطَبِ وَأَتَى بِهِ الْمَدِينَةَ فَبَاعَهُ بِدِرْهَمٍ وَأَشْتَرَى
 بِهِ طَعَامًا . وَكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ عَمَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ إِذَا
 جَهَدَ بِهِ الرَّجُلُ بَدَنَهُ قِيمَتُهُ دِرْهَمٌ . ثُمَّ أَنْطَلَقَ إِلَى أَصْحَابِهِ
 بِالطَّعَامِ فَأَكَلُوا

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالُوا يَنْبَغِي لِلَّذِي قَالَ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ *
 أَعَزَّ^(٥) مِنَ الْجَمَالِ أَنْ تَكُونَ نَوْبَتُهُ * فَأَنْطَلَقَ ابْنُ الشَّرِيفِ لِيَأْتِيَ^(٦)

١ اي اقل ٢ ثلاثة اميال ٣ جمع حطب ٤ حزمة ٥ اي اشرف وافضل

٦ اي وقته

الْمَدِينَةَ فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ أَنَا لَسْتُ أَحْسِنُ عَمَلًا فَمَا
 يَدْخِلُنِي الْمَدِينَةَ . ثُمَّ اسْتَحَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِغَيْرِ طَعَامٍ .
 وَهُمْ بِمُفَارَقَتِهِمْ فَأَنْطَلَقَ حَتَّى أَسَدَ ظَهْرَهُ إِلَى شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ
 فَغَلَبَهُ النَّوْمُ فَنَامَ . فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مُصَوِّرٌ وَبَصُرَ بِهِ فَأَعْجَبَهُ حَسَنُهُ
 أَنْ يُصَوِّرَهُ وَيَكْتَسِبَ مِنْ صُورَتِهِ إِذَا عَمِلَ مِنْهَا صُورًا
 وَبَاعَهَا فَأَيَّقَطَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيُصَوِّرَهُ . فَلَمَّا كَانَ
 الْمَسَاءُ أَجَازَهُ بِمِثَّةٍ دِرْهَمٍ . فَخَرَجَ وَكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ
 جَمَالُ يَوْمٍ وَاحِدٍ يُسَاوِي مِثَّةَ دِرْهَمٍ وَأَتَى بِالْدَّرَاهِمِ إِلَى
 أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ قَالُوا لِابْنِ التَّاجِرِ أَنْطَلِقْ
 أَنْتَ فَاطْلُبْ لَنَا بِقَلْبِكَ وَتِجَارَتِكَ لِيَوْمِنَا هَذَا شَيْئًا . فَأَنْطَلَقَ
 ابْنُ التَّاجِرِ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى بَصُرَ بِسَفِينَةٍ مِنْ سَفُنِ الْبَحْرِ
 كَثِيرَةِ الْمَتَاعِ قَدْ قَدِمَتْ إِلَى السَّاحِلِ فَخَرَجَ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ
 مِنَ التَّجَارِ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَنَاعَوْا مِمَّا فِيهَا مِنَ الْمَتَاعِ . فَجَلَسُوا
 يَتَشَاوَرُونَ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَرْكَبِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
 ارْجِعُوا يَوْمَنَا هَذَا لَا تَشْتَرِي مِنْهُمْ شَيْئًا حَتَّى يَكْسُدَ الْمَتَاعُ
 عَلَيْهِمْ فَيُرْخِصُوهُ عَلَيْنَا مَعَ أَنَّا مُتَحَاجُونَ إِلَيْهِ وَسَيَرْخُصُ

فَخَالَفَ ابْنُ التَّاجِرِ الطَّرِيقَ وَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَرْكَبِ
فَأَبْتَاعَ مِنْهُمْ مَا فِيهِ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ نَسِئَةً^(١) وَأَظْهَرَ أَنَّهُ
يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَ مَتَاعَهُ إِلَى مَدِينَةٍ أُخْرَى . فَلَمَّا سَمِعَ التَّجَارُ
ذَلِكَ خَافُوا أَنْ يَذْهَبَ ذَلِكَ الْمَتَاعُ مِنْ أَيْدِيهِمْ فَأَرْجَحُوهُ
عَلَى مَا اشْتَرَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَأَحَالَ عَلَيْهِمُ أَصْحَابَ الْمَرْكَبِ
بِالْبَاقِي وَحَمَلَ رِجْعَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ
عَقْلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَمَنُهُ أَلْفُ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ
قَالُوا لِابْنِ الْمَلِكِ انْطَلِقِ أَنْتَ وَأَكْتَسِبْ لَنَا بِقَضَائِكَ
وَقَدْرِكَ فَانْطَلَقَ ابْنُ الْمَلِكِ حَتَّى أَتَى إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ
فَجَلَسَ عَلَى دَكَّةٍ^(٢) فِي بَابِ الْمَدِينَةِ

وَاتَّفَقَ بِالْقَدْرَانِ مَاتَ مَلِكَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَلَمْ يُخْلَفْ
وَلَدًا وَلَا أَحَدًا ذَا قَرَابَةٍ . فَمَرُّوا عَلَيْهِ بِمَجَازَةِ الْمَلِكِ وَلَمْ
يُجْزِئَهُ وَكُلُّهُمْ يَحْزَنُونَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَكْثُرْ
لِمَا هُمْ فِيهِ . فَأَنْكَرُوا حَالَهُ وَشَتَمَهُ الْبُؤَابُ وَقَالَ لَهُ مَنْ
أَنْتَ يَا لَيْئِمُ وَمَا يُجْلِسُكَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ وَلَا نَرَاكَ تَحْزَنُ
لِمَوْتِ الْمَلِكِ وَلَا تَهْتَمُّ وَطَرَدَهُ الْبُؤَابُ عَنِ الْبَابِ . فَلَمَّا ذَهَبُوا

عَادَ الْغُلَامُ فَجَلَسَ مَكَانَهُ . فَلَمَّا دَفَنُوا الْمَلِكَ وَرَجَعُوا بَصْرَ بِهِ
 الْبُوابُ فَغَضِبَ وَقَالَ لَهُ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنِ الْجُلُوسِ فِي هَذَا
 الْمَوْضِعِ وَأَخَذَهُ فَجَبَسَهُ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ وَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ
 تِلْكَ الْمَدِينَةِ يَتَشَاوِرُونَ فِي مَنْ يُمْلِكُوهُ عَلَيْهِمْ وَيَخْتَلِفُونَ
 بَيْنَهُمْ إِذْ دَخَلَ الْبُوابُ فَقَالَ لَهُمُ إِنِّي رَأَيْتُ أَمْسِ غُلَامًا
 جَالِسًا عَلَى الْبَابِ وَلَمْ أَرَهُ يَحْزَنُ لِحُزْنِنَا كَأَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ
 عِنْدَهُ بِعَظِيمٍ وَتَلَوَّحُ عَلَيْهِ لَوَائِحُ الْعِزَّةِ وَالشَّرَفِ . فَكَلَّمْتُهُ فَلَمْ
 يُجِبْنِي فَطَرَدْتُهُ عَنِ الْبَابِ فَلَمَّا عُدْتُ رَأَيْتُهُ جَالِسًا فَأَدْخَلْتُهُ
 السِّجْنَ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ عَيْنًا ^(١) * فَبَعَثَتْ أَشْرَافُ الْمَدِينَةِ إِلَى
 الْغُلَامِ فِجَاءً وَابِهِ وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ وَمَا أَقْدَمَهُ إِلَى مَدِينَتِهِمْ .
 فَقَالَ أَنَا ابْنُ مَلِكٍ فَوَيْرَانَ . وَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ وَالِدِي غَلِبَنِي
 أَخِي عَلَى الْمَلِكِ وَقَدْ كَانَ أَبِي عَهْدًا إِلَيَّ ^(٢) بِهِ فَغَضِبَنِي إِيَّاهُ
 فَهَرَبْتُ مِنْ يَدِهِ حَذَرًا عَلَى نَفْسِي حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ
 الْغَايَةِ . فَلَمَّا ذَكَرَ الْغُلَامُ مَا ذَكَرَ مِنْ أَمْرِهِ عَرَفَهُ بَعْضُ
 مَنْ كَانَ يَغْشَى ^(٣) بِلَادَ أَبِيهِ مِنْهُمْ وَأَثْنَوْا عَلَى أَبِيهِ خَيْرًا * ثُمَّ
 إِنَّ الْأَشْرَافَ اخْتَارُوا الْغُلَامَ أَنْ يُمْلِكُوهُ عَلَيْهِمْ وَرَضُوا

به . وكان لأهل تلك المدينة سنة إذا ملكوا عليهم ملكاً
 حملوه على فيل أبيض وطاقوا به حوالي المدينة . فلما
 فعلوا به ذلك مرّ بباب المدينة فرأى الكتابة على الباب
 فأمر أن يكتب إن الاجتهاد والجمال والعقل وما أصاب
 الإنسان في هذه الدنيا من خير أو شر إنما هو بقضاء
 وقدر من الله عز وجل . وقد اعتبر ذلك بما ساق الله إلي
 من الكرامة والخير * ثم انطلق إلى مجلسه فجلس على سرير
 ملكه وأرسل إلى أصحابه الذين كان معهم فأحضروهم
 فأشرك صاحب العقل مع الوزراء وضمّ صاحب الاجتهاد
 إلى أصحاب الزرع وولى صاحب الجمال إحدى مصالحه
 ثم جمع علماء أرضه وذوي الرأي منهم وقال لهم
 أما أصحابي فقد تيقنوا أن الذي رزقهم الله سبحانه وتعالى
 من الخير إنما هو بقضاء الله وقدره . وإنما أحب أن تعلموا
 ذلك وتستيقنوه فإن الذي منعني الله وهياًه لي إنما كان
 بقدر ولم يكن بجمال ولا عقل ولا اجتهاد . وما كنت أرجو
 إذ طردني أخي أن يصيبني ما يعشيني من القوت فضلاً

عَنْ أَنَّ أُصِيبَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ . وَمَا كُنْتُ أَوْمِلُ أَنْ أَكُونَ
بِهَا لِأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي حُسْنًا
وَجَمَالًا وَأَشَدُّ اجْتِهَادًا وَأَحْزَمُ رَأْيًا فَسَاقَنِي الْقَضَاءُ إِلَى أَنْ
أَعْتَزَلْتُ بِقَدَرٍ مِنَ اللَّهِ * وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْجَمْعِ شَيْخٌ
فَنَهَضَ حَتَّى اسْتَوَى قَائِمًا وَقَالَ إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ
عَقْلٍ وَحِكْمَةٍ . وَلَكِنَّ الَّذِي بَلَغَ بِكَ ذَلِكَ وَفُورَ عَقْلِكَ وَحُسْنُ
ظَنِّكَ . وَقَدْ حَقَّقْتَ ظَنَّنَا فِيكَ وَرَجَاءَنَا لَكَ وَقَدْ عَرَفْنَا مَا
ذَكَرْتَ وَصَدَقْنَاكَ فِيهَا وَصَفْتَ . وَالَّذِي سَأَلَ اللَّهَ إِلَيْكَ
مِنَ الْمُلْكِ وَالْكَرَامَةِ كُنْتَ أَهْلًا لَهُ لِمَا قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ
مِنَ الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ . وَإِنْ أَسْعَدَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
مِنْ رَزَقِهِ اللَّهُ رَأْيًا وَعَقْلًا . وَإِنَّمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْنَا بِقَضَائِهِ
إِذْ وَفَّقَكَ لَنَا عِنْدَ مَوْتِ مَلِكِنَا وَكَرَّمَنَا بِكَ * ثُمَّ قَامَ شَيْخٌ
آخَرُ فَمَحَمَّدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ إِنَّ شَأْنَ الْقَضَاءِ
وَالْقَدَرِ لَكَمَا ذَكَرْتَ . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ أَحَدَ السِّيَاحِ حَدَّثَ
عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ

إِنِّي كُنْتُ أَخْدُمُ وَأَنَا غُلَامٌ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ سَائِحًا رَجُلًا

مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ . فَلَمَّا بَدَأَ لِي رَفَضُ الدُّنْيَا فَارَقْتُ ذَلِكَ
 الرَّجُلَ وَقَدْ كَانَ أَعْطَانِي مِنْ أَجْرِي دِينَارَيْنِ . فَأَرَدْتُ أَنْ
 أَتَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَأَسْتَبْقِيَ الْآخَرَ فَأَتَيْتُ السُّوقَ فَوَجَدْتُ
 مَعَ رَجُلٍ مِنَ الصَّيَّادِينَ زَوْجِي هَدِيدَ فَسَاوَمْتُهُ فِيهِمَا لِأُطْلِقَهُمَا
 فَأَبَى الصَّيَّادُ أَنْ يَبِيعَهُمَا إِلَّا بِدِينَارَيْنِ فَأَجْتَهَدْتُ أَنْ
 يَبِيعَهُمَا بِدِينَارٍ وَاحِدٍ فَأَبَى . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي أَشْتَرِي أَحَدَهُمَا
 وَأَتْرُكُ الْآخَرَ . ثُمَّ قُلْتُ لَعَلَّهُمَا يَكُونَانِ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا
 وَأُنْثَى فَأَفَرِّقَ بَيْنَهُمَا . فَأَدْرَكَنِي لُهُمَا رَحْمَةٌ فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ
 وَابْتَعْتُهُمَا بِدِينَارَيْنِ . وَأَشْفَقْتُ ^(١) إِنْ أَرْسَلْتُهُمَا فِي أَرْضٍ عَامِرَةٍ
 أَنْ يُصَادَا وَلَا يَسْتَطِيعَا أَنْ يَطِيرَا مِمَّا لَقِيَا مِنَ الْجُوعِ وَالْهَزَالِ ^(٢)
 وَلَمْ أَمِنْ عَلَيْهِمَا إِلَّا فَاتٍ ^(٣) . فَأَنْطَلَقْتُ بِهِمَا إِلَى مَكَانٍ كَثِيرِ
 الْمَرْعَى وَالْأَشْجَارِ بَعِيدٍ عَنِ النَّاسِ وَالْعُمَرَانِ فَأَرْسَلْتُهُمَا فَطَارَا
 وَوَقَعَا عَلَى شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ . فَلَمَّا صَارَا فِي أَعْلَاهَا شَكَرَا لِي
 وَسَمِعْتُ أَحَدَهُمَا يَقُولُ لِلْآخَرِ لَقَدْ خَلَصْنَا هَذَا السَّائِحُ مِنْ
 الْبَلَاءِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَأَسْتَنْقِذْنَا وَنَجَّانَا مِنَ الْهَلَكَةِ وَإِنَّا
 لَخَلِيقَانِ ^(٤) إِنْ نَكَافَتْهُ بِفِعْلِهِ . وَإِنْ فِي أَصْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ

جَرَّةٌ مَمْلُوءَةٌ دَنَائِيرَ أَفْلا نَدُلُّهُ عَلَيْهَا فَيَأْخُذُهَا . فَقُلْتُ لَهُمَا كَيْفَ
تَدُلَّانِي عَلَى كَنْزٍ لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ وَأَنْتُمَا لَمْ تُبْصِرَا الشَّبَكَةَ .
فَقَالَا إِنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ الَّذِي يَتَسَلَّطُ عَلَى الْقَمَرِ وَالشَّمْسِ
فَيَكْسِفُهُمَا وَعَلَى الْحُوتِ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ فَيُضْطَادُ إِذَا نَزَلَ صَرَفَ
الْعُيُونَ عَنْ مَوْضِعِ الشَّيْءِ وَغَشَى عَلَى الْبَصَرِ . وَإِنَّمَا صَرَفَ الْقَضَاءُ
أَعْيُنَنَا عَنِ الشَّرْكِ وَلَمْ يَصْرِفْهَا عَنْ هَذَا الْكَنْزِ لِتَنْتَفِعَ أَنْتَ
بِهِ . فَأَحْفَرْتُ وَأَسْتَخْرَجْتُ الْبَرْزِيَّةَ وَهِيَ مَمْلُوءَةٌ دَنَائِيرَ فَدَعَوْتُ
إِيَّاهُمَا بِالْعَافِيَةِ وَقُلْتُ لَهُمَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَكُمَا مِمَّا رَأَى
وَأَنْتُمَا تَطِيرَانِ فِي السَّمَاءِ وَأَخْبَرْتُمَانِي بِمَا تَحْتَ الْأَرْضِ .
فَقَالَا لِي أَيُّهَا الْعَاقِلُ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْقَدَرَ غَالِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَجَاوَزَهُ

فَلْيَعْرِفْ أَهْلُ النَّظَرِ فِي الْأُمُورِ أَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ
بِقَدَرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَجِبُ إِلَى نَفْسِهِ مَحْبُوبًا
وَلَا يَدْفَعُ عَنْهَا مَكْرُوهًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى * فَلْتَشَقِ نَفْسُ
أَهْلِ الْفِكْرِ بِذَلِكَ وَتَظْمِنْ إِلَيْهِ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رَاحَةً لِلْمَبْتَلَى
وَدَاعِيًا لِمَنْ تَوَاتَبَتْ أَلْمَقَادِيرُ إِلَى شُكْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بَابُ

الْحَمَامَةِ وَالْتَعْلَبِ وَمَالِكِ الْحَزِينِ^(١)

وَهُوَ آخِرُ الْكِتَابِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
الْمَثَلَ . فَأَضْرَبَ لِي مَثَلًا فِي شَأْنِ الرَّجُلِ الَّذِي يَرَى الرَّأْيَ
اِغْيَرَهُ وَلَا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ إِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ
الْحَمَامَةِ وَالْتَعْلَبِ وَمَالِكِ الْحَزِينِ . قَالَ الْمَلِكُ وَمَا مِثْلُهُنَّ

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَةً كَانَتْ تُفْرَخُ فِي
رَأْسِ نَخْلَةٍ طَوِيلَةٍ ذَاهِبَةٍ فِي السَّمَاءِ . فَكَانَتْ الْحَمَامَةُ تَشْرَعُ
فِي نَقْلِ الْعُشِّ إِلَى رَأْسِ تِلْكَ النَّخْلَةِ فَلَا يُمْكِنُهَا مَا تَنْقُلُ مِنْ
الْعُشِّ وَتَجْعَلُهُ تَحْتَ الْبَيْضِ إِلَّا بَعْدَ شِدَّةٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ لَطُولِ
النَّخْلَةِ وَصَحْقِهَا^(٢) . وَكَانَتْ إِذَا فَرَّغَتْ مِنَ النَّقْلِ بَاضَتْ ثُمَّ

حَضَنْتْ بَيْضَهَا فَإِذَا أَنْقَاضُ^(٣) وَأَدْرَكَ فِرَاحُهَا جَاءَهَا تَعْلَبٌ
قَدْ تَعَهَّدَ^(٤) ذَلِكَ مِنْهَا لَوْ قَتَلَ قَدْ عَلِمَهُ رَيْثُمَا^(٥) يَنْهَضُ فِرَاحُهَا
فَوْقَ بَاصِلِ النَّخْلَةِ فَصَاحَ بِهَا وَتَوَعَّدَهَا^(٦) أَنَّ يَرْقَى
إِلَيْهَا أَوْ تُلْقَى إِلَيْهِ فِرَاحُهَا فَتُلْقِيهَا إِلَيْهِ . فَيَنْمَا هِيَ ذَاتَ

١ طائر من طيور الماء ٢ علوها ٣ خرج منه الفرج ٤ تنقل وعرف

٥ مهلما ٦ مهددها

يَوْمٍ وَقَدْ أَدْرَكَ لَهَا فَرْخَانِ إِذْ أَقْبَلَ مَالِكُ الْحَزِينُ فَوَقَعَ عَلَى
 الْتَحْلَةِ. فَلَمَّا رَأَى الْحَمَامَةَ كَثِيبَةً حَزِينَةً شَدِيدَةً أَلْهَمَ قَالَ لَهَا
 يَا حَمَامَةُ مَا لِي أَرَاكِ كَاسِفَةً الْبَالِ ^(١) سَيِّئَةَ الْحَالِ. فَقَالَتْ لَهُ
 يَا مَالِكُ الْحَزِينُ إِنَّ ثَعْلَبًا دُهَيْتُ بِهِ كُلَّمَا كَانَ لِي فَرْخَانِ
 جَاءَ نِي يَتَهَدَّدُنِي وَيَصْبِحُ فِي أَصْلِ التَّحْلَةِ فَأَفْرُقُ مِنْهُ ^(٢) فَأَطْرَحُ إِلَيْهِ
 فَرْخِي. قَالَ لَهَا مَالِكُ الْحَزِينُ إِذَا أَتَاكَ لِيَفْعَلْ مَا تَقُولِينَ فَقُولِي
 لَهُ لَا أَلْقِي إِلَيْكَ فَرْخِي فَأَرْقُ ^(٣) إِلَيَّ وَغَرَّرَ بِنَفْسِكَ ^(٤) فَإِذَا
 فَعَلْتَ ذَلِكَ وَأَكَلْتَ فَرْخِي طَرْتُ عَنْكَ وَنَجَوْتُ بِنَفْسِي *
 فَلَمَّا عَلِمَهَا مَالِكُ الْحَزِينُ هَذِهِ الْحِيلَةَ طَارَ فَوْقَ عَلَى شَاطِئِ
 نَهْرٍ. وَأَقْبَلَ الثَّعْلَبُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَرَفَ فَوَقَفَ تَحْتَ التَّحْلَةِ
 ثُمَّ صَاحَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فَأَجَابَتْهُ الْحَمَامَةُ بِمَا عَلَّمَهَا مَالِكُ
 الْحَزِينُ. فَقَالَ لَهَا أَخْبِرِيْنِي مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا. قَالَتْ عَلَّمَنِي مَالِكُ
 الْحَزِينُ * فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ حَتَّى أَتَى مَالِكَا الْحَزِينِ عَلَى شَاطِئِ
 النَّهْرِ فَوَجَدَهُ وَاقِفًا. فَقَالَ لَهُ الثَّعْلَبُ يَا مَالِكُ الْحَزِينُ إِذَا
 أَتَاكَ الرِّيحُ عَنْ يَمِينِكَ فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ قَالَ عَنْ شِمَالِي.
 قَالَ فَإِذَا أَتَاكَ عَنْ شِمَالِكَ أَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ قَالَ أَجْعَلُهُ

عَنْ بَيْنِي أَوْ خَلْفِي . قَالَ فَإِذَا أَتَتْكَ الرِّيحُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ
وَكُلِّ نَاحِيَةٍ أَيْنَ تَجْعَلُهُ . قَالَ أَجْعَلُهُ تَحْتَ جَنَاحِي . قَالَ
وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ تَحْتَ جَنَاحَيْكَ . مَا أَرَاهُ ^(١) يَتِيهَا ^(٢)
لَكَ . قَالَ بَلَى . قَالَ فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ فَلَعَمْرِي يَا مَعْشَرَ الطَّيْرِ
لَقَدْ فَضَّلَكُمْ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّكُنْ تَدْرِينَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ مَا
تَدْرِي فِي سَنَةٍ . وَتَبْلُغْنَ مَا لَا تَبْلُغُ وَتُدْخِلْنَ رُؤُوسَكُنَّ تَحْتَ
أَجْنِحَتِكُنَّ مِنَ الْبَرْدِ وَالرَّيْحِ . فَهَيْئًا لَكُنْ فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ .
فَادْخُلِ الطَّائِرُ رَأْسَهُ تَحْتَ جَنَاحِيهِ فَوَثَبَ عَلَيْهِ الثَّلَبُ مَكَانَهُ
فَأَخَذَهُ فَهَمَزَهُ ^(٣) هَمَزَةً دَقَّ ^(٤) عُنْقَهُ . ثُمَّ قَالَ يَا عَدُوَّ نَفْسِي تَرَى
الرَّأْيَ لِلْحِمَامَةِ وَتُعَلِّمُهَا الْحِيلَةَ لِنَفْسِهَا وَتَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ لِنَفْسِكَ
حَتَّى يَتِمَّكَ مِنْكَ عَدُوُّكَ . ثُمَّ قَتَلَهُ وَأَكَلَهُ * اللَّهُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَنْ
نَكُونَ مِنَ الْمُؤْتَمِرِينَ ^(٥) لِمَا يَأْمُرُونَ وَالْمُنْتَصِحِينَ بِمَا يَنْصَحُونَ
فَلَمَّا أَنْتَهَى الْمُنْطِقُ بِالْفِيلَسُوفِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ سَكَتَ
الْمَلِكُ . فَقَالَ لَهُ الْفِيلَسُوفُ أَيُّهَا الْمَلِكُ عِشْتَ أَلْفَ سَنَةٍ
وَمَلَكَتِ الْأَقَالِمَ السَّبْعَةَ وَأُعْطِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَظًّا
وَبَلَغْتَ مَا أَمَلْتَهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي سُورٍ مِنْكَ

وَقُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ بِكَ وَمُسَاعَدَةُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ لَكَ .
 فَإِنَّهُ قَدْ كَمَلَ فِيكَ الْحِلْمُ وَالْعِلْمُ وَحَسُنَ مِنْكَ الْعَقْلُ وَالنِّيَّةُ
 وَتَمَّ فِيكَ أَلْبَاسُ وَالْجُودُ وَاتَّفَقَ مِنْكَ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ . فَلَا يُوجَدُ
 فِي رَأْيِكَ نَقْصٌ وَلَا فِي قَوْلِكَ سَقَطٌ وَلَا عَيْبٌ . وَقَدْ جَمَعْتَ
 الْجَدَّةَ ^(١) وَاللِّينَ فَلَا تُوجَدُ جَبَانًا عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا ضَيِّقَ الصَّدْرِ
 عِنْدَ مَا يَنْوُبُكَ ^(٢) مِنَ الْأَشْيَاءِ

وَقَدْ جَمَعْتَ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ شَمْلَ بَيَانِ الْأُمُورِ
 وَشَرَحْتَ لَكَ جَوَابَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنْهَا تَرْفُافًا ^(٣) إِلَى رِضَاكَ
 وَابْتِغَاءَ لِبَاطِنِكَ فَأَبْلَغْتُكَ فِي ذَلِكَ غَايَةَ نَصِيحِي وَاجْتَهَدْتُ
 فِيهِ بِرَأْيِي وَنَظَرِي وَمَبْلَغِ فِطْنَتِي * وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْضِي حَقِّي
 بِحُسْنِ النِّيَّةِ مِنْكَ فِي أَعْمَالِ فِكْرِكَ وَعَقْلِكَ فِيمَا وَضَعْتُ
 لَكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْمَوْعِظَةِ . مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ الْمَنْصُوحُ بِأَوَّلَى
 بِالنَّصِيحَةِ مِنَ النَّاصِحِ وَلَا الْأَمْرُ بِالْخَيْرِ بِأَسْعَدَ مِنَ الْمَطِيعِ
 أَنَّهُ فِيهِ * فَأَفْهَمَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَلَا حَوْلَ ^(٤) وَلَا قُوَّةَ
 إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

إِنْتَهَى

وكان الفراغ من تمثيله على هذه الصورة في منتصف شهر آب سنة
اربع وثمانين وثمان مئة والحمد لله أولاً و آخراً

فهرس

صفحة	
٢	مقدمة المنهج
٧	باب مقدمة الكتاب
٢٩	باب بعثة برزويه
٦٥	باب عرض الكتاب
٨٢	باب برزويه
١٠٥	باب الاسد والثور
١٧٦	باب الفحص عن امر دمنة
٢٠٧	باب الحمامة المطوقة
٢٢٢	باب اليوم والغربان
٢٦٦	باب الفرد والغيلم
٢٧٦	باب الناسك وابن عرس
٢٨٠	باب الجرد والسنور
٢٨٩	باب الملك والطائر فنته
٢٩٨	باب الاسد وابن آوى الناسك
٣١٢	باب اللبوة والاسوار والشعير
٣١٧	باب ايلاذ و بلاذ و ابراخت
٣٤٠	باب الناسك والضيف
٣٤٢	باب السائح والصائغ
٣٥٠	باب ابن الملك واصحابه
٣٦٠	باب الحمامة والتعلب
	ومالك الحزين
٣٦٢	خاتمة الكتاب

تنبيه

قد أضيف الى هذه الطبعة تحسينات جمّة من مثل الاستقصاء في
تفسير الفاظه اللغوية حيث اعتدّ فيه فهم أصغر تلميذ فبلغت الالفاظ
المفسرة ما يقرب من ألفي لفظة كلها من الالفاظ المهمة المتداولة بين الكتاب
وهي مؤونة ليست بقليلة في ذهن التلميذ كما لا يخفى . وحيث بعد العهد
باللفظة المفسرة قليلاً كرّر تفسيرها تجديداً للذكور . وسوى ذلك تحسينات
أخر كلها مما يأول الى ملاءمة الكتاب لكل مشرب وموافقتهم
لكل ما أرب ان شاء الله تعالى

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢	٤	مَخْرَجٌ	مُخْرِجٌ
٢	٧	سَفَرٌ	سَفَرٌ
٢٢	١١	أَحَدَهُمْ	أَحَدُهُمْ
٤٩	١٥	فَسَرَّ	فَسَرُ
٨٠	٣	الْوَلَدَ	الْوَلَدِ
١١٣	١٣	دِمْنَةُ يُقَالُ	دِمْنَةُ بَلْ يُقَالُ
١٧٦	١١	وَإِنَّهُ	وَإِنَّهُ
١٧٦	١٢	يُوَاصِلُ	يُوَاصِلُ لَهُ
١٨٠	١٧	الْكَلَسِ	الصَّعْدِ
٢٢٢	١٩	وَالدَّلَالَةَ	وَالدَّلَالَ
٢٢٧	١٧	الظَّرَفِ	الظَّرِيفِ
٣٣٦	٥	تَحِبُّ	تُحِبُّ
٣٥٢	١١	الْمَدِينَةَ	الْمَدِينَةُ